

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية

قسم التاريخ والآثار

تخصص الأنثروبولوجيا

أطروحة دكتوراه في الأنثروبولوجيا موسومة

الأسس الأنثروبولوجية و الثقافية للغة

-دراسة سوسيوأنثروبولوجية و تقويمية لتعليم اللغة الانجليزية في الطوم المتوسط

إشراف

أ . د عبد العالي بشير

إعداد الطالب

كرمة شريف

أعضاء لجنة المناقشة

| | | | |
|--------|---------------|----------------------|----------------------|
| رئيسا | جامعة تلمسان | أستاذ التعليم العالي | أ.د إسماعيل بن موسات |
| مشرفا | جامعة تلمسان | أستاذ التعليم العالي | أ.د عبد العالي بشير |
| مناقشا | جامعة وهران | أستاذ التعليم العالي | أ.د. بدرة ميموني |
| مناقشا | جامعة تلمسان | أستاذة محاضرة (أ) | د. فائزة سنوسي |
| مناقشا | جامعة مستغانم | أستاذ التعليم العالي | أ.د. بحوص عباس |
| مناقشا | جامعة بلعباس | أستاذ محاضر (أ) | د. لمين بولنوار |

السنة الجامعية: 2012-2013

شكر و تقدير

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام

على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى اله

وصحبه أما بعد:

يطيب لي بعد أن من الله عز وجل علي بانجاز هذه الدراسة أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى
أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور عبد العالي بشير والمشرف على هذه الدراسة والذي لم يخل علي
يوماً بوقته وجهده وفكره وأرائه النيرة، وملاحظاته وتوجيهاته السديدة ونصائحه القيمة التي كان
لها بعد الله أكبر الأثر في إتمام هذه الدراسة وإخراجها بهذه الصورة.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لزملائي الأساتذة بقسم العلوم الاجتماعية لما قدموه لي من توجيهات و
تشجيع مستمر أثناء الدراسة.

إهداء

إلى أعز الناس وأقربهم إلى قلبي، إلى والدي العزيزين

الذين قدما لي كل الرعاية والحنان وشملاني بنصحهما الدائم ودعائهما الصالح الذي أنا في

الطريق .

إلى من ساندتني وخطت معي الخطوات وسهلت لي الصعاب

إلى نزوجتي العزيزة على صبرها وتشجيعها لي وتوفير الجو المناسب حتى قرانجانر هذا العمل المتواضع .

إلى أبنائي وفقهم الله في دراستهم .

إلى كل قائم بالعملية التعليمية طالبا الأجر من الله ثم نهضة بلاده ووصولها إلى مصاف الأمم

المتقدمة .

إلى هؤلاء جميعا اهدي هذا الجهد المتواضع

مراجيا من الله القدير أن ينفع به .

مقدمة

بات تعلم اللغات الأجنبية حاجة ملحة و مطلباً أساسياً في الحياة المعاصرة التي تشهد ثورة معلوماتية كبرى نتيجة التقدم في تقنية الاتصالات الكبيرة، وإنجازاتها السريعة، بعد أن أصبح العالم قرية صغيرة تتربع التكنولوجيا على عرشها، خاصة الحاسوب و الانترنت اللذان يعتبران أداة أساسية لا غنى عنها في كافة المجتمعات على اختلاف تقدمها الاقتصادي والاجتماعي و الثقافي مع قدوم القرن الحادي والعشرين. وبذلك أصبح الاتصال المباشر وغير المباشر بين دول العالم وثقافته ضرورة لا بد منها لتبادل الخبرات العلمية والتكنولوجية التي ساهمت في إذابة الحواجز بين الشعوب و الثقافات وجعلت من العالم قرية كونية صغيرة يحاور بعضها الآخر، و يستفيد كل منهما من الآخر. فتعلم اللغة الأجنبية أياً كانت يساعد على الفهم و الاستيعاب أو الود الثقافي بين الأمم، كما يساهم مساهمة فعالة في نقل العلوم و المعارف و التجارب و الثقافات و ترجمتها.

ولما كانت اللغة الإنجليزية من أكثر اللغات شيوعاً واستعمالاً ، غدا من الضروري تعلمها وتعليمها لتيسير التواصل بين الأفراد، والمجتمعات من الثقافات المختلفة لكونها وسيطاً عالمياً للتعبير والتفاهم. كما أن توفر الكتب والمؤلفات، والمراجع على اختلاف مجالاتها وتخصصاتها باللغة الإنجليزية أدى إلى زيادة الوعي بها، وزيادة التشجيع على تعلمها وتعليمها، من أجل نقل تلك إلا أن ذلك لا يعني تفضيل تعلم و تعليم اللغات الأجنبية على اللغة الأم اللغة العربية في هذه الحالة، بل لا بد أن تعطى الأفضلية للغة الأم لأنها دلالة على الانتماء الثقافي و الهوية الوطنية.

أسباب اختيار الموضوع

في ظل العولمة فإن أي دولة لن تستطيع العيش في عزلة من هذه التطورات، الأمر الذي يؤكد الحاجة لتعلم لغة أجنبية، خاصة اللغة كثيرة الانتقال والمرتبطة بهذا التقدم، مثل الإنجليزية، تيسر للفرد والمجتمع سبل التفاهم مع العالم وتساعد على الاندماج فيه والاستفادة من إنجازاته وكذلك المساهمة في زيادة مبتكراته، وذلك إلى جانب تعلم أداة الاتصال الأساسية المتمثلة في اللغة الأم.

بيد أن كثيراً من دول العالم بدأ يتجاوزها اتجاهان بينهما تعارض إلى حد كبير. يتمثل الاتجاه

الأول في ضرورة الأخذ بمظاهر التقدم الحضاري وما يشتمل عليه من تعليم أفراد المجتمع لغة أجنبية أو أكثر لاقتناعها بأن الانغلاق عن العالم غير مجد في ظل العولمة وأن تعلم الفرد لغة أخرى بجانب لغته الأم هو السبيل الأمثل لتوسيع مداركه وإثراء تجاربه. أما الاتجاه الثاني فإنه يرى أن تدريس لغة أجنبية في التعليم العام، خاصة في المرحلة الأساسية، سيؤدي إلى تفتيت الثقافة والهوية القومية والمتمثلة باللغة الأم، ويؤكد هذا الاتجاه أن اللغة الأجنبية لا تدرس من فراغ، فهي ليست مفردات وتراكيب نحوية فحسب وإنما هي وعاء لثقافات وعادات وقيم للناطقين بها، وما يترتب على ذلك من تأثير على وجدان المتعلم.

وفي عالمنا العربي، بدأ الحوار حول تدريس اللغة الأجنبية في العديد من الندوات التربوية وفي الأوساط العلمية ولدى المهتمين بتعليم اللغات الأجنبية في الجامعات والمؤسسات التعليمية المماثلة، ويستطيع المتتبع لهذا الحوار أن يتبين الاتجاهين المشار إليهما آنفاً، إذ يدعو القائلون بالاتجاه الأول إلى التوسع في تعليم اللغة الأجنبية وإدخالها في المرحلة الأساسية، بل وفي مرحلة رياض الأطفال، في حين يدعو الاتجاه الآخر إلى إلغاء تدريسها في هذه المرحلة أو تأجيل إدخالها إلى السنوات الأخيرة من المرحلة الأساسية.

و لعل من جملة الدوافع التي حفزتني للخوض في مثل هذا الموضوع، هو خدمة اللغة العربية باحتكاكها مع اللغة الإنجليزية كون هذه الأخيرة تحتل مكانة مرموقة في الساحة العالمية، إضافة إلى وجود تقارب كبير بين اللغتين من حيث النظام اللغوي على جميع المستويات الأمر الذي يرشحها أن تكون أسهل اللغات تعلمًا و اكتسابًا مقارنة باللغات الأجنبية الأخرى، هذا إلى جانب اهتمامي باللغات بدءًا باللغة العربية الأم، ثم اللغات الأجنبية، وبخاصة الإنجليزية كونها أضحت لغة العولمة والاتصال.

و مادامت الدراسات الانثروبولوجية الحديثة قد تطرقت إلى عدة جوانب ذات الصلة، إلا أنها أغفلت جانبًا مهمًا يتعلق أساسًا باللغة كدرس التقليد الانثروبولوجي، ذلك أنها تمثل المادة الخام والوعاء الذي ينهل منه كل باحث بحسب تخصصه وانتماؤه. فوقع انتباهي إلى الاشكالية التي مفادها.

إن تعليم اللغة الأجنبية في المرحلة الأساسية من التعليم أضحى أكثر انتشارا في المدارس مثل ما هو الحال عليه في جل الأقطار العربية المتعددة ثقافيا ولغويا و بخاصة بلدان المغرب العربي و على رأسها الجزائر، وذلك من أجل توحيد اللغة والثقافة وتحقيق مبادئ الديمقراطية وتكافؤ الفرص التعليمية. فاعتمدت برامج تربوية خاصة ومناهج تدريسية تحقق التعايش اللغوي و الثقافي في خضم تفاعل حضاري مستمر. و إذا ما سلمنا وجود معطيات تتلخص في ما يلي.

1. التعليم ثنائي اللغة (Bilingual Education) حيث يتعلم التلميذ لغتين بالتتابع فيتعلم لغته الأم، ثم اللغة الأجنبية الثانية. هذه الأخيرة تشجعه على فهم مجمل البرامج التعليمية الخاصة بالمادة و منه توجيهه إلى اخذ مكان ضمن ما أصبح يعرف بالوضعية الإدماجية التي تهدف أساسا إلى تكوينه لان يصبح فردا صالحا لمجتمعه و وطنه مستعدا لمواجهة مختلف تحديات الحياة.

2. و كون أن اللغة الانجليزية رائدة في عالمنا المتطور بات لزاما أن نوليها اهتماما بالغا وذلك بتوسيع رقعة آليات تعليمها حتى تضاهي الفرنسية المهيمنة في بلد كالجزائر بحكم الصراع اللغوي القائم الذي تفرضه مختلف التعاملات الاقتصادية و الثقافية و الاجتماعية و السياسية و غيرها لا سيما أن العالم أصبح بمثابة قرية صغيرة و الجزائر طرف فيه.

3. إن تعليم اللغات الأجنبية في السياقات الثقافية لدول المغرب العربي لابد أن يرتكز على تدريس اللغة كإشكالية ثقافية وليست فقط كأداة للتواصل، لأن الفهم العميق والسليم للقيمة الثقافية والتاريخية والحضارية للغة ستساعد بشكل أكبر على التقارب بين الشعوب وبالتالي العمل على ردم الهوة الثقافية بين اللغات والحضارات و تجاوز سوء التفاهم و بناء جسور الاحترام المتبادل. و من خلال ما ذكر آنفا يمكننا طرح التساؤلات الآتية :

ماهية اللغة ؟ هل هي عملية تحاور بين الأفراد؟ هل هي انغماس ثقافي موحد؟ أم هل هي و سيلة لإثبات الوجود و الذات؟

__اللغة ظاهرة اجتماعية يتكلمها بنو البشر ،فقد تناولها بالدراسة العديد من الباحثين و المنظرين على

اختلاف تخصصاتهم. فجاءت تعريفاتهم لها متصلة بوجهات نظر متعددة بيد أنهم اتفقوا على أنها أداة للتواصل بين جميع أفراد المجتمع و لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نشيد بما جاء به اللساني "رو مان جاكسون" من خلال وظائفها الستة و التي تشرح عملية التواصل اللغوي بين مرسل و مرسل إليه .

إن تقدير ذلك لا يمكن أن تتحكم فيه إلا عملية التّحاور التي اعتاد عليها الإنسان منذ الطفولة، إذن اللغة هي الحوار أولاً، ثم تأتي القراءة والكتابة إذا توفرت لهما الشروط القوية والملائمة و من جملة ذلك نذكر البيئة الثقافية والاجتماعية التي توحى بأصول المتعلم في تعامله مع الواقع الخارجي.

كما أن تعلم اللغات الأجنبية يسعى إلى اكتساب العلوم و المعارف و المهارات و ثقافات العالم المتقدم و الاستفادة منها. بما أن العالم في تطور مستمر و على جميع الأصعدة لا سيما المجال التكنولوجي و المعلوماتي ،بات لزاما على كل فرد أن يثبت ذاته بمواكبة هذا التطور و اخذ القسط الأوفر لتحديد معالم و جوده حتى لا يقبع على الهامش.

4 _ إن تعليم اللغة الانجليزية في الجزائر يمتد لسنوات عديدة ، كما انه مر بعدة مراحل تطويرية أساسية ، و جندت له كل الإمكانيات و ادعم المالي الكافي و وفر للمتعلم في المرحلتين المتوسطة والثانوية و كذا السنة الرابعة من التعليم الابتدائي حجم ساعي كفيلا بتغطية العملية التعليمية. ولكن بالرغم من كل تلك الجهود ، فان الحصيلة النهائية لنتائج الاختبارات و الامتحانات تؤكد أن قدرة الطالب في اللغة الانجليزية في اذني مستوياتها، كما انه غير فادر على إجراء حوار قصير باللغة الانجليزية ،و غير فادر أيضا على تحرير فقرة قصيرة أو فهم نص. و قد بلغ متوسط نسبة التحصيل العام حسب بعض الدراسات التي أجريت على تعلم اللغة الانجليزية بنسبة 36 % في المتوسط و نسبة 32% في المرحلة الثانوية.

وأمام هذه الحالة غير المرضية نجد أنفسنا بحاجة إلى الإجابة عن سؤالين هامين هما: أين مصدرا لخلل؟ وما هي الأسباب التي أدت إلى تلك الحالة اللغوية المتردية؟ والجواب على ذلك أن هناك العديد من المعوقات المتنوعة أدت إلى خلق نتاج تعليمي لغوي ضعيف والتي يمكن تقسيمها إلى معوقات رئيسية أربعة هي: معوقات نفسية، و فنية، وإدارية، ومعوقات نظامية تربوية .

أ_ إن إدراك التلميذ لفائدة اللغات الأجنبية (اللغة الإنجليزية) ينمي فيه رغبة تحصيلها. أي أن للعامل النفسي دور فعال و ايجابي في تعلم اللغات الأجنبية.

_يلعب عامل الاستعداد النفسي دورا رئيسا في نجاح، أو فشل تجربة تعلم اللغة الإنجليزية. فالطالب الجزائري يُقدم على تعلم اللغة الإنجليزية وفي ذهنه العديد من الأمثلة الفاشلة التي صورت له مدى صعوبة واستحالة تعلمها.

_ويأتي ضمن دائرة العامل النفسي دور النظرة المسبقة نحو تعليم اللغة الإنجليزية، وكذلك المفاهيم الخاطئة حول تعلمها. فالطالب في مراحل التعليم يقدم على تعلم اللغة الإنجليزية من غير إبداء أي قدر من الحماسة، والرغبة الجادة في تعلمها والسبب في ذلك يعود في المقام الأول إلى شعوره بأنها ليست ذات أولوية مهمة في حياته، مقارنة بالمواد التعليمية الأخرى.

_إن رغبة الطلاب، وتفاعلهم مع تجربة تعلم اللغة الإنجليزية، وإدراكهم لأهمية تعلمها تأثرت سلبا جراء ضعف تشجيع ودعم الأولياء لأبنائهم. ويؤكد ذلك ما أشارت إليه بعض الدراسات الميدانية من أن المستوى التحصيلي للطلاب في اللغة الإنجليزية يرتفع بارتفاع المستوى التعليمي للأبوين، وإنه في حالة قناعتهم بأهميتها ينعكس ذلك إيجابيا على مستوى تحصيل أبنائهم اللغوي.

ب_ إن الكفاءة البيداغوجية للمعلم و الوسائل التعليمية و المناهج الخاصة بتعليم اللغات الأجنبية لها دور فعالا في تعليم اللغات الأجنبية للتلميذ.

_ إن الوسائل التعليمية المساعدة، والمصادر الإثرائية الحديثة، التي قد تسهم بقدر كبير في تعليم اللغة الإنجليزية بطرائق ووسائل أكثر كفاءة.

_استخدام معايير الجودة التعليمية - بما في ذلك معيارا التدريس الجيد (standard teaching) والتعلم الجيد - (standard learning) التي تبني عليها السياسات، والنظم والبرامج والتطبيقات التربوية والتعليمية.

الدراسات السابقة

هنالك كثير من الدراسات التي تناولت تعلم اللغة الانجليزية بوصفها لغة أجنبية ، وكثير منها يشير بما لا يقبل الجدل إلى عدم جدوى تعليم المواد الدراسية للمتعلم أيا كان سنه بلغة غير لغته الأم.¹

زيادة على ذلك، أجريت دراسة في عام 1998 لمعرفة ايجابيات وسلبيات تعليم اللغة الأجنبية بالمرحلة الابتدائية خلصت إلى أن أنسب صف لتعليم اللغة الأجنبية هو الصف الرابع الابتدائي بعد أن يكون الطفل قد تمكن من مهارات تعلم لغته الأم.

وفي عام 2003 نشرت دراسة في مجلة التربية (جامعة أسيوط) حول أثر الازدواجية اللغوية على اكتساب تلاميذ المدرسة الابتدائية لمهارات اللغة العربية و تحصيلهم اللغوي، وقد توصلت إلى أن الثنائية اللغوية تؤثر بالسلب على المهارات اللغوية لدى الطفل.

وأجريت دراسات علمية بجامعة أكسفورد عن أثر العمر في تعليم لغة أجنبية خلصت إلى أن السن التي يشرع في تعلم اللغة الأجنبية فيها ليست عاملا حاسما في تعلمها، وأن الفروق التي وجدت بين متعلمي اللغة في أعمار مختلفة ليست نتيجة لعامل العمر، كما أن السن التي يبدأ فيها بتعليم اللغة الأجنبية يؤثر سلبا على التحصيل، و أكثر من ذلك كله أن تعلم الطفل لغة أجنبية في هذه السن المبكرة يكون له أثره السلبي على اللغة الأم.

لكن جل الدراسات التي قام بها الاثنوبولوجيون و علماء التربية اقتصرت على بعض الأقطار الأجنبية و العربية،و تكاد تنعدم هذه الدراسات في الجزائر رغم التعدد اللغوي الموجود،و الصراع القائم بين أنصار اللغة العربية و الفرانكفونية كذلك تشجيع بعض الأطراف لجعل اللغة الامازيغية لغة رسمية تدرس في المدارس في كل ربوع البلاد. كما ان العولمة و ما أفرزته من أنماط في شتى الميادين خاصة الثقافية منها السلطات الجزائرية من المهتمين بتعليم اللغات الأجنبية و بخاصة اللغة الانجليزية يوقعون على مذكرة تفاهم بين وزارة التعليم العالي والبحث العلمي والمؤسسة الأمريكية وورلد ليرنينغ "Learning world" تهدف إلى تطوير تعليم اللغة الانجليزية بالجزائر.

اللغة العربية في عصر العولمة، الرياض مكتبة العبيكان سنة1422هـ/2001م ص13 ¹

وقع المذكرة عن الجانب الجزائري "محمد غراس" الأمين العام للوزارة وعن الجانب الأمريكي سفير الولايات المتحدة الأمريكية بالجزائر "هنري إنشر".

وتساهم هذه الاتفاقية التي تم التوقيع عليها بمقر وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، في تطوير اللغة الإنجليزية في الجزائر خاصة وأنها أصبحت من المجالات ذات الأولوية، وذلك قصد تلبية الاحتياجات الملحة التي أعرب عنها الطلبة والقطاع الاجتماعي-الاقتصادي حسب ما ذكره محمد غراس.

وأشاد محمد غراس بما قال أنه سينجم عن هذه المذكرة في تطوير مجالات متعددة منها تحسين دروس اللغة الإنجليزية وتحسين مناهج تسيير الأعمال لتتلاءم مع احتياجات سوق العمل الجزائري بصيغة تسمح بمضاعفة قدرات الأساتذة لتدريس قيادات الأعمال والمؤسسات الجزائرية الحالية والمستقبلية. و كذلك تكوين الأساتذة الجامعيين وفق أفضل الممارسات في تدريس اللغة الإنجليزية في التعليم العالي.

منهجية الدراسة

إن أهم خاصية من خصائص البحث الانثروبولوجي هي دراسة الثقافة في الميدان، فالدراسة الميدانية هي عماد الدراسات الانثروبولوجية، و الباحث الانثروبولوجي حينما يبدأ في دراسة لغة ما فانه يبدأ في إتباع الأسلوب الميداني في دراسة تلك اللغة، حيث أن اللغة ما هي إلا جزء من ثقافة أي مجتمع إنساني. "فيجب عليه أن يستعين ببعض المعلومات عن الجماعة التي يدرس لغتها و على الأخص إذا أراد أن تكون تفسيراته لمعنى الكلمات أكثر و وضوحا، و لا يحرص نفسه في وضع قائمة للألفاظ التي تنقل ترجمة قريبة لمعنى الكلمة."¹

إن اللغة خاصية إنسانية و مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية، مرتبطة اشد الارتباط بالإنسان لذا كان لزاما علينا اعتماد المنهج الوصفي التحليلي في هذه الدراسة العلمية وذلك للنفاذ إلى قلب الظاهرة و الاستعانة ببعض أدوات البحث الميداني كالمقابلة و الملاحظة. لأنه لا غنى عن دراسة اللغة في حقلها الأساسي، فمن خلال هذه الدراسة يمكن للباحث أن يقف على طبيعة

¹ علي محمود مزيد، علم اللغة العام في الفكر العربي، المطبعة العالمية، دت، ص 124.

اللغة التي يدرسها ، و على أوجه اختلافها و تشابها مع اللغات الأخرى ، كما انه يمكنه معرفة ما تربطها من صلات مع اللغات المختلفة ، و يمكنه أن يتفهم الدور الذي تلعبه اللغة في حياة من يتكلم بها ، و ماهي وظيفتها الأساسية في المجتمع. لقد قسمت هذا العمل إلى قسمين .فخصصت القسم الأول للدراسة النظرية و القسم الثاني للدراسة الميدانية.

تناولت في القسم الأول موضوع التعليم والتعلم و المناهج و النظريات الخاصة بهذه العملية،و كذلك قضية الصراع اللغوي و أسبابه و مقوماته. و عاجلت كذلك موضوع اللغة والهوية و الثقافة و العولمة، إضافة إلى اللغة و الانترنت. لهذا عمدت إلى تحديد الإطار النظري و الأساس المعرفي اللذين سأعالج الإشكال في ضوءهما. فكان تقسيم البحث إلى أربعة فصول بحيث يحتوي كل فصل على مبحثين.

تحدثت في الفصل الأول عن موضوع التعليم والتعلم و المناهج و النظريات الخاصة بهذه العملية.

كما تطرقت أيضا إلى عنصر الصراع اللغوي و أسبابه و عوامله و مقوماته و بما أن هذه الدراسة أيضا تندرج في تعلم أهم عنصر من عناصر التواصل و الحوار ألا و هو اللغة، و اخص بالذكر هنا اللغة الأجنبية، لذا أشرت إلى إشكالية الصراع و التعدد اللغوي في الجزائر.

أما الفصل الثاني فكان حول اللغة و الهوية الثقافية، حيث تعرضت في المبحث الأول لعنصر اللغة والهوية بدءا بتعريف اللغة، ثم الهوية و عناصرها و علاقة اللغة بالهوية. فاللغة هي إحدى ركائز الثقافة، و أهم خاصية تميز الإنسان عن باقي الكائنات الأخرى فعن طريقها تجمع و تسجل الثقافة. فلا يمكن الحديث عن اللغة دون الحديث عن الهوية، فكلاهما يقع في أساس فهم التحولات التي نشهدها في الزمن الحاضر، فلا يتم الاحتكاك و الاتصال بين الأفراد إلا بواسطة اللغة.

والهوية هي السمات المشتركة التي تتميز بها جماعة معينة نفسها و تعتز بها. فالهوية إذن تتألف من منظومة متماسكة من السمات المشتركة بين أعضاء الجماعة. و اللغة هي الأداة الأساسية لتحديد الهوية و التعريف على الذات عند الفرد كما عند الجماعة.

أما المبحث الثاني، فكان موضوعه حول اللغة و الثقافة بدءا بتعريف الثقافة و عناصرها ثم علاقة اللغة بالثقافة التي تعتبر علاقة وطيدة ، علاقة الجزء بالكل، فاللغة أخص والثقافة أشمل وكل منهما يؤثر ويتأثر بالآخر. وتظهر العلاقة التكاملية بين اللغة والثقافة في أن الثقافة تساعد على تطوير اللغة وراثتها والتأثير فيها سلبا أو إيجابا بما تحققه من اختراع في جوانبها المادية، وسمو في الإنتاج الفلسفي والفكري والأدبي، وما لذلك الإنتاج الثقافي من أثر في إغناء اللغة بالمفردات والمعاني السامية والمضامين التي تزيد اللغة ثراء وقوة.

و في الفصل الثالث الذي عنوانته باللغة و العولمة الثقافية قسمته إلى مبحثين :

أدرجت في المبحث الأول مفهوم العولمة، و العولمة من وجهة نظر عربية ، ثم العولمة من وجهة نظر غربية و إيجابيات و سلبيات العولمة. بعد ذلك تحدثت عن اللغة الانجليزية و عولمتها. فالعولمة مصطلح قديم يلبس ثوبه على اختلاف الأزمنة و الأمكنة فهي لم تنشأ فجأة، بل لها جذورها التاريخية و لها مقدماتها الموضوعية و خاصة تلك الأخيرة التي ظهرت مع بداية الربع الأخير من القرن العشرين و ارتبطت بالثورة الصناعية الثالثة التي أبرز مظاهرها تكنولوجيا الاتصال و المعلومات التي حوّلت العالم إلى قرية صغيرة. و لقد اختلف العلماء و المفكرون حول تعريف العولمة كل حسب توجهه و انتماءه و ثقافته.

و جاء المبحث الثاني حول الانترنت و اللغة الانجليزية.

إن الانترنت أو الشبكة العنكبوتية هي وسيلة اتصال حديثة: فمن أكبر فوائد الإنترنت اختصارها المسافات والزمن في نقل المعلومات بأوعيتها المختلفة فتستطيع عن طريقها أن تتواصل بالبريد الإلكتروني والبريد الصوتي والمحادثة النصية والصوتية والمرئية وتستطيع أن ترسل أحجاما ضخمة من المعلومات وحتى الهاتف فتستطيع أن تهاتف من شئت بواسطة الإنترنت. كما تناولت أيضا في هذا المبحث مزايا الانترنت و تنوع المصادر بمختلف اللغات و التي تأتي في مقدمتها اللغة الانجليزية.

كما تطرقت لتأثير الانترنت على اللغة و المشكلة اللغوية و أيضا موت اللغات أو انقراضها و سيطرة لغة واحدة على العالم.

أما الفصل الرابع فضمته بالدراسة الميدانية المتعلقة بظاهرة اللغة و الاتصال من جهة والبحث الانثروبولوجي للغة من جهة أخرى.

استعنت في هذه الدراسة العلمية على مجموعة من المراجع المتنوعة لمعالجة هذه الظاهرة :

كتب لغوية ، و اجتماعية، و انثروبولوجية ، و تربوية باللغة العربية و أخرى باللغة الأجنبية. كما استعنت ببعض القواميس و مجموعة من المجالات الفكرية و الثقافية و بعض المواقع الالكترونية.

من بين الكتب الهامة التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة، كتاب الانثروبولوجيا اللغوية و الذي يتناول أصل اللغة و اللغات البدائية، اللغة و الجنس. كما يتحدث أيضا عن علاقة اللغة بعلم الانثروبولوجيا و درس التقليد الانثروبولوجي الذي تطرق إليه كثير من علماء الاجتماع والانثروبولوجيا. و كتاب " Ardener Edwin " ، Social Anthropolgy and Language و كتاب " اللغة و المجتمع " لعبد الواحد وافي" و تعريف التعليم و تعلم اللغات الأجنبية" لنزار الزين "ومراجع عربية و أجنبية أخرى.

كتب تربوية و اجتماعية أيضا مثل كتاب " أسس تعلم اللغة و تعليمها " لدوجلاس براون" وكتاب " اللغات الأجنبية تعليمها و تعلمها" لنايف خرما". و أيضا كتاب "أسس تعليم اللغات الأجنبية" لنفس المؤلف.

كما اعتمدت أيضا على كتب تربوية و علمية تعالج كل منها تعليمية اللغات الأجنبية وخاصة اللغة الانجليزية و نظريات تعليم اللغة. ونظرا لتشعب وتنوع أهداف الدراسة، استعنت ببعض المراجع من كتب و مجالات تعالج موضوع العولمة ، و ايجابياتها و سلبياتها و عولمة اللغة الانجليزية مثل كتاب " ظاهرة العولمة الواقع و الأفاق " للحبيب الحنحاني، "العرب و العولمة" لطلال عتيريس، "العولمة وجدل الهوية الثقافية" لحيدر إبراهيم، "العولمة و قضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة" لمحمد بن سعد التميمي"، العولمة والهوية الثقافية -عشر أطروحات" لمحمد عابد الجابري ، و غيرها من الكتب التي تعالج قضية العولمة.

كما تناولت أيضا ظاهرة اللغة و الاتصال بالاعتماد على بعض المراجع، ككتاب "كيف تفهم رسالة الاتصال " لمارشال ملكوهان و كتاب " وسائل الاتصال والتكنولوجيا في التعليم " للحسين حمدي الطوبجي".

و مهما يكن فان كل ما بذلته من جهد لانجاز هذا العمل المتواضع يظل ناقصا ، لم يوف حقه من الدراسة و التمحيص ، و يبقى باب البحث فيه مفتوحا لتحصيل نتائج أكثر عمقا و دقة علمية. انه لا يسعني في آخر هذه الجولة العلمية بهذا الموضوع الشيق و المعقد في آن واحد إلا أن أشيد بمجهودات أستاذي الفاضل، الأستاذ الدكتور عبد العالي بشير الذي لم يخجل علي يوما بوقته و جهده و فكره و آرائه النيرة، و ملاحظاته و توجيهاته السديدة و نصائحه القيمة التي كان لها بعد الله أكبر الأثر في إتمام هذه الدراسة و إخراجها بهذه الصورة.

فمهما أطببت في الكلام فلن استوفي أبدا علمية و كفاءة أستاذي حقها. فالله نسأل أن يجازيه عنا أفضل الجزاء.

وأجأر إلى الله داعيا أن يجبل في العطاء إلى كل من ساعد على التمكين لهذا البحث من الأساتذة و الطلبة. كما لايفوتني أن اهدي هذا العمل المتواضع إلى أستاذي الفاضل "قروش عبد القادر" تغمده الله برحمه الواسعة.

كما اشكر السادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة لتفضلهم تواضعا منهم بقرأة هذه الرسالة تقويمًا لما ورد فيها من أخطاء أو نقصان، فالله نسأل التوفيق و السداد.

تلمسان في 14 من ديسمبر 2012.

كرمة الشريف

الفصل الأول: تعلم و تعليم اللغات الأجنبية

المبحث الأول: أسس و نظريات تعلم اللغات الأجنبية

- ✓ الأسس أو المتطلبات الحضارية
- ✓ الوفاق العلمي
- ✓ التقدم التكنولوجي
- ✓ علم تعليم اللغات و نظريات تعلم اللغة
- ✓ الأسس النفسية
- ✓ الاتجاهات الحديثة في تعلم اللغة
- ✓ استخدام الوسائل والتكنولوجيا الحديثة في التدريس

المبحث الثاني: الصراع اللغوي

- ✓ عوامل الصراع اللغوي
- ✓ العوامل الخارجية
- ✓ العوامل الداخلية
- ✓ الواقع اللغوي في الجزائر
- ✓ التعدد اللغوي في الجزائر
- ✓ السياسة اللغوية المقترحة

المبحث الأول: أسس ونظريات تعلم اللغات الأجنبية

- ✓ الأسس أو المتطلبات الحضارية
- ✓ الوفاق العلمي
- ✓ التقدم التكنولوجي
- ✓ علم تعليم اللغات و نظريات تعلم اللغة
- ✓ الأسس النفسية
- ✓ الاتجاهات الحديثة في تعلم اللغة
- ✓ استخدام الوسائل والتكنولوجيا الحديثة في التدريس

يقال قديما من ازداد لسانا، ازداد إنسانا، أي أن اللغة تجسد شخص آخر بكل تناقضاته وطموحاته. لكن اللغة أيضا هي وعاء الثقافة و خزان التاريخ والحضارة وهي مصدر الفهم والتفاهم في أغلب الأحيان على الرغم من أنها أيضا قد تكون عائقا ثقافيا يعمق الشرخ الحضاري وسوء التفاهم الثقافي بين الشعوب والثقافات. وتعلم اللغات الأجنبية يساعد على التفاعل و الاندماج والتعرف على الآخر، لذا تعنى الأمم بتعليم أبنائها لغات أجنبية إلى جانب اللغة الأم.

يقصد بتعلم لغة أجنبية أن يكون الفرد قادرا على استخدام لغة غير لغته الأولى التي تعلمها في صغره أو كما يطلق عليها اللغة الأم ، فهو قادر على فهم رموزها عندما يستمع إليها ، و يتمكن من ممارستها كلاما وقراءة وكتابة ، ويكون تعلم اللغة الأم على مستويين أولهما : "استقبال هذه اللغة وثانيهما: توظيفها . أما بالنسبة إلى الفرق بين اكتساب اللغة الأولى والثانية فيقصد بها مجموع العمليات النفسية والتربوية التي تسهم في تنمية قدرة الطالب على ممارسة المهارات اللغوية المختلفة طبقا لمستوى معين من الأداء ، وتنقسم هذه العمليات إلى قسمين رئيسين: أولهما يتعلق بالجوانب النفسية الخاصة بالدارس المتعلم، وثانيهما يتعلق بالجوانب التربوية الخاصة بالمعلم ."²

كما أن التعلم الحقيقي مرهون باللسانيات التطبيقية، التي تهيمن على معظم عملية التخطيط في أي تعليم للغة، مثلا: تتخذ التدابير التربوية بعد استشارة اللساني التطبيقي لتدريس اللغات، كون أن منطلقاتها هي اللسانيات العامة، و خاصة الدراسات البنيوية و اللسانيات الوصفية، التي أثرت على طرائق تعليم اللغات، مثل التمارين اللغوية أو الطريقة السمعية البصرية، و على حد قول محمود

فهومي حجازي: "... يفيد علم اللغة التطبيقي من النظرية العامة لعلم اللغة و مناهج التحليل اللغوي من أجل تحديد المحتوى و تحليل الأخطاء و بناء الاختبارات و إعداد الكتب و المعاجم، ويفيد علم اللغة التطبيقي من علم النفس من حيث الأسس العامة لتعليم اللغات."³

²رشدي أحمد طعيمة، الاسس العامة لمناهج تعليم اللغة العربية اعدادها، تطويرها و تقويمها، دار الفكر العربي، ط2، 2000، ص241.

³ صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة للنشر و الطبع و التوزيع، الجزائر ص 19.

ولقد أدت طريقة علماء الانثروبولوجيا إلى إدخال فلسفة جديدة عن وسائل تعليم اللغات الأجنبية وخاصة خلال الحرب العالمية الثانية حيث كانت القوات المحاربة منتشرة في أرجاء العالم ، وكان لابد لهذه القوات أن تتفاهم مع أهالي المناطق التي تسيطر عليها وأن تتعلم لهجاتهم ولغاتهم لذلك طبقت طريقة علماء الانثروبولوجيا وأساسها التفاهم المباشر مع استبعاد القواعد النحوية المعقدة واختصارها وإن تطوير اللغات الأجنبية أو الثانية يجب أن يمر بعدد من المراحل لكي تستطيع أن تصل إلى المستوى المطلوب من خلال ما يأتي :

I الأسس أو المتطلبات الحضارية :

كثيرا ما تقبل الشعوب على تعلم بعض اللغات الأجنبية لأغراض حضارية وثقافية تتصل بما تزخر به تلك اللغات من كنوز أدبية لا بد من نقلها إلى اللغة القومية. " وان الدول النامية إذ تمسك بلغتها القومية فإنها في نفس الوقت تقبل على تعلم اللغات الحديثة مثل الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية ، لان تعلم وإجادة هذه اللغات قراءة وكتابة وحديثا تعينها على فهم المؤلفات والمراجع العلمية اللازمة لتطوير البلاد حضاريا والاتصال المباشر بما يمكن أن تستعين بهم من خبراء الأمم الأخرى في هذه الميادين والواقع نحن حيث نتعلم اللغات الأجنبية فان دوافعنا تكون متعددة الزوايا فقد تنشأ هذه الدوافع بتأثير ظروف خاصة أو مطالب اجتماعية معينة" ⁴.

و في دول المغرب العربي عامة و الجزائر على وجه الخصوص، تعتبر اللغات الأجنبية من أكثر التخصصات استقطابا للطلبة في الجامعات و المؤسسات التعليمية، لأن اللغات الأجنبية تفتح آفاق أكثر من غيرها وتزيد من الرزانة و الانفتاح على الثقافات الأخرى التي يتسبب جهلها في التعصب ضدها ثقافيا وسياسيا و اقتصاديا وتاريخيا.

إن تعليم اللغات الأجنبية في دول المغرب العربي يدخل في صميم التقارب والتفاهم الثقافي بين الشعوب والحضارات ويسعى إلي تذليل الصعاب الثقافية، أي أن تعليم اللغات الأجنبية يسمح للطلبة بتجاوز التقابلات التاريخية والثنائيات الثقافية بين الذات والآخر. إن اكتساب اللغة الأجنبية

⁴ عبد السلام ياسين محمد ، السجل العلمي، للندوة العالمية الأولى لتعليم العربية لغير الناطقين بها ، معهد اللغة العربية، 1980،

يؤثّر لبناء فضاء فكري حيث "الاختلاف الثقافي" الذي يعني النفي و الاحتقار يتحول إلى "التعدد الثقافي" الذي يشجع التفاعل الإيجابي و التفاهم بين الثقافات في إطار السلم والاحترام المتبادل وطبعا اللغة هي أداة التفاعل والتواصل. فالضرورة المعاصرة تتطلب امتلاك لغات معاصرة، فهي مطلب حضاري لكل مثقف، خاصة اللغة الإنجليزية، و لا بد من الانفتاح على الثقافات و الحضارات الإنسانية و السير قدما مع مجتمع المعرفة.

1- الوفاق العلمي :

تختلف أهداف تعلم اللغات الأجنبية باختلاف ظروف وحاجات المجتمعات وكذلك تختلف الوسائل باختلاف هذه الأهداف.

في الماضي كان الكتاب هو الوسيلة الأولى لتعلم اللغة الأجنبية وكانت الطريقة المتبعة هي الترجمة التي يقوم بها المدرس في القسم. لذلك فمعرفة الطلبة للغة الجديدة لم تكن تخرج عن حدود ما يتضمنه الكتاب المدرسي من مفردات أما ممارستهم للحديث باللغة الجديدة فهي تكاد تنعدم لذا سمي هذا العصر بالعصر الذهبي للكتاب المدرسي لعدم وجود وسائل أخرى في مجال التعليم . وهنا تأتي أهمية الكتاب وسيلة لتدريب الطلبة على تعلم اللغة الأجنبية بالاعتماد على المهارات اللغوية: (الاستماع، التحدث، القراءة والكتابة). لكن الموقف تغير بعد ذلك تغيرا شاملا حين قربت صلات الأمم بغيرها في كل مجالات الحياة في ظل تطور الاتصالات الحديثة. "حيث بدأ استخدام أجهزة الهاتف بدل إرسال الخطابات ، وكذلك السفر بالطائرة حيث النقل من قارة الى أخرى بأسرع وقت ممكن فالمسافات مهما طالت والأقطار مهما تباعدت لم تعد حواجز تفصل بين الشعوب ، وإنما الفواصل الحقيقية هي عدم تفاهم هذه الشعوب وعدم تقديرها له وجهات نظر بعضها بعضا"⁵.

2- زيادة أعداد الطلبة:

⁵ محمد السعران ، علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربي، سنة 1963، ص24.

يعتبر الانفجار الطلابي عاملا من العوامل الاجتماعية و الثقافية التي أسهمت كثيرا في تطوير طرائق تدريس اللغات. وهي ظاهرة عالمية مألوفة في الدول المتقدمة والدول النامية أيضا. "إن التزايد الكبير في إعداد الطلبة الذين يتعلمون اللغات الحية جعل من الضروري إعادة النظر في طرق تدريسها حتى تواجه هذه المشكلة ، وإذا كانت الطرائق القديمة أو التقليدية قد أثبتت عدم قدرتها في الماضي في مواجهة الأعداد الضئيلة نسبيا ، فإن من المؤكد أن فشلها سيكون ذريعا في مواجهة الأعداد الضخمة من الطلاب الذين يتكبدون في قاعات الدرس في المدارس والجامعات والمعاهد لتعلم اللغات الحية"⁶ .

ومازال العرب حتى هذه اللحظة يدرجون اجتياحات اللغة الإنجليزية في إطار التآمر على لغتهم وثقافتهم، والمقصود، في نظرهم، هو تهميش المحلي أو الخاص أو تدميره. ولا نرى سببا للنظر إلى الأمور من هذه الزاوية، أو عن طريق هذه المعادلة البسيطة: تعلم اللغة الإنجليزية أو إجادتها تساوي إهمال اللغة العربية أو إدارة ظهورنا لها. والربط بين هاتين المسألتين هو أساس سوء الفهم وسوء التقدير. واليابانيون، قبل عشرات السنين، عندما نقلوا المعرفة الغربية إلى ديارهم، لم يفرطوا أبدا في عقائدهم الخاصة، أو تراثهم، أو ثقافتهم المحلية، بل كان من أبرز أسباب تميز التجربة اليابانية وقوتها أن اليابانيين كانوا يعمقون إيمانهم بالقيم اليابانية. وعليه، فليس مطلوبا من العرب أن تأمرکوا، أو يستغربوا، أو يتنكروا لثقافتهم ولغتهم من أجل أن يتعلموا لغة العالم الجديد اليوم. مطلوب منهم أن يعززوا هويتهم، وأن ينتصروا لثقافتهم. ومطلوب منهم، أيضا، أن يكسّروا حوائط العزلة التي تفصل شبابهم عن العلم والعالم. هاتان مسألتان مختلفتان، وهما متوازيتان، وليستا متعارضتين أو متناقضتين، ولا ينبغي أن تكونا طرفين لمعادلة فاسدة أو مفتعلة.

"نحن نتفق مع من يرى أن عصرنا هذا حافل بصراع اللغات العملاقة العالمية، ويتداعى في هذا العصر الكثير من الآداب والفلسفات الخاصة باللغات الهشة، وتلوح إشارات إلى موت اللغات بنسبة عالية أمام احتياجات اللغة الإنكليزية"⁷، ولكننا في الوقت ذاته نعلم أن اللغة العربية ستكون

⁶ نفس المرجع السابق، ص25.

⁷ الخوري نسيم الإعلام العربي وانحياز السلطات اللغوية، ط1، بيروت، 2005م، ص477.

من بين اللغات الأكثر صموداً، فهي لغة يسندها الوحي أو كتاب مقدس هو القرآن الكريم، كلام الله عز وجل ووحيه إلى نبيه.

إن تعليم اللغة الإنجليزية في مدارسنا اليوم، هو في أسوأ أحواله، فأهدافه غير واضحة، أو أنه بلا أهداف ترتقي إلى مستوى تحقيق غاية الاتصال بالعالم، وهو يأتي في الأغلب استجابة لمتطلبات أكاديمية ضيقة، من أجل إكمال المنهج، هذا فضلاً عن ضعف المعلمين الظاهر، وقلة التدريب وسوء التأطير. وربما يعود كل ذلك إلى عدم إدراك أهمية هذه المادة اليوم، أو لأنها مازالت تخضع لنزعات أو انحيازات وطنية أو قومية أو دينية ليس هذا مكانها، فنحن نعرف أن هناك من ينادي، أمس واليوم، بعدم تعليم اللغة الإنجليزية للتلاميذ الصغار في الابتدائية، وعدم جعلها هدفاً واضحاً للكبار في مراحل التعليم الأخرى. بل لا بد أن تنصرف جهود المؤسسات العلمية والتعليمية إلى نشر معرفة لسانية متعددة تعبر عن الاختلاف اللساني المعيش وسيكون هذا الضمان الوحيد لاستمرار اللغة الأم في العالم الحديث، "كلغة حية تجمع بين الوظيفتين التواصلية - وهذا أمر تشاركه فيها جميع اللغات - والوظيفة الحضارية كوعاء لإنتاج الثقافة والمعرفة واستقبالهما في إطار حوار الأنا مع الآخر، ذلك أن العولمة في رأي بعض المفكرين ليست قسراً على الأمريكيان واللغة الإنجليزية فقط، فإذا كان للغات الأخرى حضور فعلي فالعولمة وقائع وإنجازات وإمكانات موضوعة برسم البشر أجمعين"⁸.

إن من أبرز عوائق اتصالنا بالعالم، وبقائنا إلى اليوم خارج مجتمع المعلوماتية، هو ضعف شباننا في اللغة الإنجليزية، وليس لنا من طريق للاستيعاب، وبالتالي الإسهام في العالم، إلاّ بكسر حواجز العزلة من حولنا، والانفتاح على الثقافات والحضارات الأخرى.

لابد، لتدشين جيل المعرفة، بالاقبال على مناهج اللغة الإنجليزية، ومعاملها ومعلميها، ولا بد من تكثيف برامج الاتصال والتدريب والتأهيل، لأن في ذلك قوة لشباننا من أجل أن ينضموا إلى

⁸ السيد يسن، العرب والعولمة، ص 24.

خضمت معركة العلم، وهذا لن يتم على حساب لغتنا الأم، لغة الدين والتراث والثقافة، بل معها، وفي موازاتها.

3-التقدم العلمي و التكنولوجي :

إن التقدم التكنولوجي و العلمي مظهر من مظاهر الحياة العصرية ، أسهم كثيرا في تطوير طرائق التدريس الحديثة والوسائل الفنية كالأفلام والأشرطة والأسطوانات ، فضلا عن مختبرات اللغة وأجهزة الحاسوب والانترنت وغيرها من الوسائل السمعية والبصرية التي تساعد وتحث على تعلم اللغات الأجنبية . لذا فقد أصبح من أهم مقومات التطور العلمي والتكنولوجي في بلادنا ، ان نتعلم ونتقن بعض اللغات الحديثة حتى نكون أكثر مقدرة على متابعة تطوره في الغرب وامتصاص أسراره ، ومتابعة مجهودات الأمم الأخرى في الميادين التي تهتم بتطويرها وتنميتها في بلادنا .

"إن قدرة الإنسان على استخدام الوسائل السمعية والبصرية بيسر و سهولة و مهارة يعطيه الكفاءة في اجراء دور المرسل الجيد في عمليات الاتصال مهما اختلفت أغراضها و أهدافها."⁹ ومن بين الأحداث التي ساعدت على انتشار اللغة الانجليزية رواجها في مختلف بقاع العالم الاكتشافات العلمية و التي أصبح لها مكان الصدارة في النمو الاقتصادي في أواخر القرن التاسع عشر. وأصبحت الولايات المتحدة مغناطيسا يجتذب العلماء الأوروبيين. فإذا وضعنا الأبحاث البريطانية والأمريكية معا لوجدنا أن نصف الإنتاج العلمي والتكنولوجي المؤثر في الفترة بين عامي 1750م -1900م قد كتب باللغة الإنجليزية. وعمل نحو 45% من الناس في

⁹ بشير عبد الحلیم الكلوب، التكنولوجيا في عملية التعليم و التعلم، دار الشروق، عمان، ط2، ص49.

بيئة تغلب عليها اللغة الإنجليزية، إضافة إلى عدد آخر كان يتعاون مع علماء ناطقين باللغة الإنجليزية. ومع الأثر الكبير الذي حققته هذه الاكتشافات في أمريكا، ازدادت المادة العلمية المكتوبة باللغة الإنجليزية زيادة ملحوظة.

أما على المستوى الاتصالي، فما من شك أن الثورة الهائلة التي شهدتها مجال تقنية المعلومات، وأيضاً مجال تقنيات الاتصال، اقتضت ظهور قيم جديدة؛ أبرزها: ديمقراطية تداول المعلومات، فلم تعد مسألة التصرف بالمعلومات ملتصقة بالنخبة، بل أن الجميع يتصرفون بها، وهم يرسلونها ويستقبلونها بالمقدار نفسه من فرص اليسر والسهولة. فهي في سيرها وانتقالها سلسلة وانسيابية، فكفاءة الأداء الكلي للمجتمع تقاس بمدى شفافيته المعلوماتية، "أي: مدى فاعلية التواصل المعلوماتي بين مؤسساته وأفراده، ونوعية الخطابات التي تسري فيه، وسرعة انسيابها، والمعرفة في مجتمع ما بعد الحداثة، كما يتصوره ليوتار، "لا تعد معرفة إلا إذا صيغت في صورة تسمح بتداولها من خلال الوسائل المعلوماتية الحديثة"¹⁰.

في الوقت نفسه، تعتبر تكنولوجيا المعلومات معول هدم لكثير من الحواجز الفاصلة بين فروع المعرفة ومناهجها، وهي تساعد بذلك على ظهور توليفات علمية ومنهجية مستحدثة، لتبرز إلى السطح إشكاليات غير مسبوقة، تستحث المفكر على توليد الجديد، وإعادة طرح القديم. "إن تكنولوجيا المعلومات قد دفعت بالتلاقح العلمي واقتراض المناهج، إلى مشارف جديدة لم تكن في الحسبان، فقربت المسافات بين مواضع عديدة على الخريطة العلمية الشاملة كانت تبدو أشد ما تكون بعدا من قبل. وإن الامتزاج العلمي والمنهجي الذي ساعدت عليه تكنولوجيا المعلومات سيخلص علوم الإنسانية من طبيعتها الوصفية والسردية، وسيدخلها إلى مصاف العلوم المنضبطة، وذلك بعد أن سبقتها إلى ذلك ركيزتها الأولى، وهي اللسانيات"¹¹. وهكذا فإن المؤشرات تدل على

¹⁰ علي نبيل، العرب وعصر المعلومات، سلسلة عالم المعرفة، عدد184، الكويت، ص ص 270 - 271.

¹¹ المرجع السابق، ص273.

أن العشرية القادمة ستكون حافلة بالتطورات و الانتشار السريع للوسائط الرقمية من اجل النهوض بالثقافات التواصلية.

4- التطور التربوي:

إن التربية تتأثر متأثراً مباشراً أو غير مباشر بفلسفة المجتمع وفي ضوء ذلك تكون طريقة التدريس التي تستخدم وسيلة لتحقيق الأهداف التربوية تتأثر بهذه الفلسفة أيضاً ، ومن ناحية أخرى فإن تطبيق هذا التفكير النظري على اللغة وتعلمها قد ساعد علماء التربية من ناحية على مواجهة الضرورات أو المتطلبات الاجتماعية والثقافية . "وساعد من ناحية أخرى على توظيف هذه الوسائل الفنية الجديدة التي امتلأت الأسواق توظيفاً علمياً مثمراً ، وبذلك أصبح من الضروري أن يبدأ أي تفكير تربوي حول تعليم اللغات الحية بمعرفة علمية عميقة بمادة هذا التعليم ألا وهو اللغات نفسها، ومن ثم اللقاء بين الأبحاث النظرية وبين الممارسة العملية وبين النظريات والتطبيق أو بمعنى آخر بين علماء اللغة ومدرسي اللغات الحية"¹².

II- علم تعليم اللغات و نظريات تعلم اللغة:

للتعرف على علم تعليم اللغات لا بد من الإشارة إلى جملة من المسلمات و منها المعلومات اللغوية صنفان :

أولاً : معلومات متعلقة بالمتكلم متصلة بملكته اللغوية، لان كل إنسان يولد يحمل استعدادات على الفعل اللغوي، ثم يكتسب عادات و آليات و صيغ و مهارات عملية تمكنه من تعلم اللغة واستعمالها وفق مقتضيات التواصل المختلفة.

ثانياً معلومات متعلقة بعالم اللغة و هي معرفة علمية و نظرية بحتة تتألف من مجموع النظريات والمسلمات بحيث إن تعليم اللغات علم تطبيقي يهدف إلى تلقينها سواء كانت من منشأ الفرد أو مما يكتسبه من لغات أجنبية .

¹² Broudy، H.S: Building a Philosophy of Education، New Delhi، Printice-Hall ، 1965p206.

و الملاحظ أن علم تعليم اللغات انه إلى جانب صبغته التطبيقية لا يتعلق بعلم اللسانيات فحسب ، بل يتداخل مع علوم أخرى كعلم التربية ، و علم النفس و علم أمراض الكلام ، و علم الاجتماع... الخ .وعلى هذا يستحيل أن نعتمد على اللساني وحده أو على أخصائي علم التربية وحده أو على عالم النفس و حده في حل المشاكل الخاصة بتعليم اللغات و هذا دليل على طبيعة هذا الحقل التطبيقي المتعدد الاهتمامات بتعدد نظريات تعلم اللغة.

III- الأسس النفسية:

1- النظريات السلوكية

السلوكية "behaviourism" مدرسة من مدارس علم النفس أسسها عالم الحيوان الأمريكي "واطسن Watson" و أعلن عنها في بيان أصدره عام 1912 .دعت هذه المدرسة إلى ضرورة إعادة النظر في علم النفس كلهو إلى دراسة العناصر الموضوعية التي يمكن ملاحظتها و التي تتمثل في المثيرات(م) و الاستجابات(س) التي تؤدي إليها هذه المثيرات.

"وتهدف هذه المدرسة حسب السلوكيين إلى تحديد العلاقات أو القوانين التي تربط بين المثيرات والاستجابات."¹³

و تشمل النظرية السلوكية النظريات الارتباطية و النظريات الوظيفية.

أ- النظريات الارتباطية :

الارتباطية تعني العلاقات بين الأفعال والأفكار .ومن أشكال الارتباط الاقتران والتشابه والتضاد والسببية والتتابع .ومن أبرز هذه الأشكال هو الاقتران الذي يعني وقوع خبرتين متقاربتين في الزمن عند إنسان ما . ووقوع إحدى الخبرتين في وقت لاحق يجعل هذا الإنسان يتذكر الخبرة لأخرى . ولا يزال قانون الاقتران يلعب دورا هاما في تعلم اللغات .ومن أبرز فروع هذه النظرية العامة النظريات السلوكية التالية:

– نظرية الارتباط " لثورندايك " Connectionism

الارتباط من الأمور المعروفة في الحياة .فهناك الارتباط بالتشابه والارتباط بالتضاد ، والارتباط بالتعايش والتتابع والاقتران .وتقوم نظرية ثورندايك على الارتباط بين الموقف والاستجابة التي يقوم بها الإنسان أو أي كائن حي آخر في ذلك الموقف ،أو ما يعرف باسم الارتباط بين المثير والاستجابة . ويعرف ثورندايك المثير بأنه العامل الخارجي الذي يتعرض له الكائن الحي ، أو أي تغير داخل الكائن بفعل عامل خارجي . أما الاستجابة فتعني ردود الفعل الظاهرة و غير الظاهرة بما في ذلك الصور والأفكار التي تحدث بفعل مثير ما .وهناك عدة عوامل تتعلق بهذا الارتباط منها:

-الاستعداد و نعني به الظروف التي تدفع الفرد إلى الاستمرار في التعلم.

-التدريب و هو تعديل و زيادة في الارتباط.

-الأثر أو الاستمرار في التعلم في حالة تحقق الإشباع أو القبول لدى المتعلم.

¹³ بكداش كمال و رزق الله رالف،مدخل إلى ميادين علم النفس و مناهجه،دار الطليعة ، بيروت ،ط2، 1985، ص 8 و9.

-انتشار الأثر في المواقف التعليمية الأخرى."14

و الخلاصة أن ثورندايك في نظريته التعلم بالمحاولة و الخطأ يبين أن التعلم هو ارتباطات بين المثيرات و الاستجابات و أن الممارسة و التكرار هما أساس التعلم و أن الثواب يساعد على تقوية تلك الارتباطات بينما العقاب يؤدي إلى إضعافها.

-نظرية الانعكاس الشرطي "لبافلوف" Classical Conditioning

تنص نظرية بافلوف على أن التعلم يحدث نتيجة وجود مثير يؤدي إلى حدوث استجابة تؤدي إلى التعلم.

قام بافلوف بأجراء تجربة على الحيوان لكي يتأكد من ضرورة وجود المثير لإحداث عملية التعلم ، فقام بتجويعه ، و قبل أن يقدم له الطعام جعل يسبق ذلك صوت الجرس ، فوجد بعد تكرار العملية أن لعاب الحيوان يسيل بمجرد سماع صوت الجرس ، فدل ذلك على حدوث التعلم نظرا لوجود المثير الذي هو صوت الجرس.

ب-النظريات الوظيفية Functional Theories :

وهي جزء من النظرية السلوكية ، تختلف عن النظريات الارتباطية في أنها لا تكتفي باقامة علاقة بين المثير و الاستجابة بل تشمل بعض المفاهيم المعرفية مثل التفكير و التخيل في السلوك ومن ابرز نظرياتها .

-نظرية الحافز " لهول" Hull's Drive Theory .

"حاول هول وضع نظرية كاملة لتفسير عملية التعلم .وقد قامت محاولاته هذه على الافتراض القائل إن التعلم عملية متدرجة متزايدة وليست استبصارا مفاجئا"15. وقد وضحت هذه النظرية أن

¹⁴ نايف خرما و علي حجاج، اللغات الأجنبية ،تعليمها و تعلمها ، عالم المعرفة ، الكويت، 1988،ص55.

التعلم عملية متدرجة و متزايدة يتم فيها ربط المثير بالاستجابة و ذلك بالانتقال من البسيط إلى المركب. وتتدخل عوامل تشجع الكائن على التعلم كقوة العادة و التكيف مع البيئة بطريقة تسمح بالعيش. لذلك تتدخل الحوافز الأولية مثل الجوع و العطش.... فعندما يظهر الحافز ، فان الكائن يقوم بالأعمال للاستجابة لذلك ، فإذا تم التعزيز حدث التعلم و التكيف.

- النظرية الاجرائية "للكينر" Skinner's' operational theory

يُميز "سكينر" بين نمطين من الاستجابة :

استجابات تحدث كرد فعل لمثير محدد على سبيل المثال :البكاء الناجم عن تقطيع شرائح البصل الطازج . استجابات تحدث دون وجود مثير محدد يرتبط باستجابة معينة ، وهي التي يطلق عليها اسم الإجراءات Operants. فهي بخلاف الأولى تعرف بآثارها البيئية أكثر من المثيرات. ومن الأمثلة على ذلك قيادة السيارة أو ركوب الدراجة أو المشي على الأقدام. فهذه كلها إجراءات متشابهة تهدف إلى بلوغ مكان ما ، لاتستدعي افتراض وجود مثير يحدثها. ولافتراض بان السلوك يمكن أن يحدث تلقائيا هو الأساس الذي قامت عليه النظرية الإجرائية أما المفهوم الثاني الذي اعتمده سكينر فهو التعزيز أي تعزيز الاستجابات بالمكافآت أو تخفيضها بالعقاب .

و يفسر سكينر ظواهر اكتساب اللغة و الكلام بواسطة الربط الشرطي بين التجربة والاستجابة ، كما يشير إلى أهمية المصادر الوراثية في نمو السلوك اللغوي. "و يشدد أيضا على أهمية المجتمع اللغوي فيؤكد قيامه بوظيفة الطوارئ في و صف الذات ن و انه بدون العون الذي يقدمه للطفل فان السلوك كله يظل غير واع ، فالوعي نتاج اجتماعي لا يوجد في نطاق الإنسان المعزول الوحيد."¹⁶

¹⁵ ، والآداب والفنون للثقافة الوطني المجلس .علي حجاج ترجمة التعلم ج، 2، نظريات :كورسيني جي وريموند غازدا جورج¹⁵ سلسلة عالم المعرفة ص73. الكويت،

و الخلاصة أن سكينر يدعو إلى أن التلميذ يجب أن يتعلم لنفسه و آن يتلقى التعزيز من معلميه ، كما يؤكد على ضرورة زيادة مرات التعزيز .

2- النظريات المعرفية Cognitive Theories

لقد ظهرت هذه النظريات في النصف الأول من القرن العشرين كاحتجاج على النظريات السلوكية. تركز النظريات المعرفية اهتمامها على سيكولوجية التفكير و مشاكل المعرفة و الإدراك والشخصية و من أبرزها .

أ- النظرية الجشطالطية Gestalt Theory

وهي نظرية في التفكير و المعرفة . ترى أن الكل هو نظام مترابط بأنساق، مكون من أجزاء متفاعلة. لذلك فان من مفاهيمها الأساسية مفهوم البنية أو التركيب و كذلك التوزيع و التنظيم والمعنى و الاستبصار و الفهم.

ويعتمد التعليم في هذه النظرية على الإدراك و الاستبصار و ما يرافقهما من إعادة تنظيم.

ب- التعليم بالملاحظة :

و هي نظرية دعا إليها العالم "باندورا" و أكد أن الفرد يتعلم استجابات جديدة بمجرد ملاحظة سلوك الآخرين . و تقوم هذه النظرية على ثلاثة مفاهيم أساسية هي :

- العمليات الابدالية : و هو التعليم الناجم عن التجربة المباشرة لملاحظة سلوك الآخرين .

-العمليات المعرفية : و نعني بها تعلم التمثيل الرمزي للأشياء مثل الرموز الموسيقية أو الأرقام .

-عمليات التنظيم الذاتي : و هي الكيفية التي ينظم بها الناس سلوكهم عن طريق النتائج التي يتوصلون إليها.

ج- نظرية التعليم الاجتماعي :

معظم نظريات التعلم تبدو مختلفة فيما بينها . "فالارتباطية والإجرائية والتعلم بالإشارة والنماذج الرياضية والتعلم بالملاحظة ، والوظيفية كلها لا تعدو كونها مجرد عينات من طرائق دراسة التعلم . غير أن نظريات التعلم هذه يجمع بينها قاسم مشترك واحد على الأقل . فهي تحاول كل بطريقتها الخاصة الإعلان عن سلسلة من المبادئ التي يتعلم بها الناس بوجه عام"¹⁷ .

و ترى أن التعليم يحدث في بيئة مليئة بالمعاني و يكتسب الفرد بفضل التفاعل الاجتماعي مع الآخرين . تقوم هذه النظرية على مبادئ عامة منها :

- 1- إن دراسة السلوك إنما هي دراسة التفاعل بين الفرد و البيئة الاجتماعية.
- 2 -إن السلوك يحدث في مكان و زمان و يمكن وصفه بأساليب سيكولوجية و أخرى طبيعية.
- 3 - إن خبرات الإنسان تؤثر على بعضها البعض.
- 4 -إن أي سلوك إنما هو موجه نحو هدف ما.
- 5 - إن السلوك لا يتحدد بالأهداف و اساليب التعزيز فحسب بل عن طريق توقع تحقيق هذه الأهداف كذلك."¹⁸

د- النظرية التكوينية البنائية لبياجيه: Piaget

¹⁷ نايف خرما و علي حجاج، اللغات الأجنبية تعليمها و تعلمها، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1988، ص62.

¹⁸ نايف خرما و علي حجاج، اللغات الأجنبية ، تعليمها و تعلمها ، عالم المعرفة ، الكويت، 1988، ص61-62

يعترف بياجيه أن التعلم يتم جزئياً بفعل عوامل البيئة الاجتماعية و المادية ، كما يعترف بوجود الكائن الحي بصورة سليمة لم تمس كشرط أول لحدوث التعلم. ولكنه يضيف إلى ذلك عاملاً آخر هو عامل الموازنة التي تقود التعلم ، أي الطريقة التي يستطيع الإنسان بها تنظيم المعلومات المتناثرة في نظام معرفي غير متناقض. و ليست الكلمات الأولى التي بتلفظها الطفل إشارات بالمعنى الالسي ، فهي تشبه الرموز بحيث يمكن إقرانها بالأشياء من دون أن تكون تنظيمياً. و يذهب في هذا الصدد إلى أن أول كلمات تظهر سمة المحاكاة في الرمز و تؤخذ من لغة الكبار و تحاكي في صورة معزولة إذ تظهر تغير الرمز بعكس ثبات الإشارة اللغوية . و يركز بياجيه في نظريته على العلاقة بين النمو اللغوي و النمو الذهني بحيث أن الطفل لا يستطيع التكيف مع عملي الاستيعاب و التلاؤم. فالتعلم يكتسب عدداً من البنى خلال فترة معينة ليتجه بعد ذلك لاستيعاب بنى جديدة يتلاءم معها عند حالة توازن نموه .

هـ – النظرية التوليدية التحويلية لتشو مسكي: Chomsky

لاحظ " تشو مسكي أن الطفل حين يبدأ اكتساب بعض مفردات اللغة و تعلم قواعد النحو و كيف يبني أنواعاً من الجمل لا يكون قادراً فحسب على تكوين جمل قائمة على القواعد النحوية التي تعلمها ، بل بنده قادراً على بناء جمل و تراكيب لم يسبق له تعلمها من قبل . هذه الظاهرة دفعت "بتشومسكي" إلى التمييز بين ما اسماه القدرة اللغوية linguistic competence والأداء اللغوي Linguistic performance لدى الإنسان.

ومن منطلق ما سبق عرضه، يمكن التمييز بين التركيب السطحي للجمل و التركيب العميق بحيث أن القواعد المألوفة لدى الطفل تمثل التركيب السطحي و تشمل الأسماء و الصفات والأفعال و الأحوال و الروابط...

أما التركيب العميق للجملة فهو الكشف عن نسق القواعد النابعة من ذات المتكلم أو من قدرته اللغوية الفطرية. "إن الجمل التي نتكلمها هي جمل جديدة مختلفة عما تعلمناه واكتسبناه ، ورغم ذلك تفهم مباشرة و بسهولة و هنا يكمن عنصر الإبداع في اللغة"¹⁹.

VI - نظريات تعلم اللغات الأجنبية :

إن تعلم اللغات الأجنبية شكل من أشكال التعلم المنبثقة عن النظريات السلوكية والنظريات المعرفية و كل ما يشمل الجوانب الإنسانية في التعلم. "كذلك فإن تعلم اللغات الأجنبية ينطبق عليه الكثير مما قيل عن تعلم اللغة الأصلية بما في ذلك النظرة السلوكية كما نادى بها سكينر و آخرون أو المعرفية كما نادى بذلك تشومسكي ومن بعده هايمز في تعلم اللغة في بعدها الاجتماعي."²⁰ لكن تعلم أو اكتساب اللغة الأجنبية عملية تتسم بالتعقيد نظرا للدور الذي تقوم به عوامل حركية ونفسية ومعرفية متعددة. و من بين هذه النظريات:

1. نظرية التطابق :

يرى أصحاب هذه النظرية إن اكتساب اللغة الأم وتعلم اللغة الأجنبية عمليتان متطابقتان أصلا وليس هناك أي تأثير للغة الأم في تعلم اللغة الأجنبية ، وأن أتباع هذه النظرية يساوون بين اكتساب الإنسان للغة الأم وتعلمه اللغة الأجنبية ، وهذا الرأي تنقصه الدقة العلمية ، لأن هناك فرقا كبيرا من الناحية النفسية واللغوية بين الطالب البالغ والطالب غير البالغ .

أما الرأي الثاني فهو أنه ليس هناك تأثير للغة الأم في تعلم اللغة الأجنبية ، وأجريت فيه كثير من الدراسات ؛ إذ توصل بعضها إلى نتيجة تقول إنه لا تأثير للغة الأم على الإطلاق في تعلم اللغة الأجنبية .

¹⁹ زيدان محمود فهمي ، في فلسفة اللغة ، دار النهضة العربية، بيروت، 1985، ص142-143.

²⁰ المرجع السابق ص76.

في حين وجد بعضها أن هناك أثراً للغة الام يكون بين (25% و 50%) ، ويظهر في بعض الأخطاء التي يرتكبها الطالب وهذا ما يتنبأ به التحليل اللغوي المقارن بين اللغة الأم واللغة الأجنبية. ومن هنا يظهر موقفان متناقضان : الأول ينفي تأثير اللغة الأم ، وهذا الموقف فيه كثير من التخبط بسبب خطأ في تنظيم تجاربه التي أعتمد عليها وفي طريقة إجرائها ."

أما الموقف الثاني فإنه يبدو أقرب إلى الصواب ، إذ يؤيد تأثيرها لذلك فإن الموقف الثاني هو أكثر قبولاً لدى كثير من الباحثين ؛ لذلك أسهموا في وضع إطار التحليل اللغوي المقارن وهذا الموقف أقرب إلى الواقع وهناك تأثير سلبي للغة الأم في تعلم اللغة الأجنبية يكمن في نسبة الأخطاء التي يقع فيها متعلم اللغة الأجنبية من الكبار أو الراشدين ؛ لأنه مهما يتمكن من اللغة فإنه لا يستطيع أن يؤديها كما يؤديها أهلها ؛ لأسباب كثيرة منها : سن الطالب أو القدرة الفطرية على اكتساب اللغة التي يتمتع بها اللغة التي يتمتع بها الطالب في مرحلة معينة من عمره بشكل فعال ، ومما يؤكد هذا الرأي ما قاله (الجاحظ) في كتابه الحيوان "إن كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى ، وتأخذ منها وتعترض عليها." ²¹

2. نظرية التباين اللغوي أو التقابل اللغوي :

إن هذه النظرية ظهرت إلى الواقع رداً على النظرية السابقة إذ ترى إن اكتساب اللغة الأجنبية أو الثانية يتحدد بصورة كبيرة بفعل الأنماط اللغوية الخاصة الأم ، وأن التراكيب اللغوية التي تشبه التراكيب الموجودة في اللغة الأم يمكن تعلمها بسهولة وتسمى هذه العملية " النقل الإيجابي Trans For Positive " أما التراكيب الأخرى فأنها تشكل عقبة في طريق تعلم اللغة الأجنبية وتسمى "النقل السلبي Trans For Negative " وهي تسبب حدوث الأخطاء في تعلم اللغة الأجنبية نتيجة التداخل بين اللغتين" ²².

²¹ الجاحظ، كتاب الحيوان، دار الكتاب العربي ، بيروت، ص75.

²² Klein، Wolfgang، Second Language Acquisition، Cambridge: Cambridge University Press.1986 p24-25.

وقد سادت هذه النظرية تعليم اللغات الأجنبية منذ ظهورها في القرن الماضي ، و أصبحت منهجا من مناهج الدراسة والتحليل اللغوي القائم وقد وضع لادو أول عملية للتقابل!على أساس علم اللغة التقابلي اللغوي بين الإنكليزية بوصفها اللغة المتعلمة والإسبانية بوصفها اللغة الأم وقد بنى نظريته هذه على الفروض الآتية :

أ . مفتاح السهولة والصعوبة في تعلم اللغة الأجنبية يكمن في الموازنة بين اللغة الأم واللغة المتعلمة أو الأجنبية أي أن الصعوبات التي تواجه متعلم اللغة الأجنبية تنتج من عملية التداخل بين اللغة الأم واللغة المتعلمة .

ب . إن أكثر المواد التعليمية فعالية هي المواد التي تقوم على أساس من الدراسة الوصفية العلمية للغة تعلمها ، أي يمكن تقليل أثر التداخل بين اللغتين عند تقديم المادة العلمية بالإفادة من علم اللغة التقابلي .و يمكن التنبؤ بالصعوبات في تعلم اللغة الأجنبية بالإفادة من الدراسات التقابلية ، ويكون المدرس الذي يقف على أوجه التشابه والاختلاف بين اللغة الأم واللغة المتعلمة أو الأجنبية بالمشكلات الحقيقية التي يواجهها الطالب ، أقدر على مواجهتها واتخاذ الوسائل الكفيلة بعلاجها.

3. نظرية تحليل الأخطاء :

في أواخر الستينيات وبداية السبعينيات من القرن الماضي ظهر اتجاه مضاد لنظرية التباين اللغوي، وأنصار هذا الاتجاه يرون أن الأخطاء التي يقع فيها الطلبة لا تكون دائما نتيجة الفروق بين اللغة الأجنبية ، ولغة الأم أي لغة الطالب الأصلية ؛ لأن ما يتنبأ به التقابل اللغوي هو مجرد تنبؤ وأن الأخطاء المتنبأ بها يجب أن تقوم ويبرهن عليها بالعمل لميداني ،الذي هو أخطاء الطلبة الفعلية وقد أظهرت التجارب أن في مقدور التقابل اللغوي أن يتنبأ بنحو (50_60%) من الأخطاء الحقيقية فقد بسبب وجود عوامل غير لغوية مثل طريقة التدريس ، وصلاحية المواد التدريسية وطبيعة اللغة المتعلمة وأهداف الطلاب وسنهم . وتقوم نظرية تحليل الأخطاء على عدة عوامل هي : "التعرف على الأخطاء الحقيقية و تمييزها من الأخطاء الناجمة عن السهو أو عدم الاكتراث الكافي عند استخدام اللغة، ثم وصف هذه الأخطاء وتصنيفها إلى أخطاء صوتية ونحوية وصرفية وبعد ذلك تحديد أسباب

هذه الأخطاء: هل هي ناجمة عن تداخل مع اللغة الأم أو تداخل مع صيغ اللغة الأجنبية ذاتها، أو أخطاء ناجمة عن الموقف التعليمي، أو عن الموقف التواصلية²³.

4. نظرية الجهاز الضابط :

تتم هذه النظرية بالعلاقة بين التعلم التلقائي والتعلم الموجه ويرى أصحاب هذه النظرية أن هناك طريقتين لتعليم اللغة الأجنبية .

. الطريقة الأولى : "اكتساب اللغة لا شعوريا من خلال المواقف التواصلية الحقيقية الهادفة لاستخدام لأغراض الحياة الطبيعية ؛ لذلك يركز أصحاب هذه الطريقة على الأثر الذي سيحدثه استخدام اللغة في الموقف التواصلية بوجه عام لا يهتمون بدقة التراكيب اللغوية المستخدم ، إذ أن الشخص الذي يرغب في تعلم لغة أجنبية معينة عليه أن يعيش بين أصحاب اللغة الأصليين ومن خلال هذه المعاشة يتعلم اللغة"²⁴.

. الطريقة الثانية : تعلم اللغة إراديا ، وأصحاب هذه الطريقة يرون أن الطالب عليه أن يتمكن من قواعد اللغة الأجنبية أولا من غير أن يعير اهتماما كبيرا للتواصل المباشر ، بل أن التواصل اللغوي سيكون تحصيل حاصل يعد أن يتمكن الطالب من السيطرة على قواعد اللغة الأجنبية وبذلك يكون هذا النوع من التعلم وسيلة للتعلم التواصلية الذي ينشأ في المدرسة بأشراف المدرس ويتأثر الجهد الذي يبذله الطالب في ضبط اللغة وتصحيح أخطائه إذا لزم ذلك .

5. نظرية اللغة المرحلية :

²³ Brown، H. Douglas Principles of Language Learning and Teaching. Englewood Cliffs، N.Y. : Prentice-1980،p162

²⁴Klein، Wolfgang، Second Language Acquisition، Cambridge، p28-29.

تؤكد هذه النظرية أن لكل طالب من الطلبة لغة أجنبية خاصة به تسبق الوصول إلى التمكن الكامل من اللغة الأجنبية ، وتسمى اللغة الانتقالية أو المرحلية. وظيفه كل كلمة وكل تركيب لغوي فيها ليست الوظيفة نفسها في اللغة الأجنبية ، بل إن لها مقاصد أخرى عند الطالب تتعلق بهدفه من تعلم اللغة الأجنبية ، سواء أكانت اللغة بالنسبة إليه أداة تواصلية في الحياة أم لغرض التدريب على اللغة من أجل الوصول إلى المزيد من التعلم ، وأن عملية تعلم اللغة الأجنبية ينظر إليها على أنها سلسلة من العمليات الانتقالية من مرحلة إلى أخرى تقرب الطالب من اللغة الأجنبية. " ومن خلال هذه النظرية ظهر منهج يدعو إلى تعليم اللغة الأجنبية لأغراض محدودة أو خاصة . يتلخص في تعليم اللغة على المهارات اللغوية التي يحتاج إليها الطالب فعلاً لأغراض محددة أكاديمية أو مهنية ، مثل تعليم اللغة الإنكليزية بقصد دراسة هندسة الطيران في أمريكا"²⁵ .

V - الاتجاهات الحديثة في تعلم اللغة:

إن من أهم الاتجاهات الحديثة في تعلم اللغة، التي بدأ التبشير بها منذ بداية القرن العشرين، تدريس اللغة على أنها وحدة متكاملة، فليس هناك قواعد وحدها، ولا أدب وحده، ولا قراءة منفصلة، بل تكتمل الفروع جميعها لتكون اللغة، وتعلمها كوحدة، حتى تتضح وظائفها اتضاحاً كاملاً. وعلى هذا الأساس جاءت الاتجاهات الحديثة في تعليم اللغات القومية، لتركز على التلقّي، والمشاهدة، والتكامل، والوظيفة، وتعني الوظيفة أن للغة جانبين: جانباً يمثل الحديث والكتابة، وجانباً إدراكياً، أو جانب استقبال يشمل الاستماع والقراءة. وتعليم اللغة على أساس هذين الجانبين، يجعلها تؤدي وظيفتها، ألا وهي تسهيل عملية الاتصال: التعليم الوظيفي للغة ، طريقة الوحدة و الأسلوب التكاملي.

ولهذا ارتبطت حضارة الأمم دوماً بلغاتها ارتباطاً عضويًا فمجتمع المعلومات، يوجب خلق أساليب جديدة في استعمال اللغة، لتغطية المتغيرات الكبيرة في مختلف العلوم، سمّاه بعضهم: (الصناعات اللغوية- أو تكنولوجيا اللغة). ونظراً لبروز مفاهيم ومنتجات حديثة، نتيجة للتطور التقني، يلزم الأمر، وضع ملايين العبارات الجديدة للدلالة عليها، والذي من شأنه إثراء اللغة، وتسهيل مهمتها، في التعامل مع المعاني والمفاهيم الجديدة، لتجنب اللبس والأخطاء، ولتسهيل استيعاب العلوم

²⁵ نايف خرما و علي حجاج، اللغات الأجنبية، تعليمها و تعلمها ، عالم المعرفة ، الكويت، 1988، ص79.

والتكنولوجيا. لذا تنبّهت الدول المتطوّرة إلى خطورة الثورة المعلوماتية، فأقامت مشروعات عملاقة، لتخضع التكنولوجيا، أوالتقنية لخدمة لغاتها.

هذه الصناعات اللغوية التي تعدّ حقلاً معرفياً جديداً، بدأ ينمو في الجامعات، ومراكز البحوث العلمية، ويعرف بهندسة اللغة، أو الهندسة اللسانية، وهو ميدان متعدّد الاختصاصات. "إن العملية التعليمية لا تستغني عما تقدمه اللسانيات النظرية المعاصرة، و هذا ما يساعد على وضع تصور شامل لبنية النظام اللغوي الذي هو بصدد تعليمه للفرد المتعلّم. هذا ما سيعود عليه بالإيجاب من حيث الفهم و الإدراك لحقيقة الظاهرة اللغوية، مما يؤثر في منهجية تعليم اللغة التي تكون مؤسسة على النظرية اللسانية التي يمكن أن تعطي التفسير العلمي الكافي، لكل المظاهر التي لها علاقة بتعلم وتعليم اللغة."²⁶

ومن نتائج الصناعات اللغوية: نظم حاسوبية، تمكّن آلياً من تحويل الكلام المنطوق، نصاً مكتوباً، والنص المكتوب، كلاماً منطوقاً، وتحويل نص من لغة إلى أخرى، أي الترجمة آلياً وبمساعدة الحاسوب، إضافة إلى النظم التي تؤمن تصريف الأفعال، والأسماء، وتحليل الكلام، والتراكيب، واستخراج أبرز ما جاء فيها من معانٍ"²⁷.

1- تطوير اللغة من خلال استخدام الوسائل والتكنولوجيا الحديثة في التدريس.

إن إتباع الأساليب الجافة في تعليم اللغة يؤدي إلى نفور الناشئة. "وفي عصرنا، عصر العلم، والتقنية والمعلوماتية أضحت اللغة هي الوجود ذاته. وقد أصبح هذا الوجود مرتبطاً بنقل الوجود اللغوي على الشبكة (الانترنت). وقدما قال سقراط بجليسه: تكلم حتى أراك"²⁸. أما اليوم فالشعار هو: تحاور عن بعد حتى يراك الآخرون، وتراهم، ومن ثمّ ترى ذاتك أنت وهي بعيدة عنك، أو بالقرب منك، في عصر بات فيه سؤال الهوية : من أنا؟ ومن نحن؟ مطروحا بشدة وعلى أوسع نطاق. لذلك لا بد من

²⁶ ميشيل زكرياء، مباحث في النظرية الانسونية و تعليم اللغة، بيروت 1983، ص143.

²⁷ قمق بريهان، اللغة العربية عبر الأنترنت التجديد العربي. ص 7.

²⁸ السيد، محمود، سوء أساليب تعليم اللغة العربية، ص12.

الاعتراف بمحاجتنا الماسّة والملحّة لنهضة لغوية شاملة، قادرة على تلبية مطالب، ومقتضيات العصر، شريطة أن لا يكون ذلك على عاتق اللغويين فقط، بل لابد من وجود التقنيين، والفنيين، في مجال الحواسيب، والعلماء بشتى التخصصات، والاقتصاديين، والسياسيين الأكاديميين، والمشتغلين في مجالات الكتابة الإبداعية إلى جانبهم، للوصول إلى صيغ، ومصطلحات، ومفردات عربيّة، سليمة، دقيقة، علمية وعملية، والعمل على تقريب الحاسوب، وليس الترجمة العربية فقط، ورعاية العباقرة من الشباب، الذين لديهم إمكانيات مذهلة في فهم التقنية، التي بين أيدينا، ولهم تجاربهم الهامة في عوالمها، باستخدام التقنية في مخابر، وأدوات، وتجهيزات، وحواسيب تثير الدافعية لدى المتعلمين، فيقبلون على المادة بكل نفس راضية، ويجدون متعة في تعلّم اللغة. كما أنّ تزويد المكتبات بالمصادر، والكتب، والمجلات المتنوعة، التي ترضي الأذواق والاهتمامات والميول وتلبي الحاجات، يؤدي إلى جذب المتعلمين وشدّ اهتمامهم.

من هنا نجد بأنه لابد من تطويع تكنولوجيا المعلومات لصالح اللغة العربية، نظرا لأن هذه التكنولوجيا تؤثر على الطفل العربي، وتعدّ سلاحا ذا حدين، ففي الوقت الذي ينبغي فيه تشجيع الشباب على المشاركة في مجال تكنولوجيا المعلومات بمختلف فروعها، يجب علينا ألا ننسى أنه يجب الانتباه إلى ميل الشباب نحو استخدام اللغة الانكليزية على حساب اللغة العربية.²⁹

لذا فإن الوسيلة الوحيدة للسيطرة على الفجوة العلمية والتقنية بين الغرب وبيننا، هي اللجوء إلى حركة واسعة من الترجمة والتعريب، يكون أساسها وضع المصطلحات العلمية والتقنية المقابلة، لتلك التي تغرقنا بها العولمة، وهذا يفترض معرفة عميقة ودقيقة بلغات العلم ذات الصفة العالمية³⁰.

ولابد من جهد مصطلحي متكامل، يحيط بكل دقائق العلوم المختلفة، في لغاتها الأصلية، من أجل الوصول إلى تنظيم لغوي، ومصطلحي، ينتهي إلى تأكيد التزاوج بين اللغة والفكر عموما،

²⁹ السيد، محمود، اللغة مركز الدراسات الإنسانية، مؤتمر مجمع اللغة العربي بدمشق 2006 - ص 5.

³⁰ المحاسني، مروان اللغة العربية ومواكبة العلوم الحديثة، مؤتمر اللغة العربية وعصر المعلوماتية بدمشق 2006 - ص 4.

وهذا التزاوج هو الذي يسمح بإخراج العبارة العلمية في المستوى الفني، الذي يرفع كل شكل من أشكال اللبس والإغماض، بالاستناد إلى تسلسل منطقي ينيير الطريق إلى الفهم والاستيعاب.

2- الاستفادة من التكنولوجيا العالمية في تطوير اللغة والارتقاء بها.

لقد شهدت السنوات الأخيرة طفرات استثنائية، في قدرة التكنولوجيا الحديثة على جعل المعلومات تتدفق بسرعة هائلة، حيث القنوات الفضائية، وشبكة الانترنت العالمية، التي جعلت الوصول للمعلومات، والمعرفة سريعاً، فهذا العصر هو عصر الإعلام، والاتصال، والحاسوب، والانترنت، والفضائيات، وجيل الشباب هو الأكثر تفاعلاً مع هذه الأدوات. هذا التحول الذي فرضه تطوّر التكنولوجيا عالية التقنية، قد أثار في النظرة للمستقبل، وهو ما يجب أن يؤثر أيضاً في أهل العلم، والفكر مع جيل الشباب، حيث يجب أخذ المتغيرات الجديدة، في بلورة رؤية جديدة إذ لا يمكن التعامل مع جيل الشباب، إلا بأدوات الحاضر، وبثقافة حيّة، وفاعلة، نحو أفق جديد لذلك لا بد من إيجاد آفاق جديدة، وإستراتيجية جديدة، قائمة على موازنة الثوابت، والمتغيرات واستشراف آفاق المستقبل، وفتح الفرص أمام الشباب للعمل، والعطاء، والفاعلية.

ونحن في مجتمعاتنا العربية بحاجة إلى تغيير، وتطوير، وتجديد، أهمها ما يرتبط بقضايا التربية والتعليم فلا بد أن تنتمي إلى عصر المعلومات والاتصال، وأن تناسب سوق العمل، لذلك لا بد من تأسيس قنوات فضائية، ملتزمة، وموجهة للشباب، وإستراتيجية جديدة قائمة على المتغيرات، وفهم سيكولوجية الشباب، والعمل بسرعة نحو استثمار طاقاتهم وإمكاناتهم، وتوسيع دورهم في صناعة المستقبل³¹.

ولا بد من الاعتماد على معطيات التقنية الحديثة، لاجتياز عمل جماعي، تتضافر الجهود فيه، من أجل الإسراع للحاق بالحركة العلميّة العالمية.

نعمان، عبد الغني، الشباب والتكنولوجيا، التجديد العربي، ص 1-2. ³¹

والخطوة الأولى في هذا المسار هي التأكيد على إنجاز الذخيرة اللغوية، بوساطة برنامج حاسوبي، ييؤب بما يوافق المجالات العلمية، للاستفادة من مصطلحات، كان قد وضعها العلماء الأوائل، وتكون جاهزة لسد احتياجات التعريب الحديث، بعد تطويرها أو القياس عليها. ثم حصر مجموع المصطلحات المتداولة حالياً بين العلوم المختلفة في برنامج حاسوبي، بحيث يتم إنشاء شبكة حاسوبية، تربط بين العاملين في كل فرع من فروع العلم الحديث. والغرض منها ترتيب قاعدة معلومات للمصطلحات العلمية المعتمدة، والمقترحة في كل تخصص. وهذا يسمح بالاطلاع على ما تمّ الاتفاق عليه، والاستفادة كذلك من الاسترجاع الفوري المباشر online لإنجاز البحوث.

ومن الضروري أن ترتبط تلك الشبكات الوطنية بشبكات عالمية، تغذيها بالجديد في كل علم من العلوم، كي تبقى مسيرة للتطور العلمي في العالم. وبنهاية الأمر لابد من عرض ما اتفقت عليه الشبكات الوطنية، في مجال المصطلحات، على مراكز القرار في الجامع اللغوية، ليُصار إلى ترجمة، وتعريب نصوص العلوم الحديثة³².

3- دور الوسائل التقنية في التعليم:

يسود تفاؤل كبير حول إمكانات تكنولوجيا المعلومات، والاتصالات، في تعزيز التنمية الاقتصادية، والاجتماعية. ومن المتوقع أنه في حالة الاستخدام الفعّال للأدوات الجديدة لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، أن تؤثر في البنى الثقافية للمجتمع كافة، بما في ذلك المدارس، والمؤسسات التربوية، هذه المؤتمرات جميعها سوف تقود إلى بزوغ ما يسمى (بمجمع المعلومات)³³.

وإذا ما تناولنا تاريخ استعمال وسائل تكنولوجيا التعليم، فهو قديم، تصل جذوره لعصور الإنسان الأولى، فالمنقوشات، والمنحوتات، والرسوم والصور، التي حفرها الإنسان البدائي، وأهل الحضارات القديمة، السومرية، والآشورية، والبابلية، والفينيقية، والفرعونية، والصينية، والهندية، واليونانية، على واجهات المعابد والصخور، هي في الواقع وسائل تعليمية، غنية ومعبرة، قامت بتسجيل تاريخ تلك

³² الخاسني مروان، مرجع سابق، ص 16-17.

³³ جامعة الدول العربية/المؤتمر العربي للتحضير للقمة العالمية لمجتمع المعلومات/القاهرة16-18 يونيو2003م/ ص 4-6.

الأهم وحفظه، وتعليم أفرادها أساليب التعبير، والتعامل، وفنون الحرب والمهن. وقد بدأت الدعوة لاستخدام الوسائل التعليمية في التربية بشكل واضح في عصر النهضة الأوروبي، "فقد دعا "رابليه" (Rabelais) 1483-1554. إلى التشويق في التعليم عن طريق اللهو واللعب: المواد، والألعاب المحكية (Simulation Materials and games). أما "مونتيني" (Montaigne) 1533-1592 فقد حثّ في كتاباته " field trips على (الاستفادة من الزيارات الميدانية في التعلّم)، حيث يسبر الطفل بوساطتها، غور الأشياء على حقيقتها"³⁴.

وجاء بعده "كومينوس" 1592-1670. الذي يُعدّ بواقع الأمر، الأب الحقيقي لتكنولوجيا التعليم المعاصرة ووسائله. " حيث أكّد على (أهمية العديد من المبادئ التربوية الحديثة، كوجوب استخدام الحواس في التعليم، مع الموضوعات والأشياء الحقيقية والصور التوضيحية، كما دعا لتكون مجهزة بالمواد الواقعية، والتوضيحية، يقوم على التدريس فيها معلمون إنسانيو العاطفة والميول). وأشهر ما وصلنا عنه في عام 1658 كتابه: (العالم في صور - The world in pictures)، الذي يعد من أوائل الكتب المدرسية التي أبرزت دور الوسائل في التعلّم والتدريس . أما " لوك و روسو وبستالوزي" في الفترات التالية لكومينوس، وحتى منتصف القرن العشرين المنصرم، فقد ركّزوا جميعا على استخدام البيئة، بكل ما يمكن أن تقدّمه من خبرات حسية مباشرة، تعين العملية التربوية وتسهلها. كما أكد معظمهم ضرورة الاستعانة بالوسائل الرمزية، كالصور، والأشكال، والرسوم التوضيحية، والنماذج المجسّمة، في حالة عدم توافر الأشياء الطبيعية المناسبة"³⁵.

وعلى الرّغم من قدم الدعوة لاستعمال الوسائل، وتوظيفها في التعليم ، إلا أنّها لم تدخل عالم التربية بصفتها التقنية الحديثة، واستخدامها المنظّم المقصود، إلا في النصف الأول من القرن الحالي. حيث بدأ عدد محدود من المدارس الأمريكية، باستخدام بعض أنواع الوسائل التعليمية، السمعية

³⁴ المرجع نفسه، ص18.

³⁵ المرجع نفسه، ص19.

والبصريّة، كالصور، والشرائح، والأفلام، أما بعد الحرب العالمية الثانية، فقد أصبحت الوسائل تمثّل جزءاً أساسياً من برامج عديد من المؤسسات التربوية المختلفة ومناهجها.

وهناك تسميات متنوعة لوسائل، وتكنولوجيا التعليم: منها الوسائل السمعية - البصرية (audio-visual media)، والمعينات التربوية (educational-aids)، ووسائل الإيضاح، وتكنولوجيا التعليم، أو التدريس (technology criterion) الوسائل الاختيارية (الإغنائية) والأساسية - الوسائل المعيارية أو الوسيطة (media criterion)³⁶.

يتّضح هنا بأن وسائل وتكنولوجيا التعليم (Educational media and technologies) هي: مواد وأدوات، توظّف جزئياً، أو كلياً، في التربية المدرسية، لإحداث عملية التعلّم، فالمدرسة والمعلم، والكلمة الملفوظة، والكتاب، والصورة، والشريحة، والفيلم، والحاسوب، والخبر وغيرها، تعدّ وسائل وتكنولوجيا تعليميّة مهمة، لتوجيه التربية الرسميّة للتلاميذ وإنتاجها.

فكنولوجيا التعليم هي طريقة فكرية عملية، لها قاعدة متكاملة من العناصر الفاعلة، والوسائل التعليمية جزء من التقنيات التعليمية، أو تكنولوجيا التعليم إذ يقول التربويون: (أعط المتعلّم شيئاً يفعلُه أفضل من أن تعطيه شيئاً يتعلّمه). إنها نقلة مبتكرة تضي على العملية التعليميّة أنماطاً جديدة من الحركة والتفاعل، وأصبح للوسائل التقنيّة التعليميّة دور مهم في عملية التعليم، والتعلّم، يشمل:

. الإدراك الحسي لتوضيح المعلومات الموجودة والجديدة.

. تجسيد عملية الفهم.

. قدرة المتعلّم على التفكير السريع.

. سهولة تعلّم المهارات المقصودة (بتركيز الانتباه أو بتقليد النماذج).

³⁶ حمدان، محمد زياد، وسائل وتكنولوجيا التعليم مبادئها وتطبيقاتها في التعليم والتدريس، سلسلة التربية الحديثة (2) دار التربية الحديثة - عمان /الأردن 1406هـ - 1986م / - القسم الأول ، قضايا وخطة إجرائية عامة لوسائل وتكنولوجيا التعليم، ص 19 -

. العمل على تكوين قيم ايجابية (كالتعاون)، واتجاهات سليمة (كالصدق).

. العمل على إثارة اهتمام المتعلمين، وتحريك نشاطهم الذاتي.

. مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين، بتنوع وسائط التعليم من قبل المعلم³⁷.

وإذا نظرنا إلى الأسباب الدافعة إلى استخدام الوسائل التكنولوجية في عملية و صيرورة التعليم لتحسين الاداء التربوي و التعليمي نجدها كثيرة أهمها: الانفجار المعرفي، والسكاني، وانخفاض الكفاءة التعليمية، والفروق الفردية بين المتعلمين، وتطوير نوعيّة التعليم، وتشويق المتعلم في التعلّم، وجودة طرق التعليم³⁸.

وإذا عرّفنا تكنولوجيا التعليم فهي عملية لا تقتصر دلالتها على مجرد استخدام الآلات، والأجهزة الحديثة، و لكنها تعني أساسا منهجية التفكير، لوضع منظومة تعليمية (System-approach) أي إتباع منهج، وأسلوب، وطريقة في العمل، تسيّر على وفق خطوات منظّمة، مستعملة الإمكانيات التي تقدمها التكنولوجيا كافة، على وفق نظريات التعليم، والتعلّم الحديثة، من مثل: الموارد البشرية، والمواد التعليمية، والمخصّصات المالية، والوقت اللازم، ومستوى المتعلمين، بما يحقّق أهداف المنظومة.

فاهتم بالعملية التعليمية ككل منذ بدايتها في تحديد الأهداف التربوية، حتى التقويم، مع الاستفادة من عنصر التغذية الراجعة (Feed back) على الدوام، فنتج عن هذا التطور في مفهوم الوسائل التعليمية تسميات، أخذ التربويون يطلقونها عليها: ولعلّ من أبرز التسميات: الوسائل التكنولوجية المبرجة للتعليم، والوسائل التكنولوجية التعليمية والوسائط المتعدّدة.

³⁷. الدبسي، رضوان، تحديث طرائق تعليم اللغة العربية- تكنولوجيا التربية وأنشطته، دمشق/2003/مجمع اللغة العربية ص 31-33.

³⁸ إدريس، عبد الله القصيري، موفق (تكنولوجيا التربية والقابلية الابتكارية)، الجامعة الوطنية الماليزية، كلية الدراسات الإسلامية،

أما الوسائل التعليمية فعلى الرغم من أنها الوسائط المادية المناسبة لنقل المفاهيم، واستيعاب مفردات المنهج الدراسي للتعلم، وذلك بنقل الحقائق والمهارات عبر الحواس، بوصفها مشيرات تعليمية، لكنها لا تقتصر على المواد التعليمية، والأدوات، والأجهزة، وقنوات الاتصال، التي تنتقل بها المعارف والعلوم، من المرسل (المعلم) إلى المستقبل (المتعلم)، بل أصبحت تشمل أيضاً التخطيط، والتطبيق، والتقييم المستمر للمواقف التعليمية التربوية، حتى تتمكن هذه المواقف من تحقيق أهدافها المقررة. إن الوسائل التعليمية تهدف إلى الزيادة الهائلة في المعارف الإنسانية "الثورة المعرفية"، و توفير الكثير من الخبرات الحقيقية للتعلم أو تقديم البديل المناسب له سعياً وراء تعلم واقعي بعيد عن اللفظية و الخيال، و تسخير الأجهزة التقنية المتطورة في التغلب على ظروف المتعلمين التي تحول دون تعليمهم"³⁹.

VI - دور وسائل وتكنولوجيا التعليم في الاتصال التربوي :

إن التربية البنّاءة، والسلوك الإنساني الهادف مهما كان بسيطاً، أو مركباً، هو أيضاً نظام. والاتصال كسلوك موجّه، هو بذاته نظام، يتكوّن من سلسلة من العوامل والعمليات، التي ترتبط معا بعلاقات بنائية، ووظيفية عملية، مؤدّية في النهاية، لتحقيق غرض إنساني، أو تربوي مقصود. وبينما يجسد التلاميذ، والمعلمون، والإدارة المدرسية، والتربية الصفية، والبيئة المدرسية أهم مكونات الاتصال التربوي، فإن هذا الاتصال يعتمد بوصفه نظاماً في الواقع على توفير العناصر الآتية:

1. أغراض التعلم، و التدريس أو أغراض الاتصال التربوي.
2. المعلمون الإداريون بوصفهم مرسلين عموماً للاتصال التربوي.
3. التلاميذ بوصفهم مستقبلين غالباً للاتصال التربوي.
4. محتوى التعلم، والتدريس من معارف وخبرات - رسالة الاتصال التربوي.
5. وسائل الاتصال التربوي، ووسائل وتكنولوجيا التعليم.

³⁹ بشير عبد الحليم الكلوب، التكنولوجيا في عملية التعلم و التعليم، دار الشروق للنشر و التوزيع، الطبعة الثانية، 1999 ص 118.

6. وسائل التغذية الراجعة بخصوص فعالية الاتصال التربوي، ومدى تحقيقه للأغراض المقترحة.

ويجدر التنويه إلى أن وسائل الاتصال السائدة في التعلّم والتدريس هي:

المناهج المطبوعة عادة، والخبراء المحليون، والمواقع البيئية المحلية، والتطبيقات، والدروس العملية، والعينات، والنماذج، والرسوم، والصور، والخرائط، والسبورات، والصحف، والمجلات، والمواد والآلات السمعية، والأفلام الثابتة والمتحركة، والشفافيات، والشرائح، والفيديو، والتلفزيون والحاسوب، فضلاً عن الطرق اللفظية التدريسية المتنوعة.

إذا فإن مجمل وسائل الاتصال هذه هي أنواع لوسائل وتكنولوجيا التعليم، التي لها الدور الكبير في الاتصال التربوي الإنساني للتلاميذ، أوفي تنفيذ تربيتهم المدرسيّة.

دور الوسائل وتكنولوجيا التعليم في إدراك التلاميذ وتعلّمهم:

إن الإدراك الإنساني هو عملية باطنية نفسية، تحصل في عقل الفرد محدثة ما يسمى بالتعلّم. ويتم هذا من خلال عمليات متصلة هي: (الانتباه attention - الإدراك الحسي) (الملاحظة perception - الإدراك الباطني processing perception).

والتعلّم الذي يحدث لدى التلميذ بسهولة وبدرجة عالية، كلما استخدم في تحصيله وسائل تعليمية تجد بقدر الإمكان الحياة الواقعية وخبراتها. "و ان تؤخذ من بيئة المتعلم مادام ذلك ممكناً"⁴⁰.

VII- دور وسائل وتكنولوجيا التعليم في تحقيق الأهداف التربوية:

- 1- إن وسائل وتكنولوجيا التعليم يمكنها تحقيق الأهداف الآتية، في التربية المدرسية
- 2- المساعدة على تعزيز الإدراك الحسي.
- 3- المساعدة على زيادة الفهم أو الإدراك.

⁴⁰المرجع السابق، ص239.

- 4- المساعدة على رفع قدرة التلميذ، في تحويل معرفته من شكل إلى آخر، حسب الحاجة أو الموقف التعليمي.
 - 5- المساعدة على التذكّر أو الاستعادة.
 - 6- تجهيز التلميذ بتغذية راجعة ينتج عنها في الغالب زيادة في التعلّم كما ونوعا. وأضاف بعض التربويين إلى الأهداف السابقة:
 - 7- المساعدة على تنظيم المادة التعليمية، وتقديمها للتلميذ، بأسلوب مشوّق مفيد، ما يؤدي إلى سهولة تعلّمها.
 - 8- تنمية الرغبة والاهتمام لتعلّم المادة الدراسية، والإقبال عليها.
 - 9- تنمية الميول الايجابية لدى التلميذ، من خلال الخبراء، والزيارات، والرحلات، والأفلام، والتسجيلات السمعية، والتلفاز.
 - 10- زيادة الطلاقة اللفظية وقوتها بالسماع المستمر إلى الأفلام والتسجيلات السمعية، وما تستلزمه من قراءات إضافية.
 - 11- تنمية القدرات الفكرية، أو الإجرائية الخلاقة لدى التلميذ:
- إذن، بعد هذا الشرح المستفيض يمكن أن نستكمل الجهد بتعريفنا التكنولوجيا كونها: العلم الذي يعنى بتحسين الأداء، والممارسة، والصياغة في أثناء التطبيق العملي (عبد العليم الفرجاني). ويقول غالبرت: " إنها التطبيق النظامي للمعرفة العلمية، أو أية معرفة أخرى لأجل تحقيق مهام عملية "41 .
- فلا بد من إعداد الإنسان المتعلّم، القادر على إجراء الممارسات الواعية، لمختلف نشاطات الحياة، التي تؤثّر، وتؤدي إلى تغيّر، وتطوير الحياة إلى الأفضل، بل لا بد من الاهتمام بتكنولوجيا التربية، وتكنولوجيا التعليم، لأنهما أسلوب العمل الحديث.

⁴¹ Kinder, J.audio visual material and techniques New York: American Book co.1959 p 11-17.

أما تكنولوجيا التربية فهي طريقة منهجية أو نظامية، لتصميم العملية التعليمية بكاملها، وتنفيذها وتقييمها، استناداً إلى أهداف محدّدة، وإلى نتائج الأبحاث في التعليم، والتعلّم والتواصل، في استخدام جميع المصادر البشرية، وغير البشرية من أجل إكساب التربية مزيداً من الفعالية (اليونسكو).

وتكنولوجيا التعليم تشمل كل ما في التعليم من تطوّر المناهج إلى أساليب التعليم، ووضع جداول الفصول، باستخدام الحاسب الآلي. وعرّف روبرت جانیه تكنولوجيا التعليم بأنها: تطوير مجموعة من الأساليب المنظّمة المصحوبة بمعارف علمية، لتصميم وتقييم وإدارة المدرسة بوصفها نظاماً تعليمياً.

كما عرّفها رابطة الاتصالات والتكنولوجيا التربوية الأمريكية بما يلي: تكنولوجيا التعليم كلمة مركبة تشمل عدة عناصر هي: (الإنسان، والآلات، والتجهيزات المختلفة، والأفكار، والآراء، وأساليب العمل، وطرق الإدارة لتحليل المشاكل، وابتكار، وتنفيذ الحلول لتلك المشاكل، التي تدخل في جميع شؤون التعليم الإنساني⁴². وبعد دراسة الآراء والمفاهيم المتعددة للتكنولوجيا، وتكنولوجيا التربية، وتكنولوجيا التعلّم، والوسائل التعليميّة (التعليمية) نستخلص المؤشرات الآتية:

1. أن تكنولوجيا التربية معنيّة بصناعة الإنسان، الإنسان المتعلم الواعي الفاعل والمتفاعل مع الحياة، متغيراً ومغيراً بها نحو الأفضل.
2. أن تكنولوجيا التعلّم معنيّة بتحسين، وتطوير عملية التعلّم، والتعليم، من خلال: رفع مستوى المنهاج، تحسين ظروف المعلم، تحسين الطرق والأساليب، وزيادة قدرات المعلم، والمتعلّم على التفاعل مع العملية التعليميّة.
3. أن الوسائل التعليميّة التعلميّة ممارسات فكرية وعملية، تهدف إلى تحسين عملية التدريس، ورفع مستوى أداء المعلم، وتوفير الجهد والوقت على المتعلّم، وزيادة قدراته على الإدراك والفهم. وتجمع الآراء على أن تكنولوجيا التربية والتعليم هي (طريقة في التفكير)⁴³.

⁴² خالد، نزيه، الجودة في الإدارة التربوية والمدرسية والإشراف التربوي)- الفصل الرابع (طرق قياس إنتاجية وفعالية مراكز الوسائط التعليمية) دار أسامة، عمان، الأردن ط1 2005، ص 78-79

، بشيرعبد لحليم الكلوب، التكنولوجيا في عملية التعلّم والتعليم، /دار الشروق للنشر والتوزيع /عمان- الأردن، 1993 الباب ⁴³ الثاني (تكنولوجيا التعليم)، ص 31-38.

من هنا نرى أهمية تكنولوجيا المعلومات، في أنها تسهم في تقديم التنوع داخل إطار الوحدة، وتفريد التعلّم داخل جماعة واحدة، وسوف تتيح على سبيل المثال، أجهزة الحاسوب لدى التلاميذ، فرصة إدخال تعديلات على المادة التعليمية، بحيث تتيح للطلاب إتباع مسارات متباينة نوعاً ما، والتعلّم على وفق معدلات أدائهم الخاصة، وسيكون بإمكان كل تلميذ أن يحصل على تعليم مفصّل، على وفق مقاييسه وطبيعة قدراته، كما سيصبح بإمكان المعلمين، والفنيين، في مجال معيّن من مجالات العمل، متابعة المستجدات في التقنيات في مجالات عملهم من وقت لآخر، بل إن التدقّق المتزايد للمعلومات، سوف يحفّز قدرات الاختبار، والانتقاء لدى المتعلمين، وسيصبح التعلّم بالتدرّج ذاتياً، وسوف توفّر أجهزة الحاسوب، وشبكة الانترنت أفضل ما كتبه التربويون، والمنهجيون، وعلماء النفس، وسيكون بإمكان المعلمين الاعتماد على هذه المادة، كما ستتوافر الفرص أمام الطلاب لاستكشاف المواد التعليمية الجديدة، على نحو تفاعلي وفي الوقت المناسب، وستساعد على توفير الفرص التعليمية للأفراد، الذين لم تتوافر لهم الفرصة للالتحاق بالمدارس. وأصبح من المؤكد أن أجهزة تكنولوجيا المعلومات ستساعد المعلمين في تقويم، ومتابعة، وتوجيه طلابهم. ولا ريب أن تكنولوجيا المعلومات ستساهم في تسهيل عملية تصميم المناهج التعليمية، وتجريبها، وقياس درجة كفاءتها، وتطويرها، وستساعد المعلمين على اكتشاف ألوان متنوعة لأساليب التدريس، وستساعد التلاميذ على الحصول على المواد التعليمية المناسبة، لقدراتهم ومواهبهم المتنوعة والمختلفة⁴⁴.

لذلك كان لابد من التدريب على استخدام الحاسوب وتكنولوجيا المعلومات. وفي هذا الإطار يشير (ليفن Levin-1983) في الولايات المتحدة، أنه قد صمّم أساساً تدريباً للعمل. ويهدف هذا التدريب إلى جعل التلاميذ يألّفون الاستخدام العملي للحاسوب، في المستوى الابتدائي أيضاً، وتقنيات البرمجة على المستوى الأعلى، فهو يؤكد أن الجماهير في الولايات المتحدة يعبرون عن مشكلاتهم، بعبارات تحديات تكنولوجية، ويبحثون عن حلول تقنيّة حتى عندما تكون المشكلة ذات طابع اجتماعي، ثقافي، اقتصادي، أو سياسي.

مذكور، علي أحمد، مناهج التربية وخيارات المستقبل، الفصل الثامن، ص 345-348.⁴⁴

لكنها في أوروبا أوسع. وهذا يرجع إلى كون التربية فيها تولي التحليل الاجتماعي السياسي، للحياة اليومية اهتماماً كبيراً.

ويبقى الحاسوب مثالا على التكنولوجيا المتطورة في خدمة المتعلم، والمعلم، وأغراض التدريب، والإدارة المدرسية، ومطوري المناهج، وواضعي السياسات التربوية.

دور المعلم:

يعتقد بعض الباحثين أن استخدام تكنولوجيا التعليم، وخاصة المستحدثات التكنولوجية يلغي دور المعلم، حيث يمكن للمتعلم تلقي دروسه مباشرة، من دون الحاجة إليه. بينما في ضوء تكنولوجيا التعليم، يتغير دور المعلم من الملقن إلى: مدير، أو موجه، ومرشد للتعليم، من خلال تخطيطه للموقف التعليمي، في إطار أسلوب النظم، واختيار مصادر التعلم، التي تتناسب مع الأهداف التي خطط لها، وتسجيل ملاحظاته، عن مدى تقدم المتعلم، ومن ثم توجيهه. "و يكون مهياً لكي يقوم بمهمة التعليم و هذا عن التكوين العلمي والبيداغوجي، و الحصيلة المعرفية أولاً و ثانياً التحسين المتواصل و هو الذي يكون محصوراً في التكوين اللساني و النفسي و التربوي، بطريقة تدفع المعلم أن يقوم بتحديد معلوماته المعرفية و يطورها لكي يقوم بعمله على أكمل وجه"⁴⁵.

وهو مطور وقائد للموقف التعليمي، ويتأتى ذلك عن طريق تمكّنه من بعض مهارات تشغيل الأجهزة، ومصادر التعلم، والمواد التعليمية، والبرامج، وكيفية إنتاجها، والقدرة على تقويمها وقيادته للمناقشات داخل القسم.

و يجب أن يكون لدى المعلم اتجاه فكري واضح، للقدرة على التحليل العقلي، وتنمية الفكر التساؤلي، والتجدد الفكري. ويعد ذلك من أبرز السمات للنمو المهني لكل العاملين في ميدان التعلم.

⁴⁵Denis Girard. Le processus naturel de l'apprentissage. Linguistique appliquée et didactique de langue Paris. Armand Colin.1972.p 11.

فالمعلم هو منقذ البشرية من ظلمات الجهل، عابرا بهم إلى ميادين العلم والمعرفة. أما إعداداه فيتضمن تمسكه بمبادئ المهنة، ودستور أخلاقياتها، بانتمائه إلى رابطة المهنة، مطبقا مبادئها⁴⁶.

أما وظائف تكنولوجيا التعليم فيمكن إيجازها في النقاط الآتية:

- تعزيز الخبرات الإنسانية، وتقديم معارف هادفة ذات معنى، وإعداد المتعلمين لمواجهة التغيرات التكنولوجية السريعة، من دون الشعور بالاغتراب تجاهها.
- التحوّل من التدريس بوساطة المعلم، إلى التعلّم بوساطة المتعلم، ومن الثبات إلى ديناميكية البناء في البرامج التعليمية و التوسّع في تقديم الخدمات التعليمية المتمثلة، في جعل التعليم عملية مستمرة، من خلال توفير فرص التعلّم غير النظامي، لتحقيق مبدأ المرونة، عن طريق التوسّع في تعليم الكبار، والتعامل مع أطفال ما قبل المدرسة.
- جعل التعليم أكثر خصوصية وإنتاجا، عن طريق تكافؤ الفرص التعليمية، والربط بين التدريب والتعليم وسوق العمل.
- تحسين نوعية التعليم، من خلال زيادة مجال الخبرات التي يمر بها المتعلم، ومواجهة النقص في كم وكيف المعلمين، وتشجيع النشاط الذاتي، والتعلّم الذاتي، والتحوّل من التعليم إلى التعلّم المتمركز حول المعلم، إلى التمرکز حول المتعلم، والتحوّل من السلوك الاستجابي إلى السلوك الإيجابي، والاستقلالية في التعليم.
- زيادة الكفاءة العملية التعليمية، عن طريق تعدّد أوعية المعرفة، وتحقيق الأهداف التعليميّة، بمختلف مستوياتها، ومقابلة الفروق الفردية بين المتعلمين، والتأكيد على التعلّم وبقاء أثره.
- التحوّل من التعليم محدود الأمد إلى التعلم مدى الحياة، ومن التعلّم بثقافة التسلّط في العرض، والتذكر، والاسترجاع، إلى ثقافة المشاركة والابتكار.
- مقابلة ازدياد الحاجة إلى الاعتبارات الجيدة التي يقيم بها المتعلم، من خلال التحوّل من القفز إلى النواتج التعليمية، إلى معالجة العمليات، والتحوّل من ثقافة الحد الأدنى، إلى ثقافة الإتقان، والتمكّن، والجودة، وزيادة ثقة المتعلّم، في أدائه بشكل جيد.
- تنمية البحث العلمي من خلال زيادة مجالات البحث والدراسة، وتوفير طرائق البحث، لتيسير الحصول على المعلومات، وتنمية مهارات التفكير العليا⁴⁷.

⁴⁶ أحمد، عبد الباقي محمد .، المعلم والوسائل التعليمية. الإسكندرية، مصر، 2005م، ص 15-17.

المبحث الثاني: الصراع اللغوي

- ✓ عوامل الصراع اللغوي
- ✓ العوامل الخارجية
- ✓ العوامل الداخلية
- ✓ الواقع اللغوي في الجزائر
- ✓ التعدد اللغوي في الجزائر
- ✓ السياسة اللغوية المقترحة

الصراع اللغوي

1-عوامل الصراع اللغوي

تمهيد

إن من أهم وظائف اللغة عملية الاتصال مع أفراد المجتمع، ولا بد لأي مجتمع بشري من لغة يسلكها حتى تسير الحياة طبيعية؛ صوتية أو غير صوتية كالرموز والإشارات وغيرها. "و الإنسان بطبيعته الاجتماعية لا يستطيع بنفسه أن يعيش عن المجتمع و الجماعة في حياته، لان كل فرد له حاجات أساسية و لا يحقق إلا من مساعدة المجتمع في حياته هو يحتاج اللغة بوسيلة لتفهم البشر في المجتمع"⁴⁸. فكانت ضرورة الاتصال بالأمم المجاورة تقتضي معرفة اللغات المتعددة.

وبنظرة تاريخية سريعة نلاحظ أن اللغات على مر العصور لم تكن على نمط واحد بل يعترئها ما يعترئها من تغير وتطور وبقاء واندثار لها أو لبعضها ، وهذه سنة الحياة المتلازمة مع طبيعة البشر .

ولذلك عوامل كثيرة منها (الصراع اللغوي) الذي له حالات يمكن الإشارة إليها بشكل سريع ، وهي :

- 1- صراع بين لغة وأخرى أجنبية .
- 2- صراع بين لغة وأخرى داخل لغة واحدة (لهجات) .
- 3- صراع بين لغة مثالية وأخرى عامية في داخل لغة واحدة .

والتاريخ القديم والحديث يشيران إلى مختلف حالات الصراع.

الحالة الأولى : تغلب لغة على أخرى سواء أكانت من فصيلة واحدة أم من فصيلتين مختلفتين ؟

" فمن النوع الأول تغلب لغة العرب على كثير من اللغات السامية الأخرى . ومن النوع الثاني انهزام لغة البلغاريين أمام لغة شعوب الغالبة . وقد لا تتغلب إحداها على الأخرى وإنما يحدث تأثير وتأثير بينهما ؛ كما حصل للعربية مع اللغة الفارسية والإسبانية والأوردية ."⁴⁹ و غيرها من اللغات التي احتكت ببعضها البعض و حدث بينها تلاقح وانصهار.

⁴⁸ صبر ابراهيم السيد، علم اللغة الاجتماعي مفهومه و قضاياها، 1995، ص39.

⁴⁹ علي عبد الواحد واني . علم اللغة . دار نضرة مصر، ط9 . د- ت . ص 230 - 239.

" ومن الحالة الثانية ما حدث في اللغة العربية نفسها من صراع بين عدة لهجات عربية متفرقة كانت الغلبة في النهاية للغة قريش لعوامل كثيرة، دينية وسياسية .⁵⁰"

وأما ما يتعلق بالحالة الثالثة فنجد ماثلاً في واقع اللغة العربية كما في العصر الحديث ؛ حيث إن اللغة الفصحى مقصورة في جوانب معينة من الاستخدام اللغوي ، بينما العامية لها ظهورها وحضورها في أماكن ومواقع حيوية ؛ كانتشارها على ألسنة العامة ، وفي الإعلام بمجالاته المختلفة ؛ مما يدل على أن تمثل الفصحى يحدث صراعاً واضحاً مع العامية التي سيطرت على واقع المجتمعات العربية .

ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ بل إن الفصحى تواجه مواقف نفسية من متكلميها باتهامها بالصعوبة وعدم ملائمتها للواقع ، ولا أدلّ على ذلك من تلك الحشود الكبيرة التي تحضر الأمسيات الشعرية الشعبية والتي تتابع كذلك المجالات التي تعنى بالشعر الشعبي ، بينما في المقابل لا نجد ذلك في الأمسيات التي تُحيا بالفصحى ؛ مما يدل على أن الذوق الفني والإبداع اللغوي الراقي يشهد تراجعاً كبيراً ؛ إذ لو ارتقت الأذواق لوجدنا الشعر في الفصحى له رواده ومرتادوه ، كما يشهد التاريخ بذلك في سالف الأيام .

إن الحالات السابقة الثلاث نلمس منها في واقعنا المعاصر الأولى والثالثة ؛ ففي الحالة الأولى نجد أن اللغة العربية تواجه صراعاً لغوياً في الأقطار العربية مع عدة لغات أجنبية ؛ كما يحصل لها في المغرب العربي مع اللغة الفرنسية ، وفي دول الخليج العربي مع اللغة الإنجليزية ، وأما الحالة الثانية فيمكن تعميمها وبدون استثناء على جميع الدول العربية التي يحدث فيها صراع لغوي بين العامية والفصحى .

2-عوامل الصراع اللغوي :

إن أي صراع لغوي له عوامل مختلفة من حيث النوع والكيف ، وهي تختلف من عصر لآخر، وكذلك تأثيرها قد يكون سريعاً أو بطيئاً حسب ظروف ذلك العصر .

⁵⁰ رمضان عبد التواب . المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ط 2. القاهرة : مكتبة الخانجي . 1405هـ / 1985م .

"لقد علمتنا الأحداث أن اللغة روح الأمة و حياتها، و أنها تمثل أهم عناصرها، و أقوى مقوماتها و أنها عامل أساسي لازدهار ثقافتها و حضارتها عبر مسارها التاريخي ، فحياة الأمم تقوم بلغاتها... إما الموت بالنسبة لها فليس إلا الحرمان من اللغة الخاصة بها"⁵¹.

ومن الممكن تصنيف العوامل إلى خارجية وداخلية ، حسب اللغة المؤثرة والمتأثرة كاللغة العربية مثلا في هذا العصر .

أ-العوامل الخارجية :

"العوامل الخارجية تكون أحيانا شبه مفروضة على اللغة المتأثرة كعامل القوة وما يتعلق به من قوة دينية وعسكرية واقتصادية وسياسية ، وهذه العوامل واضحة قد قيل فيها ما يكفي فما أراني إلا أقول مكرورا."⁵²

ولكن هناك عاملا ظهر بصورة بارزة في هذا العصر الحديث ، وهو (القوة العلمية) التي تمتلكها بعض الدول الأجنبية الغربية والشرقية، فأصبحت مصدرّة للغتها عن طريق تقدمها العلمي .

وهذا العامل له أثره الواضح في التأثير في اللغة العربية من عدة جوانب ؛ خاصة مشكل استعمال المصطلح الذي تداول استعماله باللغة الأجنبية أي اللغة الانجليزية ، فتسربت الأسماء والمصطلحات إلى اللغة العربية ، وأصبح المصطلح الأجنبي من كثرة استعماله لدى متكلمي العربية أيسر من المصطلح العربي الذي يعاني من بطء و عجز في نشره بين المجتمعات العربية حتى إذا سارت الركبان بالأجنبي جاء المصطلح العربي المقابل له متأخرا ، فلا يجد من يتبناه إلا القلة التي لا تمتلك عناصر التأثير في المجتمع ، وإنما تستخدمه في نطاق ضيق ، بل يضطر أحيانا إلى استخدام العربي ويجاوره الأجنبي بين قوسين ؛ لأن المخاطب قد يجد صعوبة في معرفته بالعربي .

⁵¹ ابو خلدون ساطع الحصري، آراء و احاديث في الوطنية و القومية، دار العلم للملايين، بيروت، 1957، ص107

⁵² . عبدالصبور شاهين . في علم اللغة العام . بيروت : مؤسسة الرسالة . ط 41404/هـ 1984م . ص 190 - 207

كما كان للتقدم العلمي أثره في فرض لغته ؛ حيث إن كل ما يتعلق بالمنتج من أجزاء ومكونات وطرق استخدام بلغة صاحبه ، مما أعطى أهمية لدى المستفيد لتعلم تلك اللغة ، وبالذات مع تأخر الترجمة والتعريب ، من هنا كثرت معاهد تعليم اللغات الأجنبية .

ونتيجة عمّا سبق تلك النظرة الدونية للعربية من عجز و قصور من قبل متكلميها والتقليل من شأنها ، وأنها لم تستطع أن تواكب وترقى إلى مصافّ تلك اللغات التي حوت علومًا علمية كثيرة ؛ مما يحدو بكثيرين إلى الافتخار باستخدام الكلمات الأجنبية ضمن حديثهم اليومي ، وليس ذلك ضمن لغة علمية متخصصة ، وإنما ضمن لغة سوقية عامية شعبية . "فأمين الخولي عندما يحاول أن يشخص علة هذه الأزمة فإنه يتطرق إلى مسألة التحفظ و التخوف من لمس الجوانب الحساسة التي تتداخل فيها اللغة العربية مع القضايا الاجتماعية و الدينية و السياسية و القومية، إضافة إلى ضعف المنهجية المعرفية في التنظير للغة في عصر التداخل الفلسفي و العلمي و التربوي و الإعلامي و التكنولوجي"⁵³ ، مع وجود صراعات في التوجهات الفكرية للمهتمين بأمور اللغة إضافة إلى الحملات التي تتعرض لها العربية من الداخل و الخارج و مكانتها عند الجماهير ، بدءًا من ضعف مناهج التدريس و عجزها في منهجية تعليم اللغة العربية و تنامي سيطرة اللغات الأجنبية و ترويج فكرة أهمية اللغة الأجنبية على حساب اللغة العربية خاصة في السنوات الأولى من التعليم و تمكين العلوم في الجامعات. فالقوى الفاعلة في المجتمع تسعى إلى تحقيق المصالح المادية ذات الصلة الاجتماعية بالعمولة المركزية ذات التأثير الإعلامي القائم علي حدث ما أنتجته القوة العلمية و الصناعية والتقنية من مبتكرات جديدة كالانترنت و غيرها من الوسائل العلمية الأخرى.

وينبغي ألا نقصر القوة العلمية على الجانبين الصناعي والتقني ؛ إذ يشمل الجانب العلمي التأليفي، كالتقدم في مناهج البحث والنظريات الحديثة في مختلف العلوم التي كان لها الأثر في العقلية العربية .

وهذا لا يعني الوقوف أمام اللغات الأجنبية موقف المعارض والمتحدي ، ولكن لا بد من التعامل معها بتوازن و الاستفادة منها ، بحيث تكون الإفادة أمرًا يتيح التطور والتطوير ، وذلك عن طريق

⁵³ نبيل علي ،الثقافة العربية و عصر المعلومات ،رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي ،عالم المعرفة ، عدد 256، الكويت، 2001، ص230.

وجود مراكز وهيئات وأشخاص لهم اهتمام بالتعامل مع اللغة الأجنبية من مترجمين و لسانين ؛ بهدف نقل علومهم ومعارفهم وجوانب تطورهم التي يمكن أن نتبناها و نسخرها من اجل النهوض بعلومنا و معارفنا خاصة في الميدان التكنولوجي.

لقد برز تيار العولمة الجارف بجميع أجنحته المختلفة (السياسية ، والاقتصادية ، والثقافية ...) الذي ساعد على سرعة فرض الاحتكاك بشتى صورته من خلال وسائله المتعددة القائمة على التقنية الحديثة ، لذا يعدّ من العوامل التي تشكل خطورة كبيرة في قضية التأثير والتأثير بين شعوب هذا العصر ؛ لأنه يحمل في طياته العوامل الخارجية التي تختصر المسافات الزمانية والمكانية في وقت أصبح فيه العالم قرية صغيرة. ومن المعلوم أن اللغة في الغالب هي بوابة ذلك ؛ مما ينذر بخطر كبير على الأمة العربية وخصوصيتها الثقافية و الإسلامية في ظل الهيمنة الأجنبية ؛ وهذا يوجب التفكير الجادّ في السعي إلى إيجاد الحلول التي تحافظ على اللغة العربية وهوية أبنائها ، ووضع إستراتيجيات للتعامل مع اللغة الأجنبية ؛ لأن الأمر لا يقف عند حدّ تعلّمها أو التعليم بها ، وإنما يتجاوزها إلى المحتوى الثقافي والاجتماعي الذي تحمله تلك اللغة الأجنبية في طياتها وجنباؤها من ثقافات رافدة وعادات و تقاليد الشعوب المهيمنة. يقول عبد الكريم غلاب "كان المنظرون الاستعماريون يؤكّدون أن الإسلام و اللغة العربية هما ركيزتا هذه الشخصية ، فقد حاولوا أن يهدموا الركيزة الأولى عن طريق ما يسمى بالركيزة البربرية ، كما حاولوا أن يهدموا الركيزة الثانية بإحلال اللغة الأجنبية محل اللغة العربية للقضاء على الذاتية"⁵⁴.

ب- العوامل الداخلية :

أما عن العوامل الداخلية للصراع اللغوي فإنها تتمثل الحدث و الأثر الأكبر، لأنها أشد تأثيرا فيه من عدة جوانب "الاحتكاك اللغوي و عوامل الصراع اللغوي"⁵⁵ ، وتتمثل فيما يأتي :

2-التعليم (تعليم اللغة الأجنبية - التعليم باللغات الأجنبية):

إن هذا العامل يمكن تناوله من جانبين :

⁵⁴ عبد الكريم غلاب، التعريب و دوره في تدعيم حركات التحرر في المغرب العربي ، في التعريب و دوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية، بيروت ، 1982، ص154.

⁵⁵ علي عبد الواحد واني، اللغة والمجتمع ، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، 1951، ص 83 .

أ- تعليم اللغة الأجنبية :

إن الحاجة في هذا العصر تستدعي وتتطلب تعليم بعض اللغات الأجنبية ؛ لتحقيق بعض الأغراض والأهداف التي لا يمكن تأتيها إلا من خلال الأجنبية ، ولكن أمر تعليمها يحتاج إلى تقنين زماني وكيفي وكمي ؛ بحيث لا تكون سببا في التأثير في اللغة العربية ، فيصبح تعلمها عاملا من عوامل الصراع اللغوي الداخلي .

وباللقاء نظرة سريعة في واقعنا العربي سنجد أن تعلم اللغة الأجنبية أحدث صراعا واضحا مع اللغة العربية ؛ كتعليمها مثلا في المرحلة الابتدائية الذي كان على حساب مقررات اللغة العربية ؛ مما أحدث عزوفا لدى أفراد الجيل عن اللغة العربية ، بل واتخاذ مواقف سلبية تجاهها ، تمثل في تضخيم حاجز الصعوبة فيها الذي بدوره أحدث عاملا نفسيا كان وراء ضعفهم في العربية . فبمجرد إلقاء نظرة في نتائجهم، أو الاحتكاك بهم نلمس بأن اللغة العربية من أكثر المقررات صعوبة، حتى أصبح إتقان مهاراتها عائقا أمام نجاحهم؛ مما جعل كثيرين يتمنون فقط النجاح فيها، ناهيك عن التطلع إلى الحصول على أعلى الدرجات .

فاللغة العربية كانت رائدة و سباقة في العلم و التعليم لعدة قرون ، و ظلت لغة الإبداع في مجالات المعرفة لزمان طويل و لازالت قادرة على الكثير،"فالتراث العلمي العربي يمدنا في الوقت الحاضر بثروة لغوية كبيرة، يمكن أن تكون مادة خصبة من اجل المصطلحات العلمية و التقنية الحديثة في إطار خصائص اللغة العربية"⁵⁶.

من هنا نستطيع القول بأن إقرار الأجنبية في المرحلة الابتدائية سيؤصل مبدأ الصراع الذي يخشاه جميع الغيورين ، الأمر الذي يتطلب معه إعادة النظر في هذه القضية . وقد بحث "الشمري" الذي ذكر أن هناك اتجاهين بالنسبة لتدريس اللغة الإنجليزية في المملكة، الأول يرى تدريسها في جميع المراحل بما فيها المرحلة الابتدائية، و الثاني يرى إلغاءها من كل مراحل التعليم العام و قصرها على كليات اللغات في الجامعات، و يدعو لتعريب العلوم و إنشاء مؤسسة وطنية تهتم بترجمة العلوم من كل اللغات إلى العربية، و لتحديد الأنسب منهما فقد اقترح الباحث

⁵⁶ شحادة الخوري، دراسات في الترجمة و المصطلح و التعريب، دار طلاس، دمشق، 1993، ص83-84.

ثلاثة أسئلة تعين في ذلك، وهي لمن و متى و كيف ندرسها"⁵⁷ . وينبغي أن نقف عند المخرج الذي تحصلنا عليه من تعليم اللغة الإنجليزية مثلا في بعض البلدان العربية التي تُعلّم فيها اللغة الإنجليزية في المراحل التعليمية المختلفة ؛ حتى نضع أيدينا على الخلل الذي نعاني منه ؛ لنجد أنه على الرغم من مزاحمتها للعربية إلا أننا لم نخرج بنتيجة مرتضاه من تعلمها سوى أنها أصبحت أحد عوامل الصراع اللغوي ، وهذه هي المشكلة الأساس التي ينبغي أن نجد لها حلا عاجلا ، يتمثل في تقليل سنوات تدريسها لتكون في المرحلة الإعدادية وما بعدها. وعلى معدي المقررات في بعض البلدان العربية إعادة النظر في طريقة تعليمها فتستبدل الطرق الحديثة الناجعة. ومما يؤكد هذا أن المعاهد والمراكز الخاصة التي تعلم فيها بعض اللغات الأجنبية وفق الأساليب والطرائق الحديثة تحقق تقدّما في تعليمها في وقت قياسي ؛ لأنها تعنى بالجانب الكيفي للغة.

ب_ التعليم باللغات الأجنبية :

في ظل ذوبان الفروق والمسافات المكانية والزمنية التي أسهمت فيها جوانب الاتصالات الحديثة أصبحت الإفادة من الأمم والشعوب الأخرى سائجة وبصورة يسيرة ، ولا شك في أن الحياة الحديثة المتطورة التي كان من جوانبها التطور العلمي والتقني الذي وصل إليه الغرب في ميادين شتى ؛ أدت إلى إفادة الأمم قاطبة والعربية خاصة من علومها ؛ مما تتطلب نقلها إلى المؤسسات التعليمية ، وأصبحت جزءا من مقررات العلوم في المؤسسات التعليمية . من هنا برزت إشكالية جديدة تتمثل في السؤال الآتي : هل يتم تعليم العلوم باللغة الأجنبية أم باللغة العربية عن طريق الترجمة والتعريب ؟ و هل العلوم فعلا لا يمكن أن تعلّم إلا عن طريق لغتها الأصلية ؟ إن مشاهدات الواقع الملموس ونتائج التجارب والدراسات السابقة قد حسمت هذه القضية. فمن الواقع ما نشاهده في بعض " دول العالم التي تدرس الطب بلغتها : اليابان ، والصين وروسيا ، وكوبا ، وألمانيا ، وفرنسا ، وفي العالم العربي : هناك سوريا ، وحدثنا السودان ، والجزائر ، وكلها تجارب ناجحة جدّا ؛ فهل الطب الألماني أو الصيني متخلف عن الطب الإنجليزي ؟ وهل الطب العربي السوري الذي يدرس باللغة العربية متخلف عن الطب العربي المصري أو الليبي الذي

الشمري، عيد بن عبد الله.. تدريس اللغة الإنجليزية في المملكة العربية السعودية: لمن و متى وكيف تدرس الإنجليزية؟ مجلة جامعة

يستخدم اللغة الإنجليزية في التدريس ؟ نحن لا نعتقد ذلك أبداً⁵⁸ . وهل الطب العربي السوري الذي يدرس باللغة العربية متخلف عن الطب العربي المصري أو الليبي الذي يستخدم اللغة الإنجليزية في التدريس ؟ نحن لا نعتقد ذلك أبداً⁵⁹ .

إن تجربة سوريا في تعليم الطب بالعربية ، وما حققته من نجاحات متتالية ؛ أثبتت قدرة العربية على مسايرة التقدم الحديث في المجال الطبي ، وإمكانية ذلك . وهذه الإشادة لا تنسينا دور مصر الريادي في هذا المجال ؛ إذ لها فضل السبق في افتتاح أول مدرسة للطب الحديث التي أسسها محمد علي ، وبدأ التدريس فيها عام 1827م باللغة العربية .

وكذلك دراسة د. زهير سباعي التي أجراها عن سرعة القراءة ومدى الاستيعاب على عينة من (124) طالب طب ، وطبيب امتياز ، وطبيب مقيم في كلية الطب بجامعة الملك فيصل ، وكان من نتائجها استطاعة كل من طالب الطب والطبيب " قراءة النص الطبي باللغة العربية بسرعة تفوق سرعته في قراءة النص باللغة الإنجليزية بحوالي (43%) ، كما أن قدرته على استيعاب النص باللغة العربية أفضل (15%) من استيعابه للنص باللغة الإنجليزية⁶⁰ .

وأشار إلى أن هناك دراستين أجريتا في الجامعة الأمريكية ببيروت والجامعة الأردنية بين مجموعتين من الطلاب درستتا مقرراً طبيّاً ؛ واحدة درسته باللغة العربية ، والأخرى بالإنجليزية ، اتضح أن المجموعة الأولى أفضل في درجة الاستيعاب من الثانية.

كما أن هناك دراسة حديثة تمّ فيها تحليل محتوى مادة القراءة الطبية باللغة الإنجليزية لطلاب السنة الأولى في الفصل الأول في كلية الطب البشري بجامعة الملك سعود ، اتضح أن الطلاب غير قادرين تماماً على البحث عن المعلومات والمعارف بهذه اللغة وبهذا القدر من التعليم اللغوي ، واقترح الباحثان حلّين : الأول : تكثيف دورة اللغة الإنجليزية وتمديد مدتها إلى سنة أو سنة ونصف ، والآخر : " تعريب التعليم الطبي وتدرّسه باللغة العربية ، وتعلم اللغة الإنجليزية بوصفها

¹ زيدان علي جاسم و جاسم علس جاسم . دراسة تحليلية لمحتوى مادة القراءة الطبية في كلية الطب ندوة بناء المناهج ، الأسس والمنطلقات د- ط . ج 2 . الرياض . 1425 هـ . ص 1330 .

⁵⁹ المرجع السابق، ص 1330

⁶⁰ زهير أحمد السباعي . تجرّتي في تعليم الطب باللغة العربية. الدمام : نادي المنطقة الشرقية الأدبي . ط 2 ، 1414 هـ / 1994 م . ص 84 .

مادة مستقلة ؛ ليتمكن طالب الطب والعلم من متابعة معارفه ، ويرى الباحثان بأن هذا هو الحلّ الأمثل والأنسب .⁶¹

وكذلك يقال عن إمكانية تعليم العلوم باللغة الأم في المجالات العلمية الأخرى ؛ كالتقدم في المجال التقني الذي تشهده الصين وكوريا وماليزيا وغيرها ؛ فهل رأيناها استغنت عن لغتها ، وانكبت على اللغة الأجنبية وجعلتها لغة تعليم ؟ بالطبع لا ، إذا فالعربية عندما نطلب أن ننحو نحوها فهي ليست بدعا في هذا ، فالأمم الأخرى تعلم العلوم بلغتها الأصلية ، ولم يعقها ذلك عن التقدم العلمي ، فهذه الولايات المتحدة الأمريكية نراها عندما أطلقت روسيا أول صاروخ فضائي عام 1957م ، لم تحول التعليم فيها باللغة الروسية ، وإنما شعرت بأهمية إعادة النظر في نظريات تعليم اللغات الأجنبية ؛ لكي لا تجد نفسها معزولة عن التقدم العلمي الذي يجري في الدول الأخرى⁶² وتمّ لها ما أرادت والواقع خير شاهد على ذلك .

والذي ينبغي ألا ننكره أن إصرارنا على التعليم بالأجنبية هو في المقابل اعتراف ضمني بعجز العربية عن مسايرة ذلك ، وعجزها عن تلبية احتياجات العلوم ، وهذا غير صحيح ؛ لأن العربية - كغيرها من اللغات - قادرة على ذلك ، كما أثبتت الدراسات والواقع ذلك .

وبرز الصراع الذي أحدثه هذا العامل لدى كثير من المتخصصين الذين يكتبون ويتعلمون بالأجنبية ، بالإضافة إلى حواراتهم الخاصة التي لا تخلو من غلبة الأجنبية ، ولاشك في أننا نعترف بصنعنا لهذا العامل وتعميقه ، بحيث لا نجد - في كثير من الأحيان - من يدافع عن العربية عندما تتهم بالصعوبة والتخلف ، بل ربما تبني بعضهم هذا .

وإذا كان لما سبق خطورته على الرغم من أنه محصور في تعليم العلوم في المراحل الجامعية ؛ فإن تعليم العلوم باللغات الأجنبية في مراحل التعليم العام ولاسيما المراحل الأولية يعدّ أشد خطورة على اللغة العربية وهوية أهلها ؛ لأن المتعلم في السن المبكرة لم يتمكن بعد من لغته الأصلية ،

⁶¹ زهير أحمد السباعي، تجرّتي في تعليم الطب باللغة العربية . ص 85.

⁶² جاك رتشاردز و ثيودور روجرز . مذاهب وطرائق في تعليم اللغات ترجمة : محمود إسماعيل صيني وآخرين . د ط . الرياض ، 1990 . ص 91 .

واستخدام أنظمتها المختلفة (الصوتية ، الصرفية ، النحوية ، الدلالية) ؛ وبالتالي فإن تقدم أي لغة أجنبية سيسهم في عدم إتقان لغته الأم فضلاً عما يترتب عليها من عدم اعتزازه بلغته واستهجان ثقافتها .

3- سوق العمل :

إن النهضة الاقتصادية العالمية الحديثة، وبروز عوامل الاحتكاك بين الشعوب بشكل سريع وواضح ، بفضل تقنية الاتصالات الحديثة؛ كان لها الأثر في تغذية عامل الصراع عامة واللغوي خاصة. فنظرة في واقع الشركات والمؤسسات في العالم العربي نجد أن عليها إقبالا منقطع النظير لأن سوق العمل أحد شرايين الحياة الذي لا غنى عنه.

ففي عصر تقنية المعلومات و التكنولوجيا غدت العلاقة بين اللغة و الاقتصاد أساسية و قوية و أصبحت اللغة من وسائل القوة الاقتصادية حتى قيل إن من يستطيع تسويق لغته يستطيع أن يسوق منتجاته في عصر اقتصاد المعرفة، فالمعاملات الاقتصادية و التجارية أدت إلى ظهور الكثير من المصطلحات التي تساهم في زيادة الثروة اللغوية مثل مصطلحات التجارة الإلكترونية . و يصف الدكتور جرجي زيدان اللغة العربية بأنها بنت سوق حيث نشأت و ترعرعت بين أحضان التجارة، توصف لغتنا بالتعريف الدارج بأنها " بنت سوق"، حيث نشأت و ترعرعت بين أحضان التجارة ، و هي الحرفة الرئيسية بعد الرعي و كان لها اثر بالغ في مضاعفة أغراض اللغة العربية، و تنمية ثروتها اللفظية و الدلالية من خلال التعاملات التجارية التي كانت سواء تجري بين القبائل في أرجاء الجزيرة العربية ، أو عن طريق احتكاكهم بالشعوب المجاورة لهم في رحلات قوافلهم التجارية ، و مما يدل على توسع العرب في المسائل الاقتصادية، كثرة ألفاظ اللغة العربية الدالة على المال."⁶³ . وإذا أردنا أن نشخص واقع سوق العمل ونرسم عنه صورة حقيقية عن مدى علاقته بالصراع اللغوي من خلال تلك الشروط مثلا التي يفرضها الواقع بوصفها أساسا للالتحاق بمجالات العمل ن أبرزها كما يظهر في الإعلانات الإعلامية شرط إجادة اللغة الإنجليزية أو إحدى

⁶³ جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية،مراجعة الدكتور شوقي ضيف،دار الهلال ،بيروت،ج1 ،ص31.

اللغات الأجنبية ؛ مما وضع الراغبين في الالتحاق بالعمل يدعمون حركة تعليم اللغة حتى يتسنى لهم الحصول على وظيفة . وترتب عن ذلك أثر نفسي في نظرهم للعربية التي لم تخدمهم على حدّ تعبيرهم. وهذه تعدّ ظاهرة في فروع سوق العمل، مثل: (المجال الصحي،

التجاري، الاقتصادي، الفني...) . فإذا كانت الأزمة التي تعيشها اللغة العربية ناتجة أولاً عن اللغة العربية فالعنصر الثاني المسؤول أيضاً عن أزمة اللغة العربية بالمغرب الكبير هي اللغة الفرنسية⁶⁴. فكما يرى هذا الباحث فإن نقائصها وضعف حيلة أهلها العاجزين قوم لا يبتكرون، وهذا ضمن معطيات التخلف والاستعمار، فما كان يجب على الرسميين أن يقبلوا القهر الثقافي الذي تمارسه عليها اللغة الأجنبية. ومن واجبات مسؤوليها أن يعيدوا النظر في سياسة التعريب الفاشلة والتي عفا عليها الزمان فلا بد من طرح جديد يستجيب للتطورات الحديثة.

ومن جانب آخر نحن الذين فرضنا الصراع على أنفسنا؛ كما في لافتات المحلات التجارية التي تكتب بالأجنبية إضافة إلى العربية، وهذا مظهر من مظاهر عدم الاعتزاز . ومن الأشياء العجيبة أنك عندما تذهب إلى قرية نائية بعيدة عن الأنظار وترفع رأسك إلى لافتة فوق محل صغير تجد بالإضافة إلى العربية الخاطئة الأجنبية الصحيحة .

وكذلك نظرة في المجال الصحي نجد أن وصفات العلاج لا تكتب إلا بالأجنبية (الإنجليزية) على الرغم من أن هناك قراراً رسمياً في بعض البلدان العربية مثل السعودية ؛ يؤكد على استخدام العربية رسمياً . وقل ذلك في (الفنادق) واستعلامات الجهات الخاصة والعامة التي لا تردّد في استخدام العربية والأجنبية .

فإذا كانت اللغة في نفوسنا محطّمة ؛ فإن الأجنبي ليس بحاجة إلى أن يقرأ بالعربية ، أو يبحث عن مترجم ، كما تصنع بعض دول العالم التي تعزّز بلغتها في حياتها اليومية حتى في تعاملها التجاري ؛ مما يجعل الأجنبي عنها يفكر على الفور بمترجم وسيط بينهما ، ويا ليتنا نعيد النظر في

⁶⁴ - إدريس الشغرونشي، الآثار الناجمة عن ازدواجية في تكوين الملكة اللغوية العربية في المراحل الأولى من التعليم، مجلة استعمال اللغة العربية في المغرب، الرباط، 1993، ص 108-109.

نشر الأجنبية في كل مكان ؛ بحيث نجعل الأجنبي يضطر إلى البحث عن طرق للتعامل مع العربية ، لا أن تهيأ السبل الكفيلة لأن يتعامل بلغته في أي قطر عربي .

إننا عندما نتكلم عن هذا لا يفهم أننا لا نعترف بجدوى الأجنبية ، ولكن ينبغي أن نعي واقعنا وأهمية لغتنا ، وأن نبحت عن حلول تفيدي في عملية التقدم ؛ مع الإفادة من علوم الآخرين ، وهذا يتطلب أن يكون هناك تنظيم قوي يعنى بحفظ مكانة العربية ، ويؤدي إلى الإفادة من الآخرين .

4- الإعلام :

إن أهمية وسائل الإعلام ترجع في المقام الأول إلى مخاطبة الجماهير، ولها من هذا الجانب دورها الحاسم في الاستخدام اللغوي. وهو دور قامت به على مدى القرون وتقوم حاليا به مؤسسات مجتمعية متعددة، منها المؤسسات الدينية والمؤسسات التعليمية والإدارة الحكومية . إنه مطلب ولا غنى بمفهومه الواسع لأي مجتمع عنه. فوسائل الإعلام مؤثر مباشر على لغات الناس وطريقة استعمالهم للغة، وأن تطوير الإذاعة والصحافة لغويا من أسباب النهوض باللغة. فالإعلام سلاح ذو حدين، فالإعلام الغربي علي سبيل المثال أصبح يدعو إلى العولمة الثقافية و اللغوية، التي تستند إلى اللغة الانجليزية و تسعى إلى بعث الإحساس بالهزيمة لدى مستخدمي اللغة العربية . "و يعتبر الاعلام وسيلة أخرى لنشر هذا النوع من العولمة بعدما عجز الاعلام العربي عن تحقيق التواصل الحي التفاعلي ، و الذي يعد شرطا في اكتساب المهارات اللغوية."⁶⁵ حسب تعبير الدكتور " نبيل علي "، و يكفينا في هذا الصدد أثره الواقع في اللغة العربية وأهلها وما يحدثه من صراع لغوي .

لا ريب في أن بعض الدول العربية التي تبث قنوات بلغات أجنبية ارتكبت خطأ يحتاج إلى إعادة النظر لتصحيح برامجها؛ لأنها أسهمت في إحداث الصراع اللغوي من خلال العمل على نشر اللغة الأجنبية ورفع مكانتها وإعلاء شأنها ، بالإضافة إلى التأثير في الهوية العربية اجتماعيا وثقافيا .

⁶⁵ نبيل علي ،الثقافة العربية و عصر المعلومات ،عالم المعرفة،ص271.

ولكن ما يهّمنا هو الإشارة إلى الأثر غير المباشر الذي أحدثته الإعلام العربي بصوره المختلفة ، المتمثل في أنه تبنى وأشاع لغات ولهجات عامية شعبية ، احتلت مكان الصدارة فيه ، ترتّب عنها إقصاء العربية في نفوس النشء والجيل عموماً ، من خلال العامل النفسي والموقف السلبي الذي ضرب بأطنابه ، وسكن في صدورهم تجاه اللغة العربية المحترقة.

ولذلك نجد ما يسمى بالأدب الشعبي أو اللهجات العامية تحتل مكان الصدارة و الانتشار فهو في طياته يحمل رسالة ضد العربية الفصحى ، بل إن تلك الكتب التي تحدث صراعاً بين الجيل والتراث يكون لها صدى واسع في الصفحات الإعلامية ، وتحتل مكانة مرموقة فيه وتبناها دور النشر ؛ لأنها تفكر في الشهرة الخاصة على حساب واقع الأمة ، ولو حطمت آمال الاعتزاز بعربيتها ولغتها الأم .

و يكثر هذا النوع من اللغة في المجالات الشعبية الكثيرة التي انتشرت ووجدت قابلية في مقابل تلك المجالات القليلة التي تكتب بلغة عربية سليمة ؛ مما يدل على انحطاط الذوق الفني لدى كثير من القراء ؛ لأن الفصحى لو عرفنا قدرها حق المعرفة لما ترددنا في نشرها وتعقبها ؛ لأنها من أغنى اللغات العالمية بالذوق ؛ لتمييزها بخصائص تكسبها ذلك قد لا توجد كلها في بعض اللغات الأجنبية . "لقد كان من نتائج الواقع اللغوي العربي الذي رصدناه سابقاً ان اهتزت الشخصية العربية اهتزازاً عنيفاً ، و أصابها الكثير من التشرذم ، فأصبحت اللغة العربية الآن تشكو من الاضطراب و الضعف و فقدان التماسك ، و تصرخ من تفكك أوصالها ، و تفرق عناصرها تفرق أهلها في الفكر و أنماط السلوك الاجتماعي . إنها ذات أنماط و أخلاط و أشتات من الكلام المتباينة طبائعه المتنافرة خواصه ، بحيث فقدت وحدتها و اهتزت بنيتها الأساسية."⁶⁶

5- آثار التعليم باللغات الأجنبية :

من جملة آثار التعليم باللغات الأجنبية:

أ- الصراع اللغوي :

⁶⁶ كمال بشر ، اللغة العربية بين الوهم و سوء الفهم ، ص32.

يعدّ هذا الأثر من أبرز آثار التعليم باللغات الأجنبية ، وقد يكون هو الأساس الذي تنتج عنه الآثار الأخرى ، فمن خلال الصراع اللغوي تتسرب الآثار الأخرى إلى المتكلمين بالعربية ، فإذا حدث الصراع كان مطيّة لتمثّل اللغة الأجنبية وإقصاء العربية عن واقع الحياة الحيوي .

واللغة شيء معقد و مركب إلى حد بعيد ، ذلك أن أي تغيير لغوي قد يطرأ داخل النسيج الاجتماعي من شأنه أن يترك أثارا جلية في لغته ، حيث تتميز بخاصية المرونة و القدرة على الاستجابة لكل ما يحدث في المجتمع من تغيرات أو تداخل لغوي من شأنه أن يعزز الفرضية التي تؤمن بحتمية هذا التداخل ، الذي هو خاصية من خواص التواصل : " إن الاعتقاد بوجود مجموعات لغوية ذات حدود واضحة يتكلم المجتمع في داخلها اللغة نفسها و بالكيفية عينها ليس مجرد اعتقاد ساذج لدى غير المختصين ، فالمختصون أنفسهم حددوا اللغة قبل كل شيء بوصفها أداة اتصال متكيفة مع حاجات أولئك الذين يستعملونها"⁶⁷.

إن التعليم باللغات الأجنبية يحدث صراعا لغويا واضحا ، وذلك من خلال الآثار النفسية والعلمية المترتبة عنه ؛ فعلى صعيد الأثر النفسي يتوغل في نفوس المتعلمين لأحد التخصصات العلمية عجز اللغة العربية عن مجازاة التطور العلمي والتقني الذي تشهده الساحة المعاصرة ، وبالتالي يبدؤون في انتقاص العربية ، فتبدأ صلتهم بالتراث العربي في الانفصال شيئا فشيئا حتى تصل إلى حدّ الانقطاع، وهذا ما يلمس لدى كثير من النشء ؛ علما بأن العربية أثبتت قدرتها على مسابرة التطور في العصور المتقدمة والمتأخرة .

وأما على صعيد الأثر العلمي فإن الاستمرار في هذا المسار يزيد من التبعية لأصحاب التقدم ، ونستمر نأكل كلّ ما يلفظ ، حتى نصبح على هامش الطريق ؛ حيث نبقي في مؤخرة الركب في جانب التطور ؛ إذ نكون متلقين لا مصدرين ، ننتظر ما يصلون إليه ثم نقنفي أثرهم ، فلا نسمح لعقولنا وأفكارنا في أن تنطلق لتسبح في العالم وفضائه مفكرة ومخترة ومبدعة . وهذا واقعنا يشهد على هذا ، بينما هناك دول وأمم لم ترتّم في أحضان اللغات الأخرى ، وأصبحت في مصافّ الدول المتقدمة (ماليزيا ، الصين ، كوريا) ؛ لأنها نظمت علاقتها وتعاملها في الإفادة مما توصل إليه الآخرون ؛ حيث تلقفوا التقدم العلمي عن طريق لغتهم الأصلية من خلال الترجمة ، فبدأت عقولهم

⁶⁷ Juliette Gardmi ، la sociolinguistique. P.U.F ،Paris،1981،p21.

تمارس التفكير العلمي حتى نهضت في مجالات كثيرة ، وهذا ما أكدته التجربة السورية في تعليم الطب، وكذا تجربة السباعي المذكورة آنفاً وغيرهما ؛ من أن اللغة العربية حين تستخدم في المجال العلمي لا تعدّ عائقاً أمام التقدم وإنما تساعد على الارتقاء في الجانب العلمي .

ب- ضعف الاعتزاز:

عندما نتحدث عن موضوع ضعف الاعتزاز بالعربية لا بد أن نشير ولو بصورة سريعة إلى أن هذا العامل له أثر كبير في جانب الاستعداد النفسي تجاه العربية ؛ لأنه كلما قوي هذا الاعتزاز كان مؤثراً في فاعلية الاستعداد نحو العربية واستعمالها، والعكس صحيح .

إننا ندرك أن إضعاف الاعتزاز بلغتنا مرّ بخطوات عدة، خطّط له أعداء الأمة، وحمل لواءها بعض المتغربين ؛ كاتهام الإعراب بالصعوبة، وأنه يقف عقبة في تشويش التفكير، والحلّ اللجوء إلى التسكين. وكذلك محاولات تقعيد العاميات العربية ، وافتتاح أقسام للأدب الشعبي في بعض الجامعات العربية، وهذه وإن لقيت رواجاً في فترة زمنية معينة إلا أنها لم تلق قبولا مستمرا فماتت في مهدها. بالإضافة إلى الدعوة إلى كتابة العربية بالحروف اللاتينية. وأخيرا خطوة تعليم اللغة الإنجليزية في المرحلة الابتدائية، وأعتقد أن هذا سيكون له أثر سلبي في عقليّات المتعلمين؛ لأن الأمر على حساب ساعات ومقررات اللغة العربية.

" و من مظاهر اعتزاز الأمم بلغتها ، و الدفاع عن لغتهم الوطنية و الوقوف أمام كل دخيل من اجل التقليل منه أو نبذه و من أهم الأمثلة على هذا ما حدث في اللغة الألمانية في القرن العشرين حيث تم تطهير منظم لكلمات فرنسية دخيلة كان الزمان قد طال على قبول الألمانية لها"⁶⁸ .

يضاف إلى ما سبق ما يرتبط بموضوع تعليم العلوم باللغات الأجنبية ، وما يترتب عليه من آثار واضحة في ضعف الاعتزاز باللغة العربية ؛ لأن عدم التعليم بها رسالة تؤذي مفهوم عدم قدرتها على مواكبة العصر وتقدمه ، وهذا مما يعمق الانهزامية أمام اللغة الأجنبية ، ولذلك يشاع بأن اللغة العربية غير جديدة بحمل العلوم الحديثة ، وأنها عائق أمام تقدم الأمة العربية ، ولا سبيل

⁶⁸ محمود السعران، اللغة و المجتمع، راي و منهج، 1968، ص45.

إلى ذلك إلا بتعلم اللغة الأجنبية ، وغاب عن أذهانهم أن الأمم لا تتقدم إلا بلغتها ، والتاريخ القديم والحديث يشهدان على ذلك .

ولهذا عدت اللغة جزءا من الهوية الاجتماعية تملك القدرة على مقاومة كل أساليب الإقصاء أو الحد من الانتشار و التطور ، بل أنها خاصة مهمة تساعد على التعلم و زيادة الخبرة و المشاركة في خبرات الآخرين ، سواء الخبرات الماضية أو الحالية تتكامل مع وظيفتها الأساسية في أنها لسان المجتمع و سمة من سماته الوطنية ، إن وظيفة اللغة في العصر الحديث لم تعد جزءا من المنظومة الاتصالية ، كما شاع هذا التعبير إنما أصبحت رابطة لسانية و ذاكرة المجتمعات .

ويمكن التأكيد على أننا بحاجة ماسة إلى تعزيز مبدأ الاعتزاز بالعربية لدى المتخصصين في العلوم المختلفة ؛ حتى يحرصوا عليها ، ومن ثم يكونوا سفراء ووسطاء بين لغة تلك العلوم والعربية عن طريق نقل المعارف إلى الأمة العربية بوساطة الترجمة والتعريب ، وذلك من باب تنظيم العلاقة بين اللغتين .

يقول " كمال يوسف الحاج " اللغة القومية وحدها تسمو بالفكر إلى درجة العبقرية الخالدة فالذي يتنازل عنها يتنازل عن جوهره ، و التربية الصحيحة لا تزال عنها مطلقا ، و لا تتساهل في هذا المجال بل تسهر بحذر على أن تتبوأ اللغة القومية مركزا يليق بها ، هو الأول في سلسلة المركز فلا امة واعية بدون لغة قومية ، إن اللغة القومية هي لغة الأمة كلها⁶⁹ .

والخطوات السابقة ترمي إلى هدف واحد هو إبعاد الأمة عن دينها الذي لا يتم إلا عن طريق القرآن الكريم المنطوق والمكتوب باللغة العربية ؛ وبالتالي فإن القرآن يقرأ بالعربية ، وأحد أركان العربية (النحو العربي) ، وأسس النحو (الإعراب) ؛ لذا وجهت السهام إلى الإعراب حتى أصبح عقبة تعيق المتكلمين .

ج- تلاشي الهوية :

⁶⁹ كمال يوسف الحاج، فلسفة اللغة، دار النهار للنشر، بيروت، 1978، ص152.

تواجه الأمة الإسلامية والعربية خطورة في عصر العولمة تهدد جميع أركان الهوية (الدين ، اللغة الثقافة ، الجوانب الاجتماعية. وهذه الخطورة بعواملها المختلفة المتعددة قد تكون مفروضة لا خيار لنا فيها ، وبعضها قد تكون بأيدينا ، كما هو الحال في التعليم باللغة الأجنبية ؛ إذ هو أحد الأبواب التي تؤثر في الهوية ؛ فعن طريقه تتسرب إلى عقلية العربي الجوانب الثقافية والاجتماعية وغيرها الأجنبية ؛ من خلال العناية بمحتوى اللغة الأجنبية وبالذات في ظل الانهزامية و الشعور بالدونية التي يعيشها كثير من أفراد الأمة ؛ بسبب عوامل كثيرة ، منها : النظرة العالية إلى الثقافة الأجنبية في مقابل النظرة الدونية للعربية وتراثها بل وأهلها ، فتظهر بوادر التقمص بالشخصية الأجنبية (لغة وسلوكا ومظهرا) ؛ كتضمين كلامه كلمات من اللغة الأجنبية على سبيل التباهي ولفت الأنظار ، على الرغم من أن الموقف اللغوي يتطلب لغة عربية ، وربما كان المخاطب أحيانا يجهل أبجديات اللغة الأجنبية .

إن التأثير بالأجنبي في عصر العولمة ليس محصورا في التعليم باللغات الأجنبية ؛ بسبب تعدد قنوات الاطلاع على الثقافة الأجنبية ومجتمعه التي أثرت في الأفراد حتى وإن لم يكن يعرف اللغة ، فنجدته يسمع إلى الأغنيات الأجنبية وهو لا يعرفها ، ويتبع سلوكيات ومظاهر أجنبية من باب التقليد الناجم عن الاطلاع على وسائل الإعلام المختلفة ، وهذا لا يعني إغفال أثر تعليم العلوم باللغات الأجنبية في تلاشي الهوية ؛ إذ ينبغي إعداد هؤلاء إعدادا متوازنا في تعاملهم مع اللغات الأخرى إعدادا يتماشى و الهوية الوطنية و العربية ، وبالتالي سيكون لهم أثر في الأفراد الذين يعملون في مجال عملهم. لقد أضحت الفرنسية مستعملة ولها اثر في المجتمع، وتتسع بشكل دائم وخاصة في السنوات الأخيرة، مما جعل العربية وهي لغة الهوية والانتماء والتواصل على مستوى الفرد والجماعة تذبح قربانا أمامها وأمام الانفتاح والعولمة، وكذا حصل الأمازيغية أن ذبحت قربانا على هيكل القومية العربية المتطرفة، وهي اللغة الأصل للجزائر قاطبة، وأصبحت لغة جهوية "ووجد الطفل الجزائري نفسه نتيجة لهذه السياسة اللسانية اليعقوبية مقذوبا في متاهات البحث عن هوية أخرى"⁷⁰

د- هجرة العقول أو الأدمغة :

⁷⁰ -عبد السلام خلفي، اللغة الأم و سلطة المؤسسة، مبحث في الوطنية اللغوية و الثقافية في المغرب، المغرب، 2000 ص17.

تعد هجرة العقول العربية عامة من القضايا العصرية التي أحدثت قلقاً في الساحة الفكرية والثقافية والعلمية ؛ إذ نجد المبرزين يلجئون إلى الانتقال مهاجرين إلى الدول الأجنبية لاحتضانهم وفتح فرص الإبداع والإنتاج لهم . وهذا له انعكاس على الأمة العربية وتأخرها ؛ لأنها تخسر أفراداً قد يملكون جوانب التغيير ومسالك التطوير ، وهناك إحصاءات خطيرة في هذا المجال ، بل إن بعض مراكز البحوث وكذا الجامعات تولاهما أولئك المهاجرون وأصبحوا جزءاً من ذلك المجتمع الذي انتقلوا إليه .

وأما الهجرة المرتبطة بموضوع الدراسة (التعليم باللغات الأجنبية) فلا تقارن بالهجرة السابقة ولكن لها أثرها في المجالات العلمية ؛ فتعلمه باللغة الأجنبية يؤدي إلى انقطاعه عن عالمه العربي لأن الأجنبية سيطرت على لب فكره وروحه تحدثاً وكتابة وقراءة ، فأثرت في مستوى إتقانه لمهارات اللغة العربية ؛ فأصبح من خلالها من أصحاب الهجرة .

وينبغي أن نشير إلى أن التعلم باللغات الأجنبية لم يقف ولن يقف عند حدٍّ معيّن ؛ لأنه مطية للهجرة من عدة جوانب ، منها : أن الحديث بها سيستمر بين المتخصصين أنفسهم ، وبينهم وبين أصحاب التخصصات الأخرى في كلامهم العادي ، وكذا الكتابة بها في الدراسات العلمية ، وكتابة المذكرات اليومية ، بالإضافة إلى المشاركة بها في الندوات العلمية و الفكرية، والمؤتمرات ، والاجتماعات .

وما سبق أدى أن تنشر إبداعات العقلية العربية في دول أجنبية ، بل نجد منهم من يفتخر بأن أحد أبحاثه تبنته مجلة أجنبية ، وبالتالي تستفيد تلك الدول الأجنبية من الإبداع العربي ، ولكن لو كان على العكس من ذلك لأسهم في تغذية العقل العربي وتطوره ، يقول د. زغلول النجار إن " المتخصصين الذين ينهمكون في التدريس والبحث والتأليف والنشر بلغات أجنبية يعزلون تدريجياً عن مجتمعاتهم حتى يصبحوا غرباء بين أهليهم وعشائريهم - على غير قصد أو تخطيط منهم - مما يؤدي إلى تفكيك روابط المجتمعات الإنسانية وحجبها عن أصحاب الفكر والرأي حتى يتمّ تحللها " .¹

¹ تجربتي في تعليم الطب باللغة العربية . مرجع سابق ص 14-15.

أضف إلى ذلك أن هذا الأمر ؛ أي : " تعلم كل تخصص باللغة الأجنبية يحدث انفصالا بين العلوم المختلفة ؛ لأن لكل تخصص لغته ومصطلحاته الخاصة ، ولا شك في أن المزج بين العلوم بلغة مشتركة بين المتخصصين على اختلاف تخصصاتهم يؤدي إلى التقدم والتطور"² ؛ ولذا نقول بأن العربية تدعو إلى اللقاء المعرفي والفكري ، والأجنبية تدعو إلى الهجرة والانعزال .

6- الواقع اللغوي في الجزائر:

إن الخريطة التعبيرية توضح لنا بأن درجة استعمال اللغات في الجزائر ليس متماثلا، فالدارجات الجزائرية تهيمن على السوق الشفوية وتحقق تواسلا بين المجموعات اللغوية المختلفة فالعربية الفصيحة واللغة الفرنسية لا تستعملها إلا أقلية من المثقفين، والأمازيغية أمازيغيات، وهي شتات لها مناطقها النافذة وتأديتها المختلفة التي لا تتفاهم مع بعضها البعض ومن هذا التقسيم يمكن إجمال الوضع اللغوي الجزائري كما يلي:

1- اللغات ذات الانتشار الواسع: العاميات والدارجات العربية، وهي متنوعة ولكنها تتحكم إلى قاسم مشتركة.

2- اللغات المحلية: الأمازيغية بمختلف تأديتها ولهجاتها.

3- اللغات الكلاسيكية: العربية الفصيحة واللغة الفرنسية.

وهكذا فإن الطفل الجزائري يكون مزودا بنسق لغوي خليط: عربية دارجة أو أمازيغية، فإذا انتقل إلى الحضانة فإنه يواجه لغة فرنسية مخلوطة بعامية أو أمازيغية، ثم ينتقل إلى المدرسة ليجد لغة جديدة، وهي العربية الفصحى، وقد يوظف المعلم العامية في تلقين دروسه، وتراه يواجه الازدواجية Diglossie أو

² نفس المرجع، ص13-14.

الثلاثية، مما قد يشكل له عقدة في نموه اللغوي والمعرفي والفكري، وربما يخلق له اضطرابات نفسية، ومن هنا يرى بعض المربين بأنه يجب تلاقي إدخال نماذج لغوية في هذه السن، أي تلاقي تدريس لغات أخرى ليست من هذا المكتوب في المرحلة الأولى، فالتلميذ عندما يتعلم مثلا ثلاثة أشكال من صوت واحد مثل: ل/ / L / || يواجه صعوبة في التمييز بينها، خاصة عندما يتعلم مختلف التغيرات عليها، في أول الكلام وفي وسطه وفي آخره، وأنواع الخطوط التي تلحق كل حرف، فيحدث له خلط بينها. وهناك من يرى غير هذا، فأندرسون Anderson مثلا يرى أن تعلم لغة تعلم مهارة، فالإنسان له قدرة على تعلم مهارات مثل قيادة السيارة أو التزحلق أو لعب الدومينو أو مهارة الكتابة على الكبتار. والمهارات لا تتداخل فيما بينها لأن لكل واحدة منها برمجيتها. فالمتعلم للغة جديدة مثله مثل الذي يقود السيارة، فأول مرة يرتعش ويخاف، ثم تصبح عمليات القيادة آلية، وكذلك اللغة تصبح بعد مدة آلية و طيعة في لسان المتعلم.

ويمكن الاستعانة بهذا المخطط لمعرفة درجة استعمال هذه اللغات في مقامات متنوعة وحية:

| اللهجات المحلية | | | | | | اللغة | | | |
|-----------------|-----------|---------|-----------|---------|-----------|----------|----------|---------|----------------|
| الشلحية | التوارقية | الشنوية | الميزابية | الشاوية | القبائلية | الفرنسية | الدارجات | العربية | مجال الاستعمال |
| .. | .. | .. | .. | .. | | | | | العائلة |
| | .. | .. | .. | .. | | ... | | | الأصدقاء |
| | | | | | ... | | ... | | الدين |
| | . | . | . | . | . | | | | التعليم |
| | . | . | .. | .. | ... | | ... | | الوسائط |
| | | | . | . | . | ... | | | العمل |

| | | | | | | | | | |
|--|--|--|--|--|--|-----|--|------|---------|
| | | | | | | ... | | | الحكومة |
|--|--|--|--|--|--|-----|--|------|---------|

يبين لنا هذا المخطط السوسiolساني الافتراضي الوجه الاجتماعي للغات بالجزائر في درجة استعمالها، دون اعتماد مدونة ما، فنلاحظ الاستعمال الواسع للغة الفرنسية في اغلب المقامات، وتأتي الدارجات في الرتبة الثانية، والعربية الفصحى في الدرجة الثالثة. وأما المحليات كل واحدة منها أوضاعها، وضع متميز عن الأخرى، رغم أن مجالها محدود، وبعض المحليات تقريبا لا يذكر استعمالها مثل الشلحية التي توظف في بعض الأماكن القريبة من تلمسان، ولها امتداد في المملكة المغربية. ومن خلال هذا نجد وضعيتها توسم بازدواجية لغوية حيث الأمازيغية تستعمل في مقام لا تستعمل فيه اللغة العربية الفصحى، وكذا اللغة الفرنسية.

كما يمكن أن نلحق هذا بتشخيصات أخرى أظهرتها الدراسات اللغوية الأكاديمية، فتبين بأن الدارجات رغم كثرة استعمالها إلا أن ليس لها توجيه تأثيري في الوضع اللغوي، كما هو الحال في اللغة الفرنسية، وهي اللغة الأجنبية ولكن بحكم عوامل سوسيوثقافية والتعميم الفائق لها على حساب اللغة الرسمية والألسن الوطنية. ولقد أضحت الفرنسية مستعملة ولها اثر في المجتمع، وتوسع بشكل دائم وخاصة في السنوات الأخيرة، مما جعل العربية وهي لغة الهوية والانتماء والتواصل على مستوى الفرد والجماعة ترضخ لها وتركع للانفتاح والعولمة، وكما حدث للأمازيغية بعدما كانت اللغة الأصل للجزائر قاطبة، وأصبحت لغة جهوية "ووجد الطفل الجزائري نفسه نتيجة لهذه السياسة اللسانية اليعقوبية مقذوبا في متاهات البحث عن هوية أخرى"⁷¹ وهذا لغياب تعددية لسانية تراكمية متوازنة ومتنوعة ومعززة في المدرسة، وتنوع لغوي عربي/أمازيغي يحظى بالدعم على مستوى رسمي.

إن الطفل الجزائري في أية منطقة كان، فهو إما أحادي اللغة وثنائي التادية: عربية دارجة (عربية فصحى)+عربية فصحى. أو ثنائي اللغة: عربية دارجة (عربية فصحى)+فرنسية. أو ثنائي اللغة: أمازيغية+عربية دارجة (عربية فصحى) أو ثلاثي اللغة: أمازيغية+عربية دارجة (عربية

⁷¹ -عبد السلام خلفي، اللغة الأم و سلطة المؤسسة، مبحث في الوطنية اللغوية و الثقافية في المغرب، المغرب، 2000 ص 17.

فصحى)+فرنسية.ويعد الأمازيغ حقيقة متعددي اللغات بما فيهم الأميون،لأن التعدد يعود للكلام دون المؤهلات اللغوية والخصائص الفكرية،والازدواجية ثابتة مع الطفل قبل سن التمدرس،وبحكم هذه السوق اللغوية التي يمكن أن نسميها بالسوق اللغوية الليبرالية.

7-التعدد اللغوي:

كلما يتبادر إلى ذهننا التعدد اللغوي إلا وتأتي اللغة الفرنسية في المقام الأول،وهذا شيء طبيعي لما للغة الفرنسية من موقع في الساحة الثقافية وفي ذهنية الجزائري،وخاصة عند النخبة،ولكن يجب الإقرار بان الفرنسية في الجزائر بين تيارات عديدة:تيار تقليدي واعى يؤمن بالهوية،وهم أولئك الذين يقصدون العربية ويحبون إن تكون اللغة اليومية العادية،إلا أنه لم يدرسها جيدا،لأن دراستهم كانت في مدارس الفرانكوإسلامية ،وتيار عروبي معارض يرى فيها لغة العدو بالأمس فلا بد من إقصائها مهما كان الثمن عن طريق لتعريب،والعربية هي العامل الموحد للجزائريين.ويرى هذا التيار بأن الفرنسية ليست خشبة الخلاص من غريق التخلف،فهي لغة ثانوية ضمن اللغات العالمية المتقدمة. و هناك تيار منتفع نخبوي وينشد أن لا تنقطع اللغة الفرنسية في الجزائر لأنه لا يتحكم إلا في الفرنسية ولا ينظر إلى العالم إلا من خلال الفرنسية،ولا يقر بالعملة اللغوية التي تلقي بالفرنسية في أسفل اللغات الراقية. وهؤلاء ينظرون إلى الفرنسية على أنها لغة مقدسة كأها لغة المسيح،وكلما تمطر في باريس يرفعون المظلات في الجزائر،ولا يتابعون إلا الفضائيات الفرنسية فقط و يرون بأن الفرنسية لغة العلم والحضارة ونافذة للعصرنة لا يمكن الاستغناء عنها، وتيار بيني يرى في الفرنسية لغة العصر إلا إنها لغة مختلفة قياسا باللغات الأجنبية الأخرى،فيطرح بديلها اللغة الإنجليزية فهو تيار مبهور بالعمى الحضاري،فالفرنسية عندهم لغة السياحة والقانون وفرنسا بلد الجن والملائكة،وبلاد الحج والريحان،والفرنسية في المحيط اللغوي لها باريس تحميها،فهي اللغة الرسمية استعمالا وهي لغة الخبز والترقية الاجتماعية في واقعنا الحالي،وهي عالم سحري وتفتح سياحة.ونشهد الآن 8 مليون صحن لالتقاط القنوات الفرنسية،وشمال إفريقيا متشبع بالثقافة الفرنسية،فماذا قدمت حضاريا،و130سنة من الهيمنة في الجزائر باستعمال الفرنسية،فهل تقدمت الجزائر كما تقدمت فرنسا،و29 دولة إفريقية في الحماية الفرانكفونية،فهل خرجت من التخلف...ولكن التحالف معها أكثر من ضروري كما يرى

عبدا لسلام المسدي: "ولكننا اليوم مدعوون أن نتخذها حليفا استراتيجيا، بعيد المدى فنستنبط معها عقد شراكة بكل فوائضه القيمة المربحة"⁷².

لكن رغم استقلالنا السياسي لا زلنا نؤمن بالفكر الاستعماري و نتخذ من الثقافة الفرنسية وسيلة لإشباع حاجياتنا الفكرية و قضاء مآربنا بعكس الحكومة الفرنسية التي تشجع على التعدد اللغوي و الانفتاح على اللغات الأجنبية الأخرى كالانجليزية حيث جاء على لسان رئيسها في خطاب ألقاه يوم 14 يوليو 1998 دعا فيه إلى ضرورة انفتاح المؤسسات التعليمية على التعدد اللغوي بما يضمنه من تنوع ثقافي يمكن أن يكون ضمانا مهما للتصدي لمخاطر العولمة الثقافية، وفي هذا الإطار سخرت الحكومة الفرنسية إمكانيات هائلة لتحقيق نجاعة تعليم ونشر الفرنسية برعاية الأكاديمية الفرنسية واللجنة العليا لحماية الفرنسية"⁷³.

وبعد كل هذا هل يمكن للازدواجية اللغوية النجاح في ظل هذه التيارات المتجاذبة، ذلك ما لا يمكن أن نتأكد من الأمر، لأن التعريب مس كثيرا من القطاعات والعربية توغلت في فكر وثقافة الجزائري، كما لم تظهر لنا التجارب العربية بنجاح مسألة الازدواجية لا في تونس ولا في المغرب، بل فشلت هذه التجربة بتاتا في لغة التعليم بالمغرب الأقصى"⁷⁴، رغم الأشواط المعبرة التي قطعتها، وترتفع الآن أصوات المثقفين والبرلمانيين المغاربة تنادي بتعجيل التعريب الكلي، كما تتوسع العربية بشكل علني في البلدين، فكيف ندخل هذا الميدان ولم نعد أرضية لذلك، علما أن نسبة النجاح قليلة.

إن الازدواجية اللسانية لاتعد خطرا، فهي طبيعية كائنة لا تنقرض ولا يمكن التحكم فيها، ولا يستطيع المخططون اللسانيون الحد من مساحتها بل عليهم دراستها وتحليلها واستخراج البنيات المتداخلة لفهم هذه الآلة العجيبة، وهي اللغة الطبيعية. وأما التعددية أو الثنائية اللغوية، والتي تكون أحيانا رسمية فلها محاردها الكثيرة ومن هنا يستشار أهل الرأي عند تحديد السياسة اللغوية. إن تنظيم مجالات استعمال اللغات الأم أو اللغة المحلية بصورة موضوعية عادلة يستلزم تخطيطا يضع التصور الكامل للحركة اللغوية للغة المنشودة داخل طبقات المجتمع بفئاته المتنوعة والمراحل التي تحتاجها كل

⁷² عبد السلام المسدي، العولمة والعولمة المضادة، ط1. مصر: 2000، ص395.

⁷³ فلوريان كولماس، اللغة والاقتصاد، ترجمة أحمد عوض، عالم المعرفة، عدد263، سنة 2000، ص 130.

⁷⁴ ادريس الكتاني، كيف فشلت تجربة الازدواجية في لغة التعليم بالمغرب العربي، "مجلة اللسان العربي" العدد

فئة، وكيفية اختيارها، والمادة اللغوية التي تقدم لها ووسائل تقديمها، وطبيعة الإجابة اللغوية التي سيصل إليها متخرج من مراحل التعليم، وصدق حاجة المجتمع لتعلم اللغة الأجنبية.

إن الازدواجية اللغوية لها محاسنها، كما أن لها مساوئها. ولكن نحن الآن ضمن واقع تعددي، فما العمل؟ إن تخطيط سياسة لغوية تعتمد الاهتمام باللغة المشتركة ضرورة قصوى وهو اختيار لا بديل عنه، ولا يعني به قهر لسان من الألسنة الوطنية. وإن اللغات الوطنية كنا قد أوضحنا أمرها بضرورة التفتح عليها والعمل على رقيها، وتدريسها فيجب أن يكون فرض عين في مناطقها. وأما اللغة الأجنبية فلها شأن آخر.

إن واقعنا اللغوي يمتاز ببعض المعطيات التي يجب أن نلم بها وهي: وجود اللغات المحلية وارتباطنا بالعالم العربي والإسلامي والإفريقي والمتوسطي، وما للغة الفرنسية من أثر في المجتمع الجزائري أضف إلى ذلك ما تفرضه التحديات المعاصرة من أن التفتح على اللغات بمنهج براغماتي أكثر من ضروري، لأن اللغات تفتح لنا آفاق الأطر المحلي إلى الخارج و العالمية بغية معرفة حضارات الشعوب وعملها وتقدمها ويستحسن الإطلاع على علومها بلغاتها أفضل من ترجمتها، فالترجمة مهما تكن راقية فهي ناقصة. إن اعتماد اللغات الأجنبية هي فك العزلة اللسانية عن المجتمع والتواصل مع غيره، ومن يتفتح على غيره يخرج من فقره. وأمام هذا تعتمد الشعوب في تخطيطها اللغوية على اللغة الأجنبية حسب الحاجة إليها، وتعبير عن تصور و طموح المجتمع، والقيم الحضارية والمحلية للمجتمع، وتنتقي بصورة خاصة، بعدما يناقش الجميع أمرها.

هل التعدد اللغوي يحل مشاكلنا اللغوية؟ لا شك أن استعمال لغة واحدة في البيت والشارع والمدرسة هو المثال وهذا غير موجود حتى في الإنجليزية، فالإنجليزية أمريكا تختلف بعض الخلاف عن الإنجليزية بريطانيا، كما أن العصر يطرح علينا جملة من التحديات، فهل يمكن تسوية سياسات لغوية مبنية على دولة واحدة ووطن واحد ولغة واحدة. إن التعدد اللغوي في الجزائر يفرض نفسه أكثر من ذي قبل ويمثل الاختيار الأفضل بالنسبة للنخبة. ولكن ما هو التعدد المنشود. تحدث Fischman عن أصناف الازدواجية أو التعددية وحصرها في ثلاثة نماذج أساسية وهي:

- النموذج التعويضي المرحلي الذي يرمي إدماج الطفل في الثقافة السائدة.

- النموذج الذي يرمي إلى الاحتفاظ باللغة المستضعفة.
 - نموذج الإثراء و هدفه توسيع آفاق الفكر والعاطفة عند المتعلم.
- فإذا كان العنصر الأخير الذي من يعمل على الإثراء فهو مقبول وتعمل به كثير من البلدان، وكما يقال: جميل أن نتعلم اللغات التي تثري لغتنا و تنميها، ولكن ليس على حساب لغاتنا الوطنية، أن نقبل بالازدواجية غير المتوحشة كما قال جولبير غران غيوم، وهي ازدواجية بقاء اللغة الأجنبية أجنبية، أضف إلى ذلك ضمان المحصنات الآتية من هوية واحدة ولغة رسمية تعلق ولا يعلى عليها، ولغة يفاد منها. وتفادي المشكلات تستنبها الثنائية اللغوية من الغربة اللغوية والصراع الثقافي، ومشاكل التعليم والاتصال، لأن هناك تعددات لسانية قاتلة ومهلكة ومتوحشة، تعمل على فصل الطفل عن هويته، فيقع فريسة أفكار معادية لكل ما هو وطني بدعوى العصرية "الخطر في الثنائية المفبركة من التعليم، مع لغة أجنبية ينظر إليها المعلم على أنها لغة التقدم والرقي الثقافي والعلمي، فتكون النتائج سلبية على هوية المعلم، وطاقته التعبيرية والإدراكية والنفسية، والخطر كذلك في محيط ثنائي اللغة مع مميزات اجتماعية وتشغيلية واضحة للثائين فتصبح اللغة الأجنبية مرجع الثقافة والرقي العلمي والتقني، والمقياس لكل ما هو من مرتبة عالية"⁷⁵.

يقال أن الجزائريين بأنهم مزدوجي اللسان وهذا صحيح، بل هو سمتهم وإرادتهم القوية والتاريخية لمعرفة اللغات الأجنبية، ويبدو أن هذه الإرادة ورثناها عن أجدادنا حيث تقاطعت عن ألسنتنا مختلف اللغات التي استقرت في شمال إفريقيا، ولكن لا يعني هذا التسامح في اللغة الأم، فإذا كان استعمال اللغة الإنجليزية مسموحا به في ألمانيا وفرنسا وإيطاليا وإسبانيا، فإن ذلك لا يمنع اللغات الرسمية لهذه البلدان أن تستمر في لعب دورها الكامل، رغم سيطرة الإنجليزية فعليا في قطاع المعلومات والاقتصاد. ولا شك أن قضية التعدد اللغوي في الجزائر ضرورة قصوى ما كان متزنا حيث يكون مركزه اللغة الوطنية الرسمية، وعند ذلك يمكن قبول التعدد المبني على التسامح والمساواة بين الثقافات، والمحافظة على العادات والقيم الإيجابية، و الأرضية الوطنية المشتركة. لا تعددية تعمل على

⁷⁵ عبد القادر الفاسي الفهري، "ملكة اللغة العربية في وضع الازدواج والتعدد"، مجلة قضايا استعمال اللغة العربية في المغرب، الرباط، 1993، ص 87-89.

تغذية الفروق التي من شأنها رفع حظوظ الجماعات لحساب جماعة أخرى، ولا ينبغي أن تكون عائقا في درجة الانسجام الوطني، ولا يكون سببا لاعتماد مشروع طموح وصعب قد يخل بالاندماج الوطني والتناغم المجتمعي. أبانت تجارب البلدان المتزنة في الازدواجية ضرورة الاهتمام في المقام الأول باللغة الأم، وإتقانها جيدا، وهذا بعد الإغماس اللغوي الجيد والتعدد اللغوي يجب أن يسبقه إغماس لغوي للطفل في اكتسابه اللغة الأم لتلافي الانعكاسات السلبية للازدواجية، والشروع في تعليم اللغات الأجنبية في سن لاحقة متأخرة "ابتداء من الثانية عشرة، أو التاسعة في أحسن ظروف"⁷⁶.

وهذا ما أكدته سترن: ليس هناك دليل نفسي على أن التعليم المبكر للغات الأجنبية يؤدي إلى نتائج أفضل من تأخيره بعكس ما هو معتقد، فبإمكان الفرد أن يتعلم لغة أو لغات أخرى بعد إتقان لغته الأم وذلك في إطار مناهج تختلف باختلاف الأهداف المتوخات من تعليم اللغات الأجنبية الأخرى وتعلمها. كما أن التعدد ذو كلفة اقتصادية، وكان على المجتمع الجزائري أن يستشار قبل أن يتحملها، فلقد أبانت تجارب البلدان التي مرت بهذه المرحلة أن البلد الناجح هو البلد القوي اقتصاديا والقوي في الترجمة البشرية والآلية. وتسعى البلاد المزدوجة اللغة إلى إعادة النظر في منظوماتها التربوية والعودة إلى الأحادية نظرا للكلفة والمشاكل الناجمة عن هذا التعدد. ويكفي أن نضرب مثلا للإتحاد الأوروبي الذي لم يلتزم شمله بسبب التعدد اللغوي بين المجموعة الأوروبية، وكان ذلك عقبة أساسية تحول دون أنصارها في كيان موحد، مما جعله يعترف بالتنوع اللغوي واضطر إلى اتخاذ اللغات الوطنية الرسمية لغات رسمية في أجهزتها، وعزف عن اللغات المحلية مثل: الكاتلان والباسك. وتورقه الآن الميزانية الضخمة التي ينفقها على ها التعدد ف60% منها ذهب للترجمة ولذلك يسعى لترسيم ثلاثة لغات فقط (إنجليزية فرنسية ألمانية) على المدى المتوسط، مع تقديم كل لغة تنازلات على الصعيد الرمزي ومبدأ اللامسيطرة على المصطلحات، وفي حدود سنة 2050 م يحصل البقاء للغة واحدة، وهي الإنجليزية. وفي مقام آخر ثبت ثبوتا قاطعا بأن الازدواجية تؤثر سلبا على كثير من الصعيد فالتجانس اللغوي عامل

⁷⁶ عبد القادر الفاسي الفهري، اللغة والبيئة. المغرب: منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء، رقم 18، 2003،

تقدم ونجاح، كما أن البلاد المجزأة لغويا بلاد فقيرة دائما"⁷⁷. ولا جدال بأن عدم التعدد أفضل من التعدد وأن "التفرد اللغوي له انعكاساته الإيجابية على النسيج الاجتماعي"⁷⁸، فهو باب يسد كل الفتن، وهذا ما نلاحظه في كثير من الدول بدءا من فرنسا وأمريكا وإنجلترا. ويجب أن نعرف بأن التعدد له مساوئه التي يمكن إجمالها:

- التأثير السلبي على الأنساق العقديّة والتفكك الاجتماعي.
- ضعف المستوى التعليمي نتيجة الخلط الذي يحدث أحيانا ويؤدي غلى التشتت الذهني، والتباس في المفاهيم وعسر في الكلام.
- الكلفة الاقتصادية الكبيرة التي لا يمكن ان تحملها ميزانية الدولة، وينجر عن ذلك تحمل المواطن كلفة تدريس أولاده بالمقابل، فينتج التسرب المدرسي وتفتشى الأمية.
- الفوضى اللغوية التي ربما يكون سببها إلى الهروب من اللغات الأم والالتجاء إلى اللغة الأجنبية كبديل لحل المشاكل اللغوية.
- التأثير السلبي على الوحدة الوطنية، وقد يخلق دعوة الكونفدراليات الجغرافية اللغوية.
- التمييز بين اللغتين: لغة النخبة / لغة الدهماء وهذا يؤدي إلى إضعاف المناعة الثقافية، والتكتل الوطني، حيث ويظهر الخلاف، فيرقي الأتباع معززين بما يحملون من لغة أجنبية، ويهمش المحليون كما تهمش لغتهم.

. التجارب التي عاشتها كثير من البلدان فلا هي هي تقدمت بلغة غيرها، بعدما انسلخت من لغتها بحكم التعدد اللغوي حصلت التعبئة اللغوية، وهي أساس التخلف الشمولي، وهذا ما يلاحظ على الدول التي أبدلت لغتها بلغات أجنبية: الإنجليزية في البنغلادش، وزامبيا ونيجيريا، والفرنسية في السنغال والنيجر وتشاد وتونس... كما أن يوغسلافيا و كندا وسويسرا والهند وبلجيكا لم تعرف تقدما

⁷⁷ فلوريا كولباس، اللغة و الاقتصاد، ترجمة احمد عوض، مجلة عالم المعرفة، الكويت، 2000، ص48.

⁷⁸ محمد الأوزاعي "التعدد اللغوي له انعكاساته على النسيج الاجتماعي" مجلة جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، ط1، الرباط، 2000، ص78

مقبولا بحكم ازدواجيتها مثل البلدان الأحادية اللغة، وما كان يصلح لكندا مثلا ليس من الضروري أن يصلح للجزائر.

• الازدواجية تعتمد على الترجمة في المقام الأول، فهل يمكن للبلدان المتخلفة مسايرة الجديد، أليس ذلك هو الطريق الذي يعمل على ظهور الثقافة اللفظية، وضياع البحث العلمي الأكاديمي.

• التعددية في كثير من الأحيان تكون عشوائية، تعدد متشابه يعيد نفس الأمور بلغتين مختلفتين، فما الفائدة من اعتماد ضربين مكررين، وهنا يقع التشتت الحقيقي، فيذهب ذهن الطالب دائما إلى الترجمة لا إلى إدراك المفاهيم.

وهكذا نعلم أن الازدواج اللغوي له صعوباته وأخطاره التي تمس محاسنه، ثم أن تعلم لغة أجنبية يمكن التحكم فيها مثل أهلها، وهل البلدان التي اتخذت الفرنسية لغة ثانية أو رسمية تقدمت، والبلدان التي اتخذت الإنجليزية حلت مشاكلها. إن الازدواجية لا تخرجنا من تخلفنا، فنحن نعيش ازدواجية منذ بعثنا للوجود، وبقينا متخلفين وما الفائدة من التحدث بالكر يول Le créole ولا نخدمنا في جانبها العلمي. ثم ما دور اللغات الرسمية والوطنية في إطار العولمة الذي تدوب فيها أكثر اللغات. ويمكن اعتماد تخطيط نفعي يكون كما يلي:

الأخذ بمبدأ النفعية في تدريس اللغات: إن مبدأ النفعية يقتضي اعتماد عناصر اللسانيات التطبيقية في هذا المجال، وهي:

- 1- البرجماتية: اعتماد ما هو وظيفي.
- 2- الانتقالية: القيام بعمليات اختيار وظيفية على ضوء معايير النجاعة والمر دودية.
- 3- الفعالية: إيجاد الوسائل التربوية الأكثر فعالية في تعليم لغات المنشأ واللغات الأجنبية،

وذلك بانتقاء المتون الوظيفية الملائمة.

إن كل سياسة لغوية وثقافية موجهة نحو التقدم، تستدعي اعتماد النفعية التي نضمن فيها حقوقنا الثقافية فاعتمادنا لغة أجنبية نخدمنا كما نخدم لغتي الأم، كما نفرق بين لغة انفتاح

وتطلع وبين لغة هيمنة. فالعالم الآن يتقاسمه قطبان ثقافيان: الفرانكفونية والكمنولثية. فأى لغة تعتمد الفرنسية أم الإنجليزية. يجب أن نقر ونكون صادقين مع أنفسنا، فنحن نخطط لما سيكون الجيل القادم، على فرض سنوات 2030 فما هي المتغيرات اللغوية التي ستحصل في هذه العشرية، وما هي ملامح ابننا الذي يدرس، وما اللغة المهيمنة. لا شك إن من أراد دخول الحضارة فليتعلم الإنجليزية، فقطب الفرانكفونية يتضاءل، ونجم الفرنسية يجبو، فلم لا نحسن الاختيار. وبودي تأكيد مسألة تعليم اللغة الأجنبية لتثبيت بعض الأمور، وهي:

إن تعليم اللغات الأجنبية عامل مهم لعدة اعتبارات، ولكن كان يجب في البداية أن نكون على بينة من خصوصيات تعلم اللغة الأجنبية في جوانب ثقافية وسياسية واجتماعية، فتجب الإجابة عن النقاط الأسئلة التالية: ما الهدف من تعليم اللغات الأجنبية؟ من يجب عليه تعلم اللغات الأجنبية؟ متى يبدأ تعلم اللغة الأجنبية؟ ما هي اللغة الأجنبية المختارة؟

إن الهدف من تعليم اللغة الأجنبية يرمي إلى مجموعة من الاعتبارات، ومنها كسر الحواجز الثقافية بين حضارته وحضارة اللغة الهدف، وإشاعة روح التسامح وإقامة تفاهم عالمي، أضف إلى هذا أنها تساهم في توسيع مدارك التلميذ العقلية وتدريبه على استيعاب المتواصل للمعرفة. فجميل أن نتعلم اللغات لكن ليس على حساب اللغات الوطنية، ومن هنا نادي بعض المتهمين بتعليم اللغة الأجنبية بعدم تعليمها للصغار خاصة إذ أن التأثير وأن كان ليس ظاهراً إلا أن آثاره ستظهر على الشكل التالي:

- تقليل أهمية اللغة الأم عند الطلاب.

- غمائية تأثير اللغة الأجنبية على اللغة الأم لغويا.

إحساس الطلاب بالرغبة في التمكن من اللغة الأجنبية⁷⁹.

⁷⁹ إبراهيم عبدالعزيز ابوحمد "المناسب لتعليم اللغات الأجنبية" مجلة الدراسات اللغوية. السعودية: ،مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المجلد الثاني العدد الثالث 2000 ، ص 215.

. من يجب عليه تعلم اللغات الأجنبية انه الإشكال الذي نعيشه في الجزائر. فالنخبة الجزائرية والمتنفذين من الدولة يطالبون بالتعريب ولكنهم لا يعملون له بشكل علني، بل يجذبون أن تبقى الإدارة والعلوم تدرس بالفرنسية. وهنا من واجب الدولة أن تعمل على تهيئة وإتاحة الفرصة للجميع في تعلم اللغة الأجنبية بطريقة علمية منظمة يستهدف من ورائها التحكم المتقن في اللغة المتعلمة وهذا بعد الحصول على القدر الكافي من اللغة الأصل، والتي لا يمكن التغاضي عنها كأساس يناله الجميع، وأما تعلم اللغة الأجنبية يكون لغرض نفعي لا غير يتعلم فيها اللغات الأجنبية لأغراض إجرائية وظيفية، بعد أن يكون قد ضلع في لغة هويته وفكره وثقافته بصفة كافية لا تعيق نحوه⁸⁰.

. متى يبدأ تعليم اللغة الأجنبية فقد أبانت أكثر الدراسات بأن الطفل يجب أن يستوعب في المقام الأول النسق اللغوي الصحيح والكافي، ويأخذ الرصيد اللغوي الذي يمكنه من التواصل والعد، فلا مانع أن يأخذ اللغة الأجنبية الأولى بعد ذلك. ويرى بعض علماء النفس أن الدماغ البشري مهياً لتعلم اللغات حتى سن العاشرة، وبعد هذه السن فالدماغ يفقد مرونته وقابليته للتعلم، كما تقتضي بعض المعطيات الاجتماعية أن تعلم اللغة الأجنبية في سن مبكرة حيث يكون المجتمع ثنائي اللغة فقط، وفيه لغات عرقية عديدة والحاجة لتوحد الأعرق. و المثال على ذلك ما ويلاحظ في كندا ذي الثنائي اللغوي الفرنسية والإنجليزية. علما أن تعليم لغة أجنبية تختلف عن ثقافتها و حضارتها عن ثقافة و حضارة المتعلم فذلك ما يحمل في طياته خطراً كبيراً، ولكن المهم في كل هذا هو أن نعمل على تعليم اللغة الأجنبية في المرحلة الأساسية، باعتبار هذه المرحلة المناخ الصافي تتساكن فيه أكثر من لغة.

. وأما ما هي اللغة الأجنبية المختارة. فقد أوضحت بأننا لا يجب أن نكون نكرة في العالم، ونبقى ننشد ملكة اللغة الفرنسية في الوقت الذي تجاوزها الزمان، فلنكن نفعيين رغم ما من

⁸⁰ عبدالقادر الفاسي الفهري "اكتساب اللغة الربية والتعليم اللغوي المتعدد" مجلة اللسانيات. الرباط: منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، المجلد 4، العدد 1999، 1، ص 2.

الفرنسية من علم، ولكن لا أرغب أن ينتج عن ذلك تهجين لغوي"⁸¹. يؤدي بلساننا إلى التعبئة وإلى الانعكاسات النفسية والهيمنة الثقافية. فما دامت النفعية لا تعترف إلا باللموس فلم لا نتبع اللوموس، ولم لا نتبع لغة العصر والمستقبل، ولا يعني هذا أن نستبدل لغة أجنبية بلغة أخرى، بل أن نستبدل أدبا بعلم، أن نستبدل لغة راقية بلغة أرقى، أن نستبدل لغة السياحة و العطور بلغة المال والبنزسة، أن نستبدل باريس بلندن، فما المانع؟

و نتوقف في هذا النقطة والتي من خلالها يصنفي القارئ بأني تابع لندن، بل في عموم اللغات الأجنبية أدعو أن نكون مثلنا مثل الآخرين، وخاصة الدول التي تربطنا علاقات العروبة والإسلام، وأكثرهم يستعملون الإنجليزية. والتي استهدفها هي الإنجليزية العلمية والتقنية، والوصول إلى الإفادة منها والعمل على إتقانها مثل الفرنسية. كما لا يعني هذا أن نطرح اللغات الأخرى، بل سألقي نفعيا دائما لأقول: من واجب المدارس العليا ومراكز الترجمة أن تعمل على تخريج مدرسين ومترجمين حسب الخريطة الوطنية في مجال التعليم والترجمة لسد كل النقائص التي تعانيها في التواصل مع الغير، فلا يجب أن نكون أحادي اللغة الأجنبية، فعلينا تحديد خريطة اللغات المتقدمة والتي لنا ارتباط تاريخي وعلمي وحضاري ونفعي. وأرى في هذا المجال أن يدرس مساق أو أكثر في كل اختصاص تستحوذ عليه اللغة الأصل، وهذا بغية الرجوع إلى المصدر والإفادة منها (اللغة) في الترجمة .

6- لنا لغة واحدة ولا لهجات متعددة، وهذه الوحدة يسهل علينا تطويرها إذا صدقت النيات.

7- السعي لوضع أطلس لغوي مغاربي ومن باحثين مغاريين.

8- التعدد اللغوي بالجزائر، وأثره على النسيج الاجتماعي:

إن الوضعية اللسانية السائدة بالجزائر تتميز بالتعدد اللغوي، فهي تتضمن إلى جانب اللغة العربية (اللغة الرسمية للبلاد) كلا من اللغتين الأمازيغية والفرنسية، وقد نتجت هذه الوضعية عن ظروف تاريخية

⁸¹ عبد القادر الفاسي الفهري، "ملكة اللغة العربية في وضع الأزواج والتعدد"، مجلة قضايا استعمال اللغة العربية في المغرب، الرباط، 1993، ص172.

قاهرة، وعن اختيارات سياسية فرضتها ظروف انتشار الإيديولوجية القومية، وترسيخ النموذج الفرانكفوني وسياسة الانفتاح الخارجي⁸². والتعددية غير الازدواجية لأن هذه الأخيرة تعني: قدرة الفرد على التكلم بمستويين للغة ما داخل مجموعة لغوية بحيث يعتبر الأول فصيحاً والثاني عامياً⁸³. وهذا ما لا ينطبق على الوضعية اللغوية بالجزائر، إذ لا تشترك اللغات الثلاث الموجودة بها في جذور واحدة كما تشترك العامية مع العربية الفصحى أو الفرنسية مع اللاتينية. والمتأمل للخريطة اللغوية للجزائر يصادف تعددا لغويا مشوبا بازدواجية خاصة، ويلاحظ وجود لغات ولهجات متعددة، لكل واحدة منها دور وظيفي معين، والمقتصر على استعمال إحدى اللغات المتعايشة بالجزائر قد يحتاج في غالب الأحيان إلى مترجم ليتواصل مع غيره من المواطنين، فإذا غادر أمي من أسرة ريفية قريته ليستقر بإحدى القرى في الجنوب مثلا، سيكون من الناحية اللسانية بمثابة المهاجر عن وطنه، إذ سيحتاج لفك العزلة اللسانية عن نفسه إلى بدل جهد ثقافي من أجل اكتساب القدرة على التواصل داخل الوسط اللغوي الجديد وهذه الوضعية ليست جديدة ولا وليدة عن الأوضاع الحالية.

لا شك في أن آثار هذه التعددية تتجلى إلى جانب الصعوبة في التواصل في سوء التحصيل العلمي والثقافي حيث يجد الطفل نفسه أمام لغات جديدة عن اللغات الأم التي كان قد عرف منها رصيذا معتبرا، وبدل أن يبذل جهوده في محاولة اكتساب معارف جديدة، يبذلها في إرهاب مهارات وتكريسها لاستيعاب تراكم ودلالات ونحو وصرف اللغات الجديدة بينما يكون في الوقت ذاته ساهيا عن الجانب التركيبي والدلالي في لغته الأم. ولأن التعددية اللغوية لدى الطفل عامة تشكل عقدة في نموه اللغوي والمعرفي والفكري والنفسي حولت عدة مدارس لغوية بنيوية وتوليدية وغيرهما من الاتجاهات اللغوية مع هذه الظاهرة فاقترحت حلولاً مختلفة باختلاف اتجاهاتها والمبادئ التي اعتمدها، فالإتجاه البنيوي نادى بضرورة عزل اللغة الأم عن اللغة الثانية، لأنها تعرقل تعلمها، بينما يركز الإتجاه التوليدي على الاعتماد على اللغة الأم في تعلم لغة ثانية ولو كانت السياسة اللغوية الجزائرية قد اعتمدت على إحدى المنهجين وأعطت لكل لغة مكانتها ووضعت لغة واحدة للتواصل بين الجميع،

⁸² عبد السلام خلفي، اللغة الأم و سلطة المؤسسة ، مبحث في الوضعية اللغوية و الثقافية في المغرب، المغربي، 2000، ص3.

⁸³ عبد الكريم غلاب ، من اللغة الى الفكر، ط1، المغرب، 1993، ص37.

وتكون مستعملة في التعليم في كل أطواره، ومنعت اللغة الأجنبية من تجاوز اللغات الوطنية، لجعلت من هذا التعدد اللغوي نعمة يستفاد منها، فمن باب الكرم الإلهي أن تكون للفرد أكثر من لغة ولكن إذا وظف كل واحدة منها في موضعها، إذ لا يوجد ما يستوجب على العربي توظيف اللغة الفرنسية ليسال عربيا مثله عن الوقت، أو عن موعد وصول الطائرة....ولكن السياسة اللغوية المتبعة بالجزائر جعلت -الأسف- من هذه النعمة نقمة عملت على إعاقة التطور الثقافي وتعطيل النمو الاقتصادي، ليس هذا فحسب بل أصبح التعدد اللغوي يتسبب في تصدع المجتمع ويهدد استقرار واستمرار وجوده، كما حدث في تشيكوسلوفاكيا ويوغسلافيا والإتحاد السوفيتي الذي انقسم إلى دويلات مستقلة لأن البلدان التي لا توجد فيها لغة مشتركة يكون فيها الانسجام الداخلي ضعيفا، وفعالية هذه اللغة المشتركة وحدت الألمانيتين الفدرالية والديمقراطية، وذلك للارتباط الشعور اللغوي بالشعور الوطني، ثم أن شبكة الروابط القائمة بين اللغة والمجتمع يزداد تعقيدها كلما ارتقت الدراسة صاعدة انطلاقا من التفرد في اتجاه التعدد اللغويين، لأن اللغوي يشكل الوضعية الأنسب للقطرة الجمعية"⁸⁴. واللغة أصلا هي الضامن الأساس لاستمرارية هوية الجماعة إلى جانب الدين، لكن واقع الجزائر يظهر فشل هذين المقومين في توحيد شمل الجزائريين إذ أدى تغاير الأنساق اللغوية المتعايشة بالجزائر إلى إعاقة اللسان وغموض في التصورات الذهنية وانتشار الثقافة اللفظية تفكك المجتمع الواحد إلى طوائف قبلية تتبادل الإكراه والضغط، وهذا ما يفسر الشرخ الرهيب الذي حدث في المجتمع الجزائري.

ورغم ما للتفرد اللغوي من مزايا، إلا أن الجزائر يعيقها في اعتماده هذا التعدد اللغوي الذي أضحى واقعا، فلا مفر منه، وللحد من سلبيات هذه الظاهرة عليها أن تعيد النظر في سياستها اللغوية، بأن تضع لكل لغة وظيفتها ومكانتها، إذ لا تتعدى الواحدة على الأخرى، وأن تعمل على تنمية الوازع الوطني حتى لا تهيمن اللغة الأجنبية على اللغات الوطنية بحكم أن الإنسان هو الذي يسيطر على

⁸⁴ - محمد الأوزاعي "التعدد اللغوي له انعكاساته على النسيج الاجتماعي" سلسلة منشورات كلية الآداب و العلوم الانسانية،

اللغة وليس العكس، وكذا الإصرار على توافق الحظوظ بين اللغات الثلاث، والاهتمام بتعليم اللغات الأم قبل كل شيء لما لها من تأثير فعال على تعلم اللغات الأخرى.

الخاتمة: حظي موضوع الوضع اللغوي في الجزائر بدراسات تمهيدية عديدة، إما في شكل مقالات أو أطروحات أو كتب، إلا أنني صادفت بعض الإشكاليات المحيرة بشأن هذا الوضع، ما أرجعه إلى عدم تمكني من الإطلاع على مجمل هذه الدراسات، واستقباجي الوقوع فيما يصفه معظم النقاد، لا سيما المعاصرون منهم بالخطأ الفادح، وهو التكرار في سرد بعض الحقائق والمعطيات التي سبقني إليها الدارسون. وفي الواقع لم يكن اجتناب هذه الهفوة أمرا هينا لأن الوضع اللغوي السائد في الجزائر لم يتعرض لتغير معتبر منذ زمن بعيد، وقد يعود إلى بداية الاستيطان الفرنسي للجزائر، حيث استقرت الوضعية السوسيوولسانية على التعدد اللغوي حين اعتمدت السياسة اللغوية الكولونيالية في محاولتها القضاء على الشخصية الوطنية الجزائرية بتميم ووجوب تعلم واستعمال اللغة الفرنسية في جميع الميادين، حتى أن سياسة التعريب التي لجأت عليها الجزائر للحد من هيمنة اللغة الفرنسية، لم تجد نفعاً، وهذا كله يضاف إلى المشاكل الخاصة التي تعاني منها اللغتان الوطنيتان؛ كما نلاحظ ارتفاع الدارجات الجزائرية إلى المستوى الرفيع فصارت توظف في الروايات الأدبية والخطابات الرسمية والدينية وفي التعليم بشتى أطواره، نظراً لقدرتها على التبليغ وكذا لتمكنها القوي من المثقف وغير المثقف وفي الوقت الذي يتفهم استعمال الفصحى عن تحقيق هذا النوع من الاندماج الاجتماعي. وبين هذه وتلك تبقى اللغة الأمازيغية التي تعتبر اللغة الأم لدى معظم الجزائريين، تشهد حركات متعددة تطالب بالاعتراف القانوني بلهجاتها المختلفة التي تحول دون معيرتها وترسيمها، وهذه اللهجات التي كانت ولا زالت وظيفتها تتحدب في ساحة ضيقة جدا عنواها: التواصل، وهيئات أن يكون لها نفس المكان التي تحتله اللغة العربية أو اللغة الفرنسية لأنها وبكل بساطة لا تحظى بنفس الاهتمام الذي تحظيان به من طرف الدولة. فلقد عبر الدكتور غالي شكري في سخط بليغ عن الوضع الذي آلت إليه اللغة العربية

من استباحة كلماتها و تعبيراتها عندما قال: " لست اعرف لغة استبيحت في عقر دارها علنا في وضع النهار كما استبيحت اللغة العربية"⁸⁵.

وأمام هذه المشاكل كلها ، يبقى الحل الأكثر نجاعة للتقليص من حدتها والحد من فعاليتها، والتخفيف من سلبية آثارها على النسيج التربوي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي، هو إعادة النظر في السياسة اللغوية الموروثة، والتفكير في بديل مفادها توفير الحظوظ بين جميع اللغات الوطنية والاهتمام بها على حد سواء والحد من هيمنة اللغة الفرنسية بإجلال اللغات الوطنية محلها، وذلك بالترجمة والتأليف في الموضوعات التي تحتكرها اللغة الأجنبية، لنشر المعرفة وتقريبها وتطويرها، ما سيؤدي إلى تجنب التفكك الاجتماعي، والتخلص من الآفات الاجتماعية والتقاليد المستهجنة، والإعاقة اللسانية، وهذه الأهداف التي يجب أن تستهدفها السياسة اللغوية لاحقا في وطننا.

9- السياسة اللغوية المقترحة:

إن رصد الواقع الاجتماعي و رصد مختلف التغيرات الطارئة على الاستعمال اللغوي يجعلنا نقدم حلا يمكن أن يساعد في الإصلاح اللغوي الذي تنشده البلاد انطلاقا من المؤثرات الاجتماعية والثقافية والاستعمارية و لذا يحتم علينا هذا الواقع اقتراح سياسة لغوية تراعي مقام اللغة الرسمية (اللغة العربية) و اللغة الأم (الامازيغية) و اللغات الأجنبية (في حالة الجمع) وهذا من جملة ما تستهدفه التنمية اللغوية، حيث تعمل على إحداث تغييرات محددة في الحياة اللغوية، وتحدد الهدف العام بقرار سياسي، ولا يمكن تصور خطة لغوية دون إتخاذ السلطة قرارات واضحة تحدد بموجبها السياسة اللغوية، وهذه القرارات ينبغي أن لا تجهل طبيعة الحال والعوامل الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، (في الوطن) و في المجموعة اللغوية الكبرى (الانتماء العربي الإسلامي). ، يمكن تقديم تصورا للسياسة اللغوية في الجزائر، في إطار السياسة التربوية التي يجب رسمها على المدى البعيد، باعتمادها على الركائز الآتية.

⁸⁵ غالي شكري، مجلة الاهرام، شهر يناير، العدد 37303 سنة 1989.

أولاً:فتح حوار وطني شامل حول السياسة اللغوية/التربوية.

ثانياً:ضبط موقع اللغة الرسمية في الخطاب الرسمي.

ثالثاً:كيفية الاهتمام باللغات المحلية.

رابعاً:تدريس اللغات الأجنبية.

تعطى السياسة اللغوية كل الأهمية للتخطيط اللغوي الذي يعمل على تطوير اللغات الوطنية في الكيانات الحديثة النشوء،ولذلك تولى المجتمعات الحديثة تنمية اللغة القومية وتقنينها، كما يعمل علم الاجتماع اللغوي على تحديد هذا الجانب لأن موضوعية ووسائل علمية⁸⁶ وإن تخطيط السياسة اللغوية يحتاج إلى:

1-جرد الحاجيات بمسح الأولويات.

2-تحديد الأهداف القريبة والمتوسطة ثم البعيدة.

3-تجنيد الوسائل لتحقيق الأهداف.

إن السياسة اللغوية هي مجموعة من الخيارات الواعية القائمة بين اللغة والجانب الاجتماعي،ويرد لها التخطيط الذي يضع الخيارات قيد التنفيذ⁸⁷،وتقوم على المقومات التالية:

1- تعميم استعمال اللغة القومية.

2- نشر اللغة القومية في العالم لتكون رافداً يسهم في الثقافة العالمية.

3- تعليم اللغات الأجنبية في مدارس الأمة.

4- تنظيم الترجمة من اللغة القومية وإليها.

⁸⁶-علي القاسمي،الجامعة و التنمية،سلسلة المعرفة للجميع العدد27،الرباط،2002،ص157.

⁸⁷ -Jean-Louis calvet. La guerre des langues et des politiques linguistiques Paris :1987 Payot p154-155 .

يعد التخطيط التربوي جزءاً من السياسة اللغوية، فهو يعمل على حل المشكلات التربوية في إطار شمولية التخطيط العام، وضمن المطبقة بين الأهداف والمواد المتاحة، وتحري مضامين الفعاليات بغية تحديد الأهداف الكبرى لمنظومة التربية "هو عملية التوجيه العقلائي للتعليم في حركته نحو المستقبل، عن طريق إعداد مجموعة من القرارات القائمة على البحث والدراسة، تمكيننا لهذا التعليم من تحقيق الأهداف المرجوة منه بإنجاح الوسائل وأكثرها فاعلية و كفاية في استمرار الوقت والجهد والمال" ⁸⁹. يحصل فعل التخطيط بين السياسي الذي يطرح التوجهات الكبرى، ضمن مرجعية وطنية وعملية، وبين أهل الاختصاص الذين يضعون تصورا شاملا في مشروعهم يلي الطموحات و الغايات الكبرى للأمم، وعند ذلك يمكن للسياسي أن يخضع المشروع للتطبيق، حيث يؤشر على المشروع أو يعتبره مجرد استشارة.

كما تعد الدراسات اللغوية التقابلية وما توصل إليه علم اللغة التطبيقي، من أهم أدوات البحث في تقنين السياسة اللغوية والتي منها وضع برامج تعليم اللغة القومية أو الأجنبية. وإلى جانب هذا، فترسم السياسة اللغوية من الواقع والمرجعيات الحضارية التاريخية واللسانية، حيث تنصب مداولات المختصين على دراسة هذه المعطيات في إطار من الحرية وتغليب النزاهة والمصلحة العامة. وأمام ما نعيشه من وضع لغوي متميز فنرى أن ثلاثية لغوية فرضت نفسها، ويجب أن نضمن لها أرضية التواجد ضمن المعطيات السياسية والتاريخية والعلمية التي نتحكم إليها وهذه الثلاثية اللغوية هي نتيجة الازدواجية الملاحظة على مستوى التدريس الرسمي. وبغية تجسيد هذه الثلاثية رأيت تحديد الخطوط الكبرى التي تصون وترقي هذه الثلاثية ضمن المعطيات الحضارية والتاريخية والمعاصرة.

أولاً: فتح حوار وطني شامل حول السياسة اللغوية: نأمل من وراء هذا المقام فتح حوار وطني صريح وشامل يساهم فيه الكل، باعتبار الحوار عنوان الحضارة يكون منطلقه شعار فولتير: قد

⁸⁸ -علي الفاسمي، الجامعة و التنمية، مرجع سابق ص160.

⁸⁹ - هيئة الموسوعة السورية، الموسوعة العربية، مؤسسة الصالحاني للطباعة، المجلد 6 ط1. سورية: 2002، ص182.

أختلف معك في الرأي لكني سأدافع عن تبليغ رأيك. أو قول الشافعي: أنا مصيب وقد أكون مخطأ، وأنت مخطئ وقد تكون صائبا.

حوار يكون مؤسسا على أرضية صلبة، يقبل الرأي المخالف، ويستمع إليه، ويعتمد الحاجة في إطار من الحرية. حوار يتناول كل القضايا اللغوية التي وضعت للمراجعة في الوقت الراهن، فهي تم المجتمع الجزائري في كليته، ول يمكن النظر إليها من منظورها النخبوي و الجهوي، فلا بد من معالجة جريئة ومتبصرة ومفتوحة في ذات الوقت، على أن يمس تأكيد الثوابت، والحديث عن المستجدات وعن مقام اللغات المحلية التي لم ينفها الدين ولم يحاربها الأسلاف، بل هي الأصل، ولا يجوز تغييرها. "إن تغيير وتجاهل اللغة الأولى للمتعلم يؤديان إلى جعل المؤسسة التعليمية مؤسسة تنتج الميز وعدم تكافؤ الفرص، وهي في نهاية المطاف تشتغل كمؤسسة اجتماعية وظيفتها إعادة إنتاج نفس القيم والعلاقات المجتمعية وتكريس الفوارق الاجتماعية بدل أن تكون أداة للتربية والتكوين، وحافزا للدينامية والتغيير."⁹⁰

⁹⁰ - أحمد بوكوس "الأمازيغية والمنظومة التربوية" مجلة نوافذ المغرب مطبعة النجاح الجديدة: عدد 17-18، الدار البيضاء 2002، ص 77.

الفصل الثاني: اللغة و الهوية الثقافية

المبحث الأول: اللغة و الهوية

| | |
|-----------------------------|---|
| تمهيد | ✓ |
| تعريف اللغة. | ✓ |
| تعريف الهوية. | ✓ |
| عناصر الهوية. | ✓ |
| العلاقة بين اللغة و الهوية. | ✓ |

المبحث الثاني: اللغة و الثقافة

| | |
|------------------------|---|
| تمهيد. | ✓ |
| تعريف الثقافة. | ✓ |
| عناصر الثقافة. | ✓ |
| علاقة الثقافة باللغة. | ✓ |
| اللغة و اختراق الهوية. | ✓ |

المبحث الأول: اللغة و الهوية

| | |
|-----------------------------|---|
| <u>تمهيد</u> | ✓ |
| تعريف اللغة. | ✓ |
| تعريف الهوية. | ✓ |
| عناصر الهوية. | ✓ |
| العلاقة بين اللغة و الهوية. | ✓ |

تمهيد

اللغة أداة التفاهم واكتساب المعرفة و إيماء الفكر، و هي الحبل المتين الذي بواسطته أمتن رابط يشد الأفراد و يكون من مجموعهم أمة مميزة قادرة على البقاء و النمو و الإبداع. فاللغة خاصية إنسانية أصلية يتميز بها الإنسان دون سائر المخلوقات و إذ يوصف الإنسان بالحيوان الناطق فذلك بدلالتين: دلالة العقل و دلالة الكلام أو هما متكاملتان لا تكاد تنشأ واحدة منهما بصورتها

السليمة الوافية من دون الأخرى¹. و في الآية الكريمة " وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا " ² تعبير عن هذه الحقيقة فتعلم اللغة فاتحة العلم و أساسها لا يتم بدونها، بل إن وجود بقايا مخلفات من الأدوات البدائية إلى جانب رسم الإنسان القديم، لا يمكن تطوره من دون نمط من اللغة سهل التعاون على صبغها و استخدامها.

إن اللغة فكر ووجدان وإرادة، تتحلى في المهارات وتؤدي وظائف التفكير والتعبير و التواصل. و اللغة العربية على سبيل المثال من بين اللغات العريقة التي كانت و لا تزال موضع عناية واهتمام العلماء على مر الدراسات لأنها لغة القرآن الكريم. قال تعالى: " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ³ و قال عز و جل " وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا " ⁴.

لقد نزل القرآن بلغة قريش التي كانت لغة الأدب و الكتاب عند جميع القبائل العربية، قبل نزول القرآن الكريم، مع نزول الوحي اتسعت أغراضها و ارتقت أساليبها، فظلت فصيحة حتى يومنا هذا فافتخر العرب منذ القديم بلسانها و ببيائها، و أصبح الاعتزاز بها منوطا بتلك الكرامة الإلهية كونها لغة القرآن الفصيح المبين.

1 دوجلاس براون: أسس تعلم اللغة العربية و تعليمها، ترجمة د.عبد الرحيم و د. علي أحمد شعباش، دار النهضة العربية،

بيروت، 1994، ص

² سورة البقرة ؛ الآية

³ سورة يوسف، الآية 2.

⁴ سورة طه، الآية 113.

و اللغة العربية من اللغات الراقية، فقد بلغت من الثراء في المفردات و صيغ التعبير، ما أثار إعجاب كبار علماء اللغات، من المستشرقين الذين عنوا بدراساتها، فقد أعرب "نولدكه" عن إعجابه من وفرة مفرداتها فقال: "إنه لا بد من أن يزداد تعجب المرء من وفرة مفردات العربية، عندما يعرف أن علاقات المعيشة لدى العرب بسيطة جدا وبلدهم ذو شكل واحد، و لكنهم داخل هذه الدائرة يرمزون للفرق الدقيق في المعنى بكلمة خاصة"¹.

1. مفهوم اللغة

وردت آراء كثيرة لعلماء عرب وغربيين في تفسير أصل اللغات واختلفوا في ذلك، أما العلماء الغربيون فقالوا: إنها هبة الله إلى أهل الأرض ميّز بها الإنسان من سائر المخلوقات، أي إنّها من أصل إلهي، ومن قائل: إنّها من صنع الإنسان واختراعاته، وقد أخذ بالرأي الأول الفيلسوف الفرنسي روسو، حين اعترف في رسالته التي ظهرت سنة (1750م . 1164هـ) بالأصل الإلهي حيث قال: "لقد تكلم آدم وتكلم جيدا، والذي علّمه الكلام هو الله نفسه"، أما الفريق الثاني فقد تبناه العالم "هيدر"، الذي استدللّ على بطلان نظرية الأصل الإلهي، بما يوجد في اللغة الإنسانية من عيوب اللغة وبين مصدرها الإلهي، ثم جاء علماء فقه اللغة المحدثون فقالوا: "إن الإنسان لا يفكر حتى فيما بينه وبين نفسه، إلا في أثواب من اللغة"².

ولعل الصواب يؤكد الصلة الحتمية بين الفكر واللغة.

ويرى الدكتور محمود السيد أنّ مفهوم اللغة مفهوم شامل وواسع، لا يقتصر على اللغة المنطوقة، بل يشمل المكتوبة أيضا، والإشارات، والإيماءات، والتعبيرات الوجهية التي تصاحب عادة سلوك الكلام.³

¹ سمدون حمادي و آخرون: اللغة العربية و الوعي القومي، مركز دراسات الوحدة العربية، أبريل 1984، ص 291.

² معروف، نايف محمود خصائص العربية وطرائق تدريسها، لبنان، 1998، ص 18-19.

³ السيد، محمود أحمد في طرائق تدريس اللغة العربية، دمشق، 1988، ص 11.

وهكذا اختلف العلماء الغربيون، والعرب القدامى، والمحدثين في تفسير أصل اللغات. وفي الحقيقة إنّ الله خلق الإنسان في أحسن تكوين وتقويم، وهو قادر على جعله يتكلم بأحسن لغة وأجودها.

2. نشأة اللغة

ما أصل اللغة وكيف نشأت؟

يرى العلماء أن اللغة تأخذ ثلاثة اتجاهات:

الاتجاه الأول: اللغة توفيقية "من السماء بمعنى أن الله علّمها آدم فهي وحي من السماء".

الاتجاه الثاني: يتجه إلى أن اللغة مواضعة واصطلاح من صنع الإنسان.

الاتجاه الثالث: يوفق بين الاتجاهين الأول والثاني.

وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها، إنّما هو من الأصوات المسموعات، كدوي الريح، وخرير الماء ونحو ذلك، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد.¹

أما "الصاحبي" فيقول إن لغة العرب توقيف، ودليله على ذلك قول الله عز وجل " وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا "². فكان ابن عباس يقول: علّمه الأسماء كلها، وهي هذه الأسماء التي يتعارفها الناس من دابة وأرض وجمل وأشباه ذلك من الأمم وغيرها.³

¹ ابن جنّي، أبي الفتح عثمان الخصاص، القاهرة، 1913، ص 46-47.

² سورة البقرة الآية 31.

³ ابن فارس، أبو الحسن أحمد، كتاب لصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، لبنان، بيروت، ص 31-32.

نشأتها:

يرجح العلماء أن أغلب الظن أن اللغة نشأت متدرجة من إيماء وإشارات، إلى مقاطع صوتية على أبسط ما تكون، ومنها محاكاة للأصوات، وكان للبيئة والزمان تأثيرهما الفعّال، فكان التشتت والتشعب¹.

وبعضهم نظر إلى موضوع اللغة من الناحية الصوتية، فحاول أن يكشف عمّا كانت عليه أصوات اللغة الإنسانية، في مبدأ نشأتها، وعن مراحل ارتقائها، فوجدوا أنها سارت في ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة الصراخ.

المرحلة الثانية: مرحلة المدّ.

المرحلة الثالثة: مرحلة المقاطع.

أما العلامة "شليجل" فقد قسّم اللغات الإنسانية إلى ثلاثة أقسام: اللغات المتصرفة واللغات اللصقية أو الوصلية واللغات غير المتصرفة، وتابعه فيها جمهرة كبيرة من علماء اللغة.²

أما النظريات التي قيلت في نشأة اللغة فتتلخّص في ما يلي:

- 1- الفضل في نشأة اللغة الإنسانية يرجع إلى إلهام إلهي هبط على الإنسان، فعلمه النطق وأسماء الأشياء.
- 2- اللغة ابتدعت واستحدثت بالتواضع، والاتفاق، وارتجال ألفاظها ارتجالاً.
- 3- الفضل في نشأة اللغة يرجع إلى غريزة خاصة، زوّد بها في الأصل جميع أفراد النوع البشري.

¹ السيد، محمود طرائق تدريس اللغة العربية، دمشق، 1988، ص 12-17.

² الصالح، صبحي، دراسات في فقه اللغة بيروت، 1970، ص 59.

4- اللغة الإنسانية نشأت من الأصوات الطبيعية، وسارت في سبيل الرقي شيئاً فشيئاً، تبعاً لارتقاء العقلية الإنسانية، وتقدم الحضارة، واتساع نطاق الحياة الاجتماعية، وتعدّد حاجات الإنسان.¹

فاللغة العربية هي التي ما نزال نستخدمها في الكتابة، والتأليف، والأدب. وهي التي وصلتنا عن طريق الشعر الجاهلي، والقرآن، والسنة النبوية. والواقع أن الإسلام واجه حين ظهوره لغة مثالية، مصطفاة، موحّدة، جديرة أن تكون أداة التعبير، عن خاصة العرب، لا عامتهم، فزاد من شمول تلك الوحدة، وقوى من أثرها بنزول قرآنه، بلسان عربي مبين، ذلك اللسان المثالي المصطفى. وكان تحديه لخاصة العرب، وبلغائهم أن يأتوا بمثله، أو بأي من مثله أدعى إلى تثبيت تلك الوحدة اللغوية، على حين دعا العامة إلى تدبّر آياته وفقهها وفهمها. وأعانهم على ذلك بالتوسعة في القراءات، ومراعاة اللهجات في أحرفه السبعة المشهورة.²

3 تعريف اللغة الأم:

تعدّدت الأقوال في تعريف اللغة واختلفت الآراء في أصل كلمة لغة، ففي معجم لسان العرب لابن منظور المصري جاء: "اللغة هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"³، وثمة من يرى بأن كلمة لغة قد تكون مأخوذة من لوغوس اليونانية ومعناها كلمة.⁴

وفي دائرتي المعارف البريطانية والعلوم الاجتماعية (Social sciences encyclopedia article language)، جاء أن اللغة الأصوات أفضلية عند الأمم، على بقية صور الاتصال الأخرى، من كتابة وإيحاءات وغيرها. وهذه الصور الأخرى تتم لغة الكلام، من غير أن تعوّض عنها كليّة.⁵

¹ علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ص 96-104.

² الصالح السيد، محمود، في طرائق تدريس اللغة العربية، ص 9-10، صبحي دراسات في فقه اللغة، بيروت، 1970، ط4، ص 59.

³ ابن منظور المصري، لسان العرب، الطبعة الأولى، الجزء 20، ص 116.

⁴ لويس معلوف، المنجد، بيروت، ط 1966، ص 726.

⁵ السيد، محمود، في طرائق تدريس اللغة العربية، ص 9-10.

وذكر ابن جني في الخصائص: "حدّ اللغة بأنّها: أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم. فاللغة هي الإنسان، وهي الوطن، وهي الأهل، وهي نتيجة التفكير، وهي ما يميّز الإنسان من الحيوان، وهي ثمرة العقل". والأصل في اللغة أن تكون مسموعة، لكن عندما عرفت الكتابة بالرسم، أو بالحرف، منقوشة على الحجر، أو مكتوبة على الورق، أصبحت هناك لغة مقروءة، أي أن الإنسان يقرأها بعينه. وأصبحت هناك لغتان، إحداهما سمعية، والأخرى بصرية، كون الأصل في اللغة هو الصوت، بينما الكتابة رموز تمثيلية، ساعدت على تناقل الصوت اللغوي بين الأجيال والمجموعات اللغوية، أما تصريفها ومعرفة حروفها فهي فُعلة، من لَعَوْتُ أي تكَلَّمْتُ، وأصلها لُغُوَّة، وقالوا فيها: لُغات ولُغون وقيل فيها لُغِي - يلغِي. ويعدّ تعريف ابن جني هذا تعريفاً جامعاً مانعاً، حيث يتضمن العناصر الأساس للغة وهي كونها:

- 1- نظاماً من الأصوات المنطوقة.
- 2- يستخدمها مجتمع من بني الإنسان.
- 3- تستخدم للتفاهم والتعبير عن المشاعر والأفكار.

وقال "الأسنوي" في شرح منهاج الأصول: "اللغات عبارة عن الألفاظ الموضوعية المعاني".¹

أما ابن خلدون فقد قال: "اعلم أن اللغة في المتعارف، هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل اللسان، فلا بد أن تصير ملكة متقرّرة في العضو الفاعل لها، هو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم".²

أما هيرلوك (Hurlock) فقد قال: "إنها تشمل صور التعبير قاطبة، وأن التعبير بأصوات مقطعية ما هو إلا أحد " أشكال (Livingstone LTD Clinical neurology, Hurlock(e.b): edinburgh).³

¹ السيوطي، عبد الرحمن جلال، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ص 7-8-14-15

² معروف، نايف محمود خصائص العربية وطرائق تدريسها، 1998، ص 16

³ السيد، محمود، في طرائق تدريس اللغة العربية، 1988، ص 9-10.

وعرّفها آخرون بأنها وسيلة الفرد لتلبية حاجاته، وتنفيذ رغباته في المجتمع الذي يعيش فيه، وعن طريقها يمكنه التفاهم مع الآخرين، والاطلاع على تجاربهم، وعلى تجارب المجتمعات الأخرى ماضياً وحاضراً. وهي وسيلة لنقل المعارف العصرية في مختلف المجالات.¹

وأكد العالم اللغوي السويسري "فردينان دي سوسير" أنّ اللغة، والكلام، والصوت، والمعنى جزء من الكلام. وعرّفها بأنها نظام من الرموز المختلفة، تشير إلى أفكار مختلفة.

كما أورد في علوم اللغة جملة من المفاهيم الجديدة، أهمها التفريق بين اللغة والكلام. وعدّ الأدب تابعا للغة، وتنبأ بالسيمولوجيا، وعدّها نظاماً من العلامات، وعلم اللغة جزء منها، فكانت علوم اللغة أساساً قامت عليه البنيوية، وربطت بين النقد واللغة، بوجود مستويات داخل النص كالمستوى الصوتي، ومخارج الحروف وأنساقها، والمستوى الصرفي للكلمة، والنحوي، والدلالي، ومستوى تداخل اللغة.²

والفكر اللغوي الحديث اهتم بالكشف عن ماهية البنية اللغوية العميقة، وتفسير عمل الآليات الدقيقة لمنظومة اللغة، فقد قامت البنيوية لدى "دي سوسير" على ثنائية الرمز ومدلوله، ليمهد بهذه الثنائية للقاء اللغة مع المعلوماتية و جوهرها الثنائي المعروف ولما كانت اللغة هي سندريلا العلوم، ورابطة العقد في خريطة المعرفة الإنسانية، فقد امتدت البنيوية إلى مجالات معرفية أخرى، طبقت في مجالات علم النفس، ونقد الأدب والشعر، والتنظيمات السياسية والاجتماعية، وقد يكون من المناسب في هذا المجال القول بأن عبد القاهر الجرجاني كان من أوائل كتّاب العربية، ممن وضع أسساً علمية (نظرية) لنقد الأدب والشعر، وهي تلك التي أشار إليها في نظريته للنظم.

ومن هنا تشير عبارة (اللغة الأم في التعليم) إلى استخدام الدارسين لها وسيلة للتعلّم، أو تعليمها مادة دراسية، أما بعض الخبراء فيرون أن عبارة اللغة الأم في التعليم، ينبغي أن تشمل تعليم هذه اللغة، والتعليم بوساطتها على حد سواء. وقد يشار إليها بعبارة اللغة الأصلية، حيث بيّنت الدراسات أن

¹ صالح، أحمد محمد، أهمية اللغات في العالم 1996 - ص 1

² سبتي، إبراهيم، مقال موت المؤلف وخلود الأثر، الحوار المتمدن، العدد 1563

استخدامها في التعليم في حالات كثيرة، عامل مساعد على اكتساب المهارات اللغوية، وعلى التحصيل الدراسي في المواد الدراسية الأخرى وعلى تعلّم لغة ثانية.¹

وتبقى اللغة شريكة ثدي الأم في إيضاح وعي الصغير، وراعية المتعلّم، وملهمة المبدع، وهادية المتلقي. ف "حب اللغة وممارسة اللغة" عبارتان مفتاحيتان ساحرتان لهما أكبر الأثر في حياة اللغة أو موتها، فاللغة نظام صوتي، رمزي، تستخدمه الجماعة في التفكير، والتعبير، والاتصال. واللغة تحمل المجتمع في جوفها، فهي الهواء الذي تنتفسه الجماعة، وهي النظام الذي يترجم ما في ضمائرنا من معان، وأفكار، لتستحيل بدورها إلى وسائل وأدوات تشكّل حياتها، وتوجّه سلوك أفرادها، وتكشف عن طبقاتهم وجذور نشأتهم، وعن حدود عقليانيتهم، وميولهم الفكرية.

وهي قدر الإنسان، وعالمه، وحدود لغته هي الهوية، وهي أداة صنع المجتمع، وثقافة كل مجتمع كافية في لغتها، وفي معجمها ونحوها ونصوصها وفنها وأدبها، فلا حضارة إنسانية من دون نهضة لغوية.

ولا يخفى علينا أن اللغة هي الأم التي تنسج الغزل المجتمعي، في شبكة من علاقات الوفاق، التي تقيمها بين أفراد المجتمع، وجماعاته، ومؤسساته، ونظمه، ومعتقداته، فلا وفاق بلا لغة، ولا مجتمع بلا وفاق. كما تساهم في صياغة المجتمع الذي يساهم بدوره في صياغتها، حيث تؤكد الفلسفة اللغوية الحديثة، أنّه لا يمكن التصدّي لدراسة العلاقة بين الذات المعبّرة، والمعنى المعبر عنه، دون رصدّها. وهي تعمل في سياقها الاجتماعي. فالجماعة الناطقة باللغة هي التي تهب الألفاظ معانيها خلال استعمالها اللغة في غمرة قيامها بأنشطتها اللغوية. فاللغة هي الأم التي ترعى كل ناطق بها، ولا تضيق ذرعاً بصراحة كلماتها، وتغفر للعامة تجاوزها، ولا تحرم النخبة من تميّزها.²

¹ اليونسكو، التعليم في عالم متعدد اللغات، 2003، ص 15-16.

² مذكور، علي أحمد، التربية وثقافة التكنولوجيا، سلسلة الفكر العربي للتربية وعلم النفس - الكتاب رقم 27، الفصل 4، ص 155.

1- اللغة و الجنس:

كانت قضية "اللغة و الجنس" من القضايا التي شغلت اللغويين و الأنثروبولوجيين في القرن التاسع عشر. وكان اللغويون يذهبون إلى معرفة المراحل التي تطورت فيها اللغة تفسر لنا تاريخ الأزمنة القديمة. وقد قبل عدد من الأنثروبولوجيين هذه الدعوى، و ذهب إلى أن اللغة تفسر الجنس الذي تحدث بها. و قد حاول جون كينيدي John Kennedy في عدد من أبحاثه أن يبرهن على أن الهنود الأمريكيين قد هاجروا إلى أمريكا من قارات أخرى، و ذلك بمقارنة عدد من الظواهر اللغوية عند بعض قبائلهم بلغات لا تزال موجودة في غرب إفريقيا.

و تقدم كلارك Hyde Clarke خطوة حين صنف اللغات حسب خصائص معينة تصلها بالجنس.

على أن هذا الاتجاه لم يجد قبولا لدى كثير من الأنثروبولوجيين، فعارضه عدد كبير منهم، وقد أشار تايلر Tylor إلى أن وصل اللغة بالجنس إنما هو وصل زائف، ذلك أن هناك أجناسا مختلفة تتحدث لغة واحدة، و هناك أجناس تغير لغاتها، و قال "سايس Sayce" إن المجتمع هو الذي ينظم اللغة و ليس الجنس، و أشار الأستاذ وتني Whitney إلى أن اللغة تكتسب، و لا تصنع، و هي مؤسسة، و جزء من ثقافة الشعب الذي تنتمي إليه، و هي خاضعة للتغيير كأى مظهر من مظاهر الثقافة"¹.

و الحق أن وصل اللغة بالجنس لم يكن يجد ما يسنده من أدلة التاريخ و لا أدلة البحث الحقلية لكن ذلك لم يمنع أن يذهب عدد من الأنثروبولوجيين إلى أن هنالك صلة غير مذكورة بين الخصائص المميزة للغة معينة، و "عقلية" الجنس الذي اصطنعها، و قد دافع الأستاذ "جوستاف أوبرت Gustav Oppert" عن هذا الاتجاه بقوله: "إن اللغة تحتفظ بينيتها الخاصة، و هي إن لم تتوافق دائما مع أمة خاصة-فإنها تدل على الجنس الذي تحدث بها أولا، و هي تحتفظ بالنمط

¹ عبده الراجحي، اللغة و علوم المجتمع، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الثانية، 2004، ص16.

الذي كان عليه تفكير أولئك الذين انبثقت بينهم اللغة باعتبارها وسيلة طبيعية للاتصال، رغم أن الجنس قد يكون اختفى اختفاء تاماً¹.

و إذا كان "مولر" قد ذهب أول الأمر إلى أن اللغة الآرية يمكن أن تفيد في اكتشاف الجنس الآري فإنه عاد ليؤكد ضرورة التفريق بين اللغة و الخصائص الجنسية، و نحن حين نتحدث عن عائلات آرية أو سامية، فإن الأساس في التصنيف هنا أساس لغوي، بمعنى أن هناك لغات آرية وأخرى سامية، و لكن ليس من المنطقي أن نتحدث عن جنس آري و دم آري و جماجم آرية. و ينبغي أن نتوقف عن محاولة استخلاص نتائج عن طريق وصل اللغة بالدم، أو وصل الدم باللغة.

و من الملاحظ أنه لا تزال هناك أفكار غامضة عن اللغة مبنية في الأغلب على وجود خصائص تميز اللغات وفقاً للجنس، و نحن نقراً حتى الآن عمن يقول إن الإنجليزية لغة التجارة، والألمانية لغة الحرب، و الفرنسية لغة النساء، و الإيطالية لغة الأصدقاء، و الإسبانية لغة العبادة. ولا تزال أيضاً أن الإيطالية لغة "موسيقية"، و أن الإنجليزية كما تنطق في ويلز لغة "رتيبة"، و أن الألمانية حنجرية "Guttural"، و أن الفرنسية "فياضة"².

و الذي لا شك فيه أن مناقشات الأنثروبولوجيين في هذه القضية قد أفاد الدرس اللغوي، ذلك أن رفض الصلة بين اللغة و الجنس ساعد على تغيير المنهج اللغوي الذي كان سائداً في القرن التاسع عشر، و هو المنهج الذي كان يجمع اللغات التي تنتمي إلى جنس معين و يدرسها في إطار التاريخ و المقارنة، و من ثم كان اتجاه علم اللغة الحديث الجنس"، و لا تزال نذكر تأثير الأبحاث الحقلية الأنثروبولوجية على علم اللغة في أمريكا على وجه الخصوص.

¹ Henson (Hilary): Early British Anthropologists and Language. in :Ardener.Social Anthropology and Language. Pp3-32.

² Wardhaugh, Ronald, Introduction to linguistics, Mc Graw Hill, Inc, New York 1972, p.2.

2- اللغات البدائية: Primitive Languages

كان الأنثروبولوجيون الأوائل يعتقدون أن هناك "لغات بدائية"، لأن اللغة عندهم ترتبط بالقدرة العقلية للجنس، و ما دام هناك "بدائيون" فلا بد أن تكون لغاتهم بدائية و غير متطورة. والمقياس الذي كانوا يحكمون به على هذه اللغات مقياس اللغات الأوروبية، و قد حاول عدد منهم أن يستنبط الخصائص التي تميز اللغات البدائية، و رأوا أنها تتمثل فيما يأتي:

أ- أن اللغات البدائية غير قادرة على التعميم و التجريد، يقول بايني Payne: إن البدائيين لديهم كلمات كثيرة عن شيء واحد، فهناك مثلا لفظة تعبر عن (قطع) ثمرة المانجو و أخرى عن (قطع) ثمرة الموز، و ثالثة عن (قطع) غصن شجرة، و هكذا قد تجد خمسين كلمة تعبر كل منها عن (قطع) شيء بعينه و لكن ليس لديهم كلمة واحدة تعبر عن (القطع) نفسه بعامه.

" و قد تجد عند البدائيين كلمات كثيرة عن الطيور، و الأسماك، و الأشجار، على اختلاف أنواعها و لكنك قد لا تجد كلمة عامة تطلق على (طائر) أو (سمك) أو شجرة... و هكذا"¹.

ب- أن اللغات البدائية عاجزة عن التعبير تعبيرا دقيقا محددًا، و ذلك لأن مفرداتها محدودة جدا، و هذه خصيصة تناقض الخصيصة السابقة، فعلى حين رأينا كلمات كثيرة تطلق كل منها على شيء بذاته دون أن تكون هناك كلمة واحدة تدل على هذا الشيء "مجردا"، نرى هنا نقصا كبيرا في المفردات، بحيث تطلق اللفظة الواحدة على أشياء كثيرة قد لا يكون بينها رابط ما، و يتحدد المقصود بعوامل خارجية.

ت- أن اللغات البدائية معرضة دائما للتغير السريع، و قد قدم عدد من الدارسين أمثلة للغات بعض القبائل تغيرت على أزمان قصيرة، و من الواضح أن ما يعرف باللغات المتقدمة لا تخضع لمثل هذه الدرجة من التغير لما يستقر فيها من أعراف لغوية و أنماط أدبية مكتوبة.

¹ Ardener Edwin. Social Anthropolgy and Language. tavistock publications, 1971, p7.

إن فكرة "اللغات البدائية" انبت عند الأنثروبولوجيين إذن على أساس صلتها بالقدرة العقلية للمتكلمين، و إذا كانت هذه الفكرة ظلت سائدة فترة غير قصيرة، فإن الدرس اللغوي الحديث رفضها، و لم ير ما يثبت وجود فروق تركيبية بين لغات "البدائيين" ولغات الشعوب المتقدمة، فاللغة في نهاية الأمر "نظام"، و قد ثبت أن كل لغة من هذه "اللغات البدائية" لها نظامها الصوتي و نظامها الدلالي و أنها قادرة على التوصيل داخل المجتمع، و أنها تستطيع أن تستوعب كل ما يريد أن ينقله أصحابها و كل ما يجد عليهم من ألوان الحياة.

3- اللغات البدائية و أصل اللغة:

لقد دفعت فكرة اللغات البدائية الأنثروبولوجيين إلى دراستها باعتبارها دليلا على ما حدث من تطور في اللغة الإنسانية، و قد تفقنا على "أصل اللغة".

و البحث في "أصل اللغة" كان بحثا قديما، و إن كان علم اللغة الحديث قد توقف عنه لأسباب علمية معروفة. لكن الاحتكام إلى اللغات البدائية أفاد في تأكيد عدد من القضايا اللغوية المهمة.

و قد أعجب الأنثروبولوجيون إعجابا شديدا بما قدمه لغويو القرن التاسع عشر من مقارنات في اللغات الهندية الأوروبية في محاولة لإعادة صياغة اللغة الأم، و قد أعجبوا خاصة بما انتهت إليه أبحاث بعض هؤلاء اللغويين من أن الهندية الأوروبية الأولى كانت تتكون أصالة من كلمات ذات مقطع واحد monosyllabic و قد جعلت هذه النتيجة بعض الأنثروبولوجيين يتمسك بأن اللغة نشأت من تقليد أصوات الحيوانات غير المتميزة، و كان هذا الرأي مناسبا جدا لآراء دارون في التطور، بل إن "مولر" نفسه ذهب إلى أن هذا الاتجاه لا يفسر الفرق بين الأسود و الأبيض، و بين الحار و البارد و بين النغمة المرتفعة و النغمة المنخفضة في الموسيقى".¹

على أن عددا آخر من الأنثروبولوجيين لم يقبل فكرة أحادية المقطع، لأن اللغات البدائية التي كانت موضع دراستهم لم تكن تنتمي إلى الهندية الأوروبية من جهة، و لم تكن تتميز بهذه الظاهرة من جهة أخرى. و قد ذكر بايني Payne أن الشكل اللغوي للغات البدائية يتميز بشيء آخر، هو ما

¹ فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت 1967 ص 9-29.

يعرف بالعبارة الكلية Holophrase أو الكلمة الشاملة word Portmanteau، و هي "نطوق" لا يمكن تحليلها، إنها أشياء عامة، و تقدم انطباعات مختلفة، و هي لا شك أكثر تحديدا من الصيحة الحيوانية. و هذا الشكل من اللغة له نظمه الخاص، و لكنه ليس نظما من كلمات أو أدوات، و إنما هو مكون من تصورات.

و فكرة العبارة الكلية أدت إلى الاهتمام بظاهرة أخرى عند البدائيين، و هي ظاهرة استخدام الإشارة في التعبير اللغوي، و قد شغل "تايلر" نفسه بهذا الموضوع في محاولته بحث أصل اللغة، واكتشف ما ذهب إليه "دي سوسير" بعد ذلك من و أنها ينبغي أن تدرس في إطار السيميولوجيا. لقد أجرى تايلر أبحاثا عن "الإشارات" التي يصطنعها الصم و البكم في معهد برلين، ثم قارنها بتلك التي يستخدمها الصم و البكم في إنجلترا، ووجد تشابها كبيرا بينها. ثم قارن هذه الإشارات بتلك التي يستخدمها الهنود الأمريكيون فوجد تشابها كبيرا أيضا، و قد أفضى به ذلك إلى أن يقرر أن هناك "قدرة" خاصة لدى الإنسان على خلق "العلامة"، و أن هذه القدرة هي التي أدت إلى اللغة المنطوقة. و في هذا الوقت كانت ثمة أبحاث تؤكد أن اللغات البدائية أكثر اعتمادا على الإشارة.

و هذه الأبحاث جعلت "تايلر" يظن أنه على وشك اكتشاف الأصل الذي صدرت عنه اللغة وذلك باهتمامه بالإشارة أو بنظام العلامات على العموم، و أهم ما توصل إليه هو إدراكه أن الإشارة و اللغة تعتمدان على قدرة الإنسان على الرمز و التجريد، و هذه كلها أدت إلى آفاق جديدة في الدرس اللغوي.

4- اللغة و الأسطورة:

و البحث في أصل اللغة أدى إلى قضية أخرى، و هي صلة اللغة بالأسطورة، و القضية في أساسها تقوم على أن اللغة ليست إلا "صورة خارجية للفكر". ويقول مولر: "رغم أننا نؤمن أن الفكر لا يمكن أن يوجد بدون اللغة، و أن اللغة لا يمكن أن توجد بدون الفكر، فإننا نميز الفكر من اللغة،

أي نميز الشيء الداخلي من الكلام الخارجي، أي نميز المادة من الصورة، و نحن نعتزف أن اللغة تؤثر أيضا على الفكر، و أن هذا التأثير يفيد في تفسير اللغة القديمة و الأساطير¹.

و يرى مولر أن اللغة لم تكن تستطيع أن تمثل الفكر دون أن تحرفه تحريفا ما، و هو يسمى المراحل المبكرة من الكلام الإنساني بأنها المرحلة الأسطورية Mythopoiétique période حين كانت الأشياء تسمى بصفاتهما، و قد أخذ ذلك من دراساته في السنسكريتية، فالشمس كانت تسمى (الساطع) Shiner، و القمر كان يسمى (القياس) Measurer و النهر يسمى (الجارى) Runner أو (الحراث) Plougher و معنى ذلك أن اللغة في هذه الفترة كانت قائمة على (التشخيص)، و حين انتهت هذه المرحلة فقدت اللغة كما يقول (وعينها الاشتقاقي)، و بدأت المعاني القديمة تخضع لسوء التفسير. و يلاحظ مولر أن اللغة في المراحل التالية كانت تمثل "صعوبات" أمم التفكير الخالص، و أن الناس حاولوا تفسير هذه الصعوبات بتحويلها إلى أساطير، و من أشهر الدلالة على ذلك أن الناس وجدوا اللغة تسمى ظواهر طبيعية بأسماء إما مذكرة و إما مؤنثة، و لم يفهم الناس أسباب هذه التسمية فبدأوا يحولونها إلى كائنات حية و يخلقون حولها الأساطير.

و علاقة اللغة بالأسطورة جعلته يؤكد أن اللغة لا يمكن أن تكون وسيلة كأمثلة لنقل الفكر، لأنها لا تستطيع أن تتخلص من خصيصتها الشعرية، و من طبيعتها في خلق الأسطورة، و يقول: "إن الأسطورة لن تختفي إلا إذا تطابقت اللغة مع الفكر، و ذلك ما لن يحدث أبدا".

و المهم في ذلك كله أن مولر يرى أن تفسير الأساطير يجب أن يعتمد على دراسة اللغة.

5- نظرية سياق الحال: Context of situation

و هي نظرية تستحق شيئا من الحديث المفصل لأنها تمثل ركنا من أركان الدرس اللغوي.

و المعروف أن هذه النظرية تنسب إلى مدرسة لندن اللغوية و بخاصة إلى الأستاذ فيرث، و هي تمثل أساس نظريته في المعنى، و جزءا مهما من النظرية اللغوية في بريطانيا. و إذا كانت قد فقدت

¹ Ardener, p.13.

بعض أهميتها بعد وفاته 1960 حين طغى التحليل الفونولوجي و النحوي مركزا على الجوانب "الشكلية" في اللغة، فإن دراسة "المعنى" عادت إلى صلب البحث اللغوي عند تشومسكي وأصحابه".¹

و الحق أن "سياق الحال" ليست من ابتكار الأستاذ فيرث، و إنما يرجع بعض ملاحظها إلى لغويي القرن التاسع عشر، و قد عرض فيجنر Wegener (1885) لما أسماه "نظرية الموقف" Die situations theorie، لكن معالمها الرئيسية ترجع إلى العالم الأنثروبولوجي "برونسلاو مالينوفسكي". وهو نفسه يعد نقطة تحول في البحث الأنثروبولوجي حين جعل اهتمامه منصبا على الوصفية Descriptivism و الوظيفية Functionalism أو دراسة البنية على العموم Structuralism، بعد أن كان درس الثقافات مقصورا في الأغلب على التناول التاريخي. و هذا الاتجاه دفعه إلى دراسة الثقافة عن طريق الحياة بين أصحابها، و قد قضى أربع سنوات في جزر التروبرياندا وحدها Trobraind من 1914 إلى 1918. و قد بدأ مالينوفسكي التدريس بجامعة لندن 1924، و تلمذ له معظم الأنثروبولوجيين الاجتماعيين، و يؤكد بريتشارد أن "الدراسات الحقلية الشاملة التي تميز الأنثروبولوجيا الاجتماعية الحديثة تدين بطريق مباشر أو غير مباشر إلى تعليمه".²

و قد توصل إلى فكرة "سياق الحال" من خلال أبحاثه الحقلية هذه، ثم قدم شرحا وافيا لها في بحثه عن "مشكلة المعنى في اللغات البدائية" الذي ألحقه بكتاب "أوجدن و ريتشاردز "عن معنى المعنى"، و نحن نوجز هنا ما قدمه في هذا البحث".³ حين كان يجري أبحاثه بين بعض القبائل الميلانيزية في غينيا الجديدة الشرقية جمع عددا كبيرا من النصوص تشمل صيغا سحرية، و فنونا شعبية، وأقاصيص و غير ذلك من ألوان الكلام، ثم حاول أن يترجم هذه النصوص إلى الإنجليزية و أن يكتسب إلى ذلك نحوا لهذه اللغة و معجما لها، فواجهته صعوبات جوهرية و بخاصة أنه حاول

¹ Firth, J. R. Selected papers, edited by Palmer, Longman 1968 p.139.

² إيفانز بريتشارد، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ترجمة الدكتور أحمد أبو زيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب ص 98-100.

³ Malinowski, The problem of Meaning in Primitive Language. supplement in Ogden and Richards, The meaning of meaning, Routledge and Kegan Paul Ltd, London, tenth edition, 1949, pp.296-336

الاطلاع على قوانين بعض هذه اللغات التي كتبها المبشرون لأغراضهم العملية، و التي كانت تقوم على تقديم النصوص اللغوية في أقرب صورة لها في الإنجليزية، و قد رأى هو أن هذه الترجمة العملية لا تصلح لشيء، و أن الترجمة ليست تقديم الكلمة المقابلة، و لكن بأن تقرر أ توجد فكرة-و إن تكن جزئية على الأقل- عند المتكلمين الانجليز تقابل الكلمة الوطنية و من الملاحظ أن الكلمات التي تشير إلى النظام الاجتماعي الوطني، و كل التعبيرات التي تعبر عن معتقدات هذه القبائل، و عن عاداتها، و احتفالاتها، و ألوان السحر لديها، كل أولئك ليس موجودا في الإنجليزية و لا في أية لغة أوروبية أخرى. و ترجمة هذه الكلمات و التعبيرات لا يقتضي تقديم نظائرها المتخيلة لأن نظائرها الحقيقية غير موجودة-و إنما تقتضي شرح معانيها عن طريق وصف دقيق للثقافة و التقاليد لمجتمعات هذه القبائل.

على أن هناك صعوبة أخرى مهمة، و هي أن الطريقة التي تستعمل بها اللغة تختلف عن طريقتنا، و ذلك أن التركيب النحوي في اللغات البدائية يفتقر إلى الدقة و التحديد، و الجمل تتميز بقدر كبير من البساطة، لكن هذه البساطة تخفي قدرا كبيرا من التعبير لا يمكن الوصول إليه إلا بموقف أو السياق. " و يقول "ماليونفسكي" إنك إذا ذهبت إلى هذه القبائل، و معك شارح ممتاز يشرح لك كل كلمة تسمعها فإنك لن تفهم ما يدور أمامك من حديث"¹.

و قد قدم من لغات بعض هذه القبائل و التعبيرات التي تقابلها في الإنجليزية، و انتهى إلى أن الذي يسمع هذه التعبيرات يحتاج أن يعرف "الموقف" الذي تقال فيه، و أن يعرف كيف توضع موضعها من ثقافة المجتمع.

و الترجمة اللغوية المحضة لا تؤدي إلى شيء، و ينبغي أن يعرف أن التحليل اللغوي لا بد أن يفرض علينا أن ندرس كل الموضوعات التي تقدمها الدراسة الاثنوغرافية الحقلية.

¹ عبده الراجحي، اللغة و علوم المجتمع، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الثانية، 2004، ص 24-25.

و هذه الأمثلة التي قدمها تثبت أن اللغة "تمتد بجذورها إلى حقيقة الثقافة"، و إلى الحياة القبلية، و عادات الناس، و أنها لا يمكن أن تشرح دون إشارة مستمرة إلى هذه السياقات الواسعة للنطق الكلامية".

و يقارن مالمينوفسكي في وقته بين دراسة "اللغات المتقدمة"، و "اللغات البدائية"، فيبين أن دراسة اللغات المتقدمة و كذلك اللغات الميتة- تتم في الأغلب من خلال النصوص المكتوبة، على حين يستحيل ذلك في اللغات البدائية، و من ثم يختلف عمل عالم الفيلولوجيا عن عالم الاثنوغرافيا، لان الأول يدرس اللغة في صورتها المكتوبة، و يدرسها الثاني في صورتها المنطوقة و على حالتها من "التدفق".¹

و يهتم الفيلولوجي بإعادة صياغة الموقف العام، أما الاثنوغرافي فيدرس ظروف الثقافة درسا مباشرا و يفسر الأشياء على ضوءها.

و يؤكد مالمينوفسكي أن هذا المنهج هو أصح سبيل إلى الدرس اللغوي و إلى بحث حياة اللغات.

و قد انتهى مالمينوفسكي من عرضه إلى النتائج التالية:

1- إن التعريف الذي كان سائدا للغة، على أنها التوصيل الصوتي للأفكار، ليس تعريفا ذا قيمة، لأنه لا يصلح إلا لجانب معين من اللغة، و هي اللغة المستعملة في قاعات الدرس أو في مناظرات المثقفين.

2- إن اللغة ليست علاقة مقابلة للفكر، و إنما هي "نمط من النشاط"، يتميز بما يتميز به أي نشاط اجتماعي تعاوني آخر.

3- إن النطق اللغوي لا تنطق، و لا تفهم، في حد ذاتها، و لكنها تفهم في "سياق الحال" يضم كل ما هو شخصي، و ثقافي، و تاريخي. بل يفرض معرفة الوضع الفيزيقي الذي تم فيه الكلام بين متكلمين و سامعين.

¹ المرجع السابق ص 25.

4- إن استعمال الإشكال اللغوية و الكلمات، و الجمل، تفهم من السياق، و ينبغي أن يشرحها اللغوي في هذا الإطار. إن علاقة المعنى لا ينبغي أن تفهم على أنها علاقة ثنائية، بين اللفظ و ما يشير إليه، بل على أنها مجموعة من العلاقات المتعددة الأبعاد، و هي أساس علاقات وظيفية بين اللفظة في الجملة و سياقات حدوثها.

5- و يترتب على ذلك أن الألفاظ ليست اختلافات عالمية، لكل لفظة ما يقابلها في لغة أخرى، و لكن المهم هو أن ندرك أن "اللفظة" تعتمد على "ثقافة" المجتمع، و الترجمة ممكنة فقط عند فهم السياق الثقافي. ولعل الترجمة بين اللغات الأوروبية كانت سهلة لاشتراك هذه اللغات في الميراث الثقافي، و كلما اختلفت الثقافات و تباعدت صعبة الترجمة.

6- إن "اللفظة" ليست هي الوحدة الأولى للمعنى، و لكنها الجملة، فالجمل هي التي تنطلق و تفهم، و الألفاظ ليست إلا مستخرجات من المعاني، و من الوظائف السياقية، و من الجمل، و كل ما تحاوله المعاجم هو أن تلخص هذه المستخرجات.

هذه هي الخطوط العامة لفكرة "سياق الحال" كما عرضها مالينوفسكي، و قد التقطها الأستاذ فيرث و أعجب بها إعجابا شديدا، و كتب بحثا يؤكد فيه تأثيره بآراء مالينوفسكي¹.

و قد أشار إلى أن أهم إضافة قدمها مالينوفسكي تذكر فيما يلي²:

1- تقديمه نظرية عامة، و بخاصة استعماله لتصورات "سياق الحال"، و أنماط الوظائف الكلامية.

2- تقريره أن معنى "اللفظة" يتحدد بالإشارة إلى السياق الثقافي.

3- بحثه قضية المعنى و الترجمة.

4- بحثه صلة اللغة بالثقافة، و صلة علم اللغة الانثروبولوجيا.

¹ Firth (J.R)، Ethnographic Analysis of Language with Reference to Malinowski's Views. In: Selected Papers، pp.137-161.

² Ibid، p.153.

و أهم ما في منهج فيرث أنه كان مقتنعا بأن اللغة نشاط اجتماعي ذو معنى، و من ثم عارض اتجاه المدرسة الأمريكية معنى من التحليل اللغوي كما نعرف عند "بلومفيلد" و أتباعه.

لقد كان فيرث يلح دائما على أن "السلوك اللغوي العادي إنما هو جد ذو معنى، و هو يوجه إلى الاحتفاظ بالأنماط الصحيحة من الحياة".

"That normal linguistic behaviour as a whole is meaningful effort. Directed ¹towards the maintenance of appropriate Patterns of life .

و التأكيد على قضية المعنى عنده أفضى به إلى الإفادة من أفكار "مالينوفسكي"، و على أساسها أقام نظريته عن "سياق الحال" و جعلها التصور الأساسي في علم الدلالة semantics، بل جعل مصطلح الدلالة يعني الدراسة السياقية، فيقول:

"إن التصور الرئيسي في علم الدلالة كله هو سياق الحال، هذا السياق يشمل المشارك البشري أو المشاركين، و يشمل ما يقولونه، و ما يجري هناك.

و يستطيع عالم الأصوات أن يجد فيه سياقه الصوتي، و يستطيع النحوي و المعجمي أن يجدا فيه سياقاتهما. و إذا أردت أن تبرز الأصل الثقافي فانك تجد فيه سياقات الخبرة لدى المشاركين. ذلك أن كل إنسان يحمل ثقافته معه و جزءا كبيرا من حقيقته الاجتماعية حيثما يذهب. و لكن حتى حين ينتهي عالم الأصوات، و عالم النحو، و عالم المعاجم يبقى التكامل الأكبر الذي يفيد من عملهم جميعا في الدراسة الدلالية، و لهذه الدراسة السياقية و التجريبية أحتفظ بمصطلح "علم الدلالة"².

و في تقديمه لعلم الدلالة كما يراه عرض لبعض المبادئ التي يقوم عليها البحث اللغوي، وفحصها في تخطيط عام على النحو التالي:

1- إن اللغة ميل طبيعي إلى استخدام قدراتنا الفيزيقية في صنع أصوات وإشارات،

و علامات، و رموز، ذات معنى.

¹ Firth, papers in Linguistics, Oxford University press, London, 1957, p.225.

² Firth, the Technique of semantics, in Papers in linguistics, p.27

- 2- وهذا الميل يحتفظ بنشاط منظم، و هو ما نصفه في أعمال النحو، و المعاجم و النواحي الأخرى لعلم اللغة. و هناك ميدان واسع للبحث في الدراسة العامة للغة.
- 3- و نحن حين ندرس لغة معينة، فإننا نقصد أن نشير إلى نظام لغوي معين، يجد حياته بأداء الأشخاص له.
- 4- إن الدراسة المقارنة للأنظمة اللغوية ميدان واسع أيضا، و قد تطور تاريخيا في اللغات الهندية الأوروبية، لكن علم اللغة الوصفي قد بدأ. و هذا المنهج الوصفي الذي يتضمن الدراسة المباشرة للأشخاص في نشاطهم الحي، يحمل المستقبل العظيم لعلوم اللغة.
- 5- إن الكلام قد يكون شفويا و قد يكون كتابة، و ينبغي أن ننظر إليه باعتباره يحدث في "سياق للحال". و الحدث الكلامي Speech event في "سياق الحال" إنما هو تجريد فني من النطوق، و الحدث الكلامي يمكن أن يقسم إلى أجزاء فرعية.
- 6- و هذه "الأحداث" الكلامية تعبيرات من نظام اللغة.
- 7- إن الكلام يتكون من أحداث كلامية لا حصر لها، و هي تقع في سياقاتها، و تتبع من عالم من الأصوات البشرية و من الأوراق المكتوبة¹.
- و يتقدم فيرث بعد ذلك فيجدد العناصر التي ينبغي أن يعتمد عليها اللغوي في دراسة اللغة على أساس "سياق الحال"، و يرى أن هناك ثلاث علاقات داخلية تشكل أساس البحث:
- 1- العلاقات الداخلية لعناصر التركيب، و الكلمات، و أجزاء النص الأخرى.
- 2- العلاقات الداخلية للأنظمة التي تجعل لهذه العناصر قيما معينة.
- 3- العلاقات الداخلية لسياقات الحال.
- و هذه العلاقات الأخيرة هي التي ركز عليها في غير موضع من أبحاثه و هي²:
- 1- الملامح الخاصة بالمشاركين، أشخاص أو شخصيات.

¹ Firth, 'The Semantics of Linguistics', in Papers, p.144.

² Firth, 'Personality and Language in society', in selected Papers p.182

أ- الحدث الكلامي للمشاركين.

ب- الحدث الغير كلامي للمشاركين.

الأشياء ذات العلاقة بالموقف.

2- تأثير الحدث الكلامي.

و قد كان فيرث يهدف من نظريته إلى ثلاث أغراض:

1- معرفة الأساليب المختلفة للنطق، و تصنيفها حسب المواقف الصحيحة بالإضافة إلى معرفة الملامح الشكلية نفسها، و هي الأشكال النمطية، و الأدبية، والعامية، و غيرها.

2- وصف الاستعمال الفعلي لنطق معين في موقفه الخاص باعتباره شيئاً فريداً.

3- معرفة الوظائف الدلالية التي يمكن إرجاعها إلى التركيبات النحوية. و أنواع التنغيم ثم معرفة معاني الألفاظ المفردة باعتبارها أجزاء من الكلام¹.

لقد ظل فيرث يركز على نظريته في علم الدلالة على أساس "سياق الحال"، لكنه لم يطبق هذه النظرية تطبيقاً كاملاً بحيث تصبح منهجاً محرراً للمعالم معروف الخطوات. على أن بعض زملائه وتلاميذه نهض بشيء من هذا التطبيق، و بخاصة الأستاذ ميتشل T.F Mitchell في مثل بحثه عن "لغة البيع والشراء في سيرانايكا" و قد عاد الاهتمام بالدرس الدلالي عند من يسمون بالفيرثيين الجدد Neo-Firthians في بريطانيا، وعند التحويليين في الولايات المتحدة.

و مهما يكن من أمر " فان "سياق الحال" كانت نظرية حاولت أن تقول شيئاً أبعد من معرفتنا بمعاني الكلمات، و كانت أساس العمل اللغوي لدى كثير من العلماء و قد عادت تلقى عناية أصحاب الاتجاهات الأخيرة. و لعلها هي التي دفعت اللغويين الآن أن يدركوا حاجاتهم إلى دراسة

¹ Robins :Malinowski،Firth،and The Context of situation in Ardner، social Anthropology and Language،p.37

العلاقات المتداخلة في المعنى. و هناك من يرى أن النظرية لا تزال ذات قيمة لعلماء اللغة والاثنوغرافيا على السواء¹.

و قد لا يكون بعيدا عما نحن فيه أن نشير إلى أن العرب القدماء كانت لهم إشارات إلى الموقف، أو "المقام" أو غير ذلك مما قد يشبه فكرة "سياق الحال" من هذه الإشارات ما أفرده المفسرون لمعرفة "أسباب النزول"، يقول عنها الواحدي: "إذا هي أوفى ما يجب الوقوف عليها، و أول ما تصرف العناية إليها، لامتناع معرفة تفسير الآية و قصد سبيلها دون الوقوف على قصتها و بيان نزولها". و يقول السيوطي: "و لمعرفة أسباب النزول فوائد، منها معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، و منها تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب. و منها ن اللفظ قد يكون عاما و يقوم الدليل على تخصيصه فإذا عرف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته فإن دخول صورة السبب قطعي و إخراجها بالاجتهاد ممنوع... و منها الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال.

اللغة و الهوية

إن اللغة هي إحدى ركائز الثقافة، و أهم خاصية تميز الإنسان عن باقي الكائنات الأخرى فعن طريقها تجمع و تسجل الثقافة. فلا يمكن الحديث عن اللغة دون الحديث عن الهوية، فكلاهما يقع في أساس فهم التحولات التي نشهدها في الزمن الحاضر، فلا يتم الاحتكاك و الاتصال بين الأفراد إلا بواسطة اللغة. و إذا كانت اللغة من المقومات الأساسية للهوية فأي مصير ينتظرها وسط هذا التنوع الثقافي الذي يفرضه النظام العالمي الجديد، و هل تملك المقومات الأساسية للإثبات وجودها أمام النمط الثقافي الموحد.

ثم إذا كانت اللغة تمثل الركيزة الأساسية في الشعور بالهوية فهل يعني ذلك أن الواقع والمشهد اللغوي الجزائري المزري اليوم يعد عاملا أساسيا في زعزعة هذا الشعور بالانتماء. و نحن نعيش تحت ظل التصادم اللغوي و الحضاري وتقنيات العصر المزودة بالثقافة الرقمية والحاسوب و الانترنت. ذلك

¹ Ibid،p.44 .

لان اللغة نتاج العقل الجمعي لا يمكن للفرد أن يخرج عنها أو عن نظامها و إلا واجه عقاب المجتمع وازدراءه.¹

-تعريف الهوية

كثر الحديث عن موضوع الهوية في السنوات الأخيرة حيث انشغلت القرية العربية بمفهوم الهوية و تعددت هذه الهوية بالنسبة للمواطنين العرب، و عن تعدد الأجناس و الثقافات بالوطن العربي، لكل منهم ثقافته و لكل منهم هويته. فهناك من تحمس إلى الإسلام كهوية، و من رجح العربية، و تعددت الأفكار و الآراء. و لكن مع بداية القرن الجديد (القرن 21) تغيرت الأوضاع، و أصبح المجتمع العربي يعيش وسط مجمعة العولمة، أي النظام العالمي الجديد و الذي يجعل بلا شك كل مثقف عربي يقف متسائلاً عن فحوى الاختلاف بين الثقافات و بالتالي عن مصير هوية كل شعب من الشعوب النامية.

و لقد تسارعت الأفلام اليوم و تسابق الجميع إلى البحث في الذات والهوية و خاصة الهوية الثقافية التي تعتبر العمود الأساسي الداعم لكل النشاطات و الأعمال الحياتية و اليومية و المستقبلية لكل أمة من الأمم. فسعي كل هوية لإثبات ملكيتها التاريخية و الواقعية للهوية الجغرافية للجزائر قد حقق لكل منها مكسبا واحدا على الأقل هو إشعار الهويات الأخرى بوجودها، و من ثمة أصبح لكل هوية مكان في ميزان الحسابات و التوفيقات التي تتم على أرض الواقع. و إذا كان لا بد لهذه الصراعات من حلبات تتم عليها فإن الحياة السياسية و الدينية و الوسط العمالي و المنظومة التربوية واللغة هي أهم الفضاءات التي يتم فيها التفاوض بين مختلف الهويات الفردية و الجماعية.

إن موضوع الهوية و التي نصنفها ضمن المسائل الأساسية للجزائر المعاصرة، أصبحت الموضوع المفضل لرجال السياسة و الدين و باقي الأيديولوجيين، كعلاقة الهوية بتطور المجتمع و الحياة النفسية و اللغة و الدين والعولمة و الديمقراطية وعالم الشغل. "والهوية مأخوذة من هُو بمعنى أنها جوهر الشيء، وحقيقته، لذا نجد أن الجرجاني في كتابه التعريفات يقول عنها: "بأنها الحقيقة المطلقة المشتملة على

¹ علي عبد الوا حد وافي، اللغة و المجتمع، دار النهضة بمصر، 1971، ص2.

الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق.¹ فالهوية هي حقيقة الشيء أو الشخص المطلقة، المشتملة على صفاته الجوهرية، و التي تميزه عن غيره، و تسمى أيضا وحدة الذات. إن الهوية بهذا المعنى تشمل الامتياز عن الغير، و المطابقة للنفس، أي خصوصية الذات، و هو ما يميز الفرد أو المجتمع عن الأغيار من خصائص و مميزات و من قيم و مقومات.

فهوية الإنسان أو الثقافة أو الحضارة، هي جوهرها وحقيقتها، ولما كان في كل شيء من الأشياء -إنساناً أو ثقافة أو حضارة- الثوابت والمتغيرات .. فإن هوية الشيء هي ثوابته، التي تتجدد لا تتغير، تتجلى وتفصح عن ذاتها، دون أن تخلي مكانها لنقيضها، طالما بقيت الذات على قيد الحياة.²

إن هوية أية أمة من الأمم هي صفاتها التي تميزها من باقي الأمم لتعبر عن شخصيتها الحضارية.

والهوية دائماً جماع ثلاث عناصر: العقيدة التي توفر رؤية للوجود، واللسان الذي يتم التعبير به، والتراث الثقافي الطويل المدى الذي تنضوي تحته حضارة الأمة.

والهوية في غاية الأهمية ومنها تنطلق المصالح حيث لا يمكن للناس أن يفكروا أو يتصرفوا بعقل في متابعة مصالحهم الخاصة إلا إذا عرفوا أنفسهم، فسياسة المصالح تفترض وجود الهوية.

و هوية المرء تقوم على قاعدتين أساسيتين فكل واحدة تكمل الأخرى و تعمل على بنائها وهما الذات (الفرد) و الجماعة. فالهوية في معناها العام هي الصيغة التي ينظم بها الفرد تماثلاته لذاته وللجماعة التي ينتمي إليها. فالهوية الفردية صفة يتصف بها الشخص، إنها بناء يقوم به الإنسان في مراحل متعددة من حياته من خلال علاقته بذاته و بالآخرين و هذا ما يعرف بالأنا الاجتماعي الذي هو حاصل احتكاك الفرد بالجماعة و لا يتم هذا الاحتكاك و الاتصال إلا بفضل اللغة حيث تحتل الصدارة الأولى في عملية التواصل و الاندماج و التفاعل داخل المجتمع.

¹ علي بن محمد الشريف الجرجاني، التعريفات، دار عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1407هـ-1987م ص314.

² محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، دار النهضة للطباعة و النشر بمصر، الطبعة الثانية، فبراير 1999، ص6.

إن الهوية في الثقافة العربية الإسلامية هي الامتياز عن الغير من النواحي كافة، و لفظ الهوية يطلق على معانٍ ثلاثة: التشخص، و الشخص نفسه و الوجود الخارجي، و جاء في كتاب (الكليات) لأبي البقاء الكفوي، أن ماهية الشيء هو باعتبار تحققه يسمى ذاتا، و باعتبار تشخيصه يسمى هوية، و إذا أخذ أعم من هذا الاعتبار يسمى ماهية، و جاء في هذا الكتاب أن الأمر المتعقل من حيث إنه معقول في جواب (ما هو) يسمى ماهية، و من حيث ثبوته في الخارج يسمى حقيقة، و من امتيازه عن الأختيار يسمى هوية¹.

إن مصطلح الهوية بصفة عامة هو مصطلح حديث النشأة، حتى و إن أشار الفلاسفة والباحثين في العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية إلى معناها إلا أن تسميتها بهذا اللفظ لم تتم إلا حديثا. حيث تمثل الهوية أحد المحاور الجوهرية في كل الخطابات التي تدرس الظواهر التي تواجه الفرد في المجتمع الحديث و ما بعد الحديث كما يقول "Zygmunt Bauman" لم يحظى أي مظهر من مظاهر الحياة باهتمام الفلاسفة و المختصين في علم النفس و العلوم الاجتماعية، يمثل ما حظيت به الهوية. لقد أصبحت النافذة التي تفهم و تدرس من خلالها بقية مظاهر الحياة الحديثة² و عليه يمكن القول أن الهوية احتلت المركز في حديث العام و الخاص، مما جعلها محل اهتمام الباحثين في مختلف الاختصاصات كل حسب زاوية اهتماماته. لقد حظي مفهوم الهوية باهتمام كبير في حقل العلوم الاجتماعية و السياسية في السنوات الأخيرة بوصفه مدخلاً لدراسة مجموعة من الظواهر المستحدثة كالصراع الحضاري، و التقدم الحضاري، و الحروب العرقية المرتبطة بالهوية، و الأزمات داخل المجتمعات التي تتشكل من قوميات ذات جذور و تركيبات سوسيو ثقافية متباينة. فليس من السهل تحديد المعالم الأساسية للهوية، نظرا لإختلاف المفكرين الذين طرقتوا هذا الباب أثناء حديثهم عن المعالم الرئيسية المكونة لنواة الهوية و تفرعاتها، كما أن مفهوم الهوية في حد ذاته -وهذا نظرا لدينا مكيبته- عرف عدة تعريفات و تأويلات، تختلف باختلاف نظرة المفكرين و اهتماماتهم، التي كثيرا ما تؤسس على اعتبارات إيديولوجية أو سياسية، على اعتبار أن هذا المفهوم (مفهوم الهوية) مرتبط

¹ أبو البقاء الكفوي، تحقيق د. عدنان درويش، و محمد المصري، مؤسسة الرسالة بيروت سنة 1995 ص 961.
2-Zygmunt Baumann, « Identité et mondialisation », In université de tous les savoirs. Vol.8 :L'individu dans la société d'aujourd'hui, ODIL Jacob, 2002, p55.

بالإنسان. و كما هو معروف في حقل العلوم الإنسانية يختلط المعرفي بالإيديولوجي من جهة، و من جهة أخرى يتعلق الأمر بمحتويات و مركبات الهوية في حد ذاتها.

فمن بين التعاريف المقترحة، نجد على سبيل المثال جان بيير قارنيبي، يقول "تحدد الهوية بصفتها مجموع قوائم السلوك و اللغة و الثقافة التي تسمح لشخص أن يتعرف على انتمائه إلى جماعة اجتماعية و التماثل معها".¹

والهوية دائماً جماع ثلاث عناصر: العقيدة التي توفر رؤية للوجود، واللسان الذي يتم التعبير به، والتراث الثقافي الطويل المدى الذي تنضوي تحته حضارة الأمة و تسجل به اسمها في التاريخ. إنّ هوية الإنسان يرسمها ويحدد شكلها وألوانها ما يرد إليه من خارجه، وما تثمره علاقاته بالآخرين؛ ولهذا فإنها لا بد أن تكون ولو في بعض صورها - جزءاً من هوية مجتمعه، أو تحمل على الأقل بعض ملامح هذا المجتمع.

والمجتمع الذي نقصده هنا ليس هو المجتمع الحاضر فقط، نقصد الوسط الاجتماعي الذي يراه ويتعامل معه الإنسان؛ ولكنه أيضاً المجتمع التاريخي، أو تاريخ الجماعة التي ينتمي إليها، والتاريخ بالطبع كل مركب، فيه العلوم والمعارف، والمواقف والذكريات والمشاعر، أفراحا وأتراحا.

عناصر الهوية

إن الهوية هي السمات المشتركة التي تميز بها جماعة معينة نفسها و تعتر بها . فالهوية إذن تتألف من منظومة متماسكة من السمات المشتركة بين أعضاء الجماعة .

أوهي مجموع المفاهيم العقائدية و التراثية لجماعة ارتبطت بتاريخ وأصول إنسانية ومفاهيم فكرية أدت إلى إفراز سلوك فكري و قيمى مترجم بأدب و فن و فلكلور جعل من تلك الجماعة ذو شخصية مميزة عن غيرها . والهوية كلمة تتمحور دلالاتها حول الذات والحقيقة والماهية، وهي مع هذه المرادفات - على الرغم من بعض الفروق التي تقوم على اعتبارات متباينة - قادمة من

¹ جان بيير قارنيبي، عولمة الثقافة، ترجمة عبد الجليل الأزدي، دار القصة، سنة 2002، ص: 14.

عالم الفلسفة، وهي لغويا من قبيل المصدر الصناعي، فقد تمّ توليدها من النسبة إلى "هو"، أو "الهو"، الذي هو في اصطلاح الفلاسفة الغيب"، أو "الحقيقة المطلقة"، أو "الله¹، وبعد الحقيقة المطلقة أصبحت تطلق على الحقيقة، حقيقة الشيء، حقيقة الإنسان أو غيره.

تتكون الهوية من عناصر مهمة، قد تتشكل الهوية من بعض هذه العناصر. و أهم هذه العناصر

هي:

1. الدين

2. الثقافة: وتشمل اللغة و الفن و الفلكلور الشعبي و القيم و العرف

3. التاريخ.

أولا: الدين

يعتبر الدين معلما مركزيا في تحديد الانتماء للهوية، و تمييز الشعوب عن بعضها البعض، كما يلعب دورا أساسيا في بلورتها، و لذلك نجد الشعوب التي تربطهم عقيدة دينية واحدة تزداد بينهم روابط الأخوة و التسامح عمقا و تأثيرا، و تجعلهم يشعرون بوحدة التكوين النفسي و يحملون نفس الآمال و الآلام.

الدين هو مجموع المعتقدات التي تؤمن بها جماعة ما و تكون نظاما متصلا يتعلق في الغالب بعالم ما بعد الطبيعة و ممارسة شعائر و طقوس مقدسة و الاعتقاد بقوة روحية عليا قد تكون هذه القوة واحدة أو أكثر .

و يعرف الدين أيضا بأنه جميع التصورات التي يعتبرها الإنسان حقيقة أو تصورات حقيقية و كل السلوكات التي تفترض مثل هذه التصورات من أسس التعامل و الأخلاق و العبادات و القيم الإنسانية.

¹ محمد عابد الجابري ، الموسوعة الفلسفية العربية، بيروت، معهد الإنماء العربي، 1986، مج 2، ص821.

وينظر القرآن للدين بأنه برنامج حياة و منهج لتقويم و بناء و تزكية النفس :يقول تعالى فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ.¹

للدين أثر في تشكيل المفاهيم والقيم الفكرية للممارسات المادية و المعنوية للمجتمع . فالعلاقة بين الدين و السلوك الاجتماعي علاقة تبادل معرفي و تواصل دائم لسد الفراغ في احتياجات المجتمع المادية و المعنوية خصوصا ما يستجد منها. "فصمويل هنتنغتون" يؤكد أن اللغة والدين هما العنصران المركزيان لأي ثقافة أو حضارة²، في إشارة واضحة إلى أن الوضع الأخطر للصدام هو قضية اللغة والدين، فإذا ما تحقق الانتصار فيهما أصبح من السهل الهيمنة على الحضارة المعادية واستتباعها.

ثانيا :الثقافة والتي تتمثل في المعايير و الغايات و أشكال السلوك و النظم التي يؤمن بها الإنسان في توجيه السلوك أو تبرير هذا السلوك كما تضم الثقافة جزئيات هذا السلوك نفسه وعناصره المختلفة بمستوياته ومجالاته المتباينة لهذا تتمزج داخل الثقافة كافة القوى و المنجزات الفكرية و الدين والعادات و الفنون و المنظمات الاجتماعية (من مستوى الأسرة و حتى الأمة) و كذلك الأدوار والأبنية .و يرى "ساير": "في أن اللغة التي تنتمي إلى مجتمع معين، ويتكلمها أبناء هذا المجتمع، ويفكرون بواسطتها، هي المنظم لتجربة هذا المجتمع، وهي بالتالي التي تصوغ عالم أعضائه وواقعهم، حيث كل لغة تنطوي على رؤية خاصة للعالم"³. إن اللغة لديه نظام ثقافي اجتماعي، يتميز بالنسبية والتغير والاصطلاح، وهي تحمل وظيفة أساسية هي الاتصال، ما دام هدفها الرئيس هو التعبير عن الأفكار و الرغبات والعواطف عند الجماعة التي تتكلمها.

و من أهم العناصر الثقافية التي لها أعظم الأثر في تشكل الهوية:

اللغة: هي ما يقع الاتصال بواسطته بين فرد و فرد أو بين فرد و جماعة أو جماعات أخرى من اجل التفاهم و التعبير.

¹ سورة الروم الآية 30.

² صمويل هنتنغتون صدام الحضارات، باللغة الانجليزية، نيويورك، 1997، ص 59.

³ Sapir. E: Selected Writings (Vol.2) Barkley -Los Angeles. P104.

أهم السمات العامة للغة :

- أ. اعتمادها على أصوات واضحة تحدد بها مخارج الألفاظ.
- ب. صياغة الكلمات في جمل تستند إلى قواعد و تركيبات واضحة .
- ج. عدد الكلمات في لغة دليل المستوى الثقافي للمنتمين لها فاللغات ذات الغزارة في المصطلحات هي من سمات المجتمعات ذات العلاقة الاجتماعية المعقدة و المستوى العلمي والفني التي تتمتع به تلك الثقافة و العكس صحيح.
- دور اللغة الاجتماعي و التوعوي في صياغة هوية الجماعة.

تعد اللغة بالإضافة إلى دورها المهم كأداة تخاطب و نقل للمعرفة من الأوعية المهمة في تحديد وتشكل الهوية .إن اللغة ترتبط بمفهوم اجتماعي جمعي في ممارستها و اكتسابها، ففي أحضان المجتمع نشأت اللغة و ولدت يوم أحس أفرادها بالحاجة إلى التفاهم فيما بينهم، كم أنها ترتبط بمفهوم الثقافة كما يحدده الاثنوبولوجيون لدراسة المجتمعات التي اهتموا بها لأنها تعتبر المفتاح الذي يساعدهم على الولوج إلى هذه المجتمعات و معاشتها.¹

و المخزون الحضاري و الفكري للأمة لما تعبر عنه من تراكم معرفي للأجيال المتعاقبة.

- أ. اللغة رابطة اجتماعية و فكرية بها تنشأ الجماعة الإنسانية المشتركة إلى بعضها وتتعاقد و تتوحد.

هي الميزان الذي به تقاس الهوية قدرتها على الثبات و التحول أمام المستجدات و التطور. فاللغة الجامدة أداة ستتعصي قدرتها على أدائها الحداثه و التطوير الفكري و الثقافي و اللغة المرنة المنفتحة مع قدرتها على التماسك على أصالتها هي معيار للهوية الثقافية المنفتحة المنطلقة . فلقد علمتنا الاحداث ان اللغة روح الامة و حياتها، و انها تمثل اهم عناصرها، و اقوى مقوماتها ، و انها عامل

¹ كرم زكي حسام الدين، اللغة و الثقافة، دراسة اثروبولوجية للألفاظ و علاقات القرابة في الثقافة العربية ، دط، دت ص100.

اساسي لازدهار ثقافتها و حضارتها عبر مسارها التاريخي."فحياة الامم تقوم بلغاتها...اما الموت بالنسبة لهافليس الا الحرمان من اللغة الخاصة بها.¹

2. القيم و العرف :

القيم : تشمل كل الموضوعات و الظروف و المبادئ التي أصبحت ذات معنى خلال تجربة الإنسان الطويلة و قد تكون القيم إيجابية أو سلبية. تعمل القيم على تزويد المجتمع بمعنى الحياة و الهدف الذي يجمعهم ، و تمثل القيم العليا في أي جماعة الهدف الذي يسعى إليه جميع أعضائها للوصول إليها كما إنها مبررا هاما للوجود و يمكن التمييز بين الثقافات في ضوء التقييم .

العرف هو الطرق العامة المشتركة التي ينظر إليها على أنها الأكثر صدقا و سلامة من العادات الشعبية. و من وظائف العرف أنه يحدد الصواب و الخطأ و يعين ما يمكن وصفه بأنه خلقي أو غير خلقي دراسات في المجتمع والشخصية

الفن و الفلكلور الشعبي :

يعد الفن من أهم القيم الثقافية التي به تعبر الشعوب عن الجمال. فالأعمال الفنية هي نماذج للتعبير و فهم الجمال التي أدركتها عواطف الفنان و أحاسيسه ، و هي أعلى و أرقى المفاهيم التي تعبر عن الذات و الإدراك و مستوى الحضارة .

الفلكلور الشعبي هو ما يترسب في عادات العامة من تقاليد تراثية كالرقص و الغناء و الموسيقى و قصص و أمثال و خرافات و ألعاب و فواير .

ثالثا: التاريخ

من جملة المقومات التي تميز بها الحركات القومية نفسها عن غيرها و تحدد بها هويتها، هي التاريخ، نظرا لأهمية الماضي في صياغة الحاضر و استشراف المستقبل، وعن هذه الجدلية كتب بول

¹ ابوخلدون صاطع الحصري، آراء و احاديث في الوطنية و القومية، دار العلم للملايين، 1957، ص107.

فاليري قائلاً: "إن التاريخ أخطر إنتاج أنتجته الكيمياء الذهنية، فهو يهيج الأحلام، و يشمل الشعوب و يولد لهم ذكريات موهومة، و يزيد ردود فعلهم حدة و يغذي جراحهم القديمة، و يعكر عليهم صفو راحتهم، و يقودهم إلى الهذيان بالمجد أو الاضطهاد"¹.

إن التاريخ هو ذاكرة الأمة، فالأمة التي فقدت تاريخها تدخل في عداد الأموات و لن تستطيع أن تستيقظ من سباتها إلا بالرجوع إلى ذلك التاريخ و إحيائه من جديد. لذلك يجب علي الأجيال أن تصون الموروث الثقافي و التاريخي و تحافظ عليه و ستفيد منه بوصفه تراثاً متميزاً يحدد معالم الهوية من جهة و من جهة أخرى يعبر عن الإخلاص الحقيقي للسلف، و ذلك من خلال المحافظة على تراث الأمة باعتباره مكسبا و ذخرا و كنزا لا يفنى.

فالعرب على سبيل المثال امة واحدة، و اللغة العربية هي الرابطة الأولى و الأساس بين أبناء هذه الأمة، ثم بعد ذلك يأتي التاريخ المشترك، كما يذهب إلى ذلك ساطع الحصري إذ يقول إن الأساس في تكوين الأمة و بناء القومية، و حدة اللغة ووحدة التاريخ.²

علاقة اللغة بالهوية

اللغة أقدم تجليات الهوية، هي التي صاغت أول هوية لجماعة في تاريخ الإنسان، إنَّ اللسان الواحد هو الذي جعل من كلّ فئة من الناس جماعة واحدة، ذات هوية مستقلة، ويزداد الاهتمام باللغة والهوية معا، ويشيع الحديث عنهما، في المنعطفات أو المفاصل التاريخية في حياة الجماعات، وهي منعطفات أو مفاصل ليست من نوع واحد، فقد يكون منعطفاً أو مفصلاً حضارياً إيجابياً تصاعد الجماعة، أو تثب فيه نحو الحضارة والتقدم، وقد يكون سلبياً تتعرض فيه للانكسار، وتغزوها رياح التشتت والانطماس، وربما الغياب عن ساحة الفعل والتأثير، في كلا الحالين تبرز قضية اللغة، وقضية الهوية، وفي الغالب يتم الربط بينهما ويتماهيان إلى درجة أنهما يكادان يصبحان شيئاً واحداً.

¹ بول فاليري، نظرات في عالم اليوم، الفكر الإسلامي و الفلسفة، مكتبة العارف، المملكة المغربية، ص: 306.

² ساطع الحصري، ماهي القومية، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 1959 ص 251.

تعد اللغة من أهل العناصر الثقافية، فهي وعاء الثقافة و الفكر، و بها يتم نقل التراث والمحافظة عليه. و الاهتمام باللغة الوطنية لمجتمع ما هو الاهتمام بحياته و هويته، باعتبارها القضية المحورية و التي تعبر عن التحدي الحضاري الحقيقي الذي يشهد العالم ، فكيف يمكننا تصور مجتمع ما لو كان أناسه بلا لغة يتكلمونها؟

لقد ارتبط مفهوم الهوية بالمسألة الثقافية وأداتها الأولى و هي اللغة و بالتالي فقد أصبح الكلام عن اللغة هو الكلام عن الهوية. "فإذا كانت الهوية تقوم على تفاعل متعدد المستويات بين الفرد ومجتمعه، فإن اللغة هي الأداة الأولى و الأهم في عمليات التواصل و الاندماج داخل المجتمع. و هي كذلك الأداة الأساسية لتحديد الهوية و التعريف على الذات عند الفرد كما عند الجماعة"¹.

و هوية المرء تقوم على قاعدتين أساسيتين فكل واحدة تكمل الأخرى و تعمل على بنائها و هما الذات (الفرد) و الجماعة. فالهوية في معناها العام هي الصيغة التي ينظم بها الفرد تمثلاته لذاته و للجماعة التي ينتمي إليها. فالهوية الفردية صفة يتصف بها الشخص، إنها بناء يقوم به الإنسان في مراحل متعددة من حياته من خلال علاقته بذاته و بالآخرين و هذا ما يعرف بالأناس الاجتماعي الذي هو حاصل احتكاك الفرد بالجماعة و لا يتم هذا الاحتكاك و الاتصال إلا بفضل اللغة حيث تحتل الصدارة الأولى في عملية التواصل و الاندماج و التفاعل داخل المجتمع.

لذلك فان البحث في اللغة هو بحث أنساني نفسه ، و للبحث في الإنسان و خاصياته الإنسانية طريق علمي يضمن الآمال و الأهداف المرجوة من وراء ذلك ، و هو تكوين المجتمعات ذات السمات المشتركة ، و المنافع المتبادلة ، و هذا لا يأتي إلى من خلال اللغة ، يقول " ليفي ستراوس " في كتابه الآفاق الحزينة " triste tropiques " أننا حين نقول الإنسان (...) فإننا نعني اللغة و حين نقول اللغة فإننا نقصد المجتمع"².

¹ أحمد بن نعمان: هدي هي الثقافي، مجلة عالم الفكر، المجلد الثامن و العشرون، العدد الثاني، أكتوبر - ديسمبر 1999، ص

101.

² أحمد ابو زيد، لفي سترويس عميد البنائين في فرنسا، مجلة العربي، عدد 293، الكويت، ابريل، 1983، ص80.

و توضح " نوال عطية " أهمية العلاقة التكاملية القائمة بين اللغة و الجماعة في قولها: " إن أعظم اختراع قام به الفرد، و أنها الوسيلة الاجتماعية الأكثر أهمية بالنسبة له من أي وسيلة اجتماعية أخرى فوظيفة اللغة إشباع رغبات الفرد و التعبير عن الأفكار و الإحساسات ، فاللغة تبرز الفكرة الكامنة لدى الفرد و تظهرها للآخرين ¹ .

إن اللغة مؤسسة اجتماعية تختلف باختلاف الشعوب و تحمل وظيفة أساسية هي وظيفة الاتصال، هدفها الأساسي التعبير عن الرغبات و الأفكار و العواطف ضمن المجموعة البشرية التي تتكلمها. و اللغة رمز التعايش المشترك، و بها يتم توثيق روابط الوحدة الجماعية و تدوين سجل الأمة و حماية تاريخها، و حفظ ذاكرتها ما يضمن التفاعل الحضاري بين الخلف و السلف و تبقى اللغة أهم وسيلة تواصل نظرا لكونها "تحقيقا صوتيا لميل الإنسان إلى رؤية الواقع بطريقة رمزية و اللغة كما يقول علماء اللغة نظام المنظمة الرمزية في الحياة البشرية و ذلك باستعمال الحركات كالابتسام والغمزة و النظرة و حركة اليدين للتعبير عن العلاقة مع الشخص الآخر. ² و من مميزات اللغة أنها تؤدي وظيفة الاتصال ولا يتحقق هذا إلا بالاتفاق على الإحالة بين أفرادها. فإذا كانت اللغة تمثل التاريخ و الدين و تجمع بين الوحدة و الوجدان فإنها تصبح من أهم الروابط المعنوية التي تربط الإنسان بغيره من حيث أنها واسطة للتفاهم و أداة التعلم. "فهو نظام رمزي ابتدعه الإنسان ليتبادل مع الآخرين المعلومات و الأفكار و المشاعر". ³

و لا يمكن الحديث عن اللغة دون الحديث عن الهوية لأن اللغة تحمل هموم متكلميها و تنظم سلوكهم و تفاعلهم و توحد انتمائهم. فقيمة اللغة إذن ليست في طبيعتها و لا تقع في أساس مكوناتها الداخلية إنما هي فكرة أو مفهوم أو صفة ميزها الناس بها و تفاهموا على الاعتراف بها

¹ نوال محمد عطية، علم النفس اللغوي، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1975، ص 21.

² بسام بركة: اللغة العربية القيمة و الهوية، مجلة العربي، العدد 528، نوفمبر 2002، ص 82.

³ المرجع السابق، ص 86.

واعتبارها فيها دون سواها. و هي بالتالي تحليل رؤية هؤلاء الناس للواقع الذي يعيشونه و تعكس انطباعاتهم و تلقيهم للأحداث التي يمرون بها"¹

قد ترتبط الهوية بحالة الأزمة إذ يمكن القول أننا لا نشعر بالرهانات التي تواجه هويتنا إلا عندما تضطرنا الصراعات و الأزمات إلى مقارنتها مع هويات أخرى منافسة لها، إذ نصبح ملزمين بالشعور بوجود هويات أخرى تحيط بنا و تتداخل مع هويتنا.

إن حالة الأزمة التي تعيشها الجزائر هي خير تجسيد لما قيل سابقا، فالصراعات الرمزية و الفعلية القائمة بين مختلف الجماعات و الفئات المشكلة للمجتمع الجزائري هي في واقع الأمر محاولات يقوم بها كل طرف من أجل تدعيم موقفه كمالك وحيد للهوية الترابية للأمة .

إن اللغة ملتزمة أشد الالتحام بالعقيدة. فكثيرا ممن يثيرون مشكل اللغة في وقت من الأوقات إنما يخافون عقائدية لم يكادوا يصرحون بها علانية و علماء اللسان يعرفون اليوم بتداخل موضوع اللغة و الإيديولوجية إلى حد أن بعضهم ذهب إلى أن تعلم أية لغة من اللغات حتى اللغات العالمية، ما هو في نهاية الأمر إلا تعلم لعقائدية الناطقين بتلك اللغة، " لأن اللغة كما جاء في تعريف بعضهم، هي أداة للتخاطب يمكن بفضلها تحليل التجارب البشرية التي تختلف من مجموعة إلى أخرى".²

فلغة كل واحد منا هي عبارة عن خلاصة تجربته في الحياة، و نظرتة العقلية والعاطفية فيها. و قد لاحظ علماء النفس تلاحم مفهوم اللغة بمفهوم الشخصية فمزجوا بين الكلام و المنطق و خلصوا إلى العلاقة الجدلية التي تجمع بين القول حتى يضع صواب العمل". و قد لاحظوا أيضا أن أصغر شيء يعبر به الإنسان عن ذاته هو الحرف، لأن مجرد النطق بهذا الجزء الصغير من الكلمة يكشف عن سريرة الإنسان و يبرز ذاته. فالنطق بحرف واحد يمكن السامع من المتكلم، فيعرف شخصه ويميز حاله و يدرك أنه صغير أو كبير، ذكر أو أنثى... و كلما استرسل المتكلم في الكلام ازداد انكشافا للسامع فيعرف لونه أو دينه أو موطنه و حتى سمات وجهه، و قد إن كان من أهل الفراسة.

¹ المرجع السابق، ص 76.

² المرجع نفسه، ص76.

إن اللغة من أخطر النعم ، إنها أخطر الأخطار جميعا لأنها هي تبدأ بخلق إمكانية الخطر، والخطر هو التهديد الذي يحمل الوجود للموجود وبفضل اللغة يجد الإنسان نفسه معرضا بوجه عام للمنكشف وهذا المكتشف باعتباره موجودا يحاصر الإنسان ويشغله في آليته و باعتباره لا موجودا يسيء إليه و ينجيه من السوء و اللغة تنشئ ميدان الكشف حيث ينوء التهديد والخطأ بكله على الوجود و اللغة هي التي تنشئ على هذا النحو إمكانية ضياع الوجود أي الخطر و لكن ليست اللغة هي أخطر الأخطار فحسب ولكنها تخفي بالضرورة في و ل ذاتها خطرا دائما و مهمة اللغة هي أن تجعل من الوجود وجودا منكشفيا في حالة فعل و إ، تضمنه بوصفه كذلك وبواسطة اللغة يمكن التعبير عن أنقى الأشياء و عن أوغلها في الغموض كما يمكن التعبير عما هو غامض و عما هو شائع.

وبأي معنى تكون هذه النعمة التي هي أخطر النعم (نعمة) للإنسان ؟ إن اللغة ملك له و هو يتصرف فيها وفق مشيئته للتعبير عن تجاربه و قراراته و عواطفه و اللغة تستخدم للفهم و بوصفها أداة قادرة على أداء هذه الوظيفة، الماهية...، فاللغة ليست مجرد أداة يملكها الإنسان إلى جانب غيرها من الأدوات و إنما اللغة هي بوجه عام و قبلا كل شيء ما يضمن أماكن الوجود وسط موجود ينبغي أن يكون موجودا منكشفيا، و هناك فحسب حيث توجد لغة يوجد علم¹.

فاللغة هي منطلق الأمة و الحافظ لثقافتها و هويتها و هي التي تدخر في كلماتها أخلاق أهلها و عاداتهم و نشاطهم الفكري و الأدبي إن كل كلمة من كلمات اللغة هي لحم الوطن و البشر ودمهما و روحهما، وهي بعد ذلك تؤثر في السلوك الإنساني للمجتمع، و تؤثر في الذهن و العقل والشعور².

لقد أصبحت اللغة احد العناصر الأساسية للحياة الاجتماعية فهي " تعني معلما مهما في التمايز و التماسك الجماعي ، أنها تشكل رابطا وثيقا بين أعضاء جماعة ، و تصيح بلحن الوحدة في

¹ مارتن هايدغار هيلدر لن، ماهية الشعر، ترجمة فؤاد كامل و محمود رجب،مراجعة ع.بدوي،القاهرة 1974، ص 144-

146.

² عطار احمد عبد الغفور،مقدمة الصحاح،دار العلم للملايين ،بيروت،الطبعة الاولى،1956ص8.

الإذن و هكذا فان طابعا مشتركا للكلام كأبي سمة أخرى ذاتية (مثل العادات ، التقاليد ، الإيمان ، الوطنية، العرق) تعطي معنى عاطفيا مشتركا ، و تبرز اللغة كأهم عنصر في التماشي بالعصبه ، وهي تعبر شعار التعاضد الوطني"¹.

إن اللغة سبيل المرء إلى معرفته لذاته و لمحيطه، فإنها في الوقت نفسه تفرض على المرء قيودا تمنعه من تخطيها. فإذا أراد شخص ما أن يعبر عن مكوناته، أو أن يتواصل مع إخوانه، أو أن يعي ما يحش في نفسه، فإنه يستعمل في ذلك ما تقدم اللغة إليه من مفردات و تراكيب، و هو يبقى في ذلك أسير هذه المفردات و التركيب. و ليس الأدب عموما، و الشعر خصوصا، في هذا المجال سوى ثورة على سلطان اللغة و جبروتها، إنها ثورة تهدف إلى القفز فوق ما تقدمه اللغة من استعمالات مطروقة أو مفردات عادية أو تراكيب فقدت من قوة التعبير فيها لكثرة استعمالها.

و لا بد من أن يقودنا الاعتراف بأهمية اللغة في تكوين المفاهيم العقلية و التصورات الذهنية عند الإنسان إلى التأكيد على أن معرفة اللغة كبنية فكرية هي السبيل الوحيد لمعرفة القوالب الفكرية الأخرى عند البشر، مثل الفكر الأسطوري و الفكر الديني و الفكر العلمي و الفكر الفني. فإدوارد ساير " أول فيلسوف استطاع أن يدرج اللسانيات و فلسفة اللغة و الحياة الاجتماعية في دراسة شاملة للبنية الاجتماعية عند الفرد كما عند الجماعة، و هو وضع بذلك الأسس التي تربط علم الأنثروبولوجيا بدراسة اللغة. إنه يحدد اللغة و علاقاتها بالمجتمع بما يلي: إن اللغة التي تنتمي إلى مجتمع بشري معين و التي يتكلمها أبناؤه و يفكرون بواسطتها هي التي تنظم

" تجربة هذا المجتمع، و هي بالتالي "عالمه" و "واقعه الحقيقي". فكل لغة تنطوي على رؤية خاصة للعالم."²

أما لغة العرب و ما أعطته من حمولة دلالية للفظ "عرب" و هندست فيه من دلالات و معاني، فهو الذي قد يدلنا على ذلك النسق الدلالي الذي يفسر تصور العرب لذاتهم و هويتهم أو يكشف لنا

¹ Lehman Khubchandani، language factor in census، Lieuwe Peterson –language ideology، national ideology، p178.

² د. بسام بركة: المرجع السابق، ص 84.

من خلال توليد المعاني التي يحملها لفظ "عرب" في لغة العرب قبل تشكل أمة العرب نفسها، ويشير محمد الطيبي أيضا أن اللغة و من منظور أنثروبولوجية اللغة، تمثل وعاء الجماعة، بما تدرك ذاتها التي تتطور من خلال أشكال التعبير إلى هوية ثقافية متميزة. و هذه تقريبا فكرة مورغان في تعريفه للقبيلة من وجهة نظره هي و إن تربطها أواصر الدم فإنها نظام سياسي لأهله، له حدود ترابية و منطوقات وقيادات.¹

و قد كان لرسالة الإسلام و تعاليمها الوقع الواضح على تبلور هوية العرب كاملة مدججة في قالب تنظيم جعل منهم أمة واحدة متماسكة.

من ناحية أخرى، فإن اللغة التي تتشكل لحاجة اجتماعية و ضمن إطار المجتمع الواحد تؤثر وبشكل مباشر على إدراك هذا المجتمع لمحيطه وواقعه، و هي تتمتع بدون رئيسي و فعال في عملية المعرفة، أي أنها تقود الإنسان الفرد و الجماعة في المعرفة، أي أنها تقود الإنسان الفرد و الجماعة في عملية "استكشاف" العالم الخارجي. فهي تؤثر تأثيرا مباشرا في التجربة الفردية و الاجتماعية على حد سواء. يقول ساير " إن اللغة تتحكم كثيرا بأفكارنا المتعلقة بالمسائل الاجتماعية، و من الخطأ تصور أن الإنسان يتكيف مع واقعه دون استخدام اللغة، أو أن اللغة مجرد وسيلة لحل مشاكل الاتصال والتفكير. إن العالم الواقع مبني بطريقة لا واعية على أساس عادات الناس اللغوية و على أساس استعمالهم للغتهم الأم".²

و ليس العالم سوى فيض من الصور المختلفة في أشكالها و ألوانها، يلتقطها دماغ الإنسان وينظمها بفضل بنية النظام اللغوي الذي يتكلمه. يقول لي وورف: " إننا نجزي الطبيعة تبعا للخطوط التي ترسمها لنا لغتنا الأم. و نحن نقوم بتقسيم الطبيعة تقسيما منهجيا، و ننظمها ضمن مفاهيم متميزة، ونعطيها دلائل بموجب اتفاقية تحدد رؤيتنا للعالم، و هذه الاتفاقية معترف بها من قبل الجماعة اللسانية التي ننتمي إليها، و هي منظمة تبعا لنماذج لغتنا"³.

¹ . محمد الطيبي: العرب الأصول و الهوية، دار الغرب 2002، ص 139.

² بسام بركة: اللغة العربية، القيمة و الهوية، مرجع سابق، ص 81.

³ بسام بركة ص 82.

و لا تعني كلمة "الطبيعة" في هذا المجال الطبيعة الخارجية فقط، بل تضم كل ظواهر الحياة الفكرية و الوعي البشري، من إدراك العالم الخارجي إلى عملية التفكير المجرد. ذلك لأن الفكر ذاته يعني في هذه النظرية التفكير بلغة معينة. فكل لغة عن نظام شامل من "القوالب" الثابتة.

و إذا كان الماء و الهواء، هما قوام الأحياء، كلها سواء كانت إنسانية أو حيوانية أو نباتية فاليد واللغة كالماء و الهواء. فاليد الإنسانية أداة، لا تباريها أداة أخرى، في تمكن الإنسان مما تمكن ويتمكن منه¹، و لهذا سحر الله هذه الأداة العجيبة في خدمة الإنسان فقال تعالى: "بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ".²

و فسرت هذه التسوية، بتغيير خلقها إلى ما يشبه حق البعير استواء، فلا ينتفع الإنسان بها، أكثر من انتفاع البعير بخفه.³ فلا حضارة و لا مدنية و لا رقي، و لا تمكن له من الحياة، و لا سيطرة له عليها.

و إذا كانت اليد الأداة العملية فاللغة أدواته الفكرية و القولية.⁴ و لهذه امتن الخالق على الإنسان بها، امتنانا عليه باليد. فالإنسان حيوان غير أنه حيوان ناطق مبین، فاليد و اللغة كما ذهب "هنري" تنحصر فيهما البشرية. فهي اللتان تفصلان بين نهاية التاريخ الحيواني و بداية التاريخ البشري أو إذا عجب المرء مما ابتكره الإنسان فاللغة ما أعجب المبتكرات التي أظهرها التطور الإنساني.⁵

فاللغة ليست عجيبة بذاتها، و لا بالجهاز الذي يصدرها و الذي يتمثل في تنوع الأصوات فحسب، بل هي عجيبة كذلك في الوظيفة التي تؤديها، فهي لكونها أداة التفكير تمكن الإنسان من

¹ فندريس: اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة

1951، ص 1.

² سورة القيامة، الآية 4.

³ تفسير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، المطبعة الأمرية، القاهرة 1323، ج 29، ص 110.

⁴ المصدر السابق، ص 5.

⁵ فندريس، اللغة ص 1

الشعور بالذات، و من الاتصال و الاحتكاك بغيره، فبفصلها تكونت الجماعات الإنسانية، فتاريخ البشرية منذ بداية يفترض وجود اللغة.

و من أهم أسس وحدة الأمة و مظهر هويتها عبر التاريخ الثقافة، و أن اللغة و أساليب الكتابة المنسجمة مع مفرداتها و طبيعة تركيبها تكون العنصر الأساسي لهذه الثقافة.

و ما من شك أن الحديث الشريف الذي يحثنا أن نتعلم "من المهدي إلى اللحد" يصدق أول ما يصدق على تعلم اللغات، و ذلك أن الإنسان قد يقضي العمر كله من غير أن يحيط بلغة قوية، ناهيك عن اللغات الحية الأخرى التي أصبح عليه أن يتعلمها، إذا كان حريصا على مواكبة العصر، والإطلاع على ما يحدث من أفكار و الانفتاح على العالم الخارجي، و حماية نفسه من كل خطر قد يهدد هويته، لأن من تعلم لغة قوم، فقد آمن شرهم¹، كما جاء في الأثر.

إن القضايا اللغوية أشبه ما تكون بالقضايا المصرفية و لذلك أصبح اللسانيون يتحدثون اليوم عن رصيد الإنسان من المفردات، كما لو أن هذا الرصيد شبيه برصيد الإنسان في البنك. و كما أن الرصيد المصرفي يتعرض للتضخم المالي، حيث يفقد جزءا من قدرته الشرائية عندما تفقد الأوراق والقطع النقدية التعامل بها بين الناس قيمها فكذلك المفردات المتداولة بين الناس تتحول في تحصر الانحطاط إلى مجرد ألفاظ هشة ترددها الألسنة عندما تفقد خصوصياتها الفكرية، أي دعامتها من الأفكار التي هي للثقافة بمثابة الاحتياط من الذهب والاقتصاد، و كما أن التضخم المالي يفقد العملة قيمتها و يجعلها زهيدة رخيصة، فكذلك السلوك اللغوي ينتهي به المطاف إلى نوع من الثرثرة في الكلام، و اللفظية الجوفاء في الكتابة أو النشر. و الواقع أن اللغة منطلق للفكر و نظام للقيم الجماعية.

فالحديث عن اللغة لا ينفصل عن الحديث عن دالة الفكر العربي، لأن اللغة تمثل السبيل لاستكشاف حوافل الأمة، فمن خلال ألفاظها تعبر عن كوامن الإحساس بالمواطنة و الشعور بالصلة، و التوافق بالمشاعر و هي من أقوى عوامل الوحدة و التضامن بين أبناء الأمة الواحدة.

3. حنفي بن عيسى: الطفل و معضلة القصور اللغوي في العالم العربي، مجلة الثقافة العدد 98، مارس - أبريل 1987، ص

فهي التي تحول الإنسان إلى كائن اجتماعي يتحسس الواقع، و يستشرف الخصائص المميزة التي تترسب في كل إشاراتها و دلالاتها. و قد وجد العرب في اللغة العربية منذ أقدم العصور، كغيرهم من الأمم، صفة الملازمة للفرد في حياته و تسربها إلى أعماقه حسا ووجدانا، و توغلها في نفسه للتعبير عن كناية و خطراته و رغباته، و هي بالتالي تجعل من الأمة الناطقة بها كلا متكاملا متماسكا، تحكم قواعدها و أصولها. أن تعريف الإنسان أنه حيوان ناطق، لدليل كاف لنقل هذا الإنسان من طابع الوجود الغريزي إلى الوجود الفكري و ما يخلقه من آثار و أفكار، لا يتم نقلها إلى الغير إلاّ بواسطة اللغة، و لذلك اعتبرت ظاهرة اجتماعية تعمل على ربط الزمن الحاضر بالماضي، فهي ذاكرة الشعوب، و هي التي تحمل التراث القديم إلى الأجيال الحاضرة لتطلّع عليه و تزيد عليه، فلولا اللغة التي بواسطتها تتصل أفكار الأجيال بعضها ببعض لضاعت أفكار البشر منذ الخليقة.¹

و من هنا أصبحت اللغة تمثل الجبل المتين الذي يوحد بين رغباتهم و مطامحهم و يجعل قوميتهم و هويتهم متماسكة.

فما هي القوى التي تحرك التطور السياسي و القومي؟ و الهوية الوطنية و ما هو العنصر الديناميكي الذي يدفع بالحركة، يفرض التنقل من وضع للآخر، إنه ليس الدولة كما زعم هيغل، وهو ليس الأمة كما رد عليه هردز، إنها حقيقة معنوية أعظم و أبقى و أكثر خلودا من كل ذلك، إنه روح الشعب: أو كما يقول موس (Mosse) "إن روح الشعب هي القوة الخفية المعنوية التي تسيطر على الجماعة فتفرض الترابط و تتحدى الأحداث و تنتظر اللحظة المناسبة لتتفجر حقيقة واقعة، فإذا بما أمة و دولة، بل وظيفة حضارية و قيادة إنسانية. إن روح الشعب هي وحدها محور الشعب. و ما روح الشعب و ما الذي يسمح باستمراريتها رغم الأحداث؟ إنها اللغة أقدس الأقداس".²

— واللغة مرتبطة اشد الارتباط بالهوية فهي التي تمكن روح الشعب في طقوسها وأساطيرها و رموزها و تقاليدها بل و معانيها. اللغة المتداولة المتنقلة من جيل إلى جيل و من عصر إلى عصر أو عبر مسالك خفية غير واضحة، ولكنها ثابتة، هي وحدها التي تحمي كنوز المعرفة

¹. بسام بركة، مرجع سابق، ص 75.

¹ سعدون حمادي و آخرون: اللغة العربية و الوعي القومي، بيروت 1984، ص 259.

وصلاية الإيمان و قوة الانتماء. فالهوية تتحقق في مجال الاتصال بالآخرين حيث أن هوية الفرد تتبدل حسب اتصالاته و مواقفه و مواقعه المختلفة، فالهوية معطى من الآخرين و انعكاس ظاهر و كامن لمواقفنا منهم و ردود فعلنا عليهم. .

— فلا يوجد شعب أو أمة لا تملك لغة. إن اللغة هي الشرط الأساسي الذي يعني انتقاؤه انتقاء الأمة، إنها بهذا المعنى أحد المقومات الأساسية التي بدونها لا مجال للحديث عن مفهوم المجتمع القومي و الهوية الوطنية.

إن الهوية كوحدة كلية حين يتعرض جزء منها إلى التهديد فإنها تسعى للدفاع عن نفسها ومكوناتها و ذلك عن طريق الأسلوب و الإستراتيجية المناسبة لطبيعة الخطر. فهي بذلك تنتعش وتتقلص أو تهادن أو تدافع و تهاجم كأى كائن حي له ميكانيزمات البقاء.

إن اللغة هي التعبير الحقيقي عن ذكاء الشعب، حيث أن الطابع الفكري لكل شعب، إنما يتجسد عبر الألفاظ و العبارات التي تتكون منها اللغة.

— اللغة وحدها هي التي تسمح بالاحتفاظ بالتقاليد و نقلها من جيل إلى جيل. وفي هذه التقاليد تجد الأساطير تعبيراتها الرمزية و الأغاني المتداولة مصادرها الحقيقية. يقول " هردز" في هذا المعنى: " اللغة هي تعبير عن تلقائية روح الشعب، إنها عنصر الحياة للأمة و الضمير القومي للأمة لا يمكن أن يتبلور إلا من خلال الأدب الذي تخلقه قريحة تلك الأمة."¹

فاللغة العربية مثلا لا تعرف الحدود السياسية و الجغرافية بل تتعدى ذلك لأنها تراكم و انصهار للمقومات الموحدة كونها تصدر عن منابع متعددة المرجعيات، ففي العراق آشورية و في مصر مرجعية قبطية، فرعونية، إسلامية و معاصرة، و في لبنان و سورية و فلسطين فينيقية، و في المغرب مرجعية بربرية أمازيغية، و في الصومال و السودان تراث إفريقي السودان و من ثم فإنها تسهم في بناء مذهب

¹ المرجع السابق، ص 265.

إنساني جديد و تاريخي في الوقت نفسه. و بذلك صارت العربية لغة الطبقات الموجهة في دولة سرعان ما امتدت رقعتها في أوج عظمتها من اسبانيا غربا إلى أواسط آسيا نحو الشرق.¹

و اللغة في الحقيقة تكشف عن ذات الإنسان و عن أسرار كينونته حتى و لو أراد أن يخفي ذلك عن الناس.

إننا ندرك أهمية اللغة من خلال الارتباط الوثيق بالأمة، فغالبا ما تقترن اللغة باسم الأمة وهويتها القومية، فتصبح أساسا و كيانا مميزا لها عن بقية الأمم في حالة التعرف عليها و على الأفراد الذين ينتمون إليها ، فنقول على سبيل المثال، إن للعرب لغتهم و هي اللغة العربية و للفرنسيين لغتهم وهي اللغة الفرنسية وللألماني لغتهم و هي اللغة الألمانية و هكذا...

فاللغة بهذا المفهوم "كائن حي يعيش مع الإنسان و يخضع لمختلف مظاهر التطور التي يمر بها الإنسان في بيئته ، فأى تغيير أو تطور يطرأ على حياة ذلك الكائن البشري يجب أن ينعكس على لغته التي لا تنفصل عنه لحظة من زمان"².

يقول ساطع الحصري: "إن اللغة سواء قلنا أنها خلقت دفعة واحدة من قبل الله، أم ذهبنا إلى أنها تكونت تدريجيا بعمل العقل، فلا يمكن أن نشك في أنها -في حالة الراهنة- هي التي تخلق العقل أو على الأقل تؤثر في التفكير تأثيرا عميقا، و تسدده، و توجيهه توجيهها خاصا... من ثمة فاللغة القومية تعتبر بمثابة الوعاء الذي تتشكل به و تحفظ فيه، و تنتقل بواسطته أفكار الشعب. إن لغة الآباء و الأجداد مخزن لكل ما للشعب من ذخائر الفكر و التقاليد و التاريخ و الفلسفة و الدين، فقلب الشعب ينبض في لغته و روحه و تكمن في بقاء هذه اللغة."³

¹ يوهان فك ،العربية ، دراسات في اللغة واللهجات و الأساليب ، ترجمة عبد الحليم النجار ، مطبعة دار الكتاب العربي ، بيروت 1951، ص 1 .

² ندير محمد مكتبي، الفصحى في مواجهة التحديات، دار البشائر الاسلامية للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 1991، ص 13.

³ ساطع الحصري: ما هي القومية، دار العلم للملايين، بيروت، دت ص 56

و لما كانت اللغة بمنزلة القلب و الروح للأمة، فإن يتعين على كل أمة أن تتمسك بلغتها الخاصة تمسكها بحياته و تعتبر هذا التمسك بمثابة الواجب المقدس و الحق المشروع الذي تهون في سبيله أرواح الأفراد.

اللغة وحدة:

إن اللغة حق لكل شعب أو أمة، فهي بمنزلة القلب النابض لها، فتوقف خفقان هذا القلب يعني موت الأمة و اندثارها. و لذا يترتب على كل أمة أن تتمسك بلغتها و تدافع عنها، فهي عامل من عوامل الوحدة، ذلك لأنها تثير في الشعب روح القومية. فهذا فيخته

الألماني يصرح قائلاً من جراء ما أصاب ألمانيا من نكبات و انقسامات، "بأن كل الذين يتكلمون اللغة الألمانية يكونون أمة واحدة، فيترتب عليهم أن يطرحوا جانباً كل ما يفرق بعضهم عن بعض و يتمسكوا بهذه الوحدة."¹ فالألمان حسبهم يشكلون أمة واحدة لكونهم يتكلمون لغو واحدة هي اللغة الألمانية. ثم إن إخفاق الدولة العثمانية في توحيد اللغة في كافة البلاد التي استولت عليها، منعها من تكوين الأمة العثمانية، و هذا عامل من عوامل اندثارها. فأى شعب من الشعوب لا يفقد و كيانه إلا عندما يفقد لغته و يتبنى لغة الغير.

إن الشعوب التي تتكلم لغة أم واحدة، تكون ذات قلب واحد، و روح مشتركة و لذلك تكون أمة مشتركة يتوق أفرادها إلى العيش تحت لواء دولة واحدة، يبقى دائماً متأججا في أعماق الأفراد، كالنار تحت الرماد، لا تلبث أن تشتغل بمجرد أن تذرو الرياح القومية ذلك الرماد.² ذلك أن أي شعب من الشعوب لا يفقد حياته و كيانه تحت أي تأثير خارجي إلا عندما يفقد لغته و يصبح من الناطقين بلغة حكامه فعندئذ فقط يموت الشعب و يذوب في بوتقة الغير ليصبح جزءاً من أمة أخرى.

ففي هذا المعنى يقول جرجي زيدان: "اللغة المختلفة في مملكة واحدة إنما هي حواجز منيعة ضد الاحتكار الفعلي، و تدفع الأفكار، و العادات من عنصر إلى عنصر، فهي مانعة من الالتئام في

¹ أبو خلدون ساطع المصري: المرجع السابق، ص 51.

² مجلة تربوية ثقافية تصدرها وزارة التربية و التعليم الأساسي، العدد 3، السنة الأولى 1982، ص 8.

وحدة قومية واحدة، يمكنك أن تجمع جماعات تحت راية حكم واحد، ولكنك لا تقدر أن تجمعها في قومية واحدة، إذا كانت متعددة اللغات ما لم تعمم فيها لغة واحدة¹.

و عن اللغة العربية و الشخصية القومية لا نجد ما نستشهد به خيرا مما قاله أحد أئمة اللغة القومية العربية و هو الأستاذ محمود تيمور: "فإذا كانت الإمبراطورية العربية قد أسدل ستارها على مسرح السياسة فهي قائمة في مظهر لغوي يربط بين من ضمت من الشعوب، و نحن نعمل بواعيتنا الظاهرة و الخافية على استبقاء رباطنا الإمبراطوري في صورة اللغة العربية، كأننا بهذا الرباط نعمل على أحياء إمبراطوريتنا الزائلة، على نحو يلائم ملابسنا الحضرة، فإيماننا بالفصحى مستمد من إيماننا بتلك الإمبراطورية التي تتجمع فيها أمجادنا التليدة، و إننا بذلك الإيمان نستمسك بمقومات شخصيتنا العزيزة علينا و على تاريخ الإنسانية جميعا، و في هذا الاستمسك تلتقي مشاعرنا الطبيعية، لحماية أنفسنا في معترك تنازع البقاء"¹.

فهذه ألمانيا أصبحت قبلة جميع المهاجرين من مختلف الأقطار حيث سارعت إلى التشجيع على الاندماج. و بداية من عام 2010 سيعزز معهد غوته دوره المجتمعي والسياسي في مجال اللغة، وفي المبادرات التي تشجع على الاندماج، وكذلك في التربية المبكرة للأطفال، وفي دورات الاندماج المانحة لشهادات، وفي تدريب معلمي الألمانية كلغة أجنبية. إن اللغة هي مفتاح الاندماج. و علي هذا الأساس لقد أصبح كتاب وموسيقيون وسينمائيون وفنانون ليسوا من أصل ألماني، يعتبرون أنفسهم بديهيّة تامة جزءا من الثقافة الألمانية. وبالتعاون مع وزارة الخارجية سيقوم معهد "غوته" أيضا وجهات ثقافية أخرى بإعداد برنامج لكي يكون عام 2010 عام اللغة الألمانية .

إن السياسة الثقافية والتعليمية في أوروبا ترمي خلال العقد القادم لتعليم لغتين أجنبيتين في مدارس أوروبا. فاللغة الانكليزية منتشرة انتشارا واسعا باعتبارها لغة التفاهم والتعامل في أوروبا، ولذلك فإن الالتزام بتدريس لغة أجنبية ثانية مسألة حياة أو موت بالنسبة للغة الألمانية، كما أنها شرط

¹ المرجع السابق، ص 11.

¹ المرجع نفسه، ص 12

مهم لكي تكون أوروبا قادرة على الحوار. إن أوروبا قارة الترجمة، ومعهد غوته بألمانيا نقطة التقاء الثقافات و مركز ناشط ومهم في مجال السياسة اللغوية الأوروبية.

وبهذا فان اللغة جزء من الهوية الاجتماعية تمتلك القدرة على مقاومة كل أساليب الإقصاء أو الحد من الانتشار و التطور،ذلك إنها خاصية مهمة تساعد على التعلم و زيادة الخبرة و المشاركة في خبرات الآخرين،سواء الخبرات الماضية أو الحالية تتكامل مع وظيفتها الأساسية في إنها لسان المجتمع و سمة من سماته الوطنية.إن وظيفة اللغة في العصر الحديث لم تعد جزءا من المنظومة الاتصالية كما شاع هذا التعبير،إنما أصبحت رابطة لسانية و ذاكرة المجتمعات.

المبحث الثاني: اللغة والثقافة

- ✓ تعريف الثقافة.
- ✓ عناصر الثقافة.
- ✓ علاقة اللغة بالثقافة.
- ✓ اللغة و اختراق الهوية.

تمهيد

تفطن العلماء قديما إلى وجود علاقة بين لغة الأمة و ثقافتها أو فكرها و أخذوا ينظرون في حدود هذه العلاقة، فاللغة جزء من الثقافة لا ينفصل عنها. فمن العلماء من قال أن اللغة تحدد صيغ الفكر و أنماطه، و من ثم فتفكيرنا في شيء ما لا يكون إلا من خلال تصنيفاته التي تزودنا بها اللغة و من أشهر هؤلاء ساپير و ورف (Whorf،Sapir)، و على أن أحدا لم يعد يأخذ بالنظرية في شكلها المشتط هذا، إلا أن أحدا لا يشكك في أن للغة أثر كبير في عمليات التذكر و الإدراك، و قد أثبتت التجارب النفسية اللغوية هذا الأثر".¹

تعريف الثقافة:

إن الثقافة هي أهم أسس وحدة الأمة وروحها وعنوان هويتها وهي من الركائز الأساسية في بناء الأمم وفي هوضها، فلكل أمة ثقافة تستمد منها عناصرها ومقوماتها وخصائصها التي تصبغ بصبغتها فتنتسب إليها.

ولكل مجتمع ثقافته التي يتسم بها، ولكل ثقافة مميزاتا وخصائصها. ويعرف التاريخ الإنساني الثقافة اليونانية والثقافة الرومانية، والثقافة العربية الإسلامية والثقافة الهندية، والثقافة المصرية الفرعونية والثقافات الإفريقية وثقافة أمريكا اللاتينية وغيرها من الثقافات.

والثقافة كلمة عربية في اللغة العربية فهي تعني صقل النفس والمنطق والفظانة و هي تعني بتثقيف الإنسان وتسويته فكرا ووجدانا وتقويمه سلوكا ومعاملة.

وتستعمل الثقافة كذلك للدلالة على الرقي الفكري والأدبي والاجتماعي للأفراد والجماعات.

والثقافة ليست مجموعة من الأفكار فحسب ولكنها نظرية في السلوك بما يرسم طريق الحياة إجمالا، وبما يمثل فيه الطابع العام الذي يتطبع عليه شعب من الشعوب، وهي الوجه المميز لمقومات

¹ Slobin، D. I. Developmental psycholinguistics. In W. O. Dingwall (Ed.)، a survey of linguistic،University of Maryland Linguistics Program،1971،p31.

الأمة التي تتميز بها عن غيرها من الأمم، بما تقم به من ترسيخ للقيم واللغة والعقائد والمبادئ والسلوك والقوانين والعادات والتجارب.

"فعرها أنور الجندي بذلك الكل المركب الذي يتضمن المعارف والعقائد والفنون والأخلاق والعادات"¹

وقد عرفها رالف لينتون R. Linton بقوله: "مظهر للسلوك المكتسب ولنتائج ذلك السلوك، يشترك في مكوناتها الجزئية أفراد مجتمع معين وتنتقل عن طريق هؤلاء الأفراد"²

أما ليسلي هويت Lesli white فقد عرفها بقوله: "تنظيم لأنماط السلوك والأدوات والأفكار والمشاعر التي تعتمد على استخدام الرموز"³

ولعل أشمل تعريف للثقافة هو تعريف تايلور Tylor القائل: "بأن الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعادات وغيرها والتي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع."⁴

فالثقافة كل مركب، وكل التعاريف التي ذكرت تصب في تعريف تايلور، ويمكن تحديد مفهوم الثقافة بالمعنى الاجتماعي ومن خلال هذه التعريف بأنها الأنماط الذاتية المتغيرة للسلوك المكتسب ونتائج هذا السلوك، ويشترك فيها أفراد المجتمع وتنتشر بينهم، والثقافة تعني التي صنعها الإنسان لنفسه، فهي كل ما يتضمن بصفة خاصة اللغة والعادات والتقاليد والنظم الاجتماعية وهي موجودة في كافة المجتمعات البشرية.⁵

¹ أنور الجندي، معلمة الإسلام، المجلد الأول، بيروت، 1980 ص 524.

² Linton Ralph، le fondement culturel et la personnalité، dunod، paris 1968 p33

³ فارس خليل، التطور الثقافي في مجتمعنا الاشتراكي، مكتبة القاهرة الحديثة، 1960 ص 44.

⁴ Taylor Edward، primitive culture، John myray، London 1973، p.3

⁵ د. سيد عويس، حديث عن الثقافة، مكتبة الأنجلو المصرية 1970 ص 25.

وتتمثل الثقافة في كل ما ينتجه الإنسان عبر العصور من مادة وفكر. "ومن ثم كانت الثقافة تشتمل على عناصر مادية وأخرى معنوية، فالعناصر المادية هي الوسائل التي يستعملها الأفراد في معيشتهم كالمباني والأثاث والملابس والمخترعات، وكل ما تزخر به الحضارة في مجالاتها المادية، أما العناصر المعنوية فتتمثل في اللغة والآداب والعلوم والأعراف والقانون والمعتقدات والأخلاق. فالعناصر المعنوية كالدين والتاريخ والقانون والآداب لا تعرف إلا باللغة، وفي اللغة، وكذلك العناصر المادية لها علاقة باللغة لأن هذه العناصر المادية في حقيقة الأمر هي عناصر فكرية مجسدة في أعمال، أي قبل أن تكون أشياء ملموسة كانت أفكارا ومن ثم كانت لها علاقة باللغة."¹

علاقة اللغة بالثقافة:

بين اللغة والثقافة علاقة وطيدة ، علاقة الجزء بالكل، فاللغة أخص والثقافة أشمل وكل منهما يؤثر ويتأثر بالآخر. " إن المجتمعات الإنسانية لم تعرف الثقافة إلا عندما عرف الإنسان كيف يشير إلى الأشياء و العلاقات، أي أن ظهور الثقافة قد ارتبط بظهور الرموز أو العلاقات التي تكون نظام اللغة، و إذا كانت كلمة ثقافة تشير في كتابات الانثروبولوجيين إلى أسلوب الحياة السائدة في مجتمع ما، فان هذا يعني وجود علاقة وثيقة بين اللغة و الثقافة."²

وتظهر العلاقة التكاملية بين اللغة والثقافة في أن الثقافة تساعد على تطوير اللغة وراثتها والتأثير فيها سلبا أو إيجابا بما تحققه من اختراع في جوانبها المادية، وسمو في الإنتاج الفلسفي والفكري والأدبي، وما لذلك الإنتاج الثقافي من أثر في إغناء اللغة بالمفردات والمعاني السامية والمضامين التي تزيد اللغة ثراء وقوة.³

إن عقم الثقافة يؤدي إلى توقف عجلة الاختراع والإبداع والذي يكون مآله التقهقر والانحطاط. "كما أن نضوب معين الثقافة وتوقفها عن الاختراع المادي والإنتاج الفكري يؤدي حتما إلى وقوف

¹ عاطف وصفي، الثقافة والشخصية، دار المعارف بمصر، سنة 1975 ص 74.

² كرم زكي حسام الدين، اللغة و الثقافة، دراسة انثروبولوجية للألغاف و علاقات القرابة في الثقافة العربية ،دط،دت ص100

³ د. مصطفى الحشاش ، دراسة المجتمع، مكتبة الأنجلو المصرية، سنة 1974 ص 96.

تطور اللغة في الدلالات والمعاني ويضيق أفق اللغة وتعجز عن التعبير عن الأشياء المستحدثة التي لم يكن لثقافة تلك اللغة فضل في اختراعها".¹

ولعل قول جرجي زيدان مثال واضح لما يعترى الثقافة واللغة العربية من ركود. "فعندما توقفت آلية الثقافة العربية عن مواكبة التقدم التكنولوجي العصري في الاختراع، أثرت اللغة العربية التي أصبحت تعاني من بعض القصور في التعبير عن المستحدثات من الأشياء التي اخترعتها ثقافات أخرى وأصبحت المجامع اللغوية العربية تسابق الزمن دون جدوى لتعريب ذلك السيل من المصطلحات العلمية التي تستجد في الثقافات الأجنبية كل يوم في شتى ميادين الحياة".²

فرغم الارتباط الوثيق بين اللغة و الثقافة الذي يقف وراء الاهتمام الذي أبداه الاثنوبولوجيون لدراسة لغات المجتمع التي اهتموا بها وكذلك اهتمام الدراسات الاثنوبولوجية بتطوير أسلوب تعليم اللغات الأجنبية بتوفير المناخ الثقافي للغة المراد تعلمها إلا أن الصعوبة التي تواجه الطالب في تعلم اللغة الأجنبية تعود في المقام الأول من وجهة نظر الاثنوبولوجيون إلى اختلاف الثقافة.

" إن الثقافة مثل اللغة تشتمل على مجموعة من القواعد و المعايير المادية و المعنوية المستقرة بصورة تجريدية في ذهن أفراد المجتمع و هي تعني التصور تظهر في شكل سلوك رمزي أو اشاري مشترك بين أفراد المجتمع، و بفضل هذا السلوك و من خلاله يستطيع الأفراد التواصل و التفاعل في ما بينهم، إن كل ثقافة تشتمل على مجموعة من الأنماط الثقافية مثل النظام الديني، و الفني، والاقتصادي و القرابة، ، و النظام اللغوي الذي يحتوي هذه الأنماط إلا أن اللغة تعتبر من أهم مكونات الثقافة لأنها الوسيلة الرئيسية التي يتعامل بها كل أفراد المجتمع من جهة، و تعتبر الوعاء الذي يستوعب كل السمات و العناصر المختلفة لهذه الثقافة من جهة أخرى، كما أنها تعتبر الأداة الرئيسية في عملية

¹ جرجي زيدان اللغة العربية كائن حين دار الهلال، بدون تاريخ ص 16.

² د. السيد محمد بدوي مبادئ علم الاجتماع، دار المعارف بمصر، سنة 1968 ص 235.

اكتساب الفرد للأتماط و السمات الثقافية المختلفة التي ينتمي إليها منذ ولادته، خلال مراحل حياته المختلفة"¹.

إن نشأة الثقافة و نموها لا يتم بدون اللغة التي تمكن الإنسان من تحقيق الاتصال و التعاون مع غيره، والعمل على تأصيل خبراته و حفظها، و تواصل هذه الخبرة و استمرارها من جيل إلى آخر. إن النظرة إلى اللغة لم تعد تقتصر فقط على اعتبارها وسيلة للاتصال بين أفراد المجتمع بل أصبحت تؤلف جزءا هاما في الثقافة و أن فهمها فهما جيدا يتوقف على فهم الثقافة السائدة في المجتمع الذي يتكلم اللغة التي نود دراستها و من هنا ظهر اتجاه دراسة اللغة بوصفها مظهرا أساسيا من مظاهر السلوك الثقافي الاجتماعي.

إن لغة أي مجتمع تعتبر مظهرا من مظاهر ثقافته ، و محاولة فصل اللغة عن الثقافة يعد عملا منافيا لطبيعة كل منهما، ولهذا فانه يمكن وصف الثقافة بنفس الطريقة التي نصف بها اللغة ، لان الأشكال اللغوية لا تختلف عن الأشكال الثقافية و لان كل منهما يمتلك وجودا ماديا معنويا، فالأولى تظهر في شكل علامات أو كلمات مكونة من أصوات تحمل دلالات معينة ، والثانية تظهر في شكل صور مادية لها قيمة دلالية أو استجابية من قبل الجماعات . فالبيت والمدرسة و المستشفى و المسجد أشكال ثقافية مادية ولها قيم دلالية مختلفة و كذلك الجمل والبقرة و الخنزير كائنات تنتمي إلى عالم الحيوان و لكنها ذات دلالات مختلفة من قبيل جماعات ثقافية متباينة"².

وللكشف عن مدى التأثير والتأثر لابد من دراسة هذه العلاقة والتي تحتاج إلى بحوث دقيقة قصد التركيز على البناء اللغوي للمجتمع ومكوناته وأبعاده وصوره، وملاحظة النشاط الثقافي للمجتمع للخروج بنتائج قيمة قد تساعد على فهم هذه العلاقة.

ومن بين صور التأثير والتأثر ومظاهره والتي ظلت تشغل بال المهتمين والباحثين في الشؤون اللغوية والثقافية الجانب اللغوي نظرا لأهميته.

¹كريم زكي حسام الدين، اللغة و الثقافة، دراسة انثروبولوجية لألفاظ و علاقات القرابة في الثقافة العربية، ص20.

²Hymes، cultural anthropology and linguistics p37.

فاللغة ليست مجرد أصوات وصيحات تردد هنا وهناك بل هي في حقيقة الأمر وجوهه تجسيد حي لكل خبرات ومعارف الكائن البشري ودليل شخصيته وهويته الثقافية. وهي بمثابة الكاشف عن مكنون وخبيايا النفس والعقل والتي تترجم حسب المواقف والظروف إلى واقع حقيقي في صورة أحداث وسلوكيات فعلية. واللغة ترجمان لهذا الكشف، يتمثل كل ظواهرها في أصواتها وطرائق نطقها وأدائها، وتناسق الكلام ونظمه وهندسته وطبيعة اختيار المفردات والصيغ والتراكيب. كما يظهر هذا الكشف في معاني الكلام ودلالاته، ودرجة الوضوح والغموض والتعمق والسطحية وكل ما يتعلق بأساليب الكلام وأنماطه.

كما " أن اللغة شأنها في ذلك شأن الثقافة خاصية إنسانية تتصف بصفة الوجود: وجود بالقوة ووجود بالفعل. فالأول طاقة أو قدرة كامنة في النفس، أو مركب من القواعد والقوانين تكشف وتنشئ عن الترجمة الفعلية الواقعة من الفرد والأفراد في الظرف المعين، وهذا هو الوجود بالفعل¹."

و هي في الوقت ذاته " كفالة أو طاقة إنسانية ذات قوة إنتاجية توليدية فائقة ، و أساس كل أنواع النشاطات الثقافية ، و خير دليل يهتدي به الباحث إلى معالجة المجتمعات الحديثة بل هي عامل مهم للترابط بين جيل و جيل ، وسيلة الانتقال للثقافات بين العصور ، عبر هذه الوسيلة العجيبة.²"

أما الجانب الثاني والذي يسمى بالوجود الواقع الفعلي فيسبق الأول، لأن الأحداث اللغوية الفعلية تقع أولا ثم بالعادة وتكرار وقوعها مرات عديدة في ضوء سياقاتها الاجتماعية، تستقر هذه الأحداث في ذهن الجماعة وتصبح لها انطباعات ومن ثمة تصير بمثابة الأنماط العامة للسلوك والتي يمكن أن تتبلور وتخرج حقيقة واقعة وفاعلة في التعامل والتكيف في ظروفها المناسبة.

ومهما يكن، فلا يمكن فصل أي جانب عن الآخر لأنهما متلازمان فكل منهما يؤثر في الآخر فالتحديد في الجانب الثقافي أو القواعد والقوانين يأتي نتيجة للتعديل أو التغيير والتطور في الثقافة ولا يصبح مقبولا ولا ساري المفعول إلا إذا اتفقت عليه الجماعة اللغوية المعنية وقبلته. ذلك أن اللغة

¹ د.كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، 1997 ص 237.

² محمد مبارك، فقه اللغة و خصائص العربية، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1975، ص 232.

مؤسسة اجتماعية تختلف باختلاف الشعوب والجماعات وتحمل وظيفة سامية هي وظيفة التواصل والتعارف والانفتاح على العالم فهي تعبر عن الرغبات ومكونات النفس وعن الأفكار والأحاسيس ضمن المجموعة البشرية التي تتكلمها.

ويعني هذا أن الجماعة المعينة قد تتفق في جملة القواعد والقوانين الضابطة للغة، وهو اتفاق في الأساسيات والجوهريات اللغوية، ونقصد بذلك المعاينة العميقة أو الطاقة اللغوية، ولكن أصحاب هذه اللغة يختلفون في الأداء والتطبيق الفعلي والسلوك اللغوي. و توضح نوال عطية أهمية العلاقة التكاملية القائمة بين اللغة و الجماعة في قولها: "إن اللغة أعظم اختراع قام به الفرد و إنها الوسيلة الاجتماعية الأكثر أهمية بالنسبة له من أي وسيلة اجتماعية أخرى... فوظيفة اللغة إشباع رغبات الفرد و التعبير عن الأفكار و الإحساسات ، فاللغة تبرز الفكرة الكامنة لدى الفرد و تظهرها للآخرين."¹

إننا نتفق في أن لنا لسانا واحدا وهو اللغة العربية، ولكن مع ذلك نختلف في التحقيق المادي لهذا اللسان، وخير دليل على ذلك ما يجري في الشارع العربي من لهجات والصور المختلفة للكلام، فالاختلاف و الاتفاق في حد ذاته ينقص و يزيد حسب الزمان والمكان وظروف المجتمع، فليس هناك اتفاق في كل أنماط السلوك اللغوي في البيئة الواحدة وبتفاوت من فرد لآخر، بل قد يختلف الفرد الواحد مع نفسه أحيانا وفي سلوكه اللغوي. لقد كتب "سومارفليت": "إن اللغة ظاهرة اجتماعية ، والتغيرات التي تعرفها هي أيضا ذات طابع اجتماعي لكن هذا لا يعني أن هناك تقابلا بين البنية اللغوية والمجتمع الذي يستخدم هذه البنيات كوسيلة للتواصل، إن البنية اللغوية يمكن أن تبقى على حالها من غير تغيير بالرغم من التغيرات الثورية التي يمكن أن تحدث في الأنماط الثقافية والاجتماعية"².

و مرد هذا الاختلاف والتوافق في البيئة اللغوي الوضع الثقافي الذي تعيشه هذه البيئة، فقد يكون هناك إجماع واتفاق في الأساسيات والجوهريات ولكن يكون العكس في الأداء والسلوك

¹ نوال محمد عطية، علم النفس اللغوي، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1975، ص21.

² Sommerfelt، A ، 'structures linguistique de groupes sociaux'، p13.

والتعامل التفاضلي ، فهناك معايير أو قيم يتفق عليها في بيئة اجتماعية ما ولكنها تختلف بين أفراد هذه البيئة في التحقيق المادي فلكل واحد منهم نظريه الخاصة فالباس مثلا يتمثل في الوقاية والزينة وستر الجسم ولكن قد تختلف قيمه من حيث القوة والشكل واللون والرمز.

إن العلاقة بين اللغة والثقافة علاقة جد وثيقة وتظهر قوة هذه العلاقة في السلوك اللغوي والثقافي معا. حيث نستطيع الحكم على ثقافة الرجل من إنتاجه اللغوي الغزير المتمثل أساسا في ألفاظه وعباراته وفصاحته وبلاغته وطرائق نطقهن فالكلام الذي يؤديه اللسان لا يصدر من فراغ ولا من عدم، وإنما يستمد مادته من مخزون عقله أي من إنتاجه المعرفي والثقافي وقد قالوا في اللغة الإنجليزية: "لسانك أنت"¹ وكذلك الأمر بالنسبة للثقافة حيث تؤثر ثقافة الإنسان ودرجتها ومستوياتها على مخزونه اللغوي بصورة أو بأخرى.

وحقيقة الأمر أن العلاقة بين اللغة والثقافة وحدة أو تنوعا تتوقف على درجات الاختلاف اللغوي والثقافي معا. فكلما كان الاختلاف كبيرا بين اللغات كان اختلاف بين الثقافات واضحا وتقل درجة الاختلاف في حالة التقارب اللغوي أو قلة العناصر الفارقة بينهما. فقد نزع أن الاختلاف في بعض الأنماط الثقافية بين مجتمع عربي وآخر يرجع جزء كبير منه إلى الأنماط اللغوية الخاصة بكل مجتمع. كون اللغة "أساس و وسيلة الإنسان للتعبير عن حاجاته و رغباته و أحاسيسه و مواقفه، و هي وسيلة كذلك لتنمية أفكاره و مهاراته و تجاربه، و هي مستودع لحضارات الشعوب و ثقافتهم و تراثهم، و هي آلية التخاطب و الاتصال"².

والسؤال المطروح : هل يمكن تحديد ثقافة الفرد بلغته، أم أن لغته تتحدد بثقافته؟

كما أن التأثير السلبي للثقافة العربية على لغتها يظهر جليا في مجال الاختراع العلمي، حيث أننا لا نكاد نجد جامعة عربية واحدة تدرس بكلياتها المواد العلمية باللغة العربية ما عدا جامعة دمشق أو جامعة العراق في حين أن المواد الأدبية والعلوم الإنسانية يتم تعليمها كلها باللغة العربية.

¹ كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي ، ص 239

² كامل أبو صقر: العولمة التجارية و الإدارية و القانونية (رواية إسلامية)، منشورات دار الوسام و دار مكتبة الهلال: بيروت، ط1، 2000م، ص395.

وتعود أسباب هذا القصور العلمي إلى فقدان الإرادة لدى الدول العربية لتعريب الفروع العلمية في الجامعات بالإضافة إلى عجز الإطارات التعليمية لتدريس المواد العلمية باللغة العربية رغم الجهود المبذول من قبل بعض الدول العربية في عملية التعريب.

فالعيب ليس في قصور وعجز اللغة العربية وعدم مسيرتها ومواكبتها لمتطلبات العصر ومقتضيات التطور العلمي والتكنولوجي كما يظن البعض، فالثقافة العربية السائدة التي لا تزال في عمومها غير مكترثة ولا مهتمة بالجانب العلمي المادي، مما جعل أفراد المجتمع العربي يفضلون النظر على التطبيق وتعريب الأسماء بدلا من الاختراع والسعي وراء كل ما هو أجنبي واستهلاك الثقافة الغربية.

ففي اللغة العربية مرونة وصفات تساعدها على مسيرة التطور والتمدن إذا ما سائر الناطقون بها التمدن والتطور. وإنما لنجد أنه قد مرت على إنشاء كلية الطب في دمشق أكثر من خمسين سنة وهي ثابتة تعلم العلوم باللغة العربية، وتبرهن على أن هذه اللغة لا تعجز عن مجالات اللغات الأخرى إذا تعهدوا أبناءها وأخلصوا لها.¹

بين اللغة والثقافة علاقة متينة ، ذلك أنه لا يمكن أن نتصور لغة لا تنتج ثقافة، أي كانت اللغة، وأي كانت الثقافة، كما أننا لا نتصور ثقافة لا تعتمد في جانب أساس منها على وعاء لغوي يحتويها، ويتفاعل معها وينقلها، هما إذاً دائرتان متداخلتان لا يُمكن أن نفصل إحداها عن الأخرى. حيث نؤكد على نقطة مهمّة؛ هي: أنه إذا كانت اللغة هي الفكر الذي يتفاعل مع الأشياء، ويقف منها أو معها مواقف محدّدة، فإنّ الثقافة هي أيضا ذلك الشيء، أو تلك الأشياء المتشابكة، وغير الملموسة التي تملي عليه طرائقه في التعامل مع الأشياء، وتحدّد استجاباته بُجَاهها، نحن إذا أمام وجهين لشيء واحد، قد تكون الثقافة أعمّ، إذ اللغة عنصر مهم للغاية في بنائها، وتوجيه مسارها، على أنّ للثقافة دورها الخطير في التأثير في اللغة باعتبارها فكرا، واللغة والثقافة معا ليستا نابعتين من داخل الإنسان، أو ليستا فرديتين؛ لكنهما جزء من حراك الوسط الذي يعيشان فيه، ومن هنا تأتي التفرقة الضرورية

¹ عامر رشيد السمرائي، آراء في العربية، مكتبة النهضة، بغداد، بدون تاريخ، ص 76.

بينهما، وبين العلم "الثقافة نظرية في السلوك أكثر من أن تكون نظرية في المعرفة، وبهذا يمكن أن يُقاس الفرق الضروري بين الثقافة والعلم".¹

وإذا كانت الصلة بين اللغة والثقافة قد تشابكت بالقدر الذي افتقرت عن العلم، فإن ثمة فارقاً أساسياً أيضاً بين اللغة وإحدى وظائفها الأساسية (التواصل)، فعلى الرغم من أهمية هذه الوظيفة وحيويتها وضرورتها، فإنها مجردة ذات قيمة محدودة؛ لأنها متحققة بين الكائنات الأخرى الحية بالقدر الذي تحتاجه ويكفيها، في التواصل في حد ذاته ضروري؛ لكن أهميته الجوهرية تنبع من تأثيره المباشر عندما يرتد إلى الفكر، يغير في طرائقه، إنه (التواصل) جزء مهم من المحيط الذي يبني القيم والمشاعر والأفكار ويشكلها، ويعطيها مذاقها وخصوصيتها، ويصبغها بصبغته الفارقة، وهذا ما يُعيدنا مرة أخرى إلى اللغة التي ترتبط بعقل الإنسان وفكره أكثر مما ترتبط بلسانه وعلاقاته بالآخرين، كما يذكرنا بالثقافة، بالمفهوم الذي ذكرنا، لا بوصفها كما من المعلومات والمعارف التي تجتمع في داخل الإنسان أو المجتمع.

- إن الثقافة ظاهرة إنسانية، أي أنها فاصل نوعي بين الإنسان و سائر المخلوقات لأنها تعبير عن إنسانيته، كما أنها وسيلته المثلى للالتقاء مع الآخرين.
- أنها تحديد لذات الإنسان و علاقاته مع نظرائه، و مع الطبيعة و مع ما وراء الطبيعة، و من خلال تفاعله معها، و علاقاته بها، في مختلف مجالات الحياة.
- أنها قوام الحياة الاجتماعية و وظيفة و حركة، فليس من عمل اجتماعي أو فني جمالي أو فكري يتم إنسانياً خارج دائرتها. و هي التي تيسر للإنسان سبل التفاعل مع محيطه مادة و بشراً و مؤسسات.
- إنها عملية إبداعية متجددة، تبعد الجديد و المستقبلي من خلال القرائح التي تمثلها و تعبر عنها، فالتفاعل مع الواقع تكييفاً أو تجاوزاً نحو المستقبل، من الوظائف الحيوية لها.

مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، وعمر كامل مسقاوي، دمشق، دار الفكر، 1406 هـ - ¹

- إنها إنجاز كمي مستمر تاريخياً، فهي بقدر ما تضيف من الجديد، تحافظ على التراث السابق و تجدد قيمه الروحية و الفكرية و المعنوية، و توحد معه هوية الجديد روحاً و مساراً ومثلاً، و هذا هو أحد محركات الثقافة الأساس، كما أنه بعد أساس من أبعادها.¹

و الثقافة العربية الإسلامية، تتسم بما يتسم الإسلام من خصائص بصفته ديناً و منهاجاً للحياة. و تتجلى هذه الخصائص في: العالمية، و الشمولية، و الوسطية، و الواقعية، و الموضوعية، و التنوع في الوحدة.² و من أجل ذلك بات من الضروري التطرق للمكونات الأساسية للهوية بحيث لا يملك الحديث عن الهوية دون الحديث عن مكوناتها التي تتصل بالجانب المعرفي و الثقافي و الوجداني والسلوك الفردي.

ففي المكونات المعرفية ترتبط الهوية بنسق معرفة يمكن أن يضم السمات العامة للشخصية والاتجاهات السياسية و الاجتماعية و الذاكرة الجماعية.

لأن الهوية الوطنية تتحد داخل المجتمع، فهي تربط في نهاية الأمر بنظرة شاملة للعالم، يتقاسم فيها أفراد المجتمع نفس النسق المعرفي، و هنا يتدخل مفهوم الثقافة بمعناها العام أي " التفسير الشامل للطبيعة أو كشبكة قراءة و تحويل للعالم، تنتظم في ثلاثة مستويات: كوسيلة، مشروع مجتمع، و كنظرة للعالم".³

كوسيلة تعبر الثقافة عن العمليات التي طورها الإنسان منذ القديم لتطويع الطبيعة و تحويلها لخدمته، أما كمشروع مجتمع، تصبح الثقافة عامل تنظيم للعلاقة الفردية و الجماعية داخل المجتمع، وأما كنظرة العامل، فتجمع الثقافة بين مفهومها كوسيلة و مفهومها كمشروع مجتمع لتؤسس نظرة موحدة و مشتركة تفسر الوجود تفسيراً مقنعاً و مطمئناً، فالهوية الوطنية هي " نتاج التاريخ المشترك الذي يمتد لعدة قرون إلى الوراء، كما أنها نتاج ثقافة عاملة قامت بصقل أشكال الإدراك و التمثلات الاجتماعية.

¹ الخطة الشاملة للثقافة العربية، نشر المنظم العربية للتربية للعلوم الإسلامية و الثقافية، ط2، تونس 1996 ص16.

² الإستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي، نشر المنظمة للتربية و العلوم و الثقافة - ايسيسكو - الرباط 1997 ص52.

³ Jozef Ki-zerbo، refrain sous le sahel pacere' tinting، 1976، p9 .

يجب التأكيد هنا على أن الثقافة، بشكليها العام و الشعبي، تساهم في تطوير ما يعرف ب "الأسطورة المؤسسة – Mythe fondateur" التي تمثل منعقدا يؤمن به أفراد المجتمع كغاية يعملون من أجل تجسيدها و إعادة إنتاجها في الواقع.

يمكن اعتبار الثقافة مرجعا تأخذ منه الهوية الوطنية مكوناتها و أدلة وجودها. " فتصبح عنصرا من عناصر الهوية أساسا، و عنصرا من عناصر بلور القومية (بمعنى الوطنية) التي هي بدورها عنصرا أساسيا لتكوين الهوية و الحفاظ عليها".¹

لا تركز الهوية على المكنة المعرفية فحسب، بل هناك جانب عاطفي، فمن خلال التنشئة الاجتماعية التي تستمد مصادرها من السجل المعرفي للهوية الوطنية، تنشأ عن طريق علاقة عاطفية قوية بين الأفراد و الوطن، لدرجة يصبح معها الأفراد على استعداد للتضحية بوجودهم الفردي في سبيل استمرار الوجود الوطني، فانطلاقاً من المكنة المعرفية تتأسس بين أفراد و وطنهم علاقة حب من نوع خاص، و لهذا ربط العرب بينهما في عبارة " حب الوطن من الإيمان"، فالإيمان يشير هنا إلى الاعتراف المرتبط بالمكونات المعرفية، أما الحب فيشير إلى الولاء المرتبط بالمكنة العاطفية.

علاقة الهوية بالثقافة:

مما لا شك فيه أن العالم اليوم يعيش صراعا متنوعا يأتي الجانب الثقافي منه في المقدمة. فالنظام العالمي الجديد أو ما يعرف بالعملة يجعل كل عربي يتساءل عن هويته الوطنية و الثقافية أمام اختلاف و تنوع الثقافات الأخرى. إن الخطر الأكبر الذي بات يهدد الشعوب و الأمم في عصرنا هذا هو ذلك الخطر الذي يمس الهوية الثقافية و الذاتية الحضارية و الشخصية التاريخية للمجتمعات الإنسانية و الذي قد يؤدي إذا ما استأصل إلى تلاشي الخصوصيات الثقافية التي تجمع بين هذه الأمم والشعوب و التي تجعل كل واحدة منها شعبا مميذا بمقومات يقوم عليها كيانه و تبني عليها حياته. إن الهوية و الثقافة بخصوصياتهما و مكوناتهما هما المستهدف في المقام الأول، و إن الهدف الذي يسعى

¹ غلاب عبد الكريم، أزمة المفاهيم و انحراف الأفكار، سلسلة الثقافة القومية، رقم 33، الطبعة الأولى، بيروت، 1998، ص 39.

إليه العدو هو القضاء على الهويات و محاربة التنوع الثقافي و العمل على تفكيك روابط الأمم والشعوب للاندماج في ركب العولمة و في إطار النموذج الغربي الأمريكي.

" و بالهوية يمكن التمييز بين الأمم لتعبير عن شخصياتها الحضارية، لذلك فقد أدرك منذ زمان الصليبيون و الصهاينة أن استعادة المسلمين لهويتهم الحضارية خطر عليهم و من ثم يجب غزوهم فكريًا و لغويًا حتى تطمس مميزات شخصيتهم."¹

و ليست هذه الظاهرة فكرية ثقافية فحسب، بل هي سياسية و اقتصادية أيضا تعمل على إخضاع حكومات العالم لمنطق الهيمنة و القوة و السيطرة.

و في ظل هذا الخطر الذي يهدد أمننا الفكري و العقائدي و هويتنا الوطنية و ثقافتنا القومية و جب الحفاظ على الدفاع عن الهوية الحضارية الإسلامية و العربية، و السؤال المطروح ما مصير الثقافة و الهوية العربية في ظل التحديات الكبرى التي يعيشها العالم و خاصة تلك المرتبطة بشبح العولمة؟

ثم إذا كانت اللغة إحدى ركائز الثقافة، و أهم خاصية تميز الإنسان عن باقي الكائنات الأخرى فعن طريقها تجمع و تسجل الثقافة.

فلا يمكن الحديث عن اللغة دون الحديث عن الهوية، فكلاهما يقع في أساس فهم التحولات التي تشهدها في الزمن الحاضر، فلا يتم الاحتكاك و الاتصال بين الأفراد إلا بواسطة اللغة. و إذا كانت اللغة من المقومات الأساسية للهوية فأى مصير ينتظرها وسط هذا التنوع الثقافي الذي يفرضه النظام الجديد، و هل تملك المقومات الأساسية للإثبات وجودها أمام النمط الثقافي الموحد.

ثم إذا كانت اللغة تمثل الركيزة الأساسية في الشعور بالهوية فهل يعني ذلك أن واقعها المزري اليوم يعد عاملا أساسيا في زعزعة هذا الشعور بالانتماء

أنور الجندي: حتى لا تضع الهوية الإسلامية و الانتماء القرآني، دار الاعتصام، سلسلة الرسائل الجامعة، د.ط.ت، ص 07.¹

إن قضية الثقافة تكتسب أهمية خاصة كونها تعبر عن حركة الواقع الاجتماعي و تطوره في المجالات المتنوعة و تساهم بشكل فعال في تأسيس و تشكيل أبعاد و آفاق و عي الناس الفكرية و المادية و الروحية، و من هنا تكمن خطورة مصادر الثقافة و أسسها التي يستقي منها المجتمع مرتكزاته الفكرية العامة و بناءً على ذلك يمكن القول بأن تحديد الهوية الثقافية لمجتمع ما و درجة تطوره في السلم الحضاري تعتمد بالدرجة الأولى على الوعاء الثقافي الذي ينهل المجتمع ثقافته العامة منها و علة مدى واقعية هذه الثقافة و أسسها العلمية في تطور الحياة الاجتماعية و علاقتها في المجالات المختلفة من هنا لا يمكن بأي حال من الأحوال فصل جدلية تطور أو تخلف هذا المجتمع أو ذاك عن أسس بنائه الثقافي و إرثه التاريخي.

هناك علاقة وطيدة بين الثقافة و الهوية بحيث لا يمكن الفصل بينهما، إذ أن ما من هوية إلا و تحتل ثقافة، فلا بدون منظور ثقافي، ولا تستند إلى خلفية ثقافية، و الثقافة في عمقها، و جوهرها، هوية قائمة الذات. و قد تعدد الثقافات في الهوية الواحدة، كما أنه قد تتنوع الهويات في الثقافة الواحدة، و ذلك ما يعبر عنها بالتنوع في إطار الوحدة، فقد تنتمي هوية شعب من الشعوب إلى ثقافات متعددة، تمتزج عناصرها، و تتلاحق مكوناتها، فتتبلور في هوية واحدة، و على سبيل المثال، فإن الهوية الإسلامية تتشكل من ثقافات الشعوب و الأمم التي دخلها الإسلام سواء اعتنقته أو بقيت على عقائدها التي كانت تؤمن بها، فهذه الثقافات التي امتزجت بالثقافة العربية الإسلامية و تلاحقت معها، العربية الإسلامية، فهي جماع هويات الأمم و الشعوب التي انضوت تحت لواء الحضارة العربية الإسلامية، و هي بذلك هوية إنسانية، متفتحة، و غير منغلقة.

"فالوجه المحيف للعملة الثقافية هو الهيمنة على الجانب الفكري من خلال احتكار مواقع صياغة و إنتاج الأفكار و صنع الأخبار."¹

كما هو معروف هناك أنماط متنوعة من الثقافات في عالمنا المعاصر و بخصوصيات متباينة تبعاً للإرث التاريخي لشعبٍ أو لآخر و من بين هذه الثقافات اثنان منها تطغيان على ثقافة الشعوب إحداها ديمقراطية معاصرة أثبتت من خلال تطورها التاريخي بأنها الأكثر صواباً و ملائمة للتطور

¹ طلال عبد المعطي مصطفى: العملة و حقوق الإنسان، جريدة النور بتاريخ 2004/12/13.

الاجتماعي و السياسي و العلمي عبر منبرها في حقول الحياة المتنوعة و بفصلها الدين عن أنظمة استطاعت أن تحول الثقافة إلى قوة مادية منظمة ساهمت في تطوير المجتمعات وفق منهجية علمية مبنية على معرفة قائمة على المعطي المحسوس، أي على نتائج الاكتشافات و الاختراعات العلمية والأبحاث الاجتماعية بعيداً عن الصيغ و الأفكار و الوصفات الإيديولوجية و الشمولية الجاهزة واستطاعت أن تحقق عبر تلك المعطيات العلمية منها و الاجتماعية إنجازات هائلة و في مختلف الميادين.

التحديات التي تواجه الهوية و الثقافة:

تتعدد مصادر التحديات التي تواجه الهوية، بقدر ما تضعف المناعة لدى الفرد والمجتمع، و لكن المصدر الأساس الذي يأتي منه التحدي الأكبر لهوية الأمم و الشعوب كافة، يكمن في السياسة الاستعمارية الجديدة التي تسود العالم اليوم، و التي ترمي إلى تنميط البشر و القيم و المفاهيم وفق معاييرها الجديدة، و التي تسعى إلى صياغة هوية شمولية تفرضها في الواقع الإنساني، في إطار مزيف من التوافق القسري و الإجماع المفروض بالقوة.

و الخطورة في هذا الأمر، أن قوة الأجهاء التي تطرح بها هذه الهوية الشمولية ذات المرجع الغربي، و الأمريكي تحديداً، تعمى الأبصار عن رؤية الحقائق على الأرض كما هي، مما يؤدي إلى توهم أن هذه الهوية المغشوشة، هي الهوية العصرية، الهوية الكونية، هوية التحديث و المدنية، الهوية التي ينبغي أن تسود و تقود، و لا هوية الجمود و الهمود.

أما كونها هوية عصرية، فهذا صحيح من بعض الوجوه، لأنها مفروضة على هذا العصر بقوة الهيمنة و السيطرة والغلبة، و أما كونها هوية كونية، فهذا أبعد ما يكون عن حقائق الأشياء بأن في هذا العالم هويات متعددة، بقدر ما فيه من ثقافات و حضارات، أما كونها هوية التحديث و المدنية، فينبغي أن نفهم جيداً أن للحدثة دلالات و مفاهيم و مستويات، فمنها حدثة مادية، وضعية، مقطوعة الصلة بالدين، و منها حدثة أخلاقية، إنسانية بانية للإنسان بعناصره المتكاملة و الحضارة في

أبعادها المادية و الروحية. " و بصفة عامة يعتمد النظام العالمي الجديد لعولمة الهويات الثقافية على عدة وسائل جذابة تغري الكثير من الأفراد و الشعوب"¹. نذكر منها:

- ثقافة الديمقراطية: هي أفضل طريقة للحكم و المشاركة في صنع القرارات.

- ثقافة الإبحار العلمي و التقني و اتخاذها معيار للتطور و التحضر.

- ثقافة مناهج الدراسة و التربية و التعليم.

_ثقافة التشكيك في قدرة العلوم الإسلامية على حل مشكلات العصر.

و تأثير العولمة على العادات و التقاليد بصورة إجمالية.

كذلك شأن المدنية فهي على درجات متفاوتة، فليست كل مدنية تحمد، وهي على كل حال، حمالة أوجه، ففي الحرب العالمية الأولى و الثانية، سقط ضحية المدنية في أوروبا و اليابان عشرات الملايين من البشر، و في هذه المرحلة من التاريخ، تندلع الحروب، و تحتل الدول و تقهر الشعوب، و ترتكب الجرائم ضد الإنسانية باسم المدنية أيضا.

لذلك فإن إضفاء صفة المدنية على هذه الهوية الغازية المركبة من عناصر متناقضة و المنطوية على روح العدوان على السيادة الثقافية للأمم و استغفالها الاستهتار بها، تضليل للرأي العام العالمي، و تزوير لإرادة الشعوب، و تزيف للحقائق، و استهتار بالقيم الإنسانية، و انتهاك للقوانين الدولية، و دفع بالعالم نحو مزيد من الكوارث و الحروب و الصراعات.

إن إلزام العالم بأسره، بانتهاج نظام سياسي و اقتصادي و اجتماعي و ثقافي واحد، هو عمل ضد سن الله في خلقه، بقدر ما هو خروج على منق التاريخ و قانون الطبيعة، و لئن كان مصير هذه السياسة الاستعمارية الجديد سائراً إلى إفلاس لا محالة، فإن هذا لا يمنع من استمرارها إلى أمد قد

¹ ريتشارد هيجون: العولمة و الللممة، اتجاهات جديدة في السياسة العالمية، مركز الإمارات للدراسات و البحوث الإستراتيجية،

يطول في طمس الخصوصيات الثقافية والحضارية للهويات الوطنية للأمم و الشعوب في المدين القريب و البعيد، و لذلك نقول إن الخطر الذي يتهدد الهوية الحضارية و الخصوصيات الثقافية، خطر حقيقي واقع فعلاً، و يزحف نحو المزيد من الغزو و الاكتساح و العدوان، و هو حقيقة واقعية قائمة في حياتنا، نعيشها و نشاهد آثارها المدمرة للعقل و الوجدان، و المهددة لسلامة الكيان الإسلامي بصورة عامة، أن الحرب ضد الهوية، يقصد بها تمهيد الطريق نحو فرض الهيمنة السياسية و العسكرية والاقتصادية و الإعلامية و الثقافية.

لقد استبدل الغرب، خاصة القوى الاستعمارية الجديدة، بالركائز الثقافية و الدينية القديمة مقولات جديدة تضع الأخلاق في خدمة الهيمنة و العنف، و الدين في خدمة نظام رأسمالي منتصر، و الثقافة و قيمتها في خدمة فلسفة القوة، و قد باتت نظرة الغرب إلى ذاته تتسم بنرجسية مرضية يلازمها خوف دائم من فقدان السيطرة و الدخول في مرحلة الأقوال و الانحطاط، كما قال بذلك أكثر من فيلسوف أوروبي و أمريكي، في أكثر من كتاب و مقالة¹.

و أول ما يثير الانتباه عن التأمل في موقف الغرب من هويات الشعب، هو جمعه بين موقفين متناقضين، فهو من جهةٍ شديد الاعتزاز بهويته حريص عليه، و هو من جهة ثانية رافض للاعتراف بالهويات الوطنية لشعوب العالم، لإحساسه بأن العولمة من شأنها أن تؤدي إلى مزيد من الوعي بالخصوصية الثقافية و الحضارية، و تلك في نظر الغرب عموماً هي المعضلة الكبرى التي يصدم بها، ويعبر مفكروه عن هذه الحيرة الفكرية، بوضوح و صراحة لا مزيد عليهما.

فقد كتب هنتنغتون في دراسة تحت عنوان مثير للغرابة فعلاً: الغرب: متفرد و ليس عالمياً Unique Not Universal The West، يفرق فيها بين التحديث Modernization و بين التغريب Westernization و يقول: إن شعوب العالم غير الغربية لا يمكن لها أن تدخل في النسيج الحضاري للغرب حتى و إن استهلكت البضائع الغربية و شاهدت الأفلام الأمريكية و استمعت إلى الموسيقى الغربية، فروح أي حضارة هي اللغة و الدين و القيم و العادات و التقاليد، و حضارة الغرب تتميز بكونها وريثة الحضارات اليونانية و الرومانية و المسيحية الغربية، و الأصول اللاتينية للغات

¹ عبد العزيز بن عثمان تويجري، الحوار من أجالل التعايش، دار الشروق، القاهرة، 1998 ص 104.

شعوبها، و الفصل بين الدين و الدولة، و سيادة القانون، و التعددية في ظل المجتمع المدني، و الهياكل النيابية، و الحرية الفردية.

و يضيف قائلاً: إن التحديث الاقتصادي لا يمكن أن يحقق التغريب الثقافي في المجتمعات غير الغربية، بل على العكس، يؤديان إلى مزيد من التمسك بالثقافات الأصلية لتلك الشعوب. و لذلك فإن الوقت قد حان يتخلى الغرب عن وهم العولمة، و أن ينمي قوة حضارية و انسجامها و حيويتها في مواجهة حضارات العالم. و هذا الأمر يتطلب وحدة الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، و رسم حدود العالم الغربي في إطار التجانس الثقافي.

فهل هذه العولمة التي تسعى إلى تذويب الهويات و طمس معالمها و تهجينها هي صيغة جديدة من صيغ المواجهة الحضارية التي يخوضها الغرب، بالمفهوم العام للغرب، ضد هويات الشعوب وثقافات الأمم، و من أجل فرض هيمنة ثقافة واحدة، و إخضاع العالم لسيطرة حضارة واحدة.

إن الهوية المفروضة على المجتمع الدولي بهذا المفهوم تتعارض تعارضا تاما مع قواعد القانون الدولي، و مع طبيعة العلاقات الدولية، بل أنها تتعارض كلية مع سنة التعدد التي هي من السنن الإلهية، و مع قانون التنوع الثقافي، و العولمة إذا سارت في الاتجاه المرسوم لها ستكون إنذارا باختيار وشيكٍ للاستقرار العالمي، لأن هذه الهوية المفروضة على المجتمعات الإنسانية و التي تسير في ركب العولمة بهذا المضمون، تضرب الهوية الثقافية و الحضارية في الصميم و تنسف أساس التعايش الثقافي بين الشعوب. كما أن العولمة بهذا المفهوم الشمولي ذي الطابع القسري، ستؤدي إلى فوضى على مستوى العالم، في الفكر و السلوك و الاقتصاد و التجارة، و في الفنون و الآداب، و في العلوم والتكنولوجيا أيضا.

و إذا كانت ثقافة العولمة ثقافة نخبوية، فإنها تساعد على تركيز القوة، و القوة هنا ليست قوة سياسية فحسب، بل قوة التكنولوجيا المرتبطة بالمشروعات الصناعية ذات الصبغة الكونية كشبكات الحاسوب و الأنترنت، و هي ما يطلق عليه تقنيات العولمة Technology of globalization.

- و هي مرتبطة ارتباطا وثيقا بثقافة الاستهلاك Consumer culture، فالعمليات المرتبطة بنشر الحداثة تساعد على نشر القيم و الرموز و أساليب السلوك المرتبطة بالاستهلاك. وهي ثقافة تعمل على خلق نماذج و صيغة موحدة عبر العالم، كما تدعم نظاما للصور الذهنية. Images حول موضوعات خاصة لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالسوق الرأسمالي¹.

- و تنطوي ثقافة العولمة التي تنبثق من الحداثة المادية بخصائصها تلك، علة مخاطر عديدة تتهدد الهوية و الثقافة الوطنيتين في آن واحد، مما يؤكد قوة الترابط و التلازم بين الهوية و الثقافة أيا كانتا، و هو الأمر الذي يستدعي تقوية العلاقة بين العنصرين الرئيسيين من عناصر الكيان الوطني للأمم و الشعوب: الهوية و الثقافة لأن في الحفاظ على الهوية و الثقافة وقاية من السقوط الحضاري، و صيانة للذات، و تعزيزا للقدرات التي يمكن التصدي بها لضغوط التحديات على أمتنا العربية منها السياسية و الثقافية و الاقتصادية هذه الأخيرة أثرت سلبا على مردودنا الفكري و الثقافي حيث يسجل التاريخ في هذا العصر إخفاقا في الهوية سياسيا و اقتصاديا.

¹. أحمد زايد، عولمة الحداثة، تفكيك الثقافة الوطنية، مجلة عالم الفكر، المجلد 32، العدد: 1، يوليو - سبتمبر 2003 ص 17-

الفصل الثالث: اللغة و العولمة الثقافية

المبحث الأول: اللغة و العولمة

- ✓ تعريف العولمة.
- ✓ العولمة من وجهة نظر عربية.
- ✓ العولمة من وجهة نظر غربية.
- ✓ محاولة عولمة اللغة الانجليزية.
- ✓ الترويج لتشجيع الانجليزية.

المبحث الثاني: الانترنت و تأثيرها على اللغة.

- ✓ اللامكان.
- ✓ اللازمان.
- ✓ التفاعلية.
- ✓ المجانية.
- ✓ الربط الدائم و تنويع التطبيقات.
- ✓ الانترنت و عملية التعليم

المبحث الأول: اللغة و العولمة

- ✓ تعريف العولمة.
- ✓ العولمة من وجهة نظر عربية.
- ✓ العولمة من وجهة نظر غربية.
- ✓ محاولة عولمة اللغة الانجليزية.
- ✓ الترويج لتشجيع الانجليزية.

تعريف العولمة

أمر أكدته مختلف الأبحاث في مختلف الميادين، ذلك المتعلق بأهمية اللغة في حياة المجتمعات قديمها و حاضرها، حتى أنّ اللغة ارتبطت بالوجود في مختلف صورته، و هذا ما دفع العلماء إلى التخصص في ميدانها و البحث عن علاقتها بالعلوم الأخرى فظهر علم النفس اللغوي، و علم الاجتماع اللغوي و علم الاثنوبولوجيا اللغوية و علم الاقتصاد اللغوي، و ذلك لسدّ الثغرات التي تحدث عند صنع العملية التواصلية.

فما دامت اللغة بهذه الأهمية كانت مناط تحول لدى المختصين و تحولت بتحولها المسارات الحضارية، تحرك آلياتها في كل قارات العالم بل أصبحت هذه المسارات تسير جنباً إلى جنب مع مصطلحات اللغة بل و أصبحت ثمة مشاريع لغوية لا تقل من حيث الأهمية و من حيث القيمة عن المشاريع الاقتصادية، و كل ذلك لأن اللغة رسول الهوية التي يحاول أصحابها توسيع دائرتها إما بتدوير باقي الهويات الأخرى أو امتصاصها.

فبقاء الهوية مرهون بقوة الاقتصاد و حكمة السياسية و إصرار أفراد المجتمع على السيادة، ذلك أن الهوية ذلك الإحساس الداخلي المطمئن للإنسان على أنه هو نفسه في الزمان و المكان و على أنه منسجم مع نفسه باستمرار مهما تعددت و اختلفت المكانات الاجتماعية و على أنه معترف به بما هو عليه من طرف الآخرين الذين يمثلون المحيط المادي و الاجتماعي و الثقافي المحلي و الإقليمي والدولي . يقول " لفي سترويس " في كتابه الآفاق الحزينة *tristes tropiques* "...اننا حين نقول اللانسان... فاننا نعني اللغة، و حين نقول اللغة... فاننا نقصد المجتمع"¹. ذلك ان البحث في اللغة هو بحث في الانسان نفسه.

¹ احمد ابو زيد، لفي سترويس عميد البنائين في فرنسا، مجلة العربي، ابريل، عدد 293، الكويت، 1983. ض.80.

هذا الأساس المتين و هذه الشجرة المتجذرة بجذورها المتفرعة بفروعها الباسقة كانت دوما الحافظ الذي يجعل طموح الإنسان و في أي زمان و مكان أن تكون هويته الأكثر انتشارا و سيطرة فيبيح لنفسه بنعمة الأخر، و محاولة تغطيته و يتحول إلى مركز الكون فهو البداية و هو النهاية و هو الاتجاهات المتباينة، و هو أوجه الحضارة المختلفة. فلعلها التوجهات التي تسطر مسار حضارة من الحضارات، فنسمي كل ذلك بمسميات مختلفة، هي العولمة، هي الكوننة أو الشمولية أو في عصرنا الحالي الأمركة.

و هذا الفهم الحضاري لم تخل منه حضارة من الحضارات ولا إيديولوجية من الإيديولوجيات، فانتشار فكرة من الأفكار أو ظاهرة من الظواهر هو بمثابة رغبة هذه الجهة في الاستمرار فعند المسلمين تتقرر النهاية بقيام الخلافة و ثقافتها قبل أن يرث الله الأرض و من عليها و عند الشيوعيين فالعودة إلى المشايعة المتمخضة عن الاشتراكية الانتقالية.

إذن فالعولمة مصطلح قديم يلبس ثوبه على اختلاف الأزمنة و الأمكنة فهي لم تنشأ فجأة، بل لها جذورها التاريخية و لها مقدماتها الموضوعية و خاصة تلك الأخيرة التي ظهرت مع بداية الربع الأخير من القرن العشرين و ارتبطت بالثورة الصناعية الثالثة التي أبرز مظاهرها تكنولوجيا الاتصال والمعلومات التي حوّلت العالم إلى قرية صغيرة¹.

لقد شغلت العولمة كرسي التفكير احتلته سواء بالنسبة للمثقفين الغربيين الذين يرغبون في بسط سلطانهم على العالم و المثقفين العرب الذين يحاولون إيجاد التموقع المناسب الذي قد يكون لهم، في خضم هذا الزخم المتلاطمة أمواجه، وحسب الجهة يكون الموقف و لذلك سنلاحظ تباينا بين مختلف المثقفين.

¹ الحبيب الحنحاني ا: ظاهرة العولمة الواقع و الأفاق، مجلة الفكر، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأدب، الكويت، أكتوبر- ديسمبر 1999، الكويت، ص100.

العولمة من وجهة نظر عربية:

إن المصطلح العربي ترجمة للكلمة الإنجليزية المشتقة من globe المعرفة في قاموس المورد انجليزي - عربي بأنها الكرة الأرضية² و تعني في المنظور العام إكساب الشيء طابع العالمية، و ما يشترك فيه كل الناس باعتبارها بأنها الكرة الأرضية و تعني في المنظور العام إكساب الشيء طابع العالمية، و ما يشترك فيه كل الناس. أما اصطلاحاً: فهي اصطلاح عالم الأرض بصيغة واحدة شاملة لجميع أقوامها و كل من يعيش فيها، و توحيد أنشطتها الاقتصادية و الاجتماعية والفكرية من غير اعتبار لاختلاف الأديان و الثقافات و الجنسيات و الأعراق.³ يتضح من ذلك أن العولمة مفهوم استخدام لوصف كل العمليات التي من خلالها تكتسب العلاقات الاجتماعية نوع من عدم الفصل أو ما يعرف بسقوط الحدود و تلاشي المسافة، حيث تجري الحياة في العالم كمكان واحد، أو قرية صغيرة واحدة.

فهي كما تدل صياغتها اللغوية، ذات طابع يشير إلى عملية مستمرة من التحول و التغيير، فعند قولنا عولمة الاقتصاد أو الثقافة فإن ذلك يعني تحول كل منها، من الإطار العلمي. وهي اتجاه يصبح العالم فيها عبارة عن دائرة اجتماعية و سياسية و اقتصادية و ثقافية واحدة، تتلاشى في داخلها الحدود بين الدول.

غير أن هذه الثقافة العالمية الواحدة ليست سوى الثقافة الغربية، فهم يريدون أن تكون ثقافة معممة، و ذوقاً واحداً يفرض على جميع البشر، فتلغى الاختلافات و التمايزات الحضارية، و باسم الثقافة الإسلامية يتم التعدي على الثقافات غير الغربية من خلال تجاوز لخصوصيتها الاجتماعية.

² أحمد عبد الرحمن أحمد: العولمة، مجلة العلوم الاجتماعية، ع2، الجزائر 1999، ص82.

³ سعيد عبدو إسماعيل: العولمة و العالم الإسلامي، 2001، ص12.

عندها تصبح العولمة نظام يصب في قالب واحد هو أمركة العالم و كونه تحت سيطرة ثقافة واحدة هي الثقافة الأمريكية.

"يمكن القول أن العولمة هي إحدى التحديات تباره مشكلا من أشكال توحد العالم المفضي إلى سعادة البشر."¹

و يعرفها محمد عابد الجابري: "بأنها نظام أو نسق ذو أبعاد تتجاوز دائرة الاقتصاد و إنما نظام عالمي يشمل المال و التسويق و المبادلات و الاتصال كما يشمل أيضا مجال السياسة والفكر والإيديولوجيا."² إنما توحيد طريقة التفكير والنظر إلى الذات و إلى الأخر و إلى القيم."³

"فالعولمة الثقافية محك تمر من خلاله مختلف الهويات وتحاول أن تجعلها تدور في فلكها، وتمدها بمختلف مفاهيم و معتقداتها و تشكيل تاريخها و التنظير لمستقبلها. فالعولمة لا تهدد الهوية أو الهويات الثقافية بالفناء أو التذويب بل تعيد تشكيلها أو تطويرها للتكيف مع العصر."⁴

و لعل هذا التباين الحضاري هو الذي أدى بدوره إلى تباين على مستوى التعريف لهذه العولمة يعرفها صادق جلال العظم قائلا: "العولمة هي وصول نمط الإنتاج الرأسمالي عند منتصف هذا القرن تقريبا إلى نقطة الانتقال من عالمية دائرة التبادل و التوزيع و السوق و التجارة إلى عالمية دائرية افتتاح، و إعادة الإنتاج ذاتها، أي أن ظاهرة العولمة نشهدها بداية عولمة الإنتاج و الرأسمالية الإنتاجي و قوى الإنتاج الرأسمالية و نشرها في كل مكان مناسب و ملائم خارج مجتمعات المركز الأصلي و دولية

¹ صالح بلعيد: محاضرات في قضايا اللغة العربية، مطبوعات جامعة قسنطينة، ص 334.

² محمد عابد الجابري: عن الشرق الأوسط، ليوم 1979/02/04، نقلا عن كتاب محاضرات في قضايا اللغة العربية لصالح بلعيد، ص 335.

³ طلال عتيريس: العرب و العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، يونيو 1929، بيروت، ص 44.

⁴ حلام الجيلالي: أثر العولمة في اللسان الرسمي (العربية نموذجاً) مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، ع5، الجزائر 2001، ص128.

وهي حقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز و بقيادتها، و في ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ، مما يعني أنّ بداية المصطلح كانت اقتصادية. "1 أما الأستاذ الحبيب الخنحاني فيعرفها قائلاً: إنها أشد تعقيداً... و أكثر تشعباً إنها وليدة الحداثة في أجد مظاهرها. "2

أما إبراهيم حيدر فيعرفها قائلاً: "العولمة قاطرة علمية الحداثة و التحديث و بالتالي تهدد الثابت و الأصيل... و هي في مضمونها و رؤيتها الفكرية هي تعبير عقلي عن مرحلة الحداثة، ثم ما بعد الحداثة كما تميزت هذه المرحلة بالعلمانية أي فصل الدين عن الحياة العامة. "3 و يضيف حيدر إبراهيم إن العولمة لا تهدد الهوية أو الهويات الثقافية بالفناء أو التذويب بل تعيد تشكيلها أو حتى تطويرها للتكيف مع العصر. "4

ارتبطت العولمة بالاقتصاد و السياسة و الثقافة و إذا تحول العالم إلى لغة مشتركة، فإن هذه اللغة ستكون الإنجليزية بطبيعة الحال و هي لغة الاقتصاد و البحث و التكنولوجيا و إذا كان يتحرك بمعايير مشتركة في مجال الأمان و النوعية... فسيكون هذه المعايير أمريكية، أما القيم فتكون قيما يرتاح لها الأمريكيون... هذه ليست مجرد تطلعات لا جدوى منها فاللغة الإنجليزية تربط العالم في مجالات الاتصالات و المواصلات. "1

¹ صادق جلال العظم: ماهية العولمة، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، تونس 1996.

² الحبيب الخنحاني: ظاهرة العولمة الواقع و الأفق، مجلة عالم الفكر، ص 11.

³ حيدر إبراهيم: العولمة و جدل الهوية الثقافية مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب، ع2، أكتوبر-ديسمبر 1999، الكويت، ص 107.

⁴ المرجع نفسه، ص 104.

¹ دانييل دريزينز: يا عولمي العالم اتحدوا، ترجمة عبد السلام رضوان، مجلة الثقافية العالمية، ع 85، ديسمبر 1997، الكويت، ص

يقول زكريا بشير: " إمام إن العولمة تعني الاستلام الثقافي و تدمير الهوية الوطنية و أنبياء العولمة و فلاسفتها لا يكتون سوى الاحتقار للثقافات الأخرى غير الغربية و هم يصفونها بأنها مناقضة للتقدم و للعلم... بل دعوا العالم كله إلى تبني الثقافة الماكدولديه macdoladisme".¹

العولمة من وجهة نظر غربية:

فالمنتج ليس كالمستهلك و الذي يراها سلبية لا كالذي يراها إيجابية و يعرفها جيمس روزا نو James Rosaneau: " من الضروري وضع تعريف للعولمة يحدد محتواها بدقة فهي علاقة بين مستويات متعددة للتحليل:الاقتصاد و السياسة و الثقافة، و تشمل إعادة تنظيم الإنتاج و تتداخل الصناعات عبر الحدود، و انتشار أسواق التمويل، و تماثل السلع المستهلكة لمختلف الدول".²

و يرى "روزا نو" أن لهذه الظاهرة خمسة أبعاد نعرضها باختصار:

1-البعد التكنولوجي:

التفوق في مجال التطورات، التلفاز والأقمار الصناعية والكمبيوتر.وإذ كانت تكنولوجيا الوسائط الإعلامية (الأنفوميديا) التي هي عبارة عن أجهزة سمعية و بصرية كالتلفزيون والراديو و الهاتف أي أمّا التكنولوجيا التي تتقدم نحو المنزل فتدمج هذه الأجهزة بواسطة الكمبيوتر في جهاز واد يطرد الخط الفاصل بينها.

2-البعد السياسي:

عولمة النزاعات الدولية و إيجاد حلول لها تخدم دول المعسكر الرأسمالي.

¹ زكريا بشير إمام: في مواجهة العولمة، عمان الأردن 2000، ج1، ص4.

² جيمس روزانو: ديناميكية العولمة نحو صياغة عملية قرارات إستراتيجية، مركز الدراسات السياسية و الإستراتيجية بالأهرام،

القاهرة 1997، ص15.

3- البعد الاقتصادي:

تدويل رأس المال العمالة، الهجرة، الشركات العالمية المتعددة الجنسيات.

4- البعد التعاوني:

دور المنظمات الدولية في إقامة تعاون شامل بين الدول على أساس حرية الاستثمار والتسويق.

5- البعد النفسي:

يتوقف على مدى استيعاب الناس و فهمهم لظاهرة العولمة.³

كما يعرفها انطوني "ماك جرو Anthony Grew": "العولمة عملية تصبح بموجبها الأحداث و القرارات و النشاطات في مكان ما من العالم نتائج مهمة لأفراد و مجتمعات في أمكنة أخرى بعيدة.

أما ميشال كلوغ فيرى: العولمة خلق نظام متشابك لعوامل متصلة، و يرى أن العولمة الثقافية تصبح بالأحرى كوكبا تختلط فيه الثقافات و تتعايش بصورة ايجابية.¹

6- البعد الثقافي:

لا شك في أنّ التدخل في الشؤون دولة يأخذ اليوم شكلا يختلف عن شكله القديم و يتمثل في الهيمنة الثقافية و اللغوية، ذلك إنّ العولمة السياسية الاقتصادية لا تتم بعيدا عن ثقافة الأمة.

³ محمد علي حوات، العرب و العولمة شجون الحاضر و غموض المستقبل، ص 68

¹ إبراهيم مبروك محمد و آخرون: الإسلام و العولمة، الدار الثقومية العربية، مصر 1999، ص 38.

"فالعولمة تواجه كل المقومات التي تصنع استقلال الأمة من قيم و دين و أخلاق و تربية فهذه الأخيرة في منظور العولمة تخضع للتغيير و التطور و التحرير، و تظل جيوش الإعلام بمثابة معاول نحت لها إلى أن تحولها أو تلغيها نهائياً، و خاصة الانترنت، فالعولمة الثقافية لا تنتج ثقافة عالمية و لكنها تنتج بالأحرى كوكبا تختلط فيه الثقافات و تتعايش أو تتصارع."²

فإذا انتقلنا إلى عالم الثقافة، فنجدها في مخزون الآخر الكبير. فالهوية الثقافية هي امتداد للهوية الذاتية ولا يمكن تعريف وتمييز هذه الأخيرة من دون انتمائها إلى هوية ثقافية.

وهنا يجب أن نميز ما بين الثقافة المكوّنة والثقافة المكتسبة. الأولى تدخل في تكوين الذات على غير علم منها. والثانية خيار انطلاقاً من الأولى.

فانا عربي على سبيل المثال، ولكن ثقافتي فرنسية أو انكليزية. ويحصل الاغتراب عندما يحلّ المكتسب محلّ المكوّن كبديل عنه. وتظهر أزمة الهوية الثقافية عندما يلتبس الأمر ويدبّ الاختلاط ما بين المكوّن والمكتسب. فتتفوّق هذه الأخيرة على الأولى بسبب طغيانها، كما هو الحال للثقافة الغربية، وهذا ما تعاني منه الثقافة العربية بعد دخول موجة العولمة.

أما "حلام الجيلالي فيري" : "أنّ ظاهرة العولمة من منظور الشمولية الكونية باتت تطال المجتمعات الوطنية و القومية في المقومات الثقافية الأساسية كالفكر و اللغة و الأدب و الفنون والتاريخ و العادات و التقاليد و حتى أنماط العيش و السلوك مما يضع الدول أمام أخطر تحد بعد أن زال الاستعمار الاستيطاني و الحرب الباردة و هي ترتقي عتبات الألفية الثالثة... و لاشك في أن ثمة جهود خارقة تبذل لكي يتخذ العالم صورة واحدة و لا ريب في أنّ المحصلة النهائية لمثل هذا التطور ستكون في المجال الثقافي و هو مجال يشمل كل ما أبدعه الإنسان أو اكتسبه كالممارسات الفكرية

² ميشال كلوغ: أربع أطروحات حول عولمة أمريكا، ترجمة محمد يوسف، مجلة الثقافة العالمية، ع 85، ديسمبر 1997،

الكويت، ص 57.

والفنية و الاجتماعية و الأدبية و الجانب الذاتي المتصل بالقيم العقلية و النفسية و الروحية و اللغوية أي ما يشكل في جملته المرجعيات الحضارية للأمة.¹ و بهذه المفاهيم المختلفة للعولمة الثقافية يبدو واضحا أنّها اغتصاب و اعتداء صريح على ثقافات الأخر و خاصة إذا توحدت المكتبات الرقمية، ومصطلحات هذه المكتبات و توحدت مفاتيح التواصل بين مختلف الجهات رغبة في اختصار المسافات العقلية و النفسية و الروحية و اللغوية التي تطيلها في كثير من الأحيان اللغة و لذلك فإنّ كثيرا من الثقافات أصبحت مهددة لأن لسانه لم يعد قادرا على المواكبة و أنّ اختراقه بات أكيدا بل أنّ أصحابه في كثير من الأوقات وجدوا فيه عائقا في سبيل الاندماج فراحوا يغلبون عليه لسان الآخر.

"إنّ المنجزات الثقافية في ميدان الفضائيات أضحت على الأبواب و تدق بقوة بل و تكسرهما بلا هوادة و تغرق كلّ من وقف أمامها، هو زحف بجيوش جديدة جنوده البرامج و أسلحته التدفق المعلوماتي الذي يشبه مياه المحيط فلا ريب في أنّ أول وسيلة تصاب هي اللغة، ول ذلك نشهد اليوم اختفاء الكثير من اللغات المحلية و الثقافات و هذا بشكل كبير فقد أكد بعض الأبحاث إن أكثر من ألفين و خمسمائة لغة مهددة بالاختفاء على المدى القصير كما أوضح أحد الخبراء أن مائتين و أربعة و ثلاثين لغة أصيلة معاصرة اختفت كليا محذرين من أن تسعين بالمائة من اللغات في العالم سوف تختفي في القرن الواحد و العشرين."²

محاولة العولمة الإنجليزية:

إذا كانت العولمة تعني الكونية و الكوكبية و القرية الواحدة، من خلال سيطرة وهيمنة ثقافة العالم المتفوق و المتمثل في الولايات الأمريكية المتحدة على بقية دول العالم، محاولة في ذلك الانتقال من ما هو محلي إلى ما هو عالمي، فهل يمكن القول بوجود لغة انتقلت من المحلية إلى العالمية لتصبح

¹ حلام الجليلي: أثر العولمة في اللسان الرسمي العربية نموذجا، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، ع5، الجزائر 2001، ص 128.

² المرجع السابق، ص 12.

لغة يتحدث بها العالم كله على اختلاف لغاته الأصلية؟ لا شك أن هذا يصدق على اللغة الإنجليزية، فقد أصبح واضحا سيطرة هذه اللغة على العالم من خلال:

هيمنة الإنجليزية على الاتصال بصفة عامة:

إنّ تزايد استخدام شبكة الانترنت و اتساع تداول كلمات و عبارات إنجليزية تحمل في طياتها أصول الثقافة الأمريكية، لدليل على هذا الانتشار الواسع، و أنّها اللغة الأكثر استعمالا في الانترنت، فقد أظهرت دراسة قامت بها إحدى المؤسسات الألمانية أن 77 بالمائة من صفحات الانترنت باللغة الإنجليزية بينما لا تتمتع باقي لغات العالم بمجموعة إلا بـ 23 بالمائة من صفحات الانترنت.¹ و بالتالي إن التطور الهائل في تكنولوجيا الاتصال و الانتقال، بالإضافة إلى سهولة انتشارها و كثافة تسويقها و رخص ثمنها، قصر المسافات و جعل الاتصال أسهل بين الناس كما هو متداول في شبكة الانترنت، و كذا أجهزة الاستقبال و التقاط البث الإذاعي و التلفزيون الفضائي و ذلك عبر كل نقاط الكرة الأرضية.

الأمر الذي جعل المعلومة الأمريكية، تصل بسهولة و دون حواجز تذكر، خاصة في العالم العربي و الإسلامي. نجد أن هناك طغيان للثقافة الغربية على العالم، فمثلا هناك 88% من معطيات الانترنت باللغة الإنجليزية و 9% بالألمانية و 2% بالفرنسية و 1% بباقي لغات العالم²، و ها هي فرنسا نجدها تشكو من هيمنة اللغة الإنجليزية بفعل العولمة على هويتهم الفرنسية مما جعل الفرنسيون

¹ هيثم بن جواد الحداد: العولمة اللغوية، من موقع www.haitham.com

² محمد بن سعد التميمي: العولمة و قضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة، ط1، 2001م، ص111.

إلى وضع الثقافة في خانة الاستثناء، لأن قوة الإنتاج الثقافي الأمريكي بدأ يؤدي إلى التغيير التدريجي في سلوك و أنماط حياتهم.¹

الادعاء بعملية لغة واحدة (الإنجليزية):

نتيجة لهذا الانتشار الواسع أصبح الإدعاء لزمان أن الإنجليزية هي لغة العلم و لغة الإبداع، ولغة المبتكرات التي تحمل مسميات بأحرف إنجليزية. لقد أصبحت لغة علم الاقتصاد و علم البيولوجيا، و الفيزياء، و الكيمياء لأن أغلب الباحثين و العلماء أمريكيان أو استقطبوا من قبل أمريكا تحت ما يعرف بهجرة الأدمغة من خلال هذا أصبح المثقف العربي إلى الماضي بحثا عن هويته يمثل نوعا من الاغتراب السيكولوجي الذي يفرضه التبادل السلعي العابر للقارات في المجال الثقافي.² والذي تصدره اللغة الإنجليزية بإشاراتها، و بذلك فقد ابتزت الإنجليزية سائر اللغات العالمية. فلم تكتف بهذا بل ذهب أصحابها إلى نعت هذه الأخيرة باللغات الوحشية التي تحقق التواصل لا غير. وما يفسر ضعف العربية و عجز أهلها، الإقدام في تعريب ذلك السبيل من المصطلحات العلمية التي تستجد في الثقافات الأجنبية كل يوم شتى مجالات الحياة.³

وما دامت اللغة أداة التفاهم والتواصل، وعاء الفكر وقلبه الحي، " وما نراه اليوم يمثل طغيان الثقافة الغربية؛ حيث تشكل اللغة نسبة عالية من الإسهام في نقلها، ولا أدل على ذلك من أن

¹ عمار طالي: العولمة و أثرها على السلوكيات و الأخلاق، عن مجلة الرائد تصدر عن الدار الإسلامية للإعلام بألمانيا، العدد 236، ماي 2002، ص 12.

² فاصل سوداني: العنف ووحشية التهميش الثقافي في زمن العولمة، مجلة المهاجر، العدد 3، مارس 2005، ص 2

³ أحمد بن نعمان: هذه هي الثقافة، دار الأمة للطباعة و الترجمة و النشر و التوزيع، الجزائر 1996، ص 120

"88%" من معطيات الإنترنت باللغة الإنجليزية، و"9%" بالألمانية، و"2%" بالفرنسية، و"1%" يوزع على باقي اللغات.¹

ويبين "هنتجتون" في كتابه صدام الحضارات أهمية اللغة في الصراع، "حيث أن توزيع اللغات في العالم عبر التاريخ يعكس توزع القوة العالمية؛ فاللغات الأوسع انتشاراً: الإنجليزية، الماندارين، الإسبانية، الفرنسية، العربية، الروسية، إما أنها أو كانت لغات دول إمبراطورية جعلت شعوباً أخرى تستخدم لغتها، كما أن التحولات في توزع القوة، تؤدي إلى تحولات في استخدام اللغات، حيث قرنان من القوة البريطانية والأمريكية الاستعمارية والتجارية والصناعية والعلمية والمالية، تركا ميراثاً ضخماً في التعليم العالي والتجارة والتقنية في أنحاء العالم."²

تشجيع استخدام الإنجليزية:

مما يؤكد الانتشار السريع للغة الإنجليزية، استخدامها كلغة أولى، أو لغة ثانية لدى شعوب الدول النامية، و بالخصوص الدول العربية والإسلامية. وما زاد امتداد هذه الظاهرة.

أ- شعور الأمم بالخطر الداهم أمام التغلغل الذي تعرفه الإنجليزية في بلدانهم، خاصة تلك الدول التي تعزز بهويتها و حضارتها و عراققتها.

ففرنسا على لسان رئيسها جاك شيراك يدعو في افتتاحية مؤتمر حول تحديات العولمة" إلى التجند و إقامة تحالف بين الدول التي تعتمد لغات من أجل لاتيني للتصدي بشكل أفضل لهيمنة اللغة الإنجليزية.¹ و في ملتقى حول " الإنجليزية بين اليوم و الغد" أقيم في جامعة ستراسبورغ طلب من المشاركين تقديم مداخلاتهم للجنة التنظيم مترجمة باللغة الفرنسية، هذا بالإضافة إلى ما تسعى إليه

¹ محمد بن سعد التميمي، العولمة و قضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة، ص 111

² صامويل هنتجتون، صدام الحضارات، اعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، ص103.

¹ هيثم بن جواد الحداد: العولمة اللغوية، من موقع www.haitham.com

فرنسا من تكتل تحت لواء الفرانكفونية، مع إتباع جملة من الاحتياطات للتصدي لهذه الظاهرة الجديدة.

ب- و الأمر نفسه نجده عند الصين الذي يسعى هو الآخر إلى محاربة هذا الاختراق بثقافته و قيمته الاستهلاكية التي تتفق مع ثقافتهم الأصلية، حيث عملت الصين على قانون يلزم التعامل باللغة الصينية المبسطة لتسهيل الاتصال و بالتالي الحد من الخطر الذي يهددها. أما الألمان فقد اتبعوا نهج فرنسا بسنهم تشريعات تمنع استخدام الانجليزية في الإعلانات و الإعلام بصفة عامة.

الترويج للإبداع بالانجليزية:

أ- و من مظاهر العولمة الانجليزية، عمل أهلها على تشجيع العلماء الباحثين و الكتاب الذين يستعملون الانجليزية في التعبير عن أفكارهم و أبحاثهم و كتاباتهم على تشريفهم و منحهم جوائز كجائزة نوبل للسلام.

ب- الترويج للإبداع الفكري و العلمي مفتوحا أمام الانجليزية وحدها، لأنها لغة العلم والتكنولوجيا، بحيث لم يبق هناك مجال لأية لغة تهدد مكانة الانجليزية، كلغة عالمية.

ج- و تأسيسا لما سبق يمكن القول، أن الهدف من كل هذا هو نحو الخصوصيات الثقافية و القضاء على كل ما هو محلي، تقليدي أصيل، و العمل على نفسية و نعت أهله بالوحشية والتخلف.

د- سيادة لغة العولمة الثقافية وهي اللغة الإنجليزية على جميع اللغات ومنها اللغة العربية.

"إن اللغة ليست مجرد ألفاظ جامدة لكنها مظهر ثقافي لا ينكر، وتأثر اللغة العربية لغة القرآن الكريم ظاهر بانتشار اللغة الإنجليزية ومصطلحاتها بين أبناء العرب المسلمين فضلا عن غيرهم، ومع أن تعلم اللغة الإنجليزية له فائدة ظاهرة للشباب المسلم اليوم إلا أن التأثير بثقافة أهل هذه اللغة هو الأثر السلبي

على وجه التحديد، ويذكر عبد الهادي أبو طالب أن 88% من معطيات الإنترنت تُبث باللغة الإنجليزية.¹

اختراق الهوية وصدمة العولمة

شهدت العقود الأخيرة من القرن العشرين أحداثاً متلاحقة وتطورات متسارعة جعلت عملية التغيير والإصلاح حتمية في أكثر بلاد العالم ، "ومنها بلاد العالم الإسلامي و الذي بات يشعر أكثر من أي وقت مضى بالحاجة الماسة للحفاظ على مقوماته وهويته وتقاليده ولغته. ولا شك أنه يوجد بين مفهومي الهوية و العولمة وشائج جدلية فريدة من نوعها في طبيعة العلاقة بين المفاهيم و الأشياء ، إنهما مفهومان متجاذبان متقاطبان متكاملان في آن واحد ، وفي دائرة هذا التجاذب والتقاطب والتكامل يأخذ مفهوم الهوية على الغالب دور الطريدة بينما مفهوم العولمة دور الصياد حسب تعبير الدكتور علي وطفة ."¹ فالعولمة تطارد الهوية وتلاحقها وتحاصرها في زوايا مختلفة ، ولكن غريزة البقاء تسري في أوصال الهوية فتستعصي على الفناء ، وتأبى على الذوبان ، وتحتد في طلب الأمن و الأمان وتتشبث بالوجود إلى آخر رمق .

و من بين تحديات العولمة وتجلياتها وسطوتها في ميادين الحياة المختلفة ، عتوها في ميدان من أهم ميادين الهوية وهو اللغة ، واختراقها له على مدى عقود من السنين مضت مهّدت لها الاستعمار في حملاته الأولى مع عصر النهضة الأوروبية وسيطرته على بلاد العالم العربي و الإسلامي ، محاولاً طوال قرون عدة الهيمنة و السيطرة على المقومات الثقافية للأمة . ثم مدّت حركة الاستشراق عمر هذه الهيمنة بكل ما تحمله هذه الحركة من آليات التزوير والتزييف والاختراق و النفاذ إلى الهوية ومسحها، وبالأخص " الهوية اللغوية " ، التي هي أخطر عناصر تشكيل " الهوية الثقافية " لأي أمة من الأمم

¹ العولمة الغربية والصحة الإسلامية ص 35.

¹ بشر خلف، سؤال الهوية و صدمة العولمة ،موقع مجلة ديوان العرب اكتوبر، 2006www.diwanalarab.com

بل هي نواة الهوية ، و اليوم فقد بات واضحا تأثير هذا الاختراق في اللسان أمرا واقعا لدى النخب السياسية و الإدارية والاقتصادية ، وامتد حتى إلى بعض شرائح الطبقة المتوسطة في بلادنا وهذا ما عملت من أجله حركة الاستعمار ومن بعدها حركة الاستشراق و التبشير الغربية.

وإذا كانت بعض دول الغرب نفسه أو من هو قريب منها يشكو من عولمة الثقافة على الهوية، حيث نجد أن فرنسا مع أنها غربية نصرانية، ولكن بسبب اختلاف اللغة فإنها أكثر الدول الغربية تشكو من عولمة الثقافة ومن هيمنة اللغة الإنجليزية، والخوف على الهوية الفرنسية ولذلك لجأ الفرنسيون إلى وضع الثقافة في خانة الاستثناء، لأنهم تنبهوا إلى أن قوة الإنتاج الثقافي الأمريكي تؤدي إلى التغيير التدريجي في معايير السلوك وأنماط الحياة.¹ و كما جاء على لسان السياسي الفرنسي والوزير السابق في الحكومة الفرنسية " بينوت " الذي أشار على أن فرنسا خسرت إمبراطورية استعمارية، وعليها أن تعوضها بإمبراطورية ثقافية ، وهذا يعني أن المدخل الحقيقي للاستعمار الجديد هو الهيمنة اللغوية و الثقافية .ونحن لا ندعي أننا نستطيع أن نعيش بمنأى عن التأثير بعملية العولمة الثقافية الممتدة من المركز إلى الأطراف ولكن واجب الدفاع عن الهوية يتطلب كسر حدة الانبهار بالوفاد الثقافي و اللغوي على الخصوص ومقاومته و القضاء على أسطورة الثقافة العالمية ، فكل ثقافة مهما ادعت أنها عالمية تحت تأثير ضجيج الآلة الإعلامية الضخمة ، فإنها في النهاية ثقافة لبيئة محدودة ، ولعصر تاريخي معين ، ثم امتدت في فراغ الهويات المغلوبة ، وهيمنت على الخصوصيات ، وعبثت بالمقدرات الثقافية للأمم و الشعوب التي دخلت تحت سلطانها ، وخضعت حيناً من الدهر لسيطرتها.

و التحدي الذي يواجه الهوية اللغوية في عصر الصدمة العولمية مرده إلى الشعور المبالغ فيه بأهمية اللغة الأجنبية ، الناتج غالبا عن الانبهار بكل ما هو أجنبي ، و الظن بأن التقدم لا يأتي إلا عن

¹ عمار طالي: العولمة و أثرها على السلوكيات و الأخلاق، عن مجلة الرائد تصدر عن الدار الإسلامية للإعلام بألمانيا، العدد

طريق إتقان اللغة الأجنبية ، بل و التحدث بها بين العرب أنفسهم ، وغني عن الذكر أن هذا الشعور يأتي من الإحساس بالهزيمة النفسية التي يعاني منها الإنسان العربي في هذا العصر ، والإعجاب المتنامي بصانع الحضارة المعاصرة الذي يمثل المنتصر و الغالب. و كان تأثير العولمة أيضا على التقاليد بدوره بالغا، فالتقاليد فنجدها هي الأخرى قد اندثر بعضها و تغير بعضها الآخر إلا ما ندر منها، لأن سيادة المصالح و المنفعة المالية و تعظيم اللذة و الإنتاج قد أثر كثيرا على سلوكيات الأفراد وعاداتهم و تقاليدهم عند الشعوب غير الغربية بفعل العولمة.

و نشر قيم العولمة الاجتماعية هذه لم يعد عن طريق الاقتناع بل فرضت عن طريق المؤثرات الدولية و الضغط على الدول التي لا تستجيب، فقد توالى مؤتمرات المنظمات الدولية مثل مؤتمر نيروبي سنة 1985 م و مؤتمر القاهرة سنة 1994 م و مؤتمر بكين سنة 1995 م و مؤتمر اسطنبول سنة 1996 م و مؤتمري نيويورك سنة 1999 م و سنة 2000 م، و محور هذه المؤتمرات يدور حول الأسرة و المرأة و الطفل، مرتكزة على الحقوق الجنسية و الحق في الإنجاب و الإجهاض و الشذوذ والمساواة بين الرجل و المرأة و المساواة في الميراث... الخ¹، و هي كلها من الثقافة الغربية العالمية لا تمت بصلة بالثقافة الإسلامية، بل تطرح مفاهيم جديدة للكثير من السلوكيات.

ويمكن أن نحصر مظاهر الصدمة العولمية في ميدان اللغة في العالم العربي في ثلاث مستويات:

المستوى الأول: هو المستوى الشعبي حيث:

1. التداول بالإنجليزية في الحياة اليومية .

2. كتابة لافتات المحلات التجارية و المقاهي و الفنادق و مختلف الأماكن العمومية.

3. كتابة الإعلانات والإشهارات .

¹ إسماعيل علي محمد: العولمة الثقافية و موقف الإسلام منها، دار الكلمة للنشر و التوزيع، ط1، 2001 م، ص 27.

4. كتابة قوائم الطعام في المطاعم .

بالإضافة إلى ذلك فان العولمة بمختلف مستوياتها حيث "يعتمد النظام العالمي الجديد و بصفة عامة لعولمة الهويات الثقافية على عدة وسائل جذابة تغري الكثير من الأفراد و الشعوب"¹، نذكر منها :

-ثقافة الديمقراطية و هي أفضل طريقة للحكم و المشاركة في صنع القرارات.

-ثقافة الانبهار العلمي و التقني و اتخاذها معيار للتطور و التحضر.

- ثقافة تغييب أحكام الشريعة الإسلامية و نشر ثقافة الغرب.

- ثقافة مناهج الدراسة و التربية و التعليم.

- ثقافة التشكيك في قدرة العلوم الإسلامية على حل مشكلات العصر.

و تأثير العولمة على العادات و التقاليد بصورة عامة يمكن اجماله في ما يلي:

- الهجوم على الزي المحلي و استبداله بالزي الأجنبي الغربي.

- الانتقال من العائلة المتماسكة إلى العائلة المنفصلة.

- الانتقال من نمط البيت التقليدي إلى نمط البيت العصري: مثل منع الغرباء إلى الدخول إلى

البيت.

¹ ريتشارد هيجون: العولمة و الللممة، اتجاهات جديدة في السياسة العالمية، مركز الإمارات للدراسات و البحوث الإستراتيجية،

- سيادة اللغات الأجنبية على اللغة المحلية¹.

المستوى الثاني : المستوى التقني في عصر الرقمنة المتطورة حيث أن مشكلة الإنسان العربي المعاصر تكمن في أنه لا يستطيع أن يجد حلولاً للتغلب على كثير من التحديات فلن يترجم له العالم الخارجي المعارف إلى العربية، ولن يقترح له برامج إصلاح لغته، أو وسائل صنع المعارف بها. فالعالم المتطور قد يمتنى بإخلاص فعل كل الخير للعرب لكنه لا يشعر بالأسى لهشاشة تعليمهم وعجزه عن صنع المعارف! يعي جيداً أن في ذلك نهضتهم السريعة، وفقدان بعض مصالحه الحيوية التي لا يميل كثيراً للتفريط بها و ما يزيد الطين بلة هو عدم وجود مشروعٍ عربيٍّ فاعلٍ يعتبر هذه التحديات أولوية قومية تعدّ لها الخطط وتكرّس لها الجهود الخلاقة.

التحدي الأول: لغة بلا ذخيرة معرفية.

يعيش العالم العربي في كوكب آخر بعيد كل البعد عن قاطرة مشاريع بناء الذخائر الرقمية المعرفية التي أضحت مركز العلم والمعرفة في عالم اليوم و في كل المجالات العلمية والتقنية، وفي معظم الحقول الثقافية والعملية، تمتلك اللغات ما عدا العربية اليوم قاعدة، تحتيّة معرفيّة رقمية متعدّدة الوسائط. دخلت صناعة المعارف فيها سابقاً يومياً أما القاعدة التحتية المعرفية الرقمية بالعربية فهي غائبة بشكلٍ كليٍّ: لا توجد أيّة مشاريع عربية تستحق حتى الذكر، في هذا الجانب.

والفضل في ذلك يعود للعولمة التي اجتاحت أرجاء العالم و خاصة العولمة الثقافية و ما تحمله من دلالات و قيم أثرت سلباً على ثقافتنا العربية.

"والجواب الأفضل والأمثل على ظاهرة العولمة واختراقها الثقافي، يجب أن يكون الفعل من داخل الثقافة العربية، وذلك بتفعيل مقومات الهوية القومية، لصيانة الأمة، بالثقافة التي تجسد شخصيتها،

¹ شبكة و منتديات الشامل: من الإنترنت يوم 01 أبريل 2008 على الموقع <file://c:/documents:mhtml> and

لتحامي ذاتها وأصالتها ووجودها الحضاري من الغزو الذي يستهدف إحداث التفسخ والخلل في الكيانية العربية، ومحورها الرئيسي الثقافة.¹ إن تجديد الثقافة لا يمكن أن يتم إلا من داخلها، بإعادة بنائها وممارسة الحداثة في معطياتها وتاريخها، والتماس وجوه الفهم والتأويل لمسارها، ما يسمح بربط الحاضر بالماضي في اتجاه المستقبل.²

و اللغة العربية اليوم تعاني غربة اجتماعية بين متكلميها بما عن قصد وغير قصد ، وكان من نتاج هذه الغربة الاجتماعية ظهور غربة ثقافية للذات العربية وأزمة في تفكير الإنسان العربي ، وطريقة رؤيته للآخر³ في عالم متداخل من اللغات والإيديولوجيات والقيم ، وأصبح من القدر المحتوم أن يعاني الناطقون بهذه اللغة من ويلات التهميش في رحاب التقدم العلمي ،ومن هنا يظهر أنه ليس من السهل الدفع بالعربية إلى ساحة مواجهة غير متكافئة مع لغات أخرى تسيطر على حلبة الصراع الثقافي والمعرفي والتكنولوجي لذلك يتحتم على النخب أن تعمل على إيجاد حلول عملية لحل لبعض المشكلات .

1- الإسراع في ضبط خطة تنموية صارمة مهمتها تنقيح المجموع من ألفاظ الحضارة والمصطلحات المختلفة وإيجاد آلية إجرائية تعمل على تعميم استعمال هذه الثروة في التعليم والتكوين، فبقاء وعطاء العربية من خلال كتب المعرفة على اختلاف مصادرها يقتضي أولا تفعيل الجهود الفردية الإبداعية وتشجيعها جماعيا.

¹ خلف الجراد، العلاقة الإشكالية بين الثقافة والغزو الثقافي في الخطاب العربي المعاصر، المستقبل العربي، ع 175 أيلول

1993ص39

² محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية -عشر أطروحات، المستقبل العربي، ع 228 شباط1998 .، ص14-22.

³ سعيد السريحي، شجاعة العربية، 6-8 نوفمبر 2000، الجزائر، ص105.

-إن الحالة اللغوية للحالية العربية في البلاد الغربية الإسلامية من خلال إنتاج وترجمة الكتاب يسمح بإعطاء صورة مشرقة عن عالمية اللغة العربية في محيط خليط من اللغات المتباينة.¹

التحدي الثاني: لغة تعاني من نقص الترجمة.

إنّ النظر إلى اللغة العربية في زحام العولمة بالقدر الذي يأسف فيه على تراجعها الحضاري ، ولذلك أسباب مستقلة عنها من حيث هي لغة طبيعية لا يفارقه التفاؤل وهو يتطلع إلى الآفاق المستقبلية بإمكان اللحاق بركاب اللغات العالمية في إنتاج المعرفة بها ثم انتشارها و ترجمتها. إنّ الإشكالية اللغوية في الوطن العربي ملخصة في تحييد العربية عن أداء دورها التواصلي في التنمية ومعادلات الأرقام في عالم المال والأعمال وهذا ظاهر من واقع الترجمة و التعريب في الاقتصاديات العربية جملة ، وهذا ما أسس لذهنية سلبية ترى في العربية مجرد واقع اجتماعي قائم لامناص منه.

إذا كان من أهمية للترجمة بالقياس إلى اللغة العربية إضافة إلى فوائدها المعرفية فهي محك كفاءة هذه اللغة في نقل الأفكار و ابتكار آليات النقل. و من مساءلة اللغات الإنسانية في سابق عهدها وراهنه يجزم على دور الترجمة في إيضاح قوة تأثير العربية وعمقه. إن مشكلة عالمية اللغة العربية ليست لغوية و إنما حضارية هي مشكلة مفاهيمية عالمية و "تتضح الصلة بين اللغة و الحضارة في مجال التأليف و الترجمة"².

و لعل خير دليل على ذلك قول المستشرق يوهان فك: "إن العربية الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزها العالمي أساسيا لهذه الحقيقة الثابتة و هي أنها قامت في جميع البلدان العربية و ما عداها من الأقاليم الداخلة في المحيط الإسلامي رمزا لغويا لوحدة عالم الإسلام في الثقافة و المدينة. و لقد برهن جبروت التراث العربي الخالد على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها إلى

¹ نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، عالم المعرفة، عدد 2001، 276، ص 270.

² سالم العبسي، الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 1999، ص 103.

زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر و إذا صدقت البوادر و لم تخطئ الدلائل فسنحتفظ أيضا بهذا المقام العتيد من حيث هي لغة المدينة الإسلامية ما بقيت هناك مدينة إسلامية.¹ كثير من عيون الكتب العالمية لم تر النور بعد بالعربية و معظم أمهات الكتب الحديثة التي تشكل نبراس الحضارة المعاصرة غير معروفة بالعربية التي كانت، في العصر العباسي، لغة الحضارة الكونية بفضل حملة الترجمة الواسعة إليها للكتب الأجنبية في شتى المجالات من فلسفة و منطق و طب و فلك و رياضيات و أدب، من مختلف اللغات الإغريقية و السريانية و الفارسية التي أغنتها بروافد فكرية و كلمات و مصطلحات كثيرة.

وما زال استخدام تقنية الترجمة الآلية عربيا ضعيفا جدا رغم إمكانية استثمارها بقوة، لاسيما لسد هوة الترجمة العلمية و التقنيّة و الثقافية. و لكن رغم ذلك لا نقلل من أهمية اللغة العربية في التأليف و الترجمة، و ستبقى مشعل دائم التوهج لمن أثار تأثير الترجمة على اللغة العربية "أنها جددت ملكة الكتاب و المثقفين بأن تغلبوا على اللغة العالمية"².

الترجمة في التاريخ العربي "موقف ثقافي اجتماعي من المعرفة انتاجا و ابداعا و تحصيلا و تأصيلا و توظيفيا و تداوليا."³ و السؤال المطروح ، ما هو نصيبنا من الفكر العلمي العالمي (الترجمة العلمية) ذلك أن الترجمة تواصل حر بين الحضارات و الأمم.

¹ يوهان فك، العربية، ترجمة د. عبد الحليم النجار، القاهرة 1951، ص 20.

² شوقي جلال محمد، تقرير المجمع الميداني، وضع الترجمة الراهن في الوطن العربي، ندوة فكرية حول الترجمة في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان 2000 ص 75.

³ إدوين غينتسler، في نظرية الترجمة، اتجاهات معاصرة تر- سعد مصلوح، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2007 ص

التحدي الثالث: لغة لم تكمل بعد بنائها التحتي الرقمي.

لا يوجد حتى اليوم قارئ ضوئي آلي لأحرف اللغة العربية يستحق أن يحمل هذا الاسم، رغم امتلاك اللغة الفارسية ذات الأحرف الشبيهة لذلك القارئ الضوئي! يُشكّل عدم تصميم برمجية قارئ ضوئي عربي حتى الآن عائقاً كبيراً يمنع دخولها عصر الرقمنة، لأنه وحده ما يسمح بتحويل صور صفحات الكتاب إلى نصوص رقمية. فبدونه يلزم من جديد إعادة طباعة كل ما كُتب بالعربية على الكمبيوتر. يمثّل هذا الغياب معضلةً قوميةً يصعب تصوّر إمكانية وجودها اليوم، في أي بلد، ناهيك عن عالم تمتلك بعض دوله ثروات وإمكانيات ماديّة هائلة، كالعالم العربي.

كذلك وضع المدوّنة: لا تمتلك العربية حتى الآن مدوّنتها اللغوية، أو أي معجم إيثيمولوجي. فالفارقة المثيرة أن اللغة العربية كانت أول من أسس القواميس والمعاجم ونواة المدوّنات اللغوية.

وتفتقر العربية أيضاً إلى برمجيات كمبيوترية مناسبة لتصحيح نصوصها قبل وضعها على الإنترنت وللبحث عنها فيه. الموضوع خطير في الحقيقة لأن صفحات الإنترنت بالعربية لاسيما منتديات الدردشة والحوارات، وصفحات الأخبار والتعليقات العامة على الأحداث اليومية والكتابات ملطّخة بالعديد من الأخطاء اللغوية والإملائية التي لا تحظر ببال، هي اليوم جزء هام فعّال مؤثر من ترسانة العربية على إنترنت وأدوات تكوينها الآلي.

بديهي أن اللغة العربية لم تبدأ بعد نظائر مشاريع الرقمنة الكبرى، لأنها لم تستكمل بعد بناء قاعدتها التحتية. يكفي معرفة أن عدد الكتب التي رقمناها مشروع غوغل، في عام 2007 فقط، مليون كتاباً، في حين أن مشروع الذخيرة العربية، التي تدعمها الجامعة العربية بميزانية خاصة منذ 1975، لم يُرقم حتى الآن إلا 230 كتاب.¹

¹ ابو القاسم سعد الله، خارج السرب مقالات و تأملات، دار البصائر، الطبعة الثانية، الجزائر، 2008، ص40-42

المستوى الثالث : هو مستوى الخطاب الرسمي : لأن الخطاب فيه من أقوى المؤثرات في وسائل الإعلام الحديثة ، وربما في كل العصور وفي جميع البلدان ، فالمسؤول مهما كانت صفته ومرتبته يؤثر على سامعيه ومشاهديه بنطقه وصوته وفصاحته إذا تفصح و تكلم.

وبعض الرسميين رزقوا حظا وافرا من التعلم و الثقف بلغتهم فاستوعبوها وعرفوا أسرار نطقها وأسرار تأثيرها في المتلقي ورسميون آخرون لم تسعفهم الظروف بدراسة لغتهم إلا يسيرا ، أو أنهم درسوها على كبر فلم يتقنوها ، ولكنهم لم يحملوا أنفسهم على تعلمها وتحسين أدائهم بها ، وتوصيل أفكارهم وشرح مشاريعهم ببيائها فراحوا يخاطبون الناس بلغة غريبة ، و يرتكبون أخطاء لا يقع فيها حتى أطفال المدارس ، وبأسلوب لا يساعد على التأثير في المتلقي مهما بذلوا من جهد ومهما أحاطوا أنفسهم بوسائل الإعلام التي يصنعون بها مراكز و مناصب لأنفسهم وفي آخر المطاف يخرج خطابهم مشوش الأداء ، مضطرب المعاني ، فلا يؤثر في سامع أو متابع.

إن مثل هذا الخطاب لا يساعد مطلقا على تنمية اللغة العربية ، بل إنه ربما أساء لها أمام وسائل الإعلام الأجنبية التي يوجد من بينها من يتقن العربية أكثر من صاحب الخطاب ويحذق قواعدها فينتبه للأخطاء إذا حصلت . إضافة إلى أن مثل هذا الخطاب يعطي حجة قوية لمن يتهم اللغة العربية بالعجز أمام اللغات الأجنبية عن أداء دورها في العلوم و التكنولوجيا ما دام " حماتها" أنفسهم غير قادرين على إتقانها فيما دون العلم و التكنولوجيا وهو الخطاب العادي.¹ إن هذه الصورة عن اللغة العربية في الخطاب الرسمي ليس بالضرورة هي الصورة العامة و الشاملة في البلاد العربية ، فهناك في بعض البلدان العربية خطابا رسميا يحترم اللغة العربية ويعتز بها ويتقنها ويحترم مشاعر المواطنين وهويتهم ويشعر معهم بأنهم جميعا رغم بوارد العولمة المتوحشة يخوضون معركة الحضارة بسلاح لغتهم .

¹ المرجع السابق، ص44

العولمة الثقافية:

العولمة الثقافية هي غزو ثقافي يمس ذاتية الأفراد و الأمم و تحمل خطابا ثقافيا موجها لشعوب العالم مفاده انه مجال للتعدد الثقافي ، و انما البقاع للثقافة العولمة التي تسيطر على كل الثقافات الأخرى. و تتميز العولمة الثقافية باحتكار المعلومات ووسائل الاتصال المختلفة العابرة للحدود الإقليمية للدول و الأمم و الحدود الشخصية للأفراد و الجماعات و هي بذلك تريد إضفاء هذا النوع الثقافي على شعوب العالم و تتجلى أهمية العولمة في مدى تأثيرها على الهويات الثقافية للشعوب و الأفراد وأيضا في بؤادر وسائلها في جانبها الثقافي .

إن أكثر ما يخيف و يزعج قوى مناهضة العولمة هو الجانب الأخلاقي و المعرفي للعولمة، لأن العولمة الثقافية هدفها إشاعة متعة زائفة على الحياة و هو مفهوم شمولي يشمل اللباس و الترفيه و أسلوب الطعام و التأثير بالرسومات لتغيير نمط التفكير و الذوق، لإزالة خصوصيات الدول و حضاراتهم من خلال الثقافة الاستهلاكية التي تبثها الأقمار الصناعية عبر المئات من القنوات الفضائية التي باتت تعمم الثقافة الفردية القائمة على الفلسفة البراغماتية البعيدة عن القيم والأخلاق.

و تشير الإحصائيات التابعة لمنظمة اليونسكو أن شبكات التلفزيون العربية مثلا تستورد ما بين 3/1 إجمالي البث (سوريا و مصر) و نصف الإجمالي (تونس، الجزائر) و 58% (لبنان) من البرامج الثقافية، و الحال أكثر خطورة عندما نلاحظ الإدمان على شبكة الانترنت و الذي أغلبه باللغة الإنجليزية حيث يبلغ 88% مقابل 9% بالألمانية و 2% بالفرنسية و 1% بباقي لغات العالم و هذا ما يهدد الهوية الثقافية اللغوية لأن غالبية البث على هذه الشبكة يروج لقيم و مبادئ بعيدة عن قيم الأمم و الشعوب.¹ و الوجه المخيف للعولمة الثقافية هو الهيمنة على الجانب الفكري من خلال احتكار مواقع صياغة و إنتاج الأفكار و صنع الأخبار، إضافة إلى تجاوز هيئة الأمم المتحدة

1 ايل عبد المولي طشطوش: حقوق الإنسان في ظل أخلاق العولمة، العربية، مجلة إلكترونية، يوليو 2007.

ومؤسساتها في اتخاذ القرارات المصيرية الدولية التي هي منحازة إلى أمريكا، فمثلاً مشروع إنشاء المحكمة الجنائية الدولية صادقت عليه 91 دولة لكن تعارضه أمريكا و إسرائيل لذلك فلم يؤخذ بهذا المشروع و بقي حبرا على ورق، بل وقعت اتفاقيات ثنائية مع 40 دولة من الدول التي لم توقع على مشروع المحكمة تنص على عدم تسليم الرعايا الأمريكيين لهذه المحكمة إذا طلبت مثلهم أمامها.¹

انطلاقاً من فكرة أن العولمة هي الهيمنة الغربية والسيطرة على الآخرين، وجوانب العولمة المختلفة، وبالذات العولمة الثقافية، أي سيطرة الغرب وهيمنتته على ثقافة الأمم الأخرى والشعوب، خاصة العربية والإسلامية، و من بين أهم هذه الجوانب وأخطرها وهو العولمة الثقافية وتأثيرها على النواحي الوطنية والقومية والإسلامية للأمم المفروضة عليها.

وتعني الثقافة الكل المتكامل أو النسيج المترابط من العادات والتقاليد والقيم، وأسلوب حياة الجماعة ككل بجوانبها المادية والمعنوية، فبالإضافة للقيم والعادات والتقاليد فإنها تشمل اللغة، وطرق الزواج وعاداته، والطلاق، وتناول الطعام، وارتداء الملابس، ونمط البناء، وأنماط التفكير، والشعور، والتصرف، والمفاهيم، وكل ما يشملها، أسلوب الحياة.

يلاحظ من التعريف السابق وجود مكونات ثلاثة للثقافة هي:

أ. العموميات: وتشمل ما تشترك به جميع أفراد المجتمع بغض النظر عن الجنس أو اللون أو العمر أو المستوى الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي، وتمثل أساسيات الثقافة، والشخصية القومية للمجتمع، وعناصرها اللغة، والملبس، والمأكل، وأساليب التحية، والمعتقدات والقيم والتقاليد.

وتحمل فوائد العموميات بأنها تقارب بين اتجاهات الأفراد في الحياة، وأشكال تفكيرهم، وتوحد أنماطهم الثقافية، وتقرب اهتماماتهم، وتجعلها مشتركة، وتكسبهم الروح الجماعية التي تؤدي إلى التماسك الاجتماعي.

¹ طلال عبد المعطي مصطفى: العولمة و حقوق الإنسان، جريدة النور بتاريخ 2004/12/13.

ب. الخصوصيات: وهي التي تشترك بها مجموعة معينة من أفراد المجتمع، وتميزها عن غيرها، وقد تكون هذه المجموعة مهنية كالمهندسين، والأطباء، أو المعلمين، أو التجار، أو المحامين، أو غيرهم، وتتمثل بالعادات والتقاليد وأنماط السلوك الخاصة بهم.

وقد تكون المجموعات طبقية أي خاصة بطبقة معينة من المجتمع، وتصنف على أساس العرق والأصل أو الاقتصاد والمال.

ج. المتغيرات الثقافية: وهي عناصر الثقافة الوافدة من ثقافات أخرى، والتي قد تستقر في المجتمع الجديد إذا وجدت لها قبولاً من أهله، أو تندثر إذا لم تجد قبولاً واستحساناً لها، أو تبقى تتأرجح بغير استقرار إذا ما تضاربت الآراء حولها ما بين مؤيد ومعارض.

والمتغيرات هي العنصر المرن والنامي من الثقافة، وهي دليل حيوية الثقافة وتحدددها، وكلما كانت الثقافة مرنة ونامية، كلما كانت أقدر على امتصاص التغيرات الثقافية، دون حدوث اضطراب فيها¹.

وتتضح الأهمية الكبرى للثقافة بكونها كالغذاء، تمثل أكسير الحياة لمستقبل الأجيال، والمتقنين هم أداة التغيير في سلوكيات الأفراد ونمط حياتهم، ولعناصر الثقافة بكونها أسس تحديد هوية الأمة ومميزاتها، والحفاظ عليها، ومن هنا جاءت أهمية استعراضها هنا للتأكيد

عليها والتذكير بها، من أجل المحافظة على ثوابت الأمة عند هبوب عناصر الثقافة الوافدة بعامة والدخيلة بصورة خاصة، والتي بها يتم إحداث التغيير الثقافي الذي يعتبر من الظواهر العامة للمجتمعات النامية منها والمتقدمة، بحيث يمكن أن يكون سريعاً أو بطيئاً، ويصيب كافة فروع العلوم والفلسفة والفنون وقد يشمل قوانين التغيير الاجتماعي المختلفة وصوره العديدة، بحيث تبقى شائخة لا تتأثر بالتغيير، إلا إذا كان للصالح العام، ولفائدة أفراد المجتمع، وبغير ذلك فهي متينة، ثابتة، كجذور الأشجار الضاربة في الأرض بعمق، ومن هنا جاءت أهمية توعية الطلبة دوماً بقدرات الأمة، وعناصر

¹ عبيدات، ذوقان ، شبابنا .. أين نحن من العولمة؟، 2000 م، ص 25

ثقافتها، بما يجعلهم يعتزون بها ويفخرون، وسيتم الحديث عن ذلك لاحقاً في بند اقتراحات وحلول للتعامل مع العولمة.

وبناء عليه، فإن الهوية العربية تتمثل في كوننا عرباً، وثقافتنا عربية، نتحدث العربية، ونقرؤها، وننتهي إلى العروبة في أي مكان، ونمارس الأفعال العربية، ولدينا الرغبة في تعزيز ثقافتنا العربية وأساليب مختلفة سياسية ودينية، واقتصادية، واجتماعية، وغيرها، بين جميع الدول العربية، ونستطيع أن نقول أن هويتنا العربية الحالية هي ما ورثناه عن آباءنا وأجدادنا ومن سبقونا، ومن هنا جاءت أهمية الحفاظ على الهوية العربية والقومية والإسلامية، بما يتماشى مع روح العصر، فلا خير في أمة ورجالها تنكرت لثقافتها وهويتها واندفعت مع الجديد بلا هوادة أو تفكير¹.

لذا فإن التركيز على عولمة الثقافة له بعد في غاية الأهمية، ويتجلى ذلك في ما يسمى بالثقافة الاستهلاكية، التي تشمل وسائل التسلية والملذات، وإشباع الذات، والإيقاع السريع، والكسب الأسرع، كما يظهر في الوجبات السريعة، وملابس الجينز، والمسلسلات الأجنبية البعيدة عن ثقافتنا العربية وعاداتنا، والأعلام الإباحية وإثارة الغرائز، والحرية غير المضبوطة، المتمثلة بثقافة " Star Academy"، ودالاس، وغيرها من المسلسلات الدخيلة على ثقافتنا العربية الغنية المتمثلة في مسلسلات صلاح الدين الأيوبي، وعمر المختار، وفيلم الرسالة، وغيرها، وانتشار المخدرات، والهجرة، والمضاربة في الأسواق المالية، مما يجعل

الثقافة التقليدية القيمة تنحدر إلى هذا النوع من الثقافة، بحيث تصبح مقروءة وليست مكتوبة، ومشاهدة وليست مروية، يساعد في ذلك التقدم التكنولوجي الكبير من تليفونات خلوية، وأقمار صناعية، وانترنت، وغيرها مما يساعد في النقل السريع والانتشار.

¹ شطناوي، عبد الكريم، أسس التربية، 1990م، ص ص 72-73

وباختصار يمكن أن توحى العولمة الثقافية بأن الحياة لهو و متعة ما دام الإنسان قادرا على أداء الصلاة والزكاة والإحسان والصدقات وغيرها مما تجعله يجمع الحسنين¹، ولك أن ترى ماذا يمكن أن تكون نتائج ذلك، إضعاف الدين والتدين، وجلب نتائج وخيمة على العائلة، والأسرة، من تفكك وأمراض وغيرها مما لا يسع المجال لذكره هنا، ومما يكون له عواقبه الوخيمة على الفرد والمجتمع.

ومما لا شك فيه أن هناك صراعا كبيرا بين ما درج المثقف عليه وتربى، وما يحيط به الآن والمطلوب منه، وهذا الصراع يمثل أزمة وجود حقيقية، بين الماضي والحاضر، والأصالة والمعاصرة، قد تدفع به للهاث وراءها لكيلا يقال عنه رجعي ومتزمت، أو للمحافظة على تراثه وثقافته ليقل عنه أصيل محافظ على هويته وحضارته.

ثقافة العولمة والهوية:

مهما كانت الثقافة عليلة، ومهما كانت بعيدة عن متطلبات منطق العصر فإنها تظل في عيون أصحابها شيئا لا يصح التفریط به والتنازل عنه بأي ثمن، وهذا الشعور على المستوى الشعبي أقوى منه على مستوى النخبة لذا فانه لا يمكن اختراق الثقافات بأدوات أجنبية عنها مما يعني أن على القوى الغازية أن تبحث عن ركائز لها داخل الثقافة التي يراد غزوها ، أي توفير غطاء يتمتع بمشروعية منطقية وثقافية ومصلحية حتى يمكن تحقيق المراد من غير تكبد خسائر مزعجة ، وأظن أن أهم القواعد والمرتكزات التي يعتمد عليها الاختراق الثقافي، تتمثل في الآتي:

أ- تزيين الفردية للناس وجعلهم يشعرون أن حقيقة وجودهم محصورة في فرديتهم، وان كل ما عداهم هو أجنبي عنهم، وأن كان ثمة من رابطة تربطهم به، فالرابطة المنطقية هي رابطة (المصلحة) التي يمكن ان تكون متبادلة بين كيانين مختلفين، وهذا مخالف للرؤية الإنسانية عامة، والرؤية الإسلامية خاصة، والتي ترى في الحياة الاجتماعية مورداً من أهم موارد سعادة الإنسان، واهم موارد نموه وارتقائه

¹ البخيت، معروف، من مقالة بعنوان "رئيس الوزراء في حوار مفتوح مع المثقفين"، جريدة الرأي، 2006م، ص 74

والعولمة اذ تفعل ذلك تهيب الناس للزج بهم في محيط مائع ورجراج، بعد أن تكون قضت على الروابط التي تربط بينهم وهذا السلاح قديم لكنه يستخدم اليوم بأسلوب جديد إذ من الثابت منذ زمن بعيد أن عزلة المرء المعنوية والعقلانية عن الناس توهن تماسكه الثقافي وتجعل إمكانية تغيير معتقداته ومسلّماته اقرب منالاً¹.

ب- الإغراء بالخيار الشخصي قاعدة أخرى من قواعد الاختراق الثقافي، حيث يلقي في روع الناس أنهم سادة وقادرون على تقرير مصيرهم واختيار ما هو أصلح لهم والحقيقة أن الظروف التي أفرزتها العولمة جعلت خيارات الضعفاء والفقراء محدودة -على خلاف ما توحى به العولمة- وجوهر الحرية كامن في القدرة على الاختيار، ولا معنى للاختيار إذا لم تكن هناك بدائل وإمكانيات للرفض وهذا ما يواجهه به الفقراء كل يوم أثناء بحثهم الدائب عن أسباب البقاء إن العولمة توحى فعلاً بوجود خيار شخصي لكل أحد لكنه " خيار بين السيئ والأسوأ كمن يخير بين الجلوس عن أي عمل وبين عمل لا يسد سوى جزء من حاجاته الضرورية أو كالذي حكم عليه بالموت ثم خير بين أن يموت شنقاً أو بإطلاق الرصاص عليه، في الصين التي تجري عولمتها الآن، عاملات يعملن في المصانع العتيقة، ليس لهن مرتبات، وإنما يعملن لقاء ملء بطونهن ليس أكثر!² "

إشاعة المعرفة وتأثيراتها:

أتاحت الشبكة المعلوماتية العالمية (الحاسب الآلي) فرصاً هائلة للاطلاع على العلوم والمعارف القديمة والجديدة والدخول إلى كبريات المكتبات في العالم والاستفادة منها في المجالات العلمية والثقافية ، كما يمكننا يومياً تصفح مئات الصحف العلمية التي تصدر يومياً ؛ لكن مشكلتنا دائماً مع الذين لم ينالوا النضج الكافي ولم يتشربوا القيم والمفاهيم الصحيحة، بسبب حداثة أعمارهم

¹ بكار، عبد الكريم، العولمة، طبيعتها، تحدياتها، التعامل معها مكتبة دار الحياة الحديثة، الطبعة الثانية، 1422هـ، 2001م ،¹

² المصدر السابق ص71.

أو بسبب أن أسرهم ليست مؤهلة لتنشئهم التنشئة الاجتماعية القومية، إن ذلك هو الفرق الجوهرى دول نمت وحققت تقدمها بالفعل ، ودول أخرى ما تزال تعاني من وحدة التخلف والتبعية، إنما هو فرق يتمثل فقط في مجالات البحث العلمي .¹

إن الانفتاح على معارف العالم ومفاهيمه ورمزيا ته من خلال رؤية النماذج الجاهزة، أو من خلال الاشتراك في حلقات النقاش قد يؤدي الى وقوع أضرار باللغة بترتيب المفاهيم والمدرجات ونظم القيم لدى الناشئة، وذلك لأن هذه الطريقة في اكتساب الجديد من المعارف على الرغم من تطورها وتوفيرها للعديد من المصادر "فإنها تمارس بعض الآثار السلبية على حياة المجتمعات المعاصرة ، يخلع بالضرورة إبعاد الثقافة وخلفياته الحضارية على تلك الأمم والمجتمعات عبر عمليات التمثيل و الهضم والامتصاص الثقافي (Cross-Cultural Absorptiveness)² ، بل قد يؤدي إلى سحب هويتها ويحطم كيائها ، حين يقلع جذورها ويلغي وجودها ويحيلها إلى وضع لا تستطيع معه التحرر الحقيقي من أغلال التبعية للدول الغالبة.

إن قضية المعرفة العلمية وما تتطلبه من الاستعمال العلمي لتقنياتها مما لا يتنافى مع خصوصية الثقافة العربية والإسلامية فالإسلام في جوهره لا يمنع نقل عناصر ثقافية أخرى إلى صور إسلامية تلتئم مع مبادئه ومفاهيمه الأساسية، فما يمكن جعله من الإسلام وبالإمكان تعريبه بوعي وإدراك سليم بعيد عن أسباب الكراهية والعداء ، فليس من مانع من تعريب عناصره الأجنبية إلى ما يكمن أن يوظف و يتوصل به إلى إمكانيات النماء والتطور وتشديد البناء لمواجهة التحديات الحضارية والعقبات الاقتصادية وما تجر إليه من مشاكل ثقافية تمس خصوصية الأمة وهويتها .

¹ الجميعي، عوض، نحو إيجاد معادلة عادلة لتواصل ثقافي بناء، العولمة والهوية، اوراق المؤتمر العلمي الرابع لكلية الاداب والفنون ،

منشورات جامعة فيلادلفيا، 1999، ص214

نفس المصدر، ص215.²

إن على رواد ومنظري الثقافة أن يبحثوا عن وسيلة يتم بها توجيه الأمة نحو إعداد نموذج فاعل للثقافة العربية في مواجهة الغلبة العلمية والسياسية والهيمنة الثقافية التي يسعى فرضها النظام

العالمي الجديد ، مع عدم إهمال إعطاء الحضارة الإنسانية المعاصرة . ذلك لأن العلوم الغربية

الحديثة قد قامت ببناء ترسانة أدوات منهجيتها ومفاهيمها ونظرياتها بما لا يتلاءم ومضمون رصيد المعرفة الإسلامية العربية التراثية، فهناك هيبة وسلطة وهيمنة للعلوم الحديثة، وعدم مواكبة معطيتها يعني التخلف، خصوصاً إن قدرة الحضارة العربية الإسلامية على الامتداد الثقافي (Cultural Borrowing). قد أبان عن فاعليتها الحضارية، وكشف عن إبعادها الثقافية المتجددة عدد غير قليل ممن درسوا العربية والإسلام من غير العرب .

أسس الهوية الثقافية و العولمة :

يقصد بأسس الهوية الثقافية تلك المقومات و الركائز التي تمثل صلب الهوية الثقافية و موضوعها و تلك الخصائص و العناصر التي تمثل مظاهر الهوية الثقافية.

مقومات و أسس الهوية الثقافية :

ترتكز الهوية الثقافية على أسس هامة حيث أنها تمثل حلقة و همزة وصل بين الأفراد و الجماعات و تمثل كيانا يعبر عن " ذاتية الإنسان ونقاءه و جمالياته و قيمه ، بحيث تعتبر الثقافة المحرك لأي حضارة أو امة في توجيهها وضبطها، أي هي التي تحكم حركة الإبداع و الإنتاج المعرفي"¹.

1 الإنسان :

¹ اسعد السحمراني ،ويلات العولمة على الدين و اللغة و الثقافة، دار النفائس، الطبعة الاولى، 2002ص82.

يعتبر الإنسان محور عملية تفاعل الهوية والثقافة، فالإنسان هو المعنى بالهوية الثقافية، و هو المعنى بهذه الحياة وهو موضوع و أساس الهوية الثقافية، و قد فضل الله الإنسان على سائر المخلوقات و تحقق هذا التفضيل الإلهي لسعادة البشر لقوله تعالى: ﴿وقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في

البر والبحر¹.

2 التوازن :

أي التوازن و الاعتدال في الشخصية، بحيث يكون التوازن المادي و الروحي للأفراد والجماعات كفيلا بالحفاظ على حياة الطبيعية للفرد دون طغيان الحياة المادية على الحياة الروحية، و حتى لا يحدث أي خلل أو شرخ في الشخصية أو الذات وعدم ترجيح كفة لصالح كفة أخرى بتغذية الإنسان ماديا و روحيا و تهيئته لخوض غمار الحياة.

3 الإيمان الصادق :

و يكون ذلك بالالتزام بالإيمان الحقيقي لأفراد المجتمع بما يتماشى ومعتقداتهم وحضارتهم ونمط حياتهم و إيمانهم الراسخ بالانتماء لمجتمع ما في أساليبه و توجهاته وخصوصياته . فقيم الانسان مستمدة من عقيدته كما الحال بالنسبة للمسلم الذي يؤمن بالله ورسله وكتبه .

4 القيم الثقافية :

¹ سورة الاسراء، الآية رقم 70-71.

و يتمثل ذلك " بتمجيد القيم الفاضلة و الحسنة، و حب العدل و الحق و المساواة و التطوع إلى المفاهيم فوق الحسية لتشجيع الالتزام بالفضائل و محاسن الأخلاق"¹، و القضاء على الرذائل و مفسد الأخلاق.

مظاهر و مضامين العولمة الثقافية :

تستمد العولمة أسسها الفكرية و الثقافية و الفلسفية من الحداثة، و فحوى رؤيتها للحياة الدنيوية هو أن العالم الموضوعي هو الحقيقة الماثلة التي يتعامل معها الإنسان بعقله، أي أن ذاته تتكون من تفاعله مع العالم الموضوعي، ولا شيء سابق على الخبرة التي يمر بها، والتي تمكنه من السيطرة على الطبيعة، و تحسين طرائق عيشه و مستوى حياته كغاية نهائية من وجوده.

و بالتالي فإن لحدوث العولمة في أي مجتمع مدخلا طبيعيا هو المدخل الثقافي التربوي، بمعنى الوعي الفردي و المجتمعي الذي يتشكل و ينمو بفعل النظام الثقافي بوصفه سببا و نتيجة، ذلك لأنه لا وجود للبنية الموضوعية العولمية خارج وعي الإنسان بها، و تأويله لمعانيها، و اختياره للإمكانات التي يمكن أن يطورها فيها.

ومن ثم فالعولمة ببعديها الموضوعي و الذاتي تفرض نفسها على المجتمعات التقليدية بقصد استلاب إرادتها، و مقاومتها. و من أبرز مظاهر العولمة الثقافية :

الآثار السلبية للعولمة على الهوية الثقافية:

¹ اسعد السحمراني، مرجع سابق، ص 84.

نلاحظ أن الهوية الثقافية تتكون من عناصر أساسية هي: الدين، اللغة، القيم و العادات، نحاول تسليط الضوء عن مخاطر العولمة على هذه العناصر الثلاثة.

الآثار السلبية للعولمة على الدين:

تعتبر العقيدة هي أهم العناصر المشكلة للهوية في أي مجتمع، حيث في الحروب تذوب الهويات متعددة العناصر و تبقى الهوية الأكثر أهمية في الصراع هي السائدة و غالباً ما تتحدد هذه الهوية بالدين.¹ و الأمثلة كثيرة على ذلك، فتركيا ترفض من طرف الاتحاد الأوروبي بسبب العقيدة الإسلامية لدى شعوبها، برغم علمتها منذ زمان من طرف "كمال أتاترك" و هذا ما عبر عنه صراحة الرئيس "أوزال" سنة 1992م حيث قال "سجل تركيا بالنسبة لحقوق الإنسان سبب ملفق لعدم قبول طلب انضمامها إلى الاتحاد الأوروبي، السبب الرئيسي هو أننا مسلمون و هم مسيحيون"، و لا يرضيهم الأوروبيون أن تكون دولة إسلامية أخرى مثل البوسنة بينهم، و روسيا تساند الصرب الأرثوذكسية و ألمانيا تساعد كرواتيا الكاثوليكية و الدول الإسلامية تساعد الحكومة البوسنية والصرب يحاربون الكروات و مسلمي البوسنة و مسلمي ألبانيا.² و بتأثير العولمة بقيادة أمريكا لم يعد خافياً على أحد في مجال العقيدة فقد باتت تشكل خطراً محتملاً دائماً على عقيدة الشعوب و لا سيما الإسلامية منها.

حتى بعض الكتابات الغربية و الأمريكية لم تسلم من الهجوم على الإسلام، حيث تصفه "بالخطر الأخضر" الجديد الذي يهدد العالم الحر و أسلوب معيشتته بعد زوال "الخطر الأحمر" (الشيوعية السوفيتية)، و هو ذريعة تتخذها أمريكا للإبقاء على زعامتها للمعسكر الغربي و مبرراً لتوسيع دائرة نفوذها في شرق أوروبا و آسيا و إفريقيا بدعوة تطويق المد الإسلامي بعدما فقدت ذريعة

¹ صامويل هنتنغتون صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، ط2، 1999، ص 103.

² نفس المرجع، ص 204، 205.

احتواء المد الشيوعي"¹. فقد حُرم الشيشان من الانفصال عن روسيا و يجبر أهل تيمور على الانفصال من اندونيسيا بتدخل من استراليا و دعم من الغرب و تنفصل تمامًا دول البلطيق و جورجيا من روسيا، و أن تهاجم العراق بذريعة امتلاكها أسلحة الدمار الشامل، و تترك دولة جارة لها (إسرائيل) تمتلك ما شاءت من الأسلحة المحرمة دوليا بل و تحتل أرض غيرها مخالفة لقرارات الأمم المتحدة ومدعومة من طرف أمريكا، و هذه الأخيرة تحارب الجمعيات الإسلامية و ترهبها و تجرد أموالها بحجج الإرهاب و ما شبه ذلك، و هي نفسها كانت مدعومة قبل سقوط المعسكر الشرقي مما يعني حدوث اختلال في موازين قوى العالم تحت لواء الحضارة العربية، و قد قالها أحد المفكرين (فريدمان بتوم) يومًا إننا أمام معارك سياسية و حضارية في غاية الفظاعة، و الولايات المتحدة قوة مجنونة، نحن قوة ثورية خطيرة و الذين يخشوننا هم على حق."²

و الخطر الأكبر على الدين الإسلامي هو الدعوة إلى وحدة الأديان، و هي دعوة تقضي عقيدة الإسلام من أساسها و تهدمها من أصلها، لأن الإسلام قائم على حقيقة أنه الرسالة الخاتمة من الله تعالى للبشرية الناسخة لكل الأديان السابقة له و التي أصابها التحريف و دخل على أتباعها الانحراف العقائدي، و كذا السعي لإعادة تشكيل المفاهيم الأساسية عن الكون و الإنسان و الحياة عند المسلمين و استبدالها بمفاهيم هدامة مثل أن الكون لم يخلق لعبادة الله تعالى وحده"³ و إنما هدف الإنسان من الكون هو عملية التحكم فيه للسيطرة على الأرض و هزيمة الطبيعة، و أن تصبح كل المخلوقات خاضعة للقانون المادي الصارم و أن يسود منطق الأشياء على الأشياء و على الإنسان، أي أن هناك ثقافة واحدة و إنسانية واحدة تكتسب وحدثها من كونها جزءًا من النظام الطبيعي، ومن

ممدوح محمود منصور: العولمة (دراسة في المفهوم و الظاهرة و الأبعاد)، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، 2003، ص 88-89.

خالد بن عبد الله القاسم: العولمة و أثرها على الهوية، بحث مقدم إلى مجلة الإسلام اليوم بتاريخ 2006/05/29.

محمد بن سعد التميمي: العولمة و قضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة، ط1، 2001م، ص 274-275.

ثم نموذجًا واحدًا للتطور.¹ وأما و أن الحياة ليست إلا صراعاً ابتدأ منذ خلق الإنسان بين الحق الذي يمثله الرسل والأنبياء وأتباعهم وبين الباطل الذي يدعو إلى الشيطان فكل ذلك خرافة.²

الآثار السلبية للعولمة على اللغة:

اللغة هي: "قدرة ذهنية مكتسبة يمثلها نسق يتكون من رموز اعتباطية يتواصل بها أفراد مجتمع ما"، و هي أساس و وسيلة الإنسان للتعبير عن حاجاته و رغباته و أحاسيسه و مواقفه، و هي وسيلة كذلك لتنمية أفكاره و مهاراته و تجاربه، و هي مستودع لحضارات الشعوب و ثقافتهم و تراثهم، و هي آلية التخاطب و الاتصال.³ نجد أن هناك طغيان للثقافة الغربية على العالم، فمثلاً هناك 88% من معطيات الانترنت باللغة الإنجليزية و 9% بالألمانية و 2% بالفرنسية و 1% بباقي لغات العالم⁴، و ها هي فرنسا نجدها تشكو من هيمنة اللغة الإنجليزية بفعل العولمة على هويتهم الفرنسية مما جعل الفرنسيون إلى وضع الثقافة في خانة الاستثناء، لأن قوة الإنتاج الثقافي الأمريكي بدأ يؤدي إلى التغيير التدريجي في سلوك و أنماط حياتهم.⁵

و التحولات في توزيع القوة تؤدي إلى تحولات في استخدام اللغات، حيث نجد حوالي قرنين من القوة البريطانية و الأمريكية الاستعمارية في مجالات الصناعة و التجارة و العلوم تركاً ميراناً ضخماً من التعليم العالي و التجارة و التقنيات الحديثة في أرجاء العالم.

¹ عبد الوهاب المسيري: العالم من منظور غربي، منشورات دار الهلال، 2001، ص 129، 127.

² أسامة أمين الخولي: العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2000م ص 135.

³ كامل أبو صقر: العولمة، مرجع سابق، ص 395

⁴ محمد بن سعد التميمي: مرجع سابق، ص 111

⁵ عمار طالبي: العولمة و أثرها على السلوكيات و الأخلاق، مرجع سابق، ص 12.

و كما هو معلوم أن معظم بث شبكة الانترنت هو باللغة الإنجليزية (88%)، يشكل خطرا محذقا على الخصوصية الثقافية و لاسيما على اللغة العربية، لأن غالبية هذا البث يروج إلى قيم ومبادئ بعيدة عن قيم و شعوب غير الناطقة بذات اللغة، فهي تمجد العنف و القتل و تروج للجنس و تدعو إلى تفسخ الروابط الأسرية من خلال مواضيع الأفلام المعروضة و الإباحية في التصوير، وتباين مواقع القمار و الربا.¹

وتماشيا مع العولمة فلا بد من الانفتاح على لغات الآخرين للتعامل معهم، و عدم اكتساب اللغات (سواء كتابة أو نطقا) يؤدي إلى التضييق من نطاق التوسع و الانتشار في الأسواق الخارجية و يقلل من مدى الاختيار للوسطاء و الوكلاء و بناء علاقات اجتماعية مع العملاء، لهذه الأسباب تحاول الولايات المتحدة جاهدة فرض لغتها على بقية شعوب العالم لكي يسهل عليها فرض سيطرتها على أسواق هذه الشعوب و التوغل فيها أكثر.

إن اللغة تعتبر أهم الوسائل لاتصال البشر بعضهم لبعض فهي ذات علاقة ثنائية الاتجاه بما يعتقدده الإنسان فلا يسع لمن يريد دراسة ظاهرة عالمية أن يهمل دراسة تأثير اللغة في هذه الظاهرة.

¹ عبد المولي طشطوش: حقوق الإنسان في ظل أخلاق العولمة، العربية، مجلة إلكترونية، يوليو 2007، ص67

ومن الحقائق التي لا مراء فيها أن اللغة الإنجليزية أصبحت هي اللغة العالمية الأولى التي سيطرت على جميع اللغات مع الهيمنة الاقتصادية والإعلامية الأمريكية ومع انتشار شبكة الإنترنت بهذه اللغة الذي أدى إلى استخدام كلمات وعبارات إنجليزية تعبر عن الثقافة الأمريكية والقيم الاستهلاكية التي قد لا تناسب مع قيم بعض الأمم وخاصة المسلمين والعرب. وفي ظل مد العولمة أضحت العربية المستهدف الأول في هذه الهجمة بخاصة وأنّ دعاة العولمة الأمريكية لا ينفكون يقرنون الإرهاب بالثقافة الإسلامية التي تمثل العربية وعاءها ، والتعريب وسيلتها الأساسية.¹

ومن مظاهر العولمة اللغوية الإنجليزية أن اللغة الإنجليزية أصبحت اللغة الثانية في معظم دول العالم. تقول دراسة حول اللغة الإنجليزية وانتشارها أن خمس سكان العالم يتكلمون الإنجليزية بدرجة ما وأن الحاجة إلى الباقي لتعلمها في ازدياد مستمر ومن الظريف جدا أن اللغة الإنجليزية كانت لغة اللوحات التي استخدمها المتظاهرون المعارضون للعولمة في التعبير عن معارضتهم للعولمة.²

لقد أشار العقاد إلى أن اللغة العربية أصبحت المستباحة الحمى بقوله: "لقد تعرضت وحدها من بين لغات العالم لكل ما ينصب عليها من معاول الهدم ويحيط بها دسائس الراصدين لها، لأنها قوام فكرة وثقافة وعلاقة تاريخية. ومن أخطار العولمة على اللغة كما جاء على لسان الأستاذ يوسف القرضاوى . إن العولمة تريد أن يكون أدبنا تابعا لأدبهم ، وشعرنا تابعا لشعرهم، ونظرتنا إلى الوجود والإنسان تابعة لنظرتهم ، حتى لغتنا التي نعتر بها لكونها لغة كتاب الله المنزل يريدون ألاّ نعتمد عليها ولا نركن إليها، وأن يكون نصف كلامنا من لغاتهم نقحمها إذا تكلمنا، وإذا كتبنا ، ونعلّم بها أبنائنا في جامعاتنا. وأكد بأن أولى ضحايا هذه العولمة اللغوية هم الشباب، ابتداء من سن المراهقة لأن هناك خريطة جديدة للتعامل مع الآخرين ، فالعالم كله بما فيه ومن فيه ، أصبح

¹ عبد الهادي التازي ، هل في استطاعة العولمة أن تهدر الهوية ؟ مجلة الأكاديمية الملكية ، الرباط ، 1997 ، عدد العولمة والثقافة ، ص 67 .

ص 200.28 يناير 170 العدد ، البيان مجلة اللغوية، العولمة " الحداد جواد هيثم²

مثلا على شاشة صغيرة ، يستطيع بأدنى جهد اكتشاف خباياه وألوانه، ومن الرغبات الجنسية إلى الأفاق العلمية إلى الرياضة والمسليات وغير ذلك مما يشد العين والقلب والفكر إلى تلك الشاشة الصغيرة.¹

إن الحديث عن اللغة العربية العالمية يتنزل في سياق معاشتها للغات أجنبية تنافسها في العطاء الحضاري بوجهيه الثقافي والتكنولوجي ، وهذا يتطلب منها احتواء الكثير من الأنساق الصوتية والتركيبية ضمنا لتحقيق التكيّف البيوي والمعرفي في وسط راهن متعدد الثقافات تؤطره فلسفة العولمة² التي تقضي في مسارها الحتمي باستيعاب كل الأنساق غير القادرة على الإسهام في الحراك الحضاري العالمي ، ولما كان القرن الحالي تراكما لمنجزات معلوماتية رهيبية تعان اللغة العربية تحديات جد معقدة لا ينفع معها إعداد متكلم عربي أحادي اللغة ، بل لا بد أن تنصرف جهود المؤسسات العلمية والتعليمية إلى نشر معرفة لسانية متعددة تعبر عن الاختلاف اللساني المعيش . والربط بين الغرض التبليغي للغات والبعد التداولي لها فتتحول اللغة العربية بجهود العاملين إلى وسيلة نقل معرفي في إطار حركة الترجمة الآلية العالمية ، وترقية الكفاية اللسانية بالقدر الذي يؤهلها إلى أن تكون قادرة على الإنتاج والإبداع³ . و بفضل هذه الجهود ستضمن استمراريتها في العالم الحديث كلغة حية تجمع بين الوظيفتين التواصلية ، وهذا أمر تشاركه فيها جميع اللغات ، والوظيفة الحضارية كوعاء لإنتاج الثقافة والمعرفة واستقبالهما في إطار حوار الأنا مع الآخر ، ذلك أن العولمة في رأي بعض المفكرين ليست قسرا على الأمريكان واللغة الإنجليزية فقط ، فإذا كان للغات الأخرى حضور

¹ يوسف القرضاوي المسلمون والعولمة " دار التوزيع والنشر الإسلامية 1421هـ ص49.

² منظمة اليونسكو ، التربية ذلك الكنز المكنون ، مجلة التربية ، الدوحة ، قطر ، عدد 120 ، سنة 1997 ص38 بتصرف

³ علي حرب ، حديث النهايات ، فتوحات العولمة ومآزق الهوية ، بيروت ، 2000، ص75

فعلي فالعولمة وقائع وإنجازات وإمكانات موضوعة برسم البشر أجمعين"¹.

إن مواجهة هذا التحدي يكون بالتفعيل داخل منظومة العولمة ذاتها دون التخلي عن الخصوصية الحضارية² بدءا بإصلاح منظومة التعليم العربي وتعليم اللغات وفي مقدمتها العربية للناطقين بها وكذا للأجانب ثم إنتاج الكتاب العربي لقرائه في لغته وترجمته كمرحلة لاحقة أي البدء ببناء الذات اللغوية محليا وخلق روح الحوار الإيجابي مع اللغات في بيئة اللغة العربية ثم الانفتاح على الغير وفق استراتيجيات بناء الذات دون الذوبان في الآخر و ذلك :

بالتخلص تدريجيا من حمولة الماضي في الطريقة والهدف وبعض الممارسات التنظيرية ولعل أسلم طريق أن يندمج التفكير النحوي التراثي في النظرية اللسانية الحديثة فيكون جزءا أساسيا منها ورافدا لا ينضب لمجراها السريع وترسيخ هذا الأساس في الأذهان .

الحث على ضرورة الدخول بقوة في الإبداع اللغوي من خلال التأليف أولا ثم الترويج للكتاب في لغة التأليف ثم الترجمة باستحداث وسائل نوعية في الترجمة العربية ونشر ثقافتها ، والترويج لها بوصفها لغة مهمة في التواصل المعلوماتي الحديث لا تقلّ كفاءة عن غيرها من اللغات .

¹ السيد يسن ، العرب والعولمة ، ص24

² عبد الرحمن الحاج صالح ، مقالة في ندوة بناء المناهج التعليمية ، المجلة العربية للتربية ، مجلد 5، عدد02، 1985 ،ص11.

المبحث الثاني: اللانترنت و تأثيرها على اللغة.

- ✓ اللامكان.
- ✓ الالزام.
- ✓ التفاعلية.
- ✓ المجانية.
- ✓ الربط الدائم و تنويع التطبيقات.

اللغة والانترنت

لم تنل وسيلة من وسائل نقل ونشر المعلومات في تاريخ البشرية ما نالته الإنترنت من سرعة في الانتشار والقبول بين الناس، وعمق في التأثير في حياة الناس على مختلف أجناسهم وتوجهاتهم ومستوياتهم، وتنوع في طبيعة المعلومات التي توفرها، وضخامة في حجم هذه المعلومات التي يمكن الوصول إليها دون عقبات مكانية أو زمانية. و لعل أكبر ظاهرة سجلت في العصر الحديث تتمثل في ابتكار الحاسوب الذي بدأ يأخذ حيزا كبيرا في حياة الناس و يعد الثورة الثالثة أو الرابعة في ميدان مبتكرات الإنسان في العصر الحديث فبعد الثورة الصناعية في أوروبا التي أطلقت البخار من مداخن القاطرات، تأتي الثورة الكوبرنيكية التي صححت مفاهيم الفضاء تأتي الثورة التكنولوجية لتعمق انتصار الإنسان، ثم الثورة الأخيرة التي أطلق عليها بالثورة التوافقية التي صنعها الحاسوب وبرامج الحاسوب.

1-الحاسوب: وهو الكمبيوتر، وأصل هذه الكلمة الفعل (Compute) ، حيث جاء في

في " قاموس المورد":

compute:

يحسب ، يحصي و حسابان، إحصاء

computation

حسابان ، تقدير ، تخمين

وأضيفت إليها الزائدة (er) التي تضاف في آخر الكلمات الإنجليزية لتعني فاعل الشيء، فأصبح (Computer) بمعنى فاعل الحساب أو الإحصاء"¹.

قاموس المورد، طبعة 2001م ، ص202.¹

وقد ترجم في البداية بكلمة (الآلة الحاسبة) ولكن انصرفوا عنها وأصبحت علما على (Calculator) أو (computator) كما في المورد. وتُرجم بكلمة (العقل الإلكتروني) كما في قاموس المورد و ترجم بكلمة (الحاسب) ولكن رأوا أن كلمة (الحاسب) قاصرة، فاستقر ترجمتها على كلمة (حاسوب) على وزن (فاعول) حتى تفيد المبالغة، والحاسوب حقيق بهذا فقد أصبحت بعض الحواسيب تقوم بملايين العمليات في الثانية الواحدة!. وكلمة (الحاسوب) هو اللفظ الذي اعتمدهتة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم كما في كتاب "المكتبة الإلكترونية: الآفاق المرتقبة ووقائع التطبيق" ص 8. ثم اشتقوا من كلمة (computer) الفعل (computerize) وترجم في "المورد" بقوله: "يكمتر: ينفذ، أو يضبط، أو يحفظ، أو يزود بكومبيوتر أو عقل إلكتروني"¹.

2- الشبكة العنكبوتية: وهي ترجمة لكلمة (The web) والويب هو شبكة العنكبوت، والويب تعتبر خدمة واحدة من خدمات الإنترنت، وهي المعروفة من الإنترنت لدى عامة الناس ولذلك عامة الناس يعتقدون أن الويب هي الإنترنت والإنترنت هي الويب، والحقيقة أن الإنترنت تحوي خدمات متعددة بالإضافة إلى الويب يعرفها المختصون بالشبكة العنكبوتية (The web) والشبكة (THE NET)، أو الشبكة العالمية (WORLD NET)، أو الطريق الإلكتروني السريع (ELECTRONIC SUPER HIGH WAY).

و الشبكة العنكبوتية هي وسيلة اتصال حديثة: فمن أكبر فوائد الإنترنت اختصارها المسافات والزمن في نقل المعلومات بأوعيتها المختلفة فتستطيع عن طريقها أن تتواصل بالبريد الإلكتروني والبريد الصوتي والمحادثاة النصية والصوتية والمرئية وتستطيع أن ترسل أحجاماً ضخمة من المعلومات وحتى الهاتف فتستطيع أن تهاتف من شئت بواسطة الإنترنت.

¹ المكتبة الإلكترونية، "الآفاق المرتقبة ووقائع التطبيق"، ص 8.

طلق كثير من الأمم شرقها وغربها، متقدمتها وناميتها إلى وضع الخطط القومية لإعداد مجتمعاتها لعصر المعلومات اجتماعيًا واقتصاديًا وثقافيًا وسياسيًا، وتعتبر قضية تطويع تقنيات الحاسوب الآلي للمتطلبات الآنفة المختلفة ومتطلبات اللغات القومية، وربما العكس أحيانًا وبدرجة أقل، أحد المحاور الرئيسة لعملية الإعداد المذكورة، إن لم تكن أهمها على الإطلاق¹.

فقد بلغ الآن عدد مستخدمي الإنترنت ما يقارب المائة وخمسين مليون إنسان، موزعون على شتى أنحاء العالم. وتتوقع الدراسات أن ينمو عدد المستخدمين بشكل كبير في الأعوام القادمة. وأصبح الناس اليوم ينظرون إلى الإنترنت على أنها المصدر الأول والمفضل للمعلومات والأخبار، وأن وسائل الإعلام التقليدية كالصحف والمجلات والإذاعات لن تلبث أن تنقرض على يد الإنترنت كما انقرضت ألواح الحجارة على يد ورق البردي، وكما انقرض النسخ اليدوي للكتب على يد روتنبرج. ومن الطبيعي أن زعما جريئًا مثل هذا لا يمكن أن ينشأ من فراغ، ولا بد أن تكون هناك أسباب قوية ووجيهة تستطيع بها الإنترنت أن تهدم إمبراطوريات إعلامية وجدت من قرون، فمن بين الأسباب التي تجعل الإنترنت وسيلة إعلام واتصال المستقبل بلا منازع كالاتي:

التنوع و الوفرة الهائلة في مصادر المعلومات:

لقد كانت الحياة في الماضي مجهدة ومرهقة لكل من يبحث عن المعلومات من خلال الموسوعات و الدوريات و غيرها من أمهات المراجع في المكتبات العريقة و المتخصصة، و لكن مع "ظهور الشبكة العالمية للمعلومات و التعامل معها أمكن الحصول على كل ما يريد المرء بمجرد التعامل مباشرة مع الحاسوب الشخصي"². و من بين هذه المصادر:

¹ محمد بن أحمد وآخرون، استخدام اللغة العربية في المعلومات، (تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، سنة 1996، ص231.

² البغدادي محمد رضا، تكنولوجيا التعليم و التعلم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1419 هـ، ص326.

_الكتب الالكترونية

_الدوريات.

_قواعد البيانات.

_الموسوعات.

_المراجع التعليمية.

و في المجال التعليمي " تبنت وزارة التعليم السنغافورية مع مجلس الحاسوب الوطني NCB National Computer Board مشروع ربط المدارس بالشبكة العالمية للمعلومات ،و كان الهدف هو توفير مصادر المعلومات للمدارس"¹.

و تشير الإحصائيات التابعة لمنظمة اليونسكو أن شبكات التلفزيون العربية مثلا تستورد ما بين 3/1 إجمالي البث (سوريا و مصر) و نصف الإجمالي (تونس، الجزائر) و 58% (لبنان) من البرامج الثقافية، و الحال أكثر خطورة عندما نلاحظ الإدمان على شبكة الانترنت و الذي أغلبه باللغة الإنجليزية حيث يبلغ 88% مقابل 9% بالألمانية و 2% بالفرنسية و 1% بباقي لغات العالم و هذا ما يهدد الهوية الثقافية اللغوية لأن غالبية البث على هذه الشبكة يروج لقيم و مبادئ بعيدة عن قيم الأمم و الشعوب."²

_اللامكان:

¹ الفنتوخ عبد القادر، السلطان عبد العزيز، الانترنت في التعليم، مشروع المدرسة الالكترونية،رسالة الخليج العربي ، العدد71، ص87.

² هايل عبد المولي طشطوش: حقوق الإنسان في ظل أخلاق العولمة،. مرجع سابق ص 68.

تتخطى الإنترنت كل الحواجز الجغرافية والمكانية التي حالت منذ فجر التاريخ دون انتشار الأفكار وامتزاج الناس وتبادل المعارف. ومعلوم أن حواجز الجغرافيا منها اقتصادي يتمثل في تكلفة شحن المواد المطبوعة من مكان إلى آخر، ومنها سياسي حيلولة بعض الدول دون دخول أفكار وثقافات معينة إلى بلادها. أما اليوم، فتمر كميات هائلة من المعلومات عبر الحدود على شكل إشارات إلكترونية لا يقف في وجهها شيء. قد تكون هذه الإشارات في نفس الوقت مشحونة بإيجابيات وسلبيات لا بد من الانتباه لها.

ففي الوقت الذي تضافر فيه مشروع العولمة مع ثورة الاتصال في إحباط نوازع العزلة بين شعوب الأرض، أي إلغاء الجغرافيا، وتحطيم الفواصل والحدود، وإثناك السيادة الوطنية أو القومية، أضحت اللغة الإنجليزية هي لغة التجارة والمبادلات والتعاملات، أي: لغة السوق الواسعة الواحدة. كما أضحت، في الوقت ذاته، هي لغة الحوار والاتصال، ونقل المعرفة وتداولها. فالشركات الكبرى، التي تتحكم في اقتصاديات العالم بشكل أو بآخر، تتكلم الإنجليزية، وهي لغتها المشتركة الأولى. أما تداول المعرفة، والحوار، والاتصال بأنواعه بين سكان المعمورة، فهو ساحة مستباحة للغة الإنجليزية، "ويكفي أن نعلم أن تدفق المعلومات على أهم شبكة للاتصال وتبادل المعرفة (الإنترنت)؛ إنما يتم في 98% منه باللغة الإنجليزية، أما ما يتبقى من ذلك (2% فقط) فهو للغات العالم الأخرى، بما في ذلك اللغات الرئيسة، مثل: الأسبانية، والألمانية، والعربية، وسواها. كما أن 87% من المبحرين في الإنترنت؛ هم من بلاد إنكليزية الثقافة... وإن شبكة المعلومات التي صنعت في مختبر أوروبي لفيزياء الجزيئات (جنيف CERN)، وضعت للاستخدام أسا سافي الولايات المتحدة، حيث الإنكليزية هي اللغة الوحيدة المفهومة من الجميع. وكما أن أهم المواقع التي يتهافت عليها المبحرون، مجاناً، هي بالإنجليزية، وكل واحد يصبح عملياً مساوياً للآخر أمام الشاشة إذا أحسن الإنكليزية المبسطة، هذا بالإضافة إلى أنه يصعب، بل يستحيل، إنشاء

الشبكات إلاّ بها.¹ ولقد جاءت الإنترنت لتؤكد، فعلا، "نهاية الجغرافيا، والخلاص من محددات السجون التي طبعت الكرة والحدود، وهي غزو العقول، وتكثيف المنطق، وتوجيه الجمال، وصنع الأذواق، وقولبة السلوك، وترسيخ قيم عالمية جديدة، وهي التي تنقلنا من القبيلة الضيقة إلى القبيلة البشرية الكبرى، وتمنحنا الثقافة السريعة، وتجعل بمتناولنا المعارض السريعة، والفن، والرسم، والموسيقى، وهي الملاذ الوحيد الواسع لديمقراطية المعرفة في الأمكنة والأزمنة كلها ومن دون أية قيود."²

اللازمان:

إن السرعة الكبيرة التي يتم بها نقل المعلومات عبر الشبكة تسقط عامل الزمن من الحسابات، وتجعل المعلومة في أيدينا حال صدورها، وتسوي بيننا وبين كل أبناء البشر في حق الحصول على المعلومة في نفس الوقت، وبالتالي فإننا نعيش في عصر "المساواة المعلوماتية". إن فرص التعلم متوفرة في أي مكان و زمان، "فالتعلم عبر الشبكة العالمية يوفر بيئة تعليمية غير مقتصرة على غرف الصف أو على زمن معين. إن التحرر من الوقت و المكان يحفز العلاقات مع الآخرين من أجل التغذية الراجعة و اخذ المعلومات من مصادر مختلفة و تكوين قدرات ذاتية"³. كما يمكن للمعلم وضع المادة العلمية على الشبكة و يستطيع الطلاب الحصول على هذه المادة في أي مكان و زمان"⁴.

التفاعلية:

¹ الخوري، نسيم، الإعلام العربي و اختيار السلطات اللغوية، ط1، بيروت، 2005م، ص 432.

² www.isoc.org.

³ الدجاني، دعاء جبر، الصعوبات التي تعيق استخدام الانترنت. www.Najah.edu/Arabic.

⁴ عبد الله بن عبد العزيز، الموسى، التعليم الإلكتروني مفهومه و خصائصه، فوائده و عوائقه، 1422هـ، ص169.

تعودت وسائل الإعلام التقليدية أن تتعامل مع الفرد كجهة مستقبلية فقط، ينحصر دوره في أن يأخذ ما يعطونه ويفقد ما لا يعطونه، ولذلك فهم الذين يقررون ما يقرأ أو يسمع أو يشاهد. أما في عصر الإنترنت فالإنسان وحده الذي يقرر ماذا ومتى يريد أن يحصل عليه من معلومات. وأكثر من ذلك، فيمكنه الآن من خلال منتديات التفاعل والحوار أن ينتقل من دور المستقبل إلى دور المرسل أو الناشر، وهذه نقلة تحصل لأول مرة وتمكن الناس من التحرك على أرض مستوية دون أن يطغى صوت أحدهم على الآخر.

لقد غيرت الإنترنت العادات التي درج عليها أهل الصحافة في كتابة أخبارهم، كما غيرت عادات القراء في التعامل أو التفاعل مع تلك الأخبار، " إذ يتلاقى الكاتب والقارئ في فضاء صناعة الكتابة، ويتم تبادل السلطات بينهما، فيتعامل المتلقي مع الوسيلة وكأنها وسيلته الخاصة، تمنحه سلطات جديدة، يستطيع أن يمارسها عن طريق اشتراكه بالتحريك، فيصبح فاعلا ومنفعلا، ومرسلا جديدا يقلق المرسل الأساسي، ويكمله أو يدحضه"¹.

إن العالم، ليشهد سلسلة من التحوّلات، تولّد معتقدات وقيما وسلوكا جديدا على المستويين الفردي والجماعي، وإنه ليصح القول إن حواجز تاريخية تنهار بين المجتمعات، وكأننا على أبواب السلوك الفردي العالمي الذي يقرب كثيرا من سلوك الجماعة العالمي في تكوين المعرفة².

المجانية:

أو بصورة أدق شبه المجانية وهو أمر لم يحصل تماما بعد، لكنه سيحصل خلال السنوات القادمة، حيث أن الكثير من الأنماط التجارية بدأت تتبلور لتمكن المجتمع من اعتبار خدمة الإنترنت من الخدمات الأساسية في الحياة والتي سيتم توفيرها للجميع بشكل مجاني أو شبه مجاني،

¹ الخوري، نسيم الإعلام العربي واختيار السلطات اللغوية ص436.

² المرجع نفسه ص69.

ومعروف اليوم في الغرب أنه بإمكانك أن تتصل بالإنترنت 24 ساعة يوميا مقابل مبلغ 20 دولار شهريا، والذي يعد مبلغا رمزيا حتى بالنسبة للطبقة المتوسطة في كثير من المجتمعات.

إن البحث عن المعلومات داخل الشبكة المعلوماتية يوفر جوا من المتعة أكثر من طرق البحث من خلال الكتب، ففيها أصوات و صور متحركة و أنماط مختلفة من العروض، كما أنها توفر خيارات تعليمية متعددة للمعلم و المتعلم معا لما تحتوي عليه من تنوع في المعلومات والإمكانات بحيث تكون هذه المعلومات حديثة ومتجددة باستمرار. "إن الشبكة العالمية للمعلومات واندماج نظم الوسائط المتعددة فيها مثل النص المكتوب، و النظم الصوتية، و النظم المرئية و النظم المحوسبة، مع إمكانية وصول أي طالب أو معلم أينما كان في العالم و في أي وقت إلى هذه الشبكة فإنها توفر إمكانات متعددة للاستفادة منها"¹.

الربط الدائم:

مع تطور التقنيات التي تمكنك من الاتصال بالإنترنت، لم تعد بالضرورة تقتصر على استخدامها من حاسبك الشخصي في العمل أو المنزل، بل أصبح بإمكانك أن تتصل بالشبكة من طائفة كبيرة ومتنوعة من الأدوات كحاسبات الجيب والهواتف النقالة. وبذلك، ستكون على ارتباط دائم بالإنترنت في كل مكان وزمان، تتابع الأخبار وتتسوق وتستدعي المعلومات المهمة في الوقت المناسب.

التغير المعلوماتي:

ان تدفق و تزايد المعلومات ادى إلى كثافة وسرعة تبادل المعلومات والمعرفة، وتدني تكاليفها، وتنامي علم التحكم الإلكتروني وبرمجياته وارتباطه بتقنية الاتصال الحديثة وإمكاناتها غير المحدودة

¹ عباس بشار، ثورة المعرفة و التكنولوجيا، دار الفكر، دمشق سنة 2001، ص 105.

"شبكة الإنترنت" ، الأمر الذي عزز من عملية الاتصال وجعلها أكثر تفاعلية ، كما جعل الاقتراب من العالمية خاصية كبيرة وممكنة لكل شيء ، "كما أن تطبيقاتها أحدثت تغييراً عميقاً في مفاهيم الإنسان وأساليب حياته وأعماله وطموحاته وفي كل جوانب الحياة اليومية"¹

التغير الثقافي:

ويشير إلى نشوء شبكات اتصال عالمية تربط فعلاً جميع البلدان والمجتمعات من خلال تزايد التدفقات الرمزية والصور والمعلوماتية عبر الحدود القومية وبسرعة إلى درجة أصبحنا نعيش في قرية كونية ، وليصبح النظام السمعي البصري المصدر الأقوى لإنتاج وصناعة القيم والرموز الثقافية، ومن ثم الاندماج العالمي الأعمق، بإخضاع المجتمعات لتاريخية ومكانية واحدة ثقافياً واجتماعياً وسياسياً² ، مما يفرز عبر المجتمعات والحدود حالات توتر وصور شد وجذب بين القوى المؤدية للتجانس الثقافي وبين عمليات التنوع أو اللاتجانس الثقافي ، وبشكل عام، هناك أربعة أطروحات مختلفة للعولمة الثقافية، وهي على النحو الآتي

1. ذوبان الهويات الثقافية في ثقافة كونية واحدة، متحرر من انتماءاته اللغوية والقومية والثقافية.
2. بقاء الخصوصية الثقافية وتعددتها، والتي تعني وجود ثقافات تتفاعل لمزيد من التشبث بالهوية.
3. أنتشار "الأمركة" على نطاق العالم، لأنها الدولة التي تميل نحو إيجاد تجانس العالم معها .

¹ بيتي وسويت: باسكال ولوك، العولمة تبحث عن مستقبل، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، العدد 160، 1999م، ص43
² النقيب : خلدون حسن، الآفاق المستقبلية للفكر الاجتماعي العربي، مجلة عالم الفكر، العدد 3، المجلد 30، 2002م، ص18.

4. بروز ثقافة التقنية الحيوية "الجينات"، والتي ستغير نمط حياتنا ووجودنا البشري تغيراً جذرياً¹.

5. كما أن تسارع تدفق المعرفة أدى إلى الوفرة وفقدان الاتجاه في البيئة التعليمية معاً، لأن المرء مضطر اليوم ليعترف بأن المواضيع والنظريات ليست نتاجاً آلياً لظروفها الموضوعية، وأن الرابطة بين أحداث منفصلة مكانياً ووقتياً غالباً ما يصعب تفسيرها منهجياً، "إضافة إلى تعقد طرق تحديد المشكلات وإجراءات التنفيذ والحلول، والتي تثير الحيرة وتكشف الخلل في المنهج العلمي التقليدي، وتستلزم معايير جديدة لتأكيد النوعية والصدق والحقيقة والتقبل المعرفي والتقييم"².

تنوع التطبيقات:

إن استخدامات وفوائد الإنترنت كثيرة، إذ أن التطبيقات والخدمات التي تقدمها الشبكة تبلغ سعتها سعة الحياة. فمن التطبيقات التعليمية والتربوية التي تخدم أطفالنا في تعلمهم واستكشافهم للعالم، إلى الخدمات التي تسهل الاتصال كالبريد الإلكتروني وغرف الحوار، إلى التطبيقات التجارية التي تحول العالم بأسره إلى سوق صغيرة يستطيع فيها البائع والمشتري إتمام صفقاتهم في لحظات، إلى المواقع الإخبارية والمعلوماتية والأكاديمية والمرجعية التي تخدم الباحثين والمطلعين في شتى المجالات.

فإذا كان الجميع يسارع نحو التحول إلى الرقمية في كافة مجالات الحياة، مع القدرة التي تتمتع بها لغتنا العربية في التهيؤ للتجاوب مع تحولات العصور، فلا يحق لنا أن نتخلف عن الركب. فقد صار من الضروري استخدام التقنيات الحديثة حتى يتسنى لنا التواصل مع الآخر والاطلاع على كل

¹ أبو حلاوة: كريم، الآثار الثقافية للعولمة وحظوظ الخصوصية الثقافية في بناء عولمة بديلة، مجلة عالم الفكر، العدد 3، المجلد 29، يناير 2001م، ص176

² جالوبين وآخرون: جيلبرتو وسيلفو فونتويكر ومارتن أوكونور وجيرى رافيتس، العلم من أجل القرن الحادي والعشرين من العقد الاجتماعي إلى الطفرة العلمية، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، العدد 168، جويلية 2001م، ص65.

جديد في حينه، وخصوصا إذا عرفنا أن الافتقار إلى سبل الاتصال الصحيحة والمتطورة للمعلومات سبب في تخلف كثير من المجتمعات، وأن طريق المعلومات السريع إلى جانب اختزاله للوقت، فإنه يوسّع من نطاق الالتقاء الفكري والثقافي بين باحثي الدنيا بأثرها، إذ يستطيع الباحث الرجوع إلى أحدث المصادر في أي مكان في العالم وفي أي وقت شاء، وربما مكنه هذا الطريق من التواصل المباشر مع المؤلف، وبنظرة إلى مصادر البحوث الحديثة ومراجعتها يتبين التواصل المعرفي الذي تجاوز كل الحدود الإقليمية. " وشبكة المعلومات الدولية]، عُرفت بأنها صانعة الثورات، فمنذ ظهورها لم تتوقف عن تصدير طابعها الثوري إلى مجالات الحياة المختلفة، وهي في سبيلٍ إلى تغيير نمط الحياة بشكل جذري.¹

السهولة:

إن التقدم العلمي، وتوسع مجال الرؤية واختلاف موقعها، له قدرة على تطوير المنهج والرقي بالعقل؛ مما يتطلب إعادة التنسيق من أجل التلاؤم مع هذه التغيرات، كما أن هذا الوسيط الإلكتروني الطبع سيجعلنا أكثر قدرة على التعامل مع الواقع، والتخلص من التفكير القاطع اليقيني². لا تحتاج أن تكون خبيرا معلوماتيا أو مهندسا أو مبرمجا حتى تستخدم الإنترنت. فبإمكان الطفل ذات الثلاث سنوات، والشيخ ذي السبعين عاما أن يستخدموا الإنترنت بغاية السهولة واليسر. ولا يحتاج رواد الشبكة إلى تدريبات معقدة للبدء باستخدامها، بل إلى مجرد مقدمة في جلسة لمدة ساعة مع صديق يوضح له المبادئ الأولية للاستخدام.

¹ أحمد الشريبي، الإنترنت شبكة شبكات المعلومات، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2009، ص1.

² عز الدين المناصرة، شرعية النص العنكبوتي، مصر: مجلة فصول، العدد 79 شتاء - ربيع 2011، ص106.

تأثير الانترنت على اللغة:

في إطار خطاب العولمة و ما تبعه من خطابات التنوع الثقافي و التحول العالمي و حوار الثقافات و صراع الحضارات و ما شابه ، كثر الحديث عن اللغة خاصة بعد أن أبرزت الانترنت بصورة غير مسبوقه أهميتها السياسية و الثقافية و الاقتصادية .

الحديث عن اللغة في عصر المعلومات تسوده الحيرة و التساؤل و توالي ظهور المصطلحات التي تعكس مدى القلق على مصير اللغة في هذا العصر ، من قبيل الهوة اللغوية و الفاصل اللغوي . وانقراض اللغات و العنصرية اللغوية و التوحد اللغوي والتحالف اللغوي و الحروب اللغوية و الصراع اللغوي ، حتى أن البعض في تشاؤمه ليدرج اللغة ضمن قائمة موتى عصر المعلومات كضحية جديدة تضاف أي ضحاياه الأخرى ذات الصلة اللغوية ، و نقصد مقبرة اللغات ، وأنها افتك أسلحة التجنيس الثقافي¹ و من جهة أخرى، هناك ما يؤكد أن عصر المعلومات هو عصر ازدهار اللغات ، و كسر الحواجز اللغوية ، و يصف الانترنت بأنها بستان للغات يتمتع فيه الجميع بما يسمى بالتعددية اللغوية والتنوع الثقافي والاختلاف العقائدي، فالانترنت في رأي هؤلاء تختلف عن وسائل الإعلام التقليدية في قدرتها على خلق بيئة مواتية لأحياء اللغات وإثراء التواصل الثقافي بين الشعوب والجماعات .

لقد بات واضحا أن العالم يواجه على جبهة اللغة موقفا مصيريا ، إما إن يتمسك بتعدد لغاته، وما ينجم عن ذلك من صعوبة التواصل و إعاقه تبادل المعلومات و المعارف ، وإما أن تتوحد لغات العالم في لغة واحدة ، هي الانجليزية على الأرجح ، والتي بدون شك ستؤثر على التواصل اللغوي والثقافي للشعوب وخاصة الدول النامية. ذلك ان "تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بتغلغلها في كيان المجتمع، ونفاذها إلى قلب جماعته، واختراقها الحياة الخاصة لأفراده، لقادرة على التشكيل وإعادة البناء وإحداث نوع من التأثير ربما لا نتخيله. فالأدوات لم تبقى مجرد أدوات، ولم تقتصر وظيفتها على تلبية

¹ نبيل علي، الانترنت مقبرة اللغات ام بستانها، مجلة العربي، العدد 2001، 516ص22.

الحاجات، وإنما تعدت ذلك لتصبح عاملاً من العوامل التي تشكل السلوك والعادات.¹ مما يؤدي الى سيطرة لغة تكون لغة عالمية و هي بدون شك اللغة الانجليزية، لغة العولمة.

اللغة الإنجليزية في الحاضر

إن المكانة التي تتمتع بها اللغة الإنجليزية هذا اليوم ناجمة عن عاملين: الأول: التوسع في القوة الاستعمارية البريطانية التي بلغت أوجها مع نهاية القرن التاسع عشر وظهور الولايات المتحدة كقوة اقتصادية الأولى في القرن العشرين. والعامل الثاني هو الذي يفسر لنا سر بقاء اللغة الإنجليزية لغة عالمية في الوقت الحاضر. ففي الولايات المتحدة 70% من الناطقين باللغة الإنجليزية (كلغة أم). إضافة إلى الهيمنة الاقتصادية والسياسية التي تجعل الطريق الذي ستسير فيه اللغة الإنجليزية في المستقبل بيد الولايات المتحدة .

اللغة الإنجليزية في المستقبل

ويمكن تمثيل الوضع الحالي للغة الإنجليزية في العالم بثلاث دوائر متداخلة:

- الدائرة الداخلية تشير إلى الدول التي تستخدم فيها اللغة الإنجليزية كلغة أم مثل الولايات المتحدة وبريطانيا وكندا ونيوزيلاندا وأستراليا.

- الدائرة الخارجية وتشير إلى الدول التي تستخدم فيها اللغة الإنجليزية كلغة ثانية في بيئات متعددة اللغات مثل سنغافورة والهند وملاوي إضافة إلى خمسين دولة أخرى. واللغة الإنجليزية هنا هي لغة مؤسسات الدولة الرئيسة.

¹ أحمد عبد المعطي حجازي، موت المؤلف. موت الإنسان، (الإمارات: دبي الثقافية، العدد 69، فبراير، 2011، ص17.

-الدائرة المتسعة وتشمل دولا تعترف بأهمية اللغة الإنجليزية كلغة عالمية، على الرغم من أنها لم تكن محتلة من قبل دولة ناطقة باللغة الإنجليزية مثل روسيا والصين واليابان واليونان وبولندا. وعدد الدول في هذه الدائرة في ازدياد. حيث تدرس اللغة الإنجليزية في هذه الدول كلغة أجنبية. وما يدعو للانبهار ليس عدد المستخدمين للغة الإنجليزية، بقدر ما هو سرعة انتشارها من الخمسينات والستينات من القرن العشرين .

المشكلة اللغوية :

يواجه الكثير من دول العالم ، المتقدمة و المتخلفة على حد سواء ، مشكلة لغوية من نوع ما ، فبينما تعاني كندا من الآثار السياسية و الاقتصادية للثنائية اللغوية ، (الإنجليزية - الفرنسية) تسعى الولايات المتحدة بكل طاقتها لاحتواء اللغات الأقليات بها دون المساس بسياسة التوحد اللغوي التي ترسخت في كيان المجتمع الأمريكي ، أما روسيا ما بعد انهيار الاتحاد السوفييتي فتواجه مشكلة لغوية حادة في كيفية تحقيق المساواة اللغوية ما بين المائة و عشرين لغة التي تتكلمها الجماعات المدرجة في اتحادها الفدرالي ، في حين تبدي الدول الاسكندنافية اهتماما متزايدا بتعزيز موقف لغاتها القومية ضد الهجمة اللغوية الشرسة التي تتعرض لها من قبل لغة العولمة أي اللغة الإنجليزية ، أما بالنسبة للهند و لغاتها الثماني عشر و لهجاتها المتعددة ، فهي تعاني من مشكلة لغوية مزمنة تتمثل في عدة أبعاد سياسية و اقتصادية و عرقية و دينية .

" رغم حدة هذه المشاكل التي تواجهها هذه الدول فإنها لا تقارن بالتحديات الجسام التي تواجهها إفريقيا في كيفية الحفاظ على مخزونها اللغوي (1800 لغة) المهدد بالاندثار ، و لا جدال في أن أفريقيا و حدها تعجز عن القيام بهذه المهمة الحضارية ذات التكلفة الباهضة و المتعددة الجوانب فهي أي إفريقيا واقعة تحت ضغوط سياسية و اقتصادية قاسية و تعاني من ظروف بيئية ومعيشية يرثى لها، تجعل من وباء الايدز أمرا يفوق في خطورته اندثار التنوع اللغوي و التراث الثقافي ،

زيادة على ذلك فان كثيرا من شباب الدول الإفريقية عازفون عن تعلم لغتهم الأم و يفضلون عليها الانجليزية أو الفرنسية حرصا منهم على زيادة فرص العمل المتاحة لهم ، سواء داخل البلاد أو خارجها.¹

الانترنت و موت اللغات:

كادت التكنولوجيا الصناعية أن تودي بالتنوع البيولوجي بعد أن تسببت آثارها البيئية في انقراض أعداد هائلة من الكائنات الحية : حيوانات برية و بحرية و نباتات و طيور و حشرات . وينتاب قلق مشابه اغلب الناس حاليا من أن تكون التكنولوجيا بصفة عامة ، و الانترنت بصفة خاصة ستؤدي بالتنوع الثقافي ، لقد تفاقمت ظاهرة الانقراض اللغوي كوباء ثقافي يجتاح العالم بأسره، و من أهم أسبابه حاليا : " طغيان اللغة الإنجليزية على ساحة المعلوماتية سواء من حيث معدل إنتاج الوثائق الالكترونية و حجم تبادلها أو اللغة التي تتعامل معها البرمجيات و آلات البحث عبر الانترنت ناهيك عن المطبوعات المتعلقة بالجوانب المختلفة لتكنولوجيا المعلومات من أدلة تشغيل ومكانز ومعاجم و مسردات و مواصفات فنية و ثقافية علمية . و كتب مدرسية و غير مدرسية من مستوى الأطفال حتى أعلى مستويات التخصص الفني ، وها هي إحصاءات اليونسكو تصدمنا بحقائق مفرغة عن الوضع العالمي للغات البشرية ، فنصف لغات العالم (6000 لغة) مهددة بالانقراض و معدل انقراضها في تسارع متزايد ، حتى وصل هذا المعدل حاليا إلى انقراض لغة إنسانية كل أسبوعين ."²

و تعكس الانترنت صورة قائمة للتنوع اللغوي فمن ضمن الستة آلاف لغة (هناك 500 لغة فقط ممثلة على الشبكة ، معظمها ذو وجود ضعيف للغاية ، و هو وضع ينذر ب " هوة لغوية

¹ المرجع السابق ص24.

² نيبيل علي، الانترنت مقبرة اللغات أم بستانها، ص24.

linguistique dévide "تحت الصنع ، تفصل بين لغات دول العالم المتقدمة و لغات دول العالم النامي غير القادرة على مساندة لغاتها في المعركة اللغوية الطاحنة عبر الانترنت .

ان المحافظة على التنوع اللغوي ليست بدافع أخلاقي فقط ، بل أيضا لكون كل لغة من لغات العالم يمكن أن تسهم في عملية التقدم البشري ، فلكل منها أسلوبها الخاص في تكويد المعرفة ، وتسجيل الخبرات و توظيف اللغة في مسالك الحياة المختلفة و ممارسة فنون الإبداع اللغوي المتنوعة

و عليه: فمن الضروري أن ننظر إلى اللغات الإنسانية بصفتها أسرة متكافلة يكمل بعضها بعضا و تنمو من خلال عمليات الاقتراض و الانصهار و الترجمة و الدراسات المقارنة .

و من اخطر مظاهر طغيان اللغة الانجليزية على ساحة المعلوماتية هي تلك المتعلقة بالبرمجيات ، حيث يتم معظمها باللغة الانجليزية ، و غالبا ما يكون ذلك بهدف تلبية مطالب المتعاملين بهذه اللغة أصلا.

-الانترنت و عملية التعليم

أدى الاستخدام المتزايد للتكنولوجيا المعلوماتية وربطها بشبكات الاتصال المتفاعلة إلى تغير جذري في الممارسات التعليمية التعلّمية نفسها، ليس فقط في السرعة والمرونة والمدى الذي توفره، وإنما في الدرجة المتزايدة للسيطرة على عملية التعليم التي تقدمها للمعلمين والطلاب، فمن السيطرة المتناظرة إلى الرقمية، ومن المذاعة إلى المتفاعلة، ومن السيطرة الخارجية على العملية إلى السيطرة الذاتية التلقائية، وصولاً إلى درجة أكبر من الكثافة باستخدام الوسائط المتشعبة والمترابطة، حيث الاستخدام الشمولي للكمبيوتر في التعليم، والجمع بين أشكال مختلفة للبحث والاستقبال الإلكتروني، ومنتديات الخط المباشر، والمستخدمين المتعددين، وشبكة الإنترنت، وإنشاء مواقف افتراضية وعمليات لواقع افتراضي ، وتطبيقاتها المتمثلة في صفحة "الويب" ، والنص المتشعب، والكتاب أو المنهج الرقمي،

والمكتبة الإلكترونية، والتعليم الإلكتروني، والجامعة الافتراضية، وغيرها ، والتي تتضمن تنظم المادة المقدمة وأسلوب بنائها المعماري ، وتوسيع المحتوى التعليمي ، والعمل والتجريب والدراسة عن بعد"¹.

كما لا يقتصر استخدام المعلوماتية على المساعدة المباشرة في عملية التعليم فقط، بل تشمل التأثير على الأدوار التي يقوم بها المعلم ، حيث ستكون العلاقة بين المعلم و التلميذ أفقية، والتعليم عملية تفاعل جماعي المعلم عضو فيها ومسهل، والتلميذ نشطاً ومتفاعلاً، والجماعة مكان للاستشارة، ولم يعد دور المعلم الأساسي "توصيل المعرفة" بل موجه للتعلّم والتفكير ، من خلال تدريب الطالب على تعلم كيفية الحصول على المعلومات وتقييمها وتحويلها إلى معرفة مع الجماعة، وتركيز المعلم على تقويم العمليات التعلّمية والقدرة على البحث والتكيف والتعاون"².

كما يتميز استخدام المعلوماتية في العملية التعليمية بتوظيف المعرفة فعلياً لا مجرد نشرها، حيث الاستخدام الراقى والأمثل والتعاوني للمهارات والخيال والذكاء والاستدلال، أياً كان تنوعها الكيفي والمكاني بما يعرف بعمليات "الذكاء الجمعي"، إضافة إلى زيادة وتطوير هذه القدرات والمهارات وتجسيدها جزئياً وجعلها في متناول الجميع، وذلك فيما يتمثل في النظم الخبيرة ونظم المعرفة وبنيات المحاكاة ، والتي تجعل من الممكن أن نرى ونشارك في فضاءات معقدة حية وعوالم من المعاني، إضافة إلى المشاركة والتشجيع المتبادل للخصائص والفروق الفردية، والمشاركة في الموارد والمهارات، كما أنها تجعل الرسائل مرتبطة بالسياق ونابعة من التفاعل العام والاتصال والإحساس المتبادل ، مثلما كان الاتصال شفويّاً ، ومن ثم يقل التفسير والتأويل والاختلاف"³.

وبشكل عام، فإن استخدام تكنولوجيا المعلومات لا يقدم حلاً مستحيلاً لكل مشكلات التعليم، كما لا تضمن جودة التعلّم وحسن نوعيته، فقد تكون عاملاً

¹ ليفي بيير، التكنولوجيا الجديدة والذكاء الجمعي، مجلة مستقبلات، العدد 102، المجلد 27، يونيو 1997م، ص271.

² الزهراني: سعد عبد الله بردي ، موامة التعليم العالي السعودي لاحتياجات التنمية الوطنية من القوى العاملة وانعكاساتها الاقتصادية والاجتماعية والأمنية، مركز أبحاث مكافحة الجريمة ، وزارة الداخلية ، الرياض ، 1423هـ ، ص74 .

³ ليفي: بيير، التكنولوجيا الجديدة والذكاء الجمعي، مجلة مستقبلات، مرجع سابق، 271.

مساعداً على النجاح وقد تكون العكس، كما أن هناك عدداً من التحفظات على تزايد استخدام المعلوماتية في التعليم، وهي الآتي :

- _الخوف أن تحل التكنولوجيا محل المعلمين ، بينما هي جزءاً أساسياً من عملهم .
- _الخوف أن تفرض العزلة على أطراف العملية التعليمية بدلاً من ربطهم بالمدرسة وبما يجري فيها
- _القلق من أن المؤسسة التعليمية والكلمة المنطوقة لم تعد الأداة الوحيدة لتلقي وتوصيل المعرفة .
- _الخوف على الحرية الأكاديمية ، حيث خطر الاتهام بالقذف أو الاعتداء على الحقوق الفكرية .
- _الخوف أن مشاعية المعرفة عبر الإنترنت ورؤية النماذج الجاهزة والاشتراك في حلقات النقاش، قد تؤدي إلى وقوع أضرار بالغة بترتيب المفاهيم ونظم القيم لدى الأفراد غير الناضجين .
- _الخوف أنها غير فعالة في التربية الروحية والأخلاقية، ولا توفر ما توفره الطرق القديمة التي تدمج بين التربية والمعرفة وبين المنهج المكتوب والمستتر، وتؤمن نوعاً من التواصل بين الأجيال "1.

والتحدي في إعادة دور المعلم والمتعلم يتمثل في مراعاة التحولات المعلوماتية عندما نضع برامج تعليمية أو تدريبية أو مداخل تدريسية ، ولذا تتساءل العديد من الدراسات ، عن كيفية تعامل النظام التعليمي مع هذا السيل المتدفق من المعلومات ؟، وهل ستحقق الشبكات الحاجات التعليمية ؟، وما نتائج حرية وصول الطلاب والمعلمين إلى شبكات المعلومات ؟، وكيف ستتغير مهمة المعلمين باستخدام تكنولوجيا أكثر كفاءة وفاعلية؟، وما تجارب التعليم الجديدة عندما تغدو تفاعلية بحق ؟، وهل ستكون مجرد وسيلة لمساندة التعليم أم ستؤدي إلى ظهور أساليب وممارسات جديدة في بيئات التعليم؟، وعن كيفية تعلّم الاختيار والتمييز بين المعلومات وكيفية "تعليم التعلّم"2.

وفي ضوء المتغيرات المعلوماتية، فإن تكوين المعلم يجب أن يركز على إعداد "المعلم الرقمي"، وهو المعلم المتمكن من مهارات استخدام الحاسب الآلي والإنترنت ومهارات الاتصال والتواصل عبرها شفهيّاً وكتابياً بلغة راقية ومفردات ثرية، والذي يستطيع التدريس باستخدام تكنولوجيا التعليم، ولديه

¹ كارتون وطويل: مايكل وصبحي ، العولمة الاقتصادية والسياسات التعليمية، مجلة مستقبلات، العدد 27، 1997م، ص24.

² برونر، خوسية جواكين، العولمة والتعليم والثورة التكنولوجية، مجلة مستقبلات، العدد 118، يونية 2001م ص167.

القدرة على تحويل المحتوى التعليمي إلى نشاطات تعليمية ، وعلى التدريس بطريقة المشروع ويعتمد على ورش العمل والمختبرات والدوائر المغلقة والحقائب التعليمية والأفلام والأشرطة المرئية كوسائل تعليمية ، والقادر على تدريب وتهيئة التلاميذ على التعامل مع عالم المعلومات والبيانات والاتصالات السريعة عن طريق الحاسب الآلي والإنترنت وسائر وسائل وتقنيات تحليل المعلومات ومعالجتها، وربط المعلومات السابقة بالجديدة وتوظيفها جميعاً في الحياة العملية¹ .

و جميع هذه المتغيرات تؤثر على نمو الطفل العقلي و على لغته.

-تأثير العولمة على لغة الطفل

فإذا كانت مسببات طبيعية لضعف الحصيلة اللغوية، كعزلة الطفل الاجتماعية و الشعور بالنقص والعجز عن الفهم والاستيعاب وضعف الإبداع فكيف يكون الحال إذا كانت اللغة مستهدفة، وأتباعها مستهدفون بصورة أولية ومباشرة من خلال تأثيرات العولمة وأدواتها المتعددة على اللغة، وذلك مشاهد من خلال التالي²:

1- غلبة ثقافة الصورة على ثقافة الكلمة

إن الإحصاءات الدولية عن الإعلام و سرعة انتشاره في العالم تبين كيف أصبح الإعلام والاتصالات في الكرة الأرضية كالجهاز العصبي الذي يشد أجزاء الجسم برباط واحد، فما بين عامي (1950-1975)، أصبحت النسب المثوية للزيادة في وسائل الإعلام على النحو التالي³:

¹الحوات ، علي الهادي، التربية العربية رؤية لمجتمع القرن الحادي والعشرين، منشورات اللجنة الوطنية الليبية، دار الكتب الوطنية، بنغازي ، ليبيا ، 2004م ، ص126-129.

²بتاريخ العربي، مجلة :القاهرة العربي، الطفل لغة على وتأثيرها العولمة الحروف، تنهشم عندما العسكري، إبراهيم سليمان²

: [www.adabatfal.com]./1426/9هـ . نقلا عن الموقع18

³ عبد العزيز شرف، المدخل إلى وسائل الإعلام، بيروت :دار الكتاب اللبناني، ط2، 1989، ص320.

-الصحافة عدد النسخ من الجرائد اليومية م يفوق 77%.

-الراديو و عدد أجهزة الاستقبال أكثر من 417%.

-التلفزيون ،عدد أجهزة الاستقبال 3235%.

-عدد الكتب الصادرة سنويا أكثر من 111%.

فإذا كنا أمام هذه الثورة المعلوماتية فكيف نستطيع أن نضبط هذا الكم الهائل من هذه الوسائل، خصوصًا في ظل حالات الحداثة والابتكار في الآلات والأدوات الإعلامية مقابل الرتابة والتقليد في التعليم والتوجيه، يكفي أن نذكر دراسة أجرتها اليونسكو حول معدلات التعرض للتلفزيون لدى الأطفال والصبية، تبين منها أن الطالب قبل أن يبلغ الثامنة عشرة من عمره يقضي أمام التلفزيون اثنتين وسبعين (72) ألف ساعة، في حين أنه في هذه المرحلة من العمر يقضي أربعة عشر (14) ألف ساعة في قاعات الدرس¹.

وهذه النسبة قد تكون متقدمة نوعا ما، في ظل حالات الهوس الإعلامي والكبت الذي يعيشه عالمنا العربي والإسلامي، فالطفل يمارس عليه التوجيه الفتاك من خلال التلفزيون بطرق متعددة ومثيرة، في حين يكون الأمر باهتًا في ظل التعليم والتربية والتوجيه اللغوي.

وقراءة أخرى توضح مدى التوغل الإعلامي في حياة أطفالنا، فحسب الإحصائيات الأمريكية حول مشاهدة التلفزيون، يمكن قراءة نقاط هامة منها:

الإسلامية، والشؤون الأوقاف ووزارة: قطر) العصرية، والمعطيات الثابت بين الإعلامي العمل إشكاليات الحلیم، عبد الدين محي¹

| الرقم | الموضوع |
|-------|---|
| 1 | 250 بليون ساعة مشاهدة في السنة تبلغ قيمتها بمتوسط 5 دولارات للساعة فسيبلغ قيمتها 1، . 25 |
| | تريليون دولار في السنة. |
| 2. | عدد الدراسات التي تناولت تأثير التلفزيون على الأطفال حوالي 4000 دراسة. |
| 3. | عدد الدقائق التي يقضيها الآباء أسبوعيا في مناقشة ذات معنى مع أطفالهم هي 3 دقائق. |
| 4. | عدد الدقائق التي يقضيها الأطفال أسبوعيا في محادثة ألعابهم من الحيوانات المحشوة 186 دقيقة. |
| 5. | عدد الدقائق التي يقضيها الأطفال - في المتوسط - أسبوعيا في مشاهدة التلفزيون 168 دقيقة. |
| 6. | متوسط عدد الدقائق التي تستخدم فيها الحضانة في التلفزيون يوميا هو 70 دقيقة. |
| 7. | نسبة الآباء والأمهات القادرين على تقييد مشاهدة أطفالهم للتلفزيون هي 43 % |

| |
|---|
| 8 - نسبة الأطفال أعمارهم بين 4 -6 سنوات الذين سئلوا للاختيار بين مشاهدة التلفزيون أو قضاء الوقت مع الأب، بلغت نسبة الذين اختاروا التلفزيون 54 % |
| 9_ متوسط عدد الساعات التي يقضيها الشاب الأمريكي سنويا في مشاهدة التلفزيون هي 1500 ساعة. |
| 10_ عدد مشاهد القتل التي يشاهدها الأطفال في التلفزيون عند انتهائهم من المدرسة الابتدائية تبلغ 8000 مشهد قتل. |

وهي أرقام مذهلة في بقعة مثل الولايات المتحدة الأمريكية مصدرة ثقافة العولمة، إلا أنها تشكل تهديدا خطيرا لواقع الطفل وسلامة لغته وثقافته في مجتمعاتنا العربية والإسلامية¹.

وإذا أردنا أن نوجه القنوات الفضائية نحو تعزيز اللغة وتمكينها من هذا الجيل، فإننا نتبع المنهج التقليدي في التلقين والتوجيه، - وللأسف الشديد، فهذا أحد الأسباب الرئيسية لعزل اللغة الأم في التلفاز أو المرئيات بصورة عامة - وأحسب أن من البرامج اللغوية الناجحة للأطفال كان برنامج عندما تحصلت الإرادة وحب الإبداع معًا، Sesame Street افتح يا سمسم لكن عموما، فإن الطفل يواجه أزمة إدمان وتعاطي لجهاز التلفاز أكثر من رؤيته لوالديه أو مدرسته، هذا فضلا عن تفرغه للقراءة أو المطالعة أو التحصيل العلمي.

¹ مجموعة من الباحثين، قضايا الطفل من منظور إسلامي، الرباط: منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو،

المبحث الأول: اللغة كأداة اتصال ووظيفتها في المجتمع

- ✓ مفهوم اللغة اتصاليا.
- ✓ وظائف اللغة.
- ✓ مفهوم الاتصال.
- ✓ المدخل للاتصال.

المبحث الثاني: تعليم وتقييم اللغة الانجليزية.

- ✓ دراسة تحصيل و تقييم تعلم اللغة الانجليزية في الطور المتوسط.
- ✓ تقييم و دراسة: الصعوبات التربوية في تدريس اللغة الانجليزية.
- ✓ تعلم اللغة الانجليزية في المتوسط دراسة ميدانية.
- ✓ معايير اختيار الوسيلة التعليمية في عملية التدريس.
- ✓ تقييم محتوى كتاب اللغة الانجليزية للطور المتوسط.

المبحث الأول: اللغة كأداة اتصال ووظيفتها في المجتمع

- ✓ مفهوم اللغة اتصاليا.
- ✓ وظائف اللغة.
- ✓ مفهوم الاتصال.
- ✓ المدخل للاتصال.

مفهوم اللغة اتصاليا:

تعّد اللغة القناة الرئيسة لعمليات الاتصال بين الأفراد، والجماعات، ولاشك أنها تتكوّن من عنصرين رئيسين هما:

أولاً: عنصر الصوت، وهو مرتبط بالنطق والسمع، ويؤثر على الأذن.

ثانياً: عنصر المعنى، وهو مرتبط بإدراك المعاني، ويؤثر على الفعل.

ومع أن الإنسان يستطيع قراءة الكتابة المتشابهة لكتابه، إلا أنه لا يستطيع إدراك مدلولاتها. فعند سماع أية لغة غير لغته، يسمع الأصوات لكنه لا يدرك معانيها. وعليه فمعرفة اللغة مرتبط بإدراك معانيها للإنسان العادي، وفك رموز كتابتها عند القارئ.

" فاللغة المسموعة أو المكتوبة هي المصدر الأساس لجميع عمليات الاتصال، في حياة الأفراد، والجماعات. وإن قدرة الإنسان على استخدامها بيسر وسهولة ومهارة يعطيه الكفاءة، في إجراء دور المرسل الجيد في عمليات الاتصال مهما اختلفت أهدافها وأغراضها¹."

و نظراً لأهمية وظيفة اللغة خاصة من الجانب الاتصالي، كان تأليف و تصميم كتب تعليم اللغات يختلف باختلاف نظرة مؤلفيها للغة، وتصورهم لوظائفها. وعند الحديث عن الأسس اللغوية في تصميم المناهج التربوية، أو إعداد المواد التعليمية، أو تأليف الكتب يقف تعريف اللغة في مكانة خاصة. إذ أن هذا التعريف موجه للمختصين في حقل التربية و التعليم و المشرفين على إنشاء المناهج والمواد التعليمية، سواء في اختيار المادة المراد تدريسها، أو المهارات و الكفايات المطلوب تنميتها، أو الطريقة التي تتم بها عملية التعليم و التعلم.

¹ الكلوب، بشير عبد الرحيم، التكنولوجيا في عملية التعلم والتعليم، عمان/الأردن - ط2- 1993- الباب الثاني- ص 48-

وإذا كان هذا يصدق على مداخل تعليم اللغات بشكل عام، فهو أصدق عند الحديث عن تعليم اللغة اتصالياً، ولعل السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو : ما موقع عملية الاتصال من المفاهيم والتعريفات الخاصة باللغة ؟ إلى أي مدى يدرك أصحاب هذه التعريفات الجانب الاتصالي ؟ ثم ما موقع الوظيفة الاتصالية من الوظائف المختلفة للغة ؟

نستعرض أولاً لبعض التعريفات الشائعة للغة سواء في الثقافة العربية أو الغربية موضحين موقع عملية الاتصال منها.

1. تعريف ابن جني: باب القول على اللغة وما هيئتها : " أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم. ويعلق الدكتور محمود فهمي حجازي على هذا قائلاً هذا تعريف دقيق، يذكر كثيراً من الجوانب المميزة للغة. أكد ابن جني أولاً الطبيعة الصوتية للغة، كما ذكر وظيفتها الاجتماعية في التعبير ونقل الفكر، وذكر أيضاً أنها تستخدم في مجتمع فلكل قوم لغتهم. ويقول الباحثون المحدثون بتعريفات مختلفة للغة، وتؤكد كل هذه التعريفات الحديثة الطبيعة الصوتية للغة، والوظيفة الاجتماعية للغة، وتنوع

¹
البيئة اللغوية من مجتمع إنساني لآخر.

2. تعريف ساپير : يقول إدوارد ساپير : E. Sapir 1921

non-instinctive method of communicating Language is purely human and"

"² .means of voluntarily produced symbol by emotions and desires,ideas

¹ محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية، الكويت، وكالة المطبوعات، 1973، ص9-10.

² Cambridge Encyclopedia of Language، Crystal، D. : The، Cambridge language ، Cambridge University Press، 1989.P396.

وفي هذا التعريف نص صريح على الاتصال بوصفه الهدف الذي يتوخاه المرء من استخدام اللغة، فاللغة عند سايبير إنسانية خالصة، وليست غريزية، تستهدف توصيل الأفكار والمشاعر والرغبات من خلال نظام من الرموز يختاره المجتمع. فاللغة اجتماعية بمعنى أنها تتكئ على قواعد و استعمالات يوافق عليها الأفراد الذين يستعملون الرموز اللسانية ، و يقال أن الكلام اجتماعي بمعنى أن الفهم عند الأفراد الذين يتصل بعضهم ببعض الآخر هو التوافق فيما بينهم ليتطابق فهمهم.

3. تعريف تراجر : يقول تراجر : G.Trager 1949

of which the Language is a system of arbitrary vocal symbols by means
.¹ culture members of a society interact in terms of their

اللغة هنا نظام من الرموز المتعارف عليها، وهي رموز صوتية، يتفاعل بواسطتها أفراد مجتمع ما في ضوء الأشكال الثقافية الكلية عندهم.

والتفاعل هنا هو الهدف، فالتفاعل كما نعلم درجة أعلى من الاتصال. فإذا كان الاتصال مجرد نقل فكرة من طرف إلى آخر، فإن التفاعل يعني المشاركة الوجدانية، يعني درجة أكبر من الاتصال ويتعدى حدوده. إن احد الأسس للتماسك في المجتمع وجود ثقافة مشتركة و جملة رموز و شعارات مشتركة و يعني " المشترك " أن الرموز و العناصر في الثقافة تعطي المعنى نفسه و النوع نفسه من الانفعالات عند الشعب مهما كان موقع الأشخاص في المجتمع ، كذلك فان الثقافة المشتركة و جملة الرموز تصل بينها عدة قنوات من الاتصالات فيما بين مختلف أنحاء المناطق ، و يذهب ونديش " إلى أن اللغة تنبني بالاجتماعي ببساطة ، و إذا كانت مبنية دائما بالاجتماعي فإنها بدورها بانية ، تفعل

¹ Ibid. p396

فعلها في الواقع الاجتماعي نفسه الذي يحددها فالكلام و الاجتماعي يشكلان واقعا واحدا ولا

1

ينفصلان".

4. تعريف تشو مسكي : يقول تشو مسكي N.Chomsky 1957

each finite in length and ,sentences Language is a set (finite or infinite) of

.² elements constructed out of a finite set of

وتشومسكي كما هو معروف صاحب النظرية التوليدية التحويلية في النحو، واللغة في رأيه هنا

فئة، أو مجموعة من الجمل المحدودة، أو غير المحدودة، ويمكن بناؤها من مجموعة محددة من العناصر.

هذه العناصر المحدودة، يذكر تشومسكي أنها تساعد على الإبداع غير المحدود بواسطتها، فإذا

كانت الأنماط اللغوية يمكن حصرها مثل : (فعل + فاعل + مفعول به) فالجمل التي يمكن أن توضع

في هذه الأنماط لا يمكن حصرها، إنها لا محدودة.

ولئن كان مصطلح الاتصال قد غاب عن هذا التعريف، إلا أن نظرية تشو مسكي الكاملة

كانت الأساس الكبير للمدخل الاتصالي. وكما تذكر الأدبيات فإن مصطلح الكفاية الاتصالية صاغه

هيمز Hymes ليقابل به مفهوم الكفاية عند تشو مسكي.

¹ Windisch Uli ,pensee' sociale.langage en usage et logiques autres- l'age d'homme 1982 p 20-61.

² Crystal P 396.

5. تعريف هول : R. A. Hall 1964

humans communicate and interact with Language is the institution where by oral-arbitrary symbols¹, each other by means of habitually used

وفي هذا التعريف تأكيد ليس فقط لمفهوم الاتصال، بل للتفاعل أيضا بين الأفراد. اللغة هنا مؤسسة يقوم الأفراد من خلالها بتحقيق الاتصال، والتفاعل بينهم، ولها مع ذلك طبيعة صوتية، كما أنها نظام متفق عليه. يذهب قوز برتالانفي إلى "أن ما يميز الإنسان عن سائر المخلوقات قدرته على خلق الرموز و التعامل معها مقتبسا فكرته عن الفيلسوف كاسيرر و اللغة رموز ولدت و ترعرعت في مجتمعات إنسانية عبر بها الإنسان كالما استعاض به عن كتلة الأشياء و حركة الأفعال و التفاعلات و نوع العلاقات و أوجه العضوية (Organisation) و التصنيف و حرارة العواطف و وجهة المواقف و كل ما يمت للإنسان في علاقته مع الذات و الآخرين و الثقافة و الكون ، و يتميز الإنسان أيضا بأنه إلى جانب بعده التاريخي الناسج للثقافة و الحضارة ، كائن معياري يتعامل مع قيم الأشياء لا مع أشياء صحيح أن الحيوان لديه معيارية تحدد حاجاته الفيزيولوجية إجمالا ، لكن معيارية الإنسان لا تتحدد بحاجاته العضوية فحسب و إنما تأخذ أهميتها من السلم المعياري الاجتماعي أي من سلم القيم في الثقافة الاجتماعية التي يتدمج الشخص معها اجتماعيا عبر نموه ، و شخصية الإنسان نسق

2

من التدمج تاريخية الشخصية التي تنسج فرادة الشخص و تمايزه إلى جانب انتماءه و اجتماعيته."

¹ Ibid P396.

² نزار الزين، تعريب التعليم و تعلم اللغات الأجنبية، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر، بيروت، سنة 1998، ص 170-171.

6. تعريف وبستر : يعرف قاموس وبستر Webster اللغة بأنها :

or feelings by the use ،communicating ideas Language is a systematic means of
or marks having understood ،gestures ، sounds،of conventionalized signs
meanings¹.

وفي هذا التعريف نص على عملية الاتصال، ونقل الأفكار والمشاعر عن طريق إشارات وأصوات
وملامح وعلامات يفهم معناها.

7. تعريف فينوكيرو : تقول ماري فينوكيرو Finocchiaro 1974

symbols which permits all people in a Language is a system of arbitrary vocal
to ،learned the system of that culture or other people who have،given culture
communicate or to interact².

وفي هذا التعريف تتضح للغة وظيفتان هما الاتصال والتفاعل ليس فقط بين متحدثي هذه اللغة
في إطار ثقافتهم، بل أيضا بين هؤلاء المتحدثين باللغة، وبين الآخرين ممن يتعلمون هذه اللغة.
الإجماع إذن يكاد يتفق على أن الاتصال، إن لم يكن الاتصال والتفاعل، هو الهدف الرئيسي
من استخدام اللغة.

¹ Crystal p 396.

² Finocchiaro، M. English as a Second Language from Theory to Practice، New York، SNC، Company، 1974، p 3.

وظائف اللغة:

والحديث عن موقع الاتصال في تعريف اللغة يدفعنا إلى الحديث عن وظائف اللغة، وبيان موقع الاتصال أيضا منها.

اللغة وسيلة الفرد لقضاء حاجاته، وتنفيذ مطالبه في المجتمع، وبها يناقش شؤونه ويستفسر، ويستوضح، وتنمو ثقافته، وتزداد خبراته نتيجة لتفاعله مع البيئة التي ينضوي تحتها. بواسطة اللغة يؤثر الفرد في الآخرين، ويستثير عواطفهم، كما يؤثر في عقولهم. أما فيما يتعلق بالمجتمع، فاللغة هي المستودع لتراثه، والرباط الذي يربط به أبناءه فيوحد كلمتهم، ويجمع بينهم فكراً، وهي الجسر الذي تعبر عليه الأجيال من الماضي إلى الحاضر والمستقبل. وأياً ما كانت تعريفات اللغة، فإن الوظيفة الاتصالية تقف في مقدمة الوظائف للغة. فعند فيجوتسكي " أن ثمة وظيفة اتصالية اجتماعية للغة حتى في الكلام المتمركز حول الذات، وأن الراشد يفكر في المجتمع والآخرين حتى ولو كان وحيداً. وعند جون ديوي أن اللغة ليست تعبيراً عن المشاعر والأفكار، وإنما هي بالدرجة الأولى وسيلة اتصال بين أفراد جماعة تُولف بينهم على صعيد واحد".¹

إن اللغة أداة ذات نظام شأنها في ذلك شأن أي أداة يتوسل بها الإنسان في حياته، فهي تشبه السيارة التي يمكن أن نقف على كيفية عملها بدراسة بنيتها الداخلية التي تحتوي على أنظمة الوقود والكهرباء والحركة، كما نقف على البيئة الداخلية للغة التي تشمل الأنظمة الصرفية والصوتية والنحوية، لقد اخترنا هذا التمثيل للغة لأنها كما يقول أحد الباحثين: "تفعل بالفكر ما تفعله العجلة بالأقدام والجسم، فهي التي تمكنه من الانتقال من موضوع لآخر بأسرع وأسهل طريقة من جهة،

¹ محمود احمد السيد ، المرجع في تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى ،مكة المكرمة، معهد اللغة العربية، جامعة أم القرى،

كما أن هذا التمثيل يتفق و مفهوم الأغراض أو الوظائف المختلفة التي تقوم بها اللغة في المجتمع من جهة أخرى¹.

والمواقف التي يحتاج الفرد إلى استعمال اللغة للاتصال فيها مواقف كثيرة، يجعلها "هاليداي Halliday" في سبع وظائف أساسية هي :

1. الوظيفة النفعية instumental function

ويقصد بها استخدام اللغة للحصول على الأشياء المادية مثل : الطعام، والشراب. ويلخصها هاليداي في عبارة "أنا أريد" I want.

2. الوظيفة التنظيمية : Regulatory function

ويقصد بها استخدام اللغة من أجل إصدار أوامر للآخرين، وتوجيه سلوكهم. ويلخصها هاليداي في عبارة "افعل كما أطلب منك" Do as I tell you

3. الوظيفة التفاعلية : Interactional function

ويقصد بها استخدام اللغة من أجل تبادل المشاعر، والأفكار بين الفرد والآخرين. ويلخصها هاليداي في عبارة "أنا وأنت" Me and you

4. الوظيفة الشخصية : Personal function

ويقصد بها استخدام اللغة من أجل أن يعبر الفرد عن مشاعره، وأفكاره. ويلخصها هاليداي في عبارة "إنني قادم" Here I come.

¹ مارشال ملكوهان، كيف تفهم رسالة الاتصال، ترجمة د. خليل صابات، طبعة النهضة العربية، 1975، ص 91

5. الوظيفة الاستكشافية : Heuristic function

ويقصد بها استخدام اللغة من أجل الاستفسار عن أسباب الظواهر، والرغبة في التعلم منها. ويلخصها هاليداي في عبارة "أخبرني عن السبب" "Tell me why".

6. الوظيفة التخيلية : Imaginative function

ويقصد بها استخدام اللغة من أجل التعبير عن تخيلات، وتصورات من إبداع الفرد، وإن لم تتطابق مع الواقع. ويلخصها هاليداي في عبارة "دعنا نتظاهر أو ندعي" "Let us Pretend".

7. الوظيفة البيانية : Representational function

ويقصد بها استخدام اللغة من أجل تمثل الأفكار والمعلومات، وتوصيلها للآخرين. ويلخصها هاليداي في عبارة "لدي شيء أريد إبلاغك به".
"I have got something to tell you."¹

8. وظيفة التلاعب باللغة : function Play

ويقصد بها اللعب باللغة، وبناء كلمات منها حتى ولو كانت بلا معنى، ومحاولة استغلال كل إمكانات النظام اللغوي. وتلخصها وليجا ريفرز في عبارة "Billy Pilly".

¹ رشدي أحمد طعيمة، تعليم العربية لغير الناطقين بها، مناهجه وأساليبه، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط،

9. الوظيفة الشعائرية : **Ritual function**

ويقصد بها استخدام اللغة لتحديد شخصية الجماعة، والتعبير عن السلوكيات فيها. ويلخصها

هاليداي في عبارة "كيف حالك" ¹How do you do?

الاتصال

أصبحت دراسة "الاتصال **Communication**" تمثل عنصراً أساسياً من عناصر البحث في العلوم الاجتماعية، ذلك أن الإنسان لا يمكن فهمه إلا بمعرفة الطرق التي يقوم عليها الاتصال لديه. و هي طرق تختلف باختلاف النشاط و باختلاف البيئات و المجتمعات. و لما كانت العلوم الاجتماعية تتناول الاتصال من زوايا مختلفة فان مصطلح الاتصال نفسه يستعمل بتصورات متعددة، و قد تكون مختلفة اختلافا كبيرا، فهناك من يتناول الاتصال من حيث هو ثقافة، و هناك من يتناوله من حيث هو لغة، و آخر يدرسه من حيث التأثير الشخصي، و رابع بصفته أساس العلاقات الإنسانية و هكذا.

و الذي يهمننا هنا هو الاتصال من جانبه الثقافي و من جانبه اللغوي. و الذي لا شك فيه أن الاتصال هو الوسيلة الأولى التي تنتقل بها الثقافة من جيل إلى جيل، وأن أية ثقافة لا تفصح عن نفسها إلا بطرق الاتصال فيها، ومن ثم فإن دراسة الاتصال في المجتمع هي التي تقفنا على ثقافته. والذي لا شك فيه أيضا أن اللغة هي أهم وسائل الاتصال عند الإنسان، ويؤكد بعض الأنثروبولوجيين "أن اللغة هي الثقافة وأن الثقافة هي اللغة، ومن ثم فإن الاتصال والثقافة يكادان

¹ Rivers, W, Communicating Naturally in a Second Language, Cambridge, Cambridge University Press, 1983p107-109.

يكونان لفظين مترادفين، أو أن الصلة بينهما عضوية، والذي يميزها أن الثقافة (بنية structure) وأن الاتصال هو العمليات processes التي تعيش بها هذه البنية¹.

ومن المؤكد أن اللغة لا تكشف عن قيم الحضارة فحسب، لكنها تدل أيضا على أنماط العلاقة بين الناس. وإذا تأملنا الأسئلة الآتية: من يتحدث إلى من؟ وعن أي موضوع؟ وبأي أسلوب كان الحديث؟ فإن هذه الأسئلة تعني الإشارة إلى "تخصيص الأدوار"، وتعني "اختلاف الرتبة" بين الأفراد في المجتمع، وكل أولئك ملمح مهم من ملامح الثقافة.

ومن المؤكد أيضا أن اللغة تحمل طابع الحياة التي يحياها المتكلمون، بما يظهر ذلك في اختلاف "المفردات" بين لغة وأخرى. وكل لغة تحتوي في الأغلب على كلمات معينة يجب أصحابها أن يتحدثوا بها أو تشغل عندهم اهتماما خاصا، فبعض قبائل الهنود في أمريكا مثلا لديهم أكثر من مائتي كلمة عن البطاطس، ويرى الباحثون أن ذلك ينبئ عن اعتماد اقتصادهم على هذا المحصول، وعن تطويرهم لفنون زراعتها والإفادة منها. ومن الملاحظ أيضا أن الكلمات التي تدل على القرابة kinship تختلف بين لغة وأخرى، ففي العربية مثلا للعم وأخرى للخال إشارة إلى أخ الأب وأخ الأم، على حين تستعمل اللغات الأوروبية كلمة واحدة للدلالة عليها. وقبائل البوشمان في استراليا تستعمل كلمات مختلفة للدلالة²، على ابن أخت الأم، و بنت أخ الأب، وزوجة شقيق زوجة الأب...

والاتصال ليس وظيفة بيولوجية يؤديها الإنسان كما يؤدي وظائفه الحيوية الأخرى، لكنه يكتسبه من المجتمع، ويتعلم طرائق الاتصال بالآخرين سواء بالوسائل اللغوية أم بغيرها، وكثيرا ما نقول: "إن الطريقة التي كان يتحدث بها فلان جعلتني أشعر بكذا وكذا" وكلمة "الطريقة" هذه قد تعني "درجة الصوت" أو "شكل الكنتف" أو "توترا في بعض العضلات" أو غير ذلك من الأمور.

¹ عبده الراجحي، اللغة و علوم المجتمع، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، سنة 2004، ص33.

² ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب بالقاهرة 1952، الجزء الأول ص247

والنطق اللغوي نفسه قد يؤدي معنى مناقضا لما تحمله ألفاظه حسب النغمة أو الإشارة المصاحبة.

ونحن نتحدث كثيرا أيضا عن "النظرة الساحرة" أو "الإيماءة الواعدة" أو "الإشارة المهددة" أو "الطريقة المثيرة" ونقرأ أحيانا عن أحكام نطلقها على بعض الشعوب، كأن يقال إن اليابانيين يضحكون في "الوقت غير المناسب" أو أن الفرنسيين يتحدثون "بأيديهم" أو أن الهنود الحمر لهم "وجوه جامدة".

إن كل أولئك أنواع من السلوك الاتصالي بين الناس، ومن المؤكد كما أشرنا أنها تكتسب من المجتمع، ومن ثم فإنها تختلف بين ثقافة وأخرى. وقد بدأ البحث اللغوي يهتم بكل هذه الأمور لان لها تأثيرا بعيدا في عملية التوصيل. وإذا كانت اللغة المنطوقة هي أهم وسائل الاتصال فإننا ينبغي ألا نغفل عن الوسائل الأخرى إذا كان لنا أن نصف الاتصال الإنساني وصفا شاملا. على أن أهم ما يلفت إليه الدرس اللغوي الحديث أننا لا نستطيع أن نفهم اللغة فهما صحيحا من درس أصواتها وكلماتها وتراكيبها فحسب، ولكن بأن نعرف أيضا طرائق الاتصال الإنساني الأخرى التي تعين اللغة أو تصاحبها في أداء وظيفتها في التوصيل، بل لا بأس من معرفة شيء عن الاتصال الحيواني كي نفهم الخصائص المميزة للغة الإنسانية.

يعتبر الاتصال دورا رئيسيا تقوم به اللغة ، و لقد عبر عن ذلك معظم اللسانيين و علماء الاجتماع فهو المعبر إلى العلاقات بالآخرين و إلى التدامج و الاجتماعية و الثقافة ، يرى مارتينييه أن الوظيفة الأساسية للأداة التي هي اللغة ، هي الاتصال : " الفرنسية مثلا هي قبل أي شيء ، الأداة التي تسمح للناس " من الناطقين بالفرنسية " في أن يتواصل بعضهم مع البعض الآخر ... و للغة وظائف أخرى غير تأمين الفهم المتبادل ، فالكلام مثلا تعبير عن الفكر و عن الذات لكن " في

التحليل الأخير انه الاتصال ، أي الفهم المتبادل الذي يحتفظ به كوظيفة أساسية لهذه الأداة التي هي اللغة "1.

يلاحظ هايمز "أن استعمال الكلام في التعلم الطبيعي يندرج في الإنبناء الاجتماعي حين ننطق باللغة التي نتعلمها و لا يقتصر الأمر على عوامل لسانية فحسب، بل هناك العوامل الذهنية منها والعاطفية والاجتماعية المؤثرة في اكتساب الكلام... و تركز كفاءة الاتصال بحسب مفهوم هايمز على عدة مكونات لسانية و خطابية و مرجعية و مكون اجتماعي ثقافي (socioculture) يتعلق بمعرفة وامتلاك القواعد الاجتماعية و معايير التفاعل بين الأفراد و المؤسسات و معرفة التاريخ الثقافي والعلاقات بين الموضوعات الاجتماعية"2. و من الواضح بالنسبة لهايمز أن وضع كفاءة الاتصال في موضعها سيكون مرتباً ارتباطاً وثيقاً بتاريخ و تدامج طفل معين اجتماعياً و هو يؤكد بوضوح أن الكثير يتعلق بنماذج التعرض إلى مختلف أنماط الاتصال الاجتماعي . فنحن أمام شيء ليس بفطري كما هو ، و إنما مكتسب بخبرة اجتماعية، و لا توجد كفاءة تين اتصاليان متماثلتان بشكل مطلق ، و الكفاءة الاتصالية في لغة معينة هي واحدة " من الطبيعي أن الكفاءات الاتصالية في المجتمع له ثقافته و ظروفه و لغته الوطنية تشكل داعية تقارب و تفاهم بين المواطنين"3 و تردنا مقولة الاتصال إلى الصفة الاجتماعية للكلام و إلى تحليل اشتمل لطبيعة استعمال الكلام في كل ثقافة ، و هو موضوع يجتزا غالباً لان الاهتمام ينصب على اكتشاف الانتظام في الإنبناءات النحوية ، و بتعبير أبسط "التكلم هو سلوك اجتماعي عال في دلالاته و يمكن التأكد بشكل عام ، أن أفراداً يكونون مجتمعاً له

¹ نزار الزين، تعريب التعليم و تعلم اللغات الأجنبية، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر، بيروت، ط1997، ص176

² المرجع نفسه ص176-177.

³ Giordani J.l'enseignement precoce des langues vivantes C.R.D.P.1982، P27.

ثقافة معينة بمقدار ما يستعملون وسائل اتصال متطابقة "ونعلم اليوم أن تمثلنا للعالم هو في قسمه الأكبر مؤلف من قواعد اجتماعية ثقافية و أعراف كلامية و بصورة اعم ، من نظمات لدلالية"¹.

اللغة و الاتصال :

هي علاقة أنظمة الاتصال للغة و تأثيرها في تعلمها و تعليمها، فوسائل الاتصال متوفرة في حياة الإنسان بحيث يمكنه أن يتواصل مع غيره في أي نقطة من العالم و في أي زمن بطرائق مختلفة مثل : النظرات و الحركات التي تؤدي معنى يعجز اللسان عن الكشف عنها و تثير النغمة شجوناً، فالكلمات تؤدي إلى التعبير عن مكونات الفرد و هذا ما يدفعه في التفكير عن هويته، و يحدد أنه، التي لا تزيد على أن تكون مستعرة في جهاز المعلومات العام. ونقصد بالاتصال الإبلاغ Communication التي تحيل إلى إقامة علاقة مع شخص أو شيء ما. هي عملية يتفاعل بها الباث متلقي الرسائل في سياقات اجتماعية معينة بحيث ينحصر التواصل اللساني في عملية التواصل القائمة بين الناس عن طريق الفعل الكلامي. و لتحقيق ذلك لابد من وجود دال و مدلول و قصد، فنجد أن العالم Chooley يعرف التواصل على انه... " هو الميكانيزم الذي بواسطته توجد العلاقات الإنسانية و تتطور، إنه يتضمن رموز الذهن مع وسائل تبليغها عبر الدال و تعزيزها في الزمان. و يتضمن أيضاً الإشارات و تعابير الوجه و هيئات الجسم، و الحركات و نبرة الصوت الكلمات ، و الكتابات، المطبوعات و القطارات و التلغراف و التلفون، و كل ما يشمله آخر ما تم من الاكتشافات في المكان و الزمان"².

إذا اللغة هي الطريقة الجيدة للتواصل بين الناس، و لكي تتحقق هذه العملية يجب أن تتوفر العناصر التالية: المرسل، المرسل إليه، القناة، السنة، الرسالة، المرجع.

¹ Jerome S. Bruner, le développement de L'Enfant savoir faire savoir dire

P.V.F1983, p165

² صالح بلعيد دروس في اللسانيات التطبيقية ص42.

أما الأحداث الكلامية فتعطي الأولوية للباحث والسامع اي الملتقي اللذين يعدان طرفين رئيسيين في عملية التواصل.

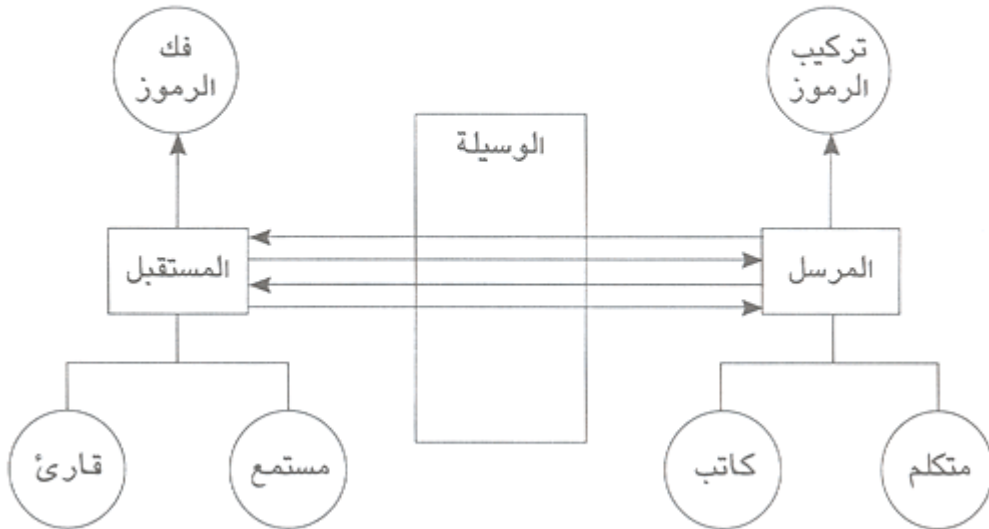
المدخل الاتصالي :

نموذج الاتصال

من المفاهيم التي تمثل محور المدخل الاتصالي، مفهوم الاتصال ذاته، ويتوقف الفهم الدقيق للمدخل الاتصالي على تحديد مفهوم الاتصال، وتوضيح المقومات التي يستند إليها، بل ومناقشة عملية الاتصال نفسها. ذلك أن مفهوم الاتصال كانت له تعريفات كثيرة، تكاد تتباعد في أشياء، إلا أنها تعبر عن معنى واحد هو تفسير عملية الاتصال. فكيف تتم هذه العملية ؟

شكل (1)

نموذج الاتصال



من خلال الشكل الأول الذي يمثل عملية الاتصال و الذي وضعه حسين الطوبجي نستنتج:

"أن الاتصال بين البشر يتكون من عدة عمليات منها ما هو ذهني ومنها ما هو عضلي. يبدأ الأمر

بمجموعة من الأفكار التي يريد فرد أن ينقلها إلى غيره، تتكون الفكرة في ذهنه ويضمها إلى غيرها ليؤلف منها محتوى يريد التعبير عنه إما لإعلام الآخرين به أو تغيير اتجاهاتهم أو تنمية قيمهم، أو غير ذلك من أهداف يقصد المرء من خلالها الاتصال بغيره. ضم الأفكار إلى بعضها يتبعه البحث عن الجمل والتراكيب التي يراد صب المحتوى فيها¹. يلاحظ "هايمز": "أن استعمال الكلام في التعلم الطبيعي يندرج في الإنبناء الاجتماعي حين ننطق باللغة التي نتعلمها و لا يقتصر الأمر على عوامل لسانية فحسب، بل هناك العوامل الذهنية منها و العاطفية والاجتماعية المؤثرة في اكتساب الكلام... وترتكز كفاءة الاتصال بحسب مفهوم هايمز على عدة مكونات لسانية و خطائية و مرجعية و مكون اجتماعي ثقافي (socioculture) يتعلق بمعرفة و امتلاك القواعد الاجتماعية و معايير التفاعل بين الأفراد و المؤسسات و معرفة التاريخ الثقافي و العلاقات بين الموضوعات الاجتماعية"². فالفرد ينتقي من رصيده اللغوي مجموعة من المفردات التي تناسب المحتوى ثم يبحث في النظام الصوتي للغة عما يلزم هذه المفردات من أصوات أو من أشكال الأداء الصوتي مثل النبر والتنغيم ما يعبر عما يقصده.. كل هذا يدخل في نطاق بناء الرموز سواء من حيث مضمونها (الأفكار) أو من حيث شكلها (طريقة الأداء اللغوي) وهي المرحلة التي تسمى بتركيب الرموز encoding. بعد هذا تأخذ عملية الاتصال أحد طريقتين : إما أن تنتقل الرسالة شفاهة أي من خلال الاتصال المباشر بين فرد وآخر، وهنا يكون المرسل متكلمًا. وإما أن تنتقل كتابة أي من خلال الصفحة المطبوعة، وهنا يكون المرسل كاتبًا. يمر لاتصال بعمليات أخرى تبدأ برموز تنتقل من مرسل (منطوقة أو مكتوبة) عبر أداة من أدوات الاتصال أو قناة من قنواتها Channel وهي في انتقالها يلحق بها ما يلحق من تشويه أو تحريف يجعل كمال عملية الاتصال أمرًا متعذرًا. والأسهم الصغيرة الموجهة للأداة تشير إلى صور التشويه التي يمكن أن تلحق بالرسالة بسبب وسيلة الاتصال وعمليات التشويه هذه هي ما تسمى بالضوضاء noise أي كل أشكال التحريف التي تلحق بالرسالة حتى تصل إلى المستقبل والاتصال

¹ حسين حمدي الطوبجي وسائل الاتصال والتكنولوجيا في التعليم، الكويت، دار القلم، 1982، ص25

² نزار الزين، تعريب التعليم و تعلم اللغات الأجنبية، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1997، ص176.

كما نرى عملية ثنائية يتبادل فيها المرسل والمستقبل الأدوار. فالمرسل قد يكون في أثناء الحديث مستقبلاً، والمستقبل قد يكون مرسلًا، وهذا بالطبع يكون في مواقف الاتصال الشفهي المتبادل فقط. فقد يكون الاتصال كتابة فلا يتبادل الفردان في لحظة الاتصال أدوارهما وقد يكون الاتصال شفهيًا غير متبادل أي أحادي الاتجاه كأن يستمع المرء إلى المذيع أو يشاهد التلفاز.

يتلقى المستقبل الرسالة في صورة تيار من الأصوات التي يرتبها في وحدات يعطيها معنى محددًا ووظيفة كل منها بالنسبة لغيرها في ضوء ألفته بنظام اللغة ومعرفته بسياق الكلام ثم يربط هذا كله بما لديه من خبرة سابقة بالجمال.. هذه العملية هي ما تسمى بفك الرموز decoding والمستقبل هنا ليس فردًا سلبيًا كما يتوهم الكثيرون، وإنما هو إيجابي بكل ما تحمله الكلمة من معنى.. إن المستقبل يصنع المعنى ولا ينتقل إليه.. إنه يحدد دلالات الكلمات في ضوء الموقف العام الذي تحدث فيه عملية الاتصال. في ضوء مستواه اللغوي.. في ضوء قدرته على فهم الآخرين.

والمستقبل قد يتلقى الرسالة فيكون مستمعًا، وقد يتلقاها مطبوعة فيكون قارئًا. هذه العملية هي

1

ما يعرضها كارول في نموذج الآتي :

message encoding intention interpretation decoding

ما يقصده المتحدث . ترجمة ما يقصده لرموز . الرسالة . فك الرموز . تفسيرها من المستمع .

وفي ضوء هذه العملية نستطيع أن نقف على مكونات عملية الاتصال ومقوماتها ومعوقاتهما، إلا أننا يجب أن نقف أولاً على مفهوم الاتصال.

¹ Carroll, P. Interactive Approaches to Second Language Reading, Cambridge, Cambridge university press, 1989, p88

يلخص "ويدوسون" Widdowson نقلا عن ريلي، عملية الاتصال في قوله : يطلق مصطلح الاتصال حين يحدد مستعمل اللغة موقفاً يتطلب منه نقل معلومات معينة لتحقيق التقارب المعرفي Convergence of Knowledge بين الأفراد، ومن ثم يمكن أن يتغير هذا الموقف بشكل أو بآخر. وهذا الإجراء أو هذه العملية تتطلب التفاوض أو تبادل وجهات النظر حول المعاني خلال التفاعل بين الأفراد. وأطلق على هذا الشكل من التفاوض لفظ الخطاب Discourse هذا المصطلح يشير إلى التفاعل الذي يجب أن يأخذ مكانه لتأكيد قيمة المعنى لما ينطق به المتحدث، وللتحقق من فعاليته

1
كمؤشر لنية المتحدث أو قصده".

ويتفق الدكتور "حسين حمدي الطوبجي" مع هذا التعريف إذ يقول : "إن الاتصال هو العملية التي يتم عن طريقها انتقال المعرفة من شخص لآخر حتى تصبح مشاعراً بينهما، وتؤدي إلى التفاهم بين هذين الشخصين أو أكثر، وبذلك يصبح لهذه العملية عناصر ومكونات ولها اتجاه تسير فيه، وهدف تسعى إلى تحقيقه، ومجال تعمل فيه، ويؤثر فيها مما يخضعها للملاحظة، والبحث، التحريب

2
والدراسة العملية بوجه عام".

وتعتبر دائرة المعارف البريطانية¹ أن الاتصال يعني تبادل المعاني بين الأفراد من خلال نظام عام للرموز. ويستمر التعريف لمصطلح الاتصال Communication في المجلد الثالث من دائرة المعارف البريطانية المصغرة Micropedia، وكذلك في المجلد 16 من دائرة المعارف الموسعة Macropedia. فيستعرض تعريف ريتشاردز الناقد البريطاني المشهور، ووجهة نظره لمفهوم الاتصال، وتعتبر دائرة المعارف أن تعريف ريتشاردز للاتصال، والذي قدمه 1928 من أوائل التعريفات للاتصال، ومن أفضلها في بعض الوجوه. يقول ريتشاردز J. A. Richards إن الاتصال يتم عندما يؤثر عقل ما

¹ Riley, P. : Discourse and Learning, London, Longman, 1989p7.

² حسين حمدي الطوبجي وسائل الاتصال والتكنولوجيا في التعليم، الكويت، دار القلم، 1982ص25.

(مرسل) من خلال بيئة معينة على عقل آخر (مستقبل)، وفي هذا العقل الآخر تحدث خبرة معينة

1

تشبه الخبرة التي كانت في العقل الأول".

وتتساءل دائرة المعارف حول مدى كفاية تعريف واحد للاتصال، وإمكانية الاستغناء به عن غيره، وتورد تقريرا عن "جورجين ريوثش" Jurgen Ruesh يذكر فيه أربعين تعريفا لمفهوم الاتصال. ومداخل كثيرة لتناوله منها ما هو معماري Architectural، ومنها ما هو نفسي Psychological، ومنها ما هو أنثروبولوجي Anthropological، وأخيرا منها ما هو سياسي² political.

ويلاحظ هايمز "أن استعمال الكلام في التعلم الطبيعي يندرج في الإنبناء الاجتماعي حين ننطق باللغة التي نتعلمها و لا يقتصر الأمر على عوامل لسانية فحسب، بل هناك العوامل الذهنية منها والعاطفية والاجتماعية المؤثرة في اكتساب الكلام... و تركز كفاءة الاتصال بحسب مفهوم هايمز على عدة مكونات لسانية و خطابية و مرجعية و مكون اجتماعي ثقافي (socioculture) يتعلق بمعرفة وامتلاك القواعد الاجتماعية و معايير التفاعل بين الأفراد و المؤسسات و معرفة التاريخ الثقافي والعلاقات بين الموضوعات الاجتماعية ، و من الواضح بالنسبة لهايمز أن وضع كفاءة الاتصال في موضعها سيكون مرتبنا ارتباطا وثيقا بتاريخ و اندماج طفل معين اجتماعيا و هو يؤكد بوضوح أن الكثير يتعلق بنماذج التعرض إلى مختلف أنماط الاتصال الاجتماعي، فنحن أمام شيء ليس بفطري كما هو ، و إنما مكتسب بخبرة اجتماعية. و لا توجد كفاءة تين اتصاليان متماثلتان بشكل مطلق ، و الكفاءة الاتصالية في لغة معينة هي واحدة " من الطبيعي أن الكفاءات الاتصالية في المجتمع له ثقافته و ظروفه و لغته الوطنية تشكل داعية تقارب و تفاهم بين المواطنين " و تردنا مقولة الاتصال إلى الصفة الاجتماعية للكلام و إلى تحليل اشمل لطبيعة استعمال الكلام في كل ثقافة ، و هو موضوع

¹ The Encyclopedia Britannica. Micropedia Vol. 35th ed, 1986,p496

²Ibid. p485.

يجتاز غالبا لان الاهتمام ينصب على اكتشاف الانتظام في الإنشاءات النحوية ، و بتعبير ايسط " التكلم هو سلوك اجتماعي عال في دلالاته و يمكن التأكد بشكل عام ، أن أفرادا يكونون مجتمعا له ثقافة معينة بمقدار ما يستعملون وسائل اتصال متطابقة " ونعلم اليوم أن تمثلنا للعالم هو في قسمه الأكبر مؤلف من قواعد اجتماعية ثقافية و أعراف كلامية بصورة اعم ، من نظمات دلالية"¹.

ويتسع هذا التعريف في دائرة معارف كولير الأمريكية، إذ تعتبر الاتصال هو نقل المعارف من شخص لشخص، أو مخلوق لمخلوق، أو وجهة نظر لأخرى. وقد يكون الاتصال في شكل نقل أصوات، مثل التحدث بين الناس، وقد يكون الاتصال في شكل ضربات إيقاعية للطبول، وقد يكون أصواتا من طيور، بل قد تكون في شكل ضربات يقوم بها حيوان السمور في الماء بذيله حين يحس بخطر قادم، أما من حيث صورة الاتصال فقد تكون مرئية مشاهدة مثل الكتابة، والصور، والإشارات والأعلام والملصقات. بل قد تكون في رقصة نحل العسل، يشير بها للنحل الآخر أن هناك مصدرا للغذاء، وقد يكون الاتصال، أخيراً يتطلب لإتمامه، استخدام حواس أخرى.

ينقلنا هذا من الحديث عن الاتصال من وجهة نظر الإعلاميين، إلى الحديث عن الاتصال من وجهة نظر التربويين خاصة المشتغلين بتعليم اللغات.

ونقتصر هنا على مناقشة تعريفيين لاثنين من كبار خبراء تعليم اللغات الأجنبية، ومن رواد المدخل الاتصالي، هما سافجنون وولكنز. ترى ساندراسافجنون " أن الاتصال عملية مستمرة للتعبير والتفسير وتبادل وجهات النظر (التفاوض)، وأن فرص الاتصال غير محدودة Infinite. وتشتمل على نظم مختلفة للإشارات، والعلامات، والرموز التي لا نستطيع الآن البدء في تصنيفها، أو حتى تعريفها بدقة، والتي تتكون منها أي لغة".

¹ Giordani.J,l'enseignement precoe des langues vivantes C.R.D.P،pages،27-29.

وهي هنا تتفق مع التعريفين اللذين وردا في دائرتي المعارف، خاصة ما ورد في دائرة معارف كولير، إذ تفصل القول في أنظمة العلامات في عملية الاتصال. أما ولكنز فيرى " أن ما يتم نقله في أي عملية اتصال إنما هو نتاج Product للعلاقة بين المعنى كما ينتقل عبر الأشكال اللغوية للتعبير (نطقا أو كتابة)، وبين الملامح العملية Pragmatic Features التي يمكن قبولها من كافة المشتركين في عملية

1

الاتصال".

وفي ضوء هذا التعريف لعملية الاتصال، يحدد ولكنز هدف تعليم اللغة اتصاليًا بأنه تنمية القدرة عند الفرد لأن يبدع Create، ويكون Construct أشكال التعبير Utterances (كلاما أم كتابة) التي لها القبول الاجتماعي، أو تحقق الهدف المطلوب.

وظائف الاتصال

ينبغي أن تدرس اللغة في تنوع وظائفها بأكملها، و قبل أن نخوض في الحديث على الوظيفة الشعرية علينا أن نعين مكانة هذه الوظيفة بين الوظائف الأخرى للغة. وكبي نعطي فكرة هامة عن تلك الوظائف يجب إلقاء نظرة وجيزة حول العوامل المكونة لكل عملية لسانية و كل فعل يتم فيه التواصل عن طريق الألفاظ .يوجه المرسل رسالة إلى المرسل إليه ولكي تعمل هذه الرسالة عملها فإنها تتطلب أولا وقبل كل شيء سياقًا و هذا الأخير يمكن للمتلقي إن يدركه ويكون إما لفظيا أو قابلا لأن يكون كذلك ثم أن الرسالة تستلزم شفرة يشترك في جزء منها أو كلها المرسل أو المرسل إليه أي واضح الشفرة و ذلك يفك رمزها وأخيرا فإن الرسالة تستدعي اتصالا وقناة مادية و رابطة نفسية تربط المرسل مع المرسل إليه وهذا الاتصال يسمح لهما بإقامة التواصل واستمراره. هذه العوامل المختلفة واللازمة لكل تواصل لفظي يمكن أن تحمل على النحو التالي:

¹ Carrol, P Interactive Approaches to Second Language Reading, Cambridge, Cambridge University press, 1989p 109.

- المرسل.
- المرسل إليه.
- السياق.
- الرسالة.
- الاتصال.
- الشفرة¹.

يولد كل من هذه العوامل الستة لسانية مختلفة ولنؤكد أننا إن كنا نميز على هذا النحو بين مظاهر أساسية ستة في اللغة فمن الصعب العثور على وسائل لا تقوم إلا بوظيفة واحدة. ذلك أن تنوع الرسائل لا يمكن في القيام بوظيفة دون الوظائف الأخرى وإنما في اختلاف تدرج هذه الوظائف في ما بينها فالبنية اللفظية لرسالة من الرسائل تتوقف قبل كل شيء على الوظيفة المهيمنة وحتى إن كانت الدلالة على مرجع و الإحالة إليه و التنبيه إلى سياق أي عبارة موجزة الوظيفة والدالة والفكرية والمرجعية هي التي تقوم كثير من الرسائل فإن اللساني المنتبه ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار المساهمة الثانوية لمختلف الوظائف الأخرى في تلك الرسائل .

بناء على ما سبق يمكننا إتماما للمخطط السابق الذي كان يوضح العوامل الستة الأساسية مخططا آخر مماثلا للوظائف الستة:

- | | |
|-------------------------|-----------------------|
| -الوظيفة الإغائية . | -الوظيفة الانفعالية . |
| - الوظيفة الواصفة للغة. | - الوظيفة المرجعية. |
| - الوظيفة القولية. | - الوظيفة الشعرية. |

¹ محمد سيلا و عبد السلام بن عبد العالي، اللغة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الرابعة 2005، ص62.

يميز "رومان جاكوبسون" بين ست وظائف للغة. يبدأ بتحديد العوامل المكونة لكل تواصل:

- 1- المرسل، ذلك الذي يتحدث أو يكتب.
- 2- المرسل إليه.
- 3- المرجع، أي ما هذا الذي نتحدث عنه.
- 4- النظام، أي منسق القواعد المشترك بين المرسل و المرسل إليه، و الذي يدونه لا يمكن أن يكون المرسل مفهوما.
- 5- الاتصال، و هو ما يسمح بقيام و بقاء التواصل فيزيائيا و نفسيا.
- 6- المرسل ذاته، من حيث هو تحقق مادي للتواصل، أو بعبارة أخرى ما هو منطوق أو مكتوب.

يقابل كل من هذه العوامل الست وظيفة مختلفة، و هذا ما يجعلنا نجيب عن هذا السؤال: لماذا نتحدث؟ بست كفاءات. و سأحاول وصف هذه الوظائف مع تغيير للترتيب الذي أقامه جاكوبسون¹.

1- الوظيفة المرجعية:

لماذا نتحدث؟ نتحدث لكي نخبر، و نفسر، و ندقق و نعلم، و بإيجاز نتحدث لنعرف بشيء، و هذه هي الوظيفة التي نفكر فيها قبل كل شيء و بما أن هذه الوظيفة تتعلق بالمرجع فان جاكوبسون يسميها بالوظيفة المرجعية. و لكن يمكن أن ندعوها أيضا بوظيفة التسمية أو التعريف في صيغة تساؤليه: "لقد شرب" يمكن أن تعطينا: "هل تشرب؟" كما تتميز بأننا يمكن أن نتساءل بصدد المرسل هل هو صادق أم كاذب: "هل صحيح أنه شرب؟" و هذا المعيار حاسم،

¹O. Reboul. langage et ideologie, PUF, p51.

و لأنه لا ينطبق على الوظيفة المرجعية. فبالنسبة لجملة مثل "اشرب" لا يمكن أن نتساءل هل هي صحيحة أم خاطئة.

2- الوظيفة التعبيرية:

إننا نتحدث لنخبر ولكننا نتحدث أيضا لنعبر عن ذاتنا إن المرسل هنا مركز على المرسل اليه و هكذا المر بنسبة لصرخة غضب أو تفاجئ أو سرور و تسمى هذه الوظيفة بالوظيفة التعبيرية أو الانفعالية و أفضل اللفظ الأول لأنه لا يحصر التعبير عن الذات في حدود الانفعال.

"إن السمات الأكثر وضوحا للوظيفة التعبيرية من جهة نظر لسانية هي التعجب أي النبرات والفروق غير الفونولوجية بين النطق المطول والنطق المقصر مثلا بين س و سي مرجع المرسل هو المرسل ذاته فهو يعبر عن خوفه أو ضجره أو تهكمه واعتقاده... إلى آخره إنه ينقل إذن خبرا لكنه خبر من نوع آخر يختلف عن النوع السابق. يقدم جاكوبسون مثلا عن ذلك ومثال المثل الروسي ستانيلافسكي الذي أستطاع أن يردد أربعين مرة : هذا المساء مستخرجا من ذلك أربعين مرسولا مختلفا بحيث كان معظمهما مفهوما من طرف المشاهدين تظهر الوظيفة كل مرة تكون فيها علاقة على الناطق في ثنايا المنطوق مثلا أنا أمس في رأيي لأن في هذه العلاقة تقدم خبرا عن المرسل. هكذا نرى إن الوظيفة التعبيرية لا تتعلق بالسؤال: صحيح أم خطأ بل تتعلق بالسؤال: صادق أم كاذب"¹.

3- الوظيفة الإعازية

¹ المرجع السابق ص 64.

يمكن أن نتحدث لنجعل شخصا آخر يتصرف كما في حالة الأمر و النصيحة أو الرجاء أو الرفض أو المنع والمرسول هنا مركز على المرسل إليه و وظيفة المرسل هنا وظيفة إعازية أو حثية وبعكس المرسل المرجعي فإن المرسل الإعازي لا يمكن أن يكون صحيحا لأنه لا يمكن أن يكون خاطئ. فحين أقول: " اشربوا فإن السؤال المطروح هنا وليس هو ما إذا كان ذلك صحيحا أو خاطئ بل أن السؤال هو فقط ما إذا كان لدي في أن الحق في أن أقول ذلك: نعم إذا كنت أعالج مريضا أو أترأس مأدبة. إن الزوج صحيح/خاطئ يخلي مكانه للزوج مشروع/ غير مشروع"¹.

4- الوظيفة الشعرية:

قد يحصل أيضا أن يكون هدف المرسل هو المرسل ذاته. من حيث هو واقع مادي بمعزل عن معناه. وهذه هي الوظيفة الشعرية التي لا تنحصر في الشعر بمعناه

المحدد و التي يمكن أن نسميها الوظيفة البلاغية. تظهر هذه الوظيفة بمجرد أن يكون للدال أهمية معادلة لأهمية المدلول أو بمجرد أن يكون للدال أهمية أكبر من أهمية المدلول.

هذا جناس و هو احد الأوجه البلاغية التي يجامع السجع والنبر والاستعارة والطباق النقيض التهكم، تجعل المرسل إيجاء وتضمينا أكثر مما يكون تسمية حيث للموسيقى أو لصور دورا أكبر. إن الخطاب الشعري خطاب غير قابل للترجمة لأن الترجمة تقوم على إحلال دوال محل دوال أخرى. إن الخطاب الشعري خطاب إخباري مع ذلك ولكنه إخباري على طريقته الخاصة.

¹ محمد سيلا وعبد السلام بنغبد العالي، اللغة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الرابعة 2005، ص 65.

وقد حدد بوهلر "وظيفة اللغة في الانفعالية و الندائية و المرجعية و هي جميعا تتعلق بثلاثة عناصر أخرى تتمثل في : المتكلم،(المرسل)،والمخاطب (المستقبل)،و الغائب (الشخص أو الشيء الذي نتحدث عنه)"¹.

5-الوظيفة القولية

و الآن يمكن ألا يكون للمرسل أي هدف إلا هدف إقامة الاتصال أو الحفاظ عليه أو قطعه وهذا هو الأمر فيما يتعلق بصيغ مثل: آلو هل تسمعي أو تحدث بصوت أعلى أو اسكتوا .يسمي جاكوبسون هذه الوظيفة بالوظيفة القولية ليرز أننا لا نتحدث لنقول شيء أو أننا بمعنى محدد نتحدث لكي نتحدث تظهر هذه الوظيفة أول ما تظهر لدي الطفل.فالطفل يتحدث ليستمتع بأنه يسمع ويسمع قبل حتى أن يستطيع توصيل شيء ما إن الهدف الأول للغة كما يقول الآن هو الدخول في الجماعة و خلق إمكانية التواصل.والوظيفة القولية مقننة في طقوس المحاملة كقولنا لي شرف أن أستمع إليك و الأمر هنا لا يتعلق بالبحث عن حقيقة في مثل هذه الصيغ ولا عن صدقها.إن دلالة المحاملة هي أن المرء يريد أن يكون مؤدبا وإنه يقبل التواصل و أن يدخل في علاقة كلامية مع نفسه ومع الآخرين.

6-الوظيفة فوق اللغوية.

يمكن في النهاية أن يكون المرسل متعلقا بالقانون والقواعد التي تجعله مفهوما.وهذه هي اللغة فوق اللغوية.ليس ما فوق اللغة بالضرورة هو اللغة العلمية أو جيرا منطقيا بل إننا نمارس ما فوق اللغة يوميا حين نتحدث عن اللغة التي نستعملها وحين نضع تواصلنا في علاقة مع القواعد التي تجعل التواصل ممكنا تقريبا مثلما يتوقف لاعبوا الشطرنج ليتساءلوا عن هذه القاعدة أو تلك من قواعد

¹ أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص 71 .

الع. وبيجاز فإن الوظيفة فوق اللغوية تظهر في أسئلة مثل ماذا تريد أن تقول و في التعريفات والتسميات. وتعلم اللغة يمر عبر هذه الوظيفة.

و لنشر أن اللغة هي وحدها التي تسمح بالتحدث عن نفسها وذلك من بين كل الأنساق الأخرى للتواصل ابتداء من قواعد السير إلى الموسيقى فباللغة نستطيع أن نتحدث عن اللغة. هنا نصادف السؤال: صحيح أم خاطئ لكن في معنى مخالف كلياً للوظيفة المرجعية. صحيح يعني موافق للقواعد أي لنظام اللغة. والسؤال البارز هنا هو: موافق لقواعد اللغة أو غير موافق.

و بياجيز يمكن إجمال الوظائف الست لجاكوبسون كالتالي¹:

| القيمة | الوظيفة | قطب التواصل |
|----------------|-----------|-------------|
| الحقيقة | مرجعية | المرجع |
| الصدق | تعبيرية | المرسل |
| المشروعية | ايعازية | المرسل إليه |
| الجمال | شعرية | المرسول |
| المجاملة | قوليه | الاتصال |
| موافقة القواعد | فوق-قوليه | القواعد |

¹ Benveniste, problem de linguistique générale, Gallimard, 1966, p27-30.

| | | |
|--|--|--|
| | | |
|--|--|--|

لا يمكن تصور المجتمع واللغة أحدهما بدون آخر كلاهما معطى و لكن كلاهما يتعلم من طرف الكائن الإنساني الذي لا يملك معرفة فطرية بهما فالطفل يولد ويتطور في مجتمع البشر فالكائنات البشرية الراشدان هما الأبوان اللذان يلقنانه استعمال الكلام. إن اكتساب اللغة تجربة تسير بمحاذاة تشكل الرمز وإنشاء الموضوع لدي الطفل. إنه يتعلم لاشيء من خلال أسمائها يكتشف أن لكل شيء أسما وإن تعلم الأشياء يمكنه من تدبرها ولكنه يكتشف أيضا أن هو ذاته أسما وأنه من ثمة يتواصل مع محيطه. و هكذا يولد له الشعور أو الوعي بالوسط الاجتماعي الذي يسبح فيه والذي يحول تدريجيا نفسه وفكره بواسطة اللسان.

إما أنا أو الآخر علينا أن نختار بينهما هكذا قيل. غير أننا نختار الواحد ضد الآخر و نؤكد حينئذ النزاع فيحولني الآخر إلى موضوع ثم ينفيني و أنا بدوري أحول الآخر.

إن اللغة الشفوية تتوفر على المستوى الثاني مستوى الخطاب حيث تتحدث وتتدفق دلالة العبارات اللغوية وتتحول تحت تأثير سياق التلفظ معبرة عن الفروق الرفيعة جدا التي تميز الفكر و موجهة الكلمات نحو أداء معاني مجازية و الجمل نحو الإشارة غير المباشرة للعديد من الأشياء وهذا هو السبب الذي يجعل اللغة الشفوية تبدو كأداة مرنة غير محدودة و تصبح قادرة بالخصوص على استحضار موضوعات جديدة دوما وقادرة على وصف المنظومات الأخرى من العلامات كما هي قادرة على وصف ذاتها وقادرة على تقديم معادل لو تقريبي و جزئي لدلالة العلامات الأخرى وهي وحدها قادرة على تحقيق ذلك .

التدريبات الاتصالية :

وهي التي تدور في موقف اتصالي عن طريق المحاورة بين الطلبة ولا تتبع شكلا واحدا، ولا تبني باستجابة واحدة من الطلبة أي تكون الإجابات مختلفة حسب فهم الطالب لطريقة السؤال¹ .
ويضيف الدكتور " راجي رموني " لهذه النوعين من التدريبات نوعا آخر يسميه (التدريب المعنوي)
ويسمي هذه الأنواع الثلاثة:

تدريبات ميكانيكية وتدريبات معنوية وتدريبات اتصالية . ويقصد بالتدريبات الميكانيكية ذلك النوع من التدريبات الذي يهدف إلى مساعدة الطلبة على إتقان المهارات اللغوية، سواء أكانت أصواتا أم مفردات أم تراكيب، لاسيما في مراحل الأولى من تعليم اللغة الأجنبية. بينما يقصد بالتدريبات المعنوية ذلك النوع من التدريبات الذي يهدف إلى تقديم المساعدة اللازمة لربط كثير من الجزئيات والتفاصيل المتعلقة بتعليم الأصوات أو الكتابة أو القواعد وتثبيتها في ذاكرة الطالب . أما التدريبات الاتصالية فتركز على استعمال اللغة للتعبير الشفوي والكتابي . إذ يتوقع الطلبة للغات الأجنبية استعمالها في حياتهم العملية والمهنية إلى جانب فهم الحضارات وثقافات الأمم التي يدرسون لغاتها² .

وتحت كل نوع من أنواع التدريبات الرئيسة الثلاثة السابقة أنواع من التدريبات ويحملها رموني في الشكل الآتي :

التدريبات الرئيسية الشكل (1)

¹ رشدي أحمد طعيمة، الأسس العامة لمناهج تعليم اللغة العربية إعدادها، تطويرها و تقويمها، دار الفكر العربي، ط2، 2000، ص245 – 246.

² Rammuny, statistical study of errors, university of American students in written Arabic, Michigan, 1978p248.

| اتصالية | معنوية | ميكانيكية | |
|---|--|--|-------|
| اللغة استعمال استعمالا طبيعيا حرا وعلى نطاق واسع | استعمال المهارات اللغوية المكتوبة استعمالا محدودا على نطاق ضيق | السيطرة الأوتوماتيكية على المهارات اللغوية (الأصوات والمفردات والتراكيب) | الغرض |
| 1- محادثة حرة 2- مناقشة عامة 3- تدوين ملاحظات 4- تقارير شفوية وكتابية 5- إنشاء حر | 1- ربط 2- الحال 3- صواب أم خطأ 4- ملائمة 5- سؤال - جواب (نصوص) 6- تكوين أسئلة 7- تكوين جمل 8- ترجمة 9- محادثة بإشراف المدرس 10- إشراف المدرس 11- تلخيص | 1- استماع 2- تكرار 3- تصريف 4- تبديل 5- تحويل 6- نسخ | النوع |

| | | | |
|--------------------------------|---|---------------------------------|-------------------|
| | 12-إملاء | | |
| 1-استجابة حرة 2-تعليم وظيفي | 1-استجابة مقيدة مع اختيار حر 2-تعليم ايجابي | 1-استجابة مقيدة 2-تعليم سلبي | الصفات المميزة |

إن الهدف من التدريبات الاتصالية هو تمكن الدارس من تحدث اللغة الأجنبية بشكل عادي وأن يجعله قادراً على فهم ما يسمع دون خطأ ، وبهذا يتحقق الاتصال بينه وبين أهل اللغة . ولا تخضع استجابة الدارس في التدريبات الاتصالية ، لأي نوع من أنواع التحكم ، إذ إن الدارس حر في أن يقول ما يشاء ، كيفما شاء .

وهناك فرق كبير بين التدريبات الاتصالية من ناحية ، وتدريبات المعنى والتدريبات الآلية ، من ناحية أخرى ، يتمثل في أن الدارس يأتي في التدريبات الاتصالية بمعلومات جديدة ، فهو يتحدث عن نفسه ، وعامله الخاص: ماذا فعل ، وماذا سيفعل ، وفيما يفكر . ومهما تكن إجابة الدارس ، فهي أمر جديد ، لا يستطيع المدرس أن يتنبأ به مسبقاً ، وهذا يختلف عما يحدث في تدريبات المعنى، والتدريبات الآلية ، حيث لا يأتي الدارس بمعلومات جديدة من عنده .

المبحث الثاني: تعليم وتقييم اللغة الإنجليزية.

دراسة تحصيل و تقييم تعلم اللغة الانجليزية في الطور المتوسط.

تقييم و دراسة: الصعوبات التربوية في تدريس اللغة الانجليزية. ✓

تعلم اللغة الانجليزية في المتوسط دراسة ميدانية. ✓

معايير اختيار الوسيلة التعليمية في عملية التدريس. ✓

تقييم محتوى كتاب اللغة الانجليزية للطور المتوسط ✓

I-دراسة تحصيل و تقييم تعلم اللغة الانجليزية في الطور المتوسط :

Teaching a foreign language(English)

1-تدريس اللغة الانجليزية : تقويم ذاتي self evaluation

تعد إشكالية تعليم اللغات الأجنبية عامة و اللغة الانجليزية خاصة أزمة حادة من أزمت التعليم بالجزائر حيث باتت هذه المشكلة كل تؤرق بال كل من الأولياء والمعلمين وكل من يهّمه أمر التربية والتعليم في الجزائر وفي العالم بأسره، حيث يمثل مستوى الاهتمام باللغات الأجنبية إحدى مؤشرات التنمية.

إن المدرسة في الجزائر تتخبط في أزمت بنيوية عويصة على جميع الأصعدة والمستويات، فضعف التلاميذ في اللغة الأجنبية راجع للسياسة التي تتبعها وزارة التربية الوطنية في تعليم اللغات الأجنبية، حيث يظهر انفصام اللغات المستعملة في التعليم الابتدائي و المتوسط و الثانوي من جهة، والتكوين المهني و التعليم العالي العلمي و التكنولوجي من جهة ثانية، ناهيك عن التدني العام الملحوظ لكفاية امتلاك قدرات التعبير والتواصل اللغوي.

إذ لاحظنا في نتائج الامتحانات أن هناك بعض التلاميذ الذين يظهرون ميلا و إقبالا كبيرين لتعلم اللغات الأجنبية، إذ يتحصلون على علامات جيدة في حين هناك فئة أخرى من التلاميذ يظهرون نفس الاهتمام باللغات إلا أنهم يتحصلون على علامات متوسطة أو بعض الأحيان ضعيفة، هذا رغم كونهم يمتلكون نفس فرص وإمكانيات التعلم التي يمتلكها المتفوقون. " حيث ما زالت

الاختبارات حتى الآن الوسيلة الرئيسة لمعرفة مدى تمكن الدارسين من محتوى ما يجري تعليمه، على افتراض أن ما يجري تعليمه هو تحقيق لأهداف وغايات المنهج ومن هنا فإن أي تغير في الأهداف- كان يتحول الاهتمام من إتقان القوالب والصيغ النحوية إلى تكوين ملكة التواصل- لا بد من أن ينعكس على أساليب الاختبار.¹

تحصيل و تقييم :

تمهيد

إن تدريس اللغات الأجنبية يتطلب توافر جملة من العناصر تختار و تصنف وفق تخطيط تربوي مناسب و مناهج تعليمية تتلاءم و مستوى التلميذ و وضعيات التدريس المختلفة.

إن تنظيم هذه العناصر يتواجد ضمن ما يسمى بالوضعية التربوية التعليمية، أي العملية ذات العناصر الثلاثة: التلميذ، و المعلم، و الوسائل التعليمية.

نحاول في هذه الدراسة التطرق إلى أهم العوامل التي تؤثر في العملية التعليمية و كذلك التركيز على التقويم و خاصة التقويم الذاتي بعد كل نشاط تعليمي.

يعرف " بروان " التقييم كالاتي :

" الجمع و التحليل التنظيمي للمعلومات اللازمة لتطوير تقدم المناهج و تحصيل رصيده بفاعلية كبيرة من لدن المشاركين مع إبراز تصرفاتهم ضمن أي مؤسسة معينة " بروان 1989-223

¹ Porter، Don (1986). Testing in the Foreign Language Programme: Areas of Change، in Tradition and innovation in English Language Teaching. London: Longman p43.

لكن و بالمقابل فإنه غالبا ما يظهر اختلاف أو لبس بين ما هو تقييم و ما هو تحصيل فبحسب نومان فان هذا لا يجب أن يكون " بالنسبة لي ، فإنه يوجد فرق واضح بين المفهومين فإن التحصيل يرجع إلى الإجراءات و الكيفية التي بواسطتها نستطيع الوقوف عند الأشياء التي يمكن للتلاميذ فعلها في اللغة الهدف ، بحيث لا يمكننا التعرف عن قدراتهم في تطبيق البرنامج المسطر لهم لكن و من جهة أخرى فإن كلا المغمومين لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر فالتحصيل متعلق أساسا ، بعنصر واحد من العملية التعليمية و الذي هو : المتعلم : هو المتعلم فان التقييم تأسيسي و مؤسسي أي يخلق مؤسسات و منظمات تعمل على تطوير العملية التعليمية كنظام تربوي و توجهها و تراقبها و بالتالي تميزها على باقي المؤسسات (نسبات 1987-166) .

و إننا نميز من نوعين من التقييم : التقييم الكمي و التقييم النوعي

يقع التقييم النوعي أثناء تناول البرنامج أو المنهاج بالدراسة ، و يتمحور هدفه الأساسي في جمع المعطيات التي من شأنها أن تستعمل في تطوير محتواه .

أما التقييم الكمي فإنه يحدث عند نهاية الدورة أو المدة التعليمية أي مع اكتمال حلقات البرنامج السنوي و في هذه الحالة تجمع المعلومات للنظر في البرنامج إن كان ناجحا أم غير ذلك.

لقد اقترح "لونق" (1984) الأخذ بعين الاعتبار الفوارق الموجودة بين ما هو : جوهر توقيت) و هدف .

يتركز التقييم النوعي على عوامل مثل : التعامل مع تجديد المناهج و مدى استعمالها لاحتوائها من عناصر جديدة و تماشي و الوسائل المستخدمة لتحصيل حدود البرنامج و نجاعته عبر مراحل تطوره بالنظر إلى المعلومات التي يحتويها و التي هي قابلة للتعديل شكلا و مضمونا حسب الوضعيات و الاحتياجات . لونق (1984 - 417)

التقييم الذاتي : و هو قدرة أي أستاذ على الحكم على مدى نجاعة عمله ، داخل القسم و بصورة موضوعية ، و لكي يستطيع الأستاذ فعل ذلك ، فيجب عليه ملاحظة و مراجعة نفسه باستمرار و ذلك من خلال التحضير و التخطيط لدرسه قبل تقديمه للتلاميذ و بعدها . تقييمه و محاولة الوقوف على الثغرات الممكنة و عدم تكرارها مستقبلا (أدريان دوق 1980-138).

يعتبر التدريس بمثابة علاقة شجرية بين الأستاذ و الوسائل التعليمية التي يستعملها لتأدية مهمته و من ذلك : الكتاب المدرسي) و كذا التلاميذ .

انه من المؤكد عندما يريد الأستاذ مراقبة و تقييم عمله أن يركز على جانب هذه العلاقات في كل وقت فمثلا من أمثلة التصنيفات التي يمكن استعمالها في المعاينة ينظر إلى التمرين رقم 2 .

إن الهدف من التدريس إنما هو مساعدة التلاميذ على التعلم و بالتالي فيمكن الحكم عليه فقط من خلال ملاحظة و معاينة التلاميذ لمعلمهم هل هو ناجح أم لا ؟ و من ثمة يعمل الأستاذ على تنمية حظوظ التعلم عند المتأخرين فاعتماده ما يلي :

خلق جو مناسب للتعلم داخل القسم ، انه أي الأستاذ يمثل الحلقة الأساسية في ذلك بتصرفاته و سلوكاته اتجاه تلامذته ، فمثل : كيف يعمل مع تصحيح الأخطاء التي يقعون فيها ؟ أو كيف يراقب القسم حتى يحافظ على هدوءه أثناء درسه و أخيرا إلى أي مدى يتكلم باللغة الانجليزية داخل القسم .

يكون واعيا بكل ما يحتاجه المتعلمين كل على حدة لأن مشاكلهم تختلف من واحد لآخر ولذلك يسعى إلى الوقوف عند كل تلميذ و محاولة إيجاد الحلول المناسبة لمشاكله سواء عن طريق التكلم إليه أو مطالبتهم بالكتابة عن المشاكل التي يعانون منها خاصة إذا كان التلميذ أو التلميذة لا يريد الإفصاح عنها شفاهيا لا بسبب حياده و خجله ، كما يمكن للأستاذ إيجاد فرصة للتحدث إلى تلميذته حتى خارج القسم .

تدريس جيد أو سيء .

حاول أن توافق على خمسة 5 صفات هامة من أجل تدريس جيد ، أكتبها لاحقاً .

أ - ب - ج - د - ح .

اكتب الآن الصفة التي تراها أكثر أهمية .

حاول أن تقيم نفسك ، هل توجد هذه الصفات الخمس في تدريسك ؟

التدريس السيئ :

حاول أن توافق على خمسة صفات (خصائص) حقيقية لتدريس سيء (أكتبها لاحقاً) .

أ - ب - ج - د - ح .

اختر الصفة التي تراها الأكثر ضرراً .

قيم نفسك ، هل توجد هذه الصفات حقيقة في تدريسك ؟

أصناف المعاينة :

أ - إجراءات التدريس .

ب - استعمال الوسائل التعليمية .

ت - تجاوب التلاميذ داخل القسم .

ث - شخصية الأستاذ .

ج - التحكم في اللغة الإنجليزية .

أنظر الأسئلة الآتية :

إلى أي صنف ينتمي كل سؤال ؟ ، أكتب حرفاً معيناً بجانب السؤال .

ما مدى أهمية كل سؤال ؟ أكتب عددا معينا من 0 إلى خمسة أي من عدم الأهمية إلى الأهم أو (مهم جدا) .

| السؤال | الصف | درجة الأهمية |
|--|------|--------------|
| هل التدريس هدف واضح ؟ | | |
| هل يكتب الأستاذ بخط واضح على الصبورة ؟ | | |
| هل يشارك التلاميذ بحيوية في القسم ؟ الدرس ؟ | | |
| هل يقوم الأستاذ بتمارين متنوعة ؟ | | |

| | | |
|--|--|--|
| | | هل للدرس مراجع واضحة ؟ |
| | | هل يتمتع الأستاذ بسلامة النطق ؟ |
| | | هل يبتسم الأستاذ غالبا في وجه التلاميذ ؟ |
| | | هل يستعمل الأستاذ وسائل الإيضاح بكيفية جيدة ؟ |
| | | هل يتكلم الأستاذ بصورة طبيعية ؟ |
| | | هل يشجع الأستاذ تلامذته على طرح الأسئلة ؟ |
| | | هل يشجع الأستاذ تلامذته على استعمال اللغة الجيدة ؟ |
| | | هل يظهر الأستاذ متحمسا للدرس ؟ |

الجو العام للقسم:

أنظر إلى هذه التوصيات فكل واحد منها يصف سلوك الأستاذ داخل القسم .

أي منها يكون لها التأثير الإيجابي على الجو العام للقسم ؟

- 1- يصحح الأستاذ كل الأخطاء .
- 2- نادرا ما يصحح الأخطاء بنفسه .
- 3- يقوم الأستاذ بإخبار التلاميذ من فيهم الأول ، الثاني ، الثالث الخ في القسم .
- 4- يثني كثيرا على التلاميذ الذين يحسنون الإجابة .
- 5- يوبخ التلاميذ الذي يعيدون نفس الأخطاء باستمرار .
- 6- يعاقب التلاميذ ذوي السلوك السيئ .
- 7- يختار دوما التلاميذ الممتازين و يمنحهم فرصة الإجابة عن الأسئلة التي يطرحها .

- 8- يختار دوما الضعفاء و يطلب منهم الإجابة .
 - 9- يستعمل الأستاذ اللغة الإنجليزية فقط عندما يتكلم في القسم .
 - 10- يستعمل فقط الإنجليزية في شحه للدرس .
 - 11- يترجم كل ما يقوله بالإنجليزية إلى اللغة الأم للتلاميذ .
 - 12- كيف يفكر التلاميذ في أحد الأقسام التي كان الأستاذ قد درسها من قبل .
 - 13- هل هناك تلاميذ الذين .
 - 14- وجد الدروس سهلة .
 - 15- لهم صعوبة في فهم الدرس
 - 16- هل هم هادئين أو ليست لديهم قابلية للمشاركة ؟
 - 17- هل هم صعب التحكم ؟
- هل لديهم صعوبة في النظر و السماع ؟
- هل لديهم صعوبة في القراءة و الكتابة بلغتهم الأم ؟
- حاول أن تناقش ماذا يمكن فعله لمساعدة التلاميذ على الاندماج داخل القسم .

تحضير الدرس :

لرسم المخطط الكامل للدرس ، حاول أن تدمج عددا متنوعا للنشاطات و التمارين باستعمال التقنيات التي لها علاقة بالدرس النموذجي في شكل تكوين يجب أن تعتمد على العناصر الآتية :

- أهداف الدرس .
- أهم مراحل التمرين .
- تقديم المراحل بالتفصيل للمعلومات و المعطيات .

أهداف و محتوى الدرس :

قد يتمحور الدرس حول موضوع معين مثل : الرياضة و على بنية معينة مثل ،؟ أو مهارة معينة مثل : فهم توجيهات شفوية عند التفكير في رسم الهدف يجب طرح السؤال :

ما يجب للتلاميذ تعلمه في هذا الدرس ؟

أهم مراحل الدرس :

للتقديم : يقدم الأستاذ كلمات جديدة و بنى جديدة التطبيق ، يطبق التلاميذ هذه الكلمات وهذه البنى بصورة جيدة و تحت مراقبة الأستاذ .

الإنتاج : التنفيذ : يستعمل التلاميذ اللغة التي يتعلموها للتعبير بها بكل حرية .

ملاحظة : قد يكون التطبيق و التنفيذ أو الإنتاج بصورة شفاهية أو كتابية (.

القراءة : يقرأ التلاميذ نصا للإجابة ، على بعض الأسئلة أو للقيام ببعض التمارين مثل : أكمل الجدول الآتي :

الاستماع : يستمع التلاميذ إلى النص أو إلى الحوار المسجل على الشريط أو الذي يقرأه الأستاذ.

ورقة المراقبة الشخصية : حاول أن تجيب عن الأسئلة بعدما تم التعرف على كل مجريات الدرس .

أكتب بعض رؤوس الأقلام على ورقة محايدة .

التحضير :

1- إلى أي مدى كان تحضير الدرس ناجحا ؟ هل كنت قادرا على انجازه قبل

الدرس أو أثناء تقديمه في القسم ؟ .

2- ما هي أهم الصعوبات التي وجدتها في تحضير الدرس ؟

3- الآن بعدما قمت بتقديم الدرس ، ما هي التعديلات التي تنوي إحداثها

لتحضير الدرس المقبل ؟

-4

كيف كان تدريسك ؟

01- إلى أي مدى كان الدرس ناجحا ؟

02- ما هو الجانب الأقل نجاحا في الدرس و لماذا ؟

03- كيف يمكن لك التأكد من أن جميع التلاميذ قد فهموا الدرس ؟

04- إلى أي مدى استعملت الصبورة ؟ هل كان ذلك فعالا ؟

05- ما هي الوسائل الأخرى التي استعملتها ؟ هل كانت نافعة ؟

06- ما هي المهارات التي طورتها ؟

07- إلى أي مدى استعملت لغة التلاميذ؟ هل كان ينبغي استعمالها أكثر

أم أقل ؟

08- ما هو الجانب الأصعب في درسك ؟ و لماذا ؟

09- ما هو الاختلاف بين هذا الدرس و الذي قبله ؟

التلاميذ :

01- ما هي التمارين و النشاطات التي تمتع بها التلاميذ أكثر ؟ و لماذا ؟ .

02- ما هي الصعوبات التي وجدها التلاميذ ؟ و لماذا ؟

03- هل فشل أي تلميذ في المشاركة في الدرس ؟ ، و إن كان كذلك فلماذا ؟

04- ما هي المشاكل التي لها علاقة بالسلوك ؟ ما هي أسبابها ؟ و كيف تعاملت

معها ؟

05- ما هي النصائح التي يمكن للتلاميذ أن يوجهونها لك ؟

**Teaching a foreign language:
Evaluation and self evaluation**

Abstract:

Teaching a foreign language requires a wide range of elements which are situations and ‘planned and graded according to particular approaches‘selected levels.

The organization of these elements takes place within the realm what is the teacher and the ‘known as the educational situation (i.e.) the learner materials. This study attempts to shed light on the educational factors and to focus on evaluation and self evaluation.

Factors influencing teaching

‘Creating a good atmosphere to teach a foreign language is a complicated demanding and many-sided task. The purpose of this study is to describe some of the points which a teacher or a course writer has to bear in mind as he sets about his work .Moreover it is a set of advice or recommendation intended for teachers to make a judgment or an evaluation after a teaching session as self evaluation.

‘The first point is that a language teaching course is a pedagogical problem although it is obviously sensible to seek help and advice from specialist in the choices and decisions that we make are ‘psychology and so on‘linguistics and the wisdom or otherwise of these ‘our own responsibility as teachers decisions can be seen only in the results we obtain from our pupils.

Our task is to produce good teaching materials to learn quickly and well and make the teacher’s job as interesting and profitable as possible.

who the learner ' we should ask ourselves, 'As a first step towards this goal is? And why is he learning a foreign language? Then we can decide how much and how well he should be taught to achieve this aim.

' the teacher, 'In any educational situation there are three factors: the learner and the materials.

there is the fourth factor ' because learning is taking place, 'In such a situation of time.

The learner is a member of a community which has certain views about the purpose of teaching languages and the role that language teaching fulfils in the general system of education.

the loaded programmes 'Some factors such as the complexity of the syllabus the time devoted for teaching language influence the language 'and subjects teaching.

Many teachers may have no access to their lesson plans; many learners might not be of the right age to enjoy games or activities. Every teacher has such factors to consider and every teacher is in a unique teaching situation.

When the teacher really feels he knows his students the potentials and limitations of the place of learning and the exact stage in the language teaching (T/L) sequence he is aiming at them he will be able to choose the appropriate medium and decide on how well it should be use various socio-cultural factors must be taken into account in the choice of contexts situation and audio- visual materials.

The teacher must judge for himself at which point his teaching fulfills the on the other hand at which point the materials happen to 'learners' need s coincide with the pupils level and needs.

For these reasons and factors some questions are raised: what to teach? How well to teach? And how to evaluate? What are the bad and good teaching points?

to this 'This study attempts to tackle these question and self evaluation several contributions of scholars and researchers in this scope would be 'end pointed.

'Evaluation is not a recent science .It has been used for controlling selectionning and certifying .Its result is success or failure.

Nowadays evaluation is put into practice in order to correct errors and to remedy.

evaluation has some objectives to be ' As any kind of scientific research accomplished in the teacher's formation plan.

it encourages teachers to integrate them in the pedagogical 'First of all activity.

To sensible them to the concept of evaluation and its goals:

Evaluation and assessment:

defines **evaluation** as:"Brown"¹-

the systematic collection and analysis of all relevant information necessary " to promote the improvement of a curriculum and assess its effectiveness and efficiency as well as the participants attitudes within the context of the "particular institutions involved¹.

frequently confusion between the concepts evaluation and 'However assessment takes place.

they should not be used."Numan "According to

To me there is a clear distinction between the two concepts.

Assessment refers to the procedures and process whereby we determine " what learners are able to do in the target language. We may or may not

¹ Brown Gd.Language programme Evaluation 'a synthesis of existing possibilities 'in Johnson :rk The second Language curriculum 'cup '1989;p 223

assume that such abilities have brought about by a program of processes which may not include assessment data!

Assessment is subsumed by evaluation and evaluation cannot be resumed while assessment is mainly concerned with one 'to assessment indeed evaluation is 'component of the educational situation (i.e.: the learner) or formal 'institutionalization; it means the creation of institutions to control it and often 'organizations to promote its development to direct it eventually to monopolize it)¹.

We distinguish two types of evaluation:

Summative and formative evaluation:

Formative evaluation takes place during the running of a program or a curriculum. The main objective is to collect data which are going to be used to improve the curriculum and its contents.

'Summative evaluation occurs at the end of a teaching session or period that is say when a program has been fulfilled.

In this case information is gathered to see whether the program has been successful.

timing and ' suggests that we consider differences in terms of focus "Long" purpose.

Formative evaluation focuses on factors like attitudes towards curricula innovations and usability of new elements in the instructional materials assesses the strengths and limitations of a new program during its development and implementation and seek data (with a view toward modifying "a program as it is being implemented or formed (hence formative)²

¹ Nisbet. J , curriculum Evaluation in context ,in Skibeck ,M ed ,Evaluating the curriculum in the 80 s 6 Hodder and S tonghton ,1987,p166.

²Long, Processes and Product in ESL program evaluation: in TESOL Quarterly; Vol 18:3, 1984, p417.

Summative evaluation measures students' achievements taking into effectiveness takes place after the development account factors such as cost and implementation process is complete and attempt to summaries (hence ¹ "on implemented summative) the results of a program

Self evaluation:

the ability of a teacher to "self evaluation is" **Adrian Doff** "According to judge his or her own teaching honestly and to see how much learning is taking they need to observe place in the class. For teachers to evaluate themselves themselves. They can do this indirectly by careful planning before the lesson followed by reflection after the lesson on what took place."²

the materials he Teaching is a three-way relationship between the teacher or she is using (e.g. the textbook) and the students. When observing teaching (or evaluating our own teaching) it is useful to focus on one aspect of this relationship at a time. For examples of categories which can be used in see activity2. observation

so we can only judge The purpose of teaching is to help students to learn teaching by seeing how well students succeed in learning. The teacher can improve students' chances of learning by:

: the classroom climate is affected by " climate"-Creating a good classroom how e.g. how he or she deals with errors teacher's own attitude and behavior how much he or she uses English in the lesson. he or she controls the class and recognizing that -Being sensitive to the needs of individual learners each student has different needs problems.

¹ Ibid; p417.

² *Adrian Doff; Teach English, a training course for teachers, Cambridge University Press 1995, p138.*

e.g.by ‘So the teacher should try to find out more about each student and by finding time to talk to ‘getting them to talk and write about themselves students outside the class.

Good and bad teaching

1-try to agree on five important characteristics of good teaching. Write them down.

b- c- d- e-..... -a

2-now choose the one you think is most important.

3-evaluate yourself. How far are these five characteristics true of your own teaching?

Bad teaching

1-try to agree on five important characteristics true of bad teaching. Write them down.

b- c- d- e-..... -a

2-choose the one you think is most harmful.

3-evaluate yourself. How far are these five characteristics true of your own teaching?

Categories for observation

A Teaching procedure

B Use of teaching aids

C Involvement of the class

D teacher’s personality

E Command of English

Look at the questions below

- Which category does each question belong to? Write a letter beside the question.
- How important is each question? Write a number from 0(=not important) to 5(=very important)

| | category | How important |
|--|----------|---------------|
| 1-Is the aim of the lesson clear? | | |
| 2-Does to teacher write clearly on the board? | | |
| 3-Do students participate actively in the lesson? | | |
| 4-Does the teacher do variety of activities? | | |
| 5-Are the stages of the lesson clear | | |
| 6-Does the teacher have clear pronunciation? | | |
| 7-Does the teacher smile often? | | |
| 8-Does the teacher use visuals appropriately? | | |
| 9-Does the teacher speak naturally? | | |
| 10-Does the teacher encourage students to ask questions? | | |
| 11-Does the teacher encourage real use of language? | | |
| 12-Does the teacher seem interested in the lesson? | | |

Classroom climate

Look at these statements. Each one describes a teacher's behaviour in class.

Which of them would have a good effect on the classroom climate?

Which would have a bad effect?

- a) The teacher corrects every error.
- b) The teacher hardly ever corrects error?
- c) The teacher lets students know who is first class.
- d) The teacher praises students who answer correctly.

- e) The teacher criticizes students who repeatedly make mistakes.
- f) The teacher punishes students who behave badly.
- g) The teacher usually chooses good students to answer.
- h) The teacher often chooses weaker students to answer.
- i) the teacher uses only English in the lesson.
- j) The teacher mostly uses English in the lesson.
- k) The teacher translates everything into the student's own language.

The students think about one of the classes you have taught.

Are there students who:

- find the lessons very easy?
- have difficulty understanding the lesson?
- are very quiet or unwilling to participate?
- are difficult to control?
- have difficulty seeing or hearing?
- have problems with reading or writing their own language?

Discuss what you could do to help them and keep them involved in the
class

Lesson preparation

and Plan a complete lesson. Try to include a variety of activities

To use some of the techniques introduced in this training course.

Include in your plan:

- The aims of the lesson.
- The main stages of activity.

- Detailed notes for each stage.

Aims and content of the lesson: The lesson may focus on a particular topic or a skill (e.g. 'going to' a particular structure (e.g. practice of (e.g. sports) ask: what should 'understanding spoken instructions). When thinking of the aim the students learn to do in this lesson?

Main stages of the lesson:

Presentation: The teacher presents new words and structures.

Practice: students practise words and structures in a controlled way.

Production: Students use language they have learnt to express themselves more freely.

(Practice and production can be oral or written).

Reading: Students read a text and answer questions or do a task (e.g. completing a table).

on cassette or read by the 'Listening: Students listen to text or dialogue teacher.

Self-evaluation sheet

Answer these questions after you have taught the lesson.

Write brief notes on a separate sheet of paper.

Preparation

1. How useful was your lesson plan? Where you able to follow it or did you have to depart from it during the lesson?

2. What difficulties did you find in planning the lesson?

what changes would you make to '3. Now that you have taught your lesson the plan for the next time?

Your teaching

1. How successful the lesson?
2. Which part of the lesson was most successful? Why?
3. Which part of the lesson was least successful? Why?
4. How did you ensure that all the students understood?
5. How much did you use the blackboard? Was it effective?
6. What other aids did you use? Were they effective?
7. Which of the four skills did you develop most?
8. How much did you use the student's own language? Should you have
‘used more or less
9. What aspect of the lesson gave you most difficulty? Why?
10. How was this lesson different from the one you taught before and after
it?

The students

1. What activities did the students enjoy most? Why?
2. What did the students find the most difficult? Why?
- why was this? 3. Did any students fail to participate? If so
4. What discipline problems were there? What caused them? How did you
deal with them?
5. What advice might the students give you about the lesson?

II - تقويم و دراسة: الصعوبات التربوية في تدريس اللغة الانجليزية

التصور العام

تهدف هذه الدراسة إلى البحث في أهم الصعوبات التربوية الشائعة الممكنة في أثناء تدريس اللغة الإنجليزية في طور التعليم المتوسط ، و هذا من خلال ملاحظات جل الأساتذة لهذه المادة ، كما تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن مدى تصور هؤلاء الأساتذة لهذه الصعوبات و ذلك بالاعتماد على تجاربهم و كفاءاتهم في ميدان التدريس و انتهاجهم لمختلف طرائقه البيداغوجية منها والتقييمية.

لقد أجرى صبرا للآراء شمل عددا هائل من الأساتذة ذكورا و إناثا للإجابة على بعض الأسئلة تمحورت حول ما يفوق 52 جانبا ذات الصلة بالموضوع.

و لثمين نتائج هذه العملية عرض العمل على مجموعة من الخبراء و المتخصصين لتقييمه، لقد اعتمدوا على وسيلة.....تقويم و تقييم هذا الاستجواب بحيث تم حصر بعض النسب ثم تحليلها و كانت النتائج تشير إلى ما يلي:

لقد أثبتت الدراسة أن أساتذة اللغة الإنجليزية يواجهون فعلا صعوبات في تدريس هذه اللغة و على جميع الأصعدة .

الفصل الأول:

1_ مقدمة و محتويات:

يقدم الباحث في هذا الفصل بعض المقالات التي لها علاقة مع مشاكل تدريس اللغة الإنجليزية تشمل هذه المحاور على تقديم المشكلة ثم التطرق إلى هدف الدراسة ، فرضيتها ماهيتها و كذا تعاريف مصطلحات و تحديدها .

يركز بيرن (1980) على بعض المشكلات التي تواجه أساتذة اللغة الإنجليزية داخل القسم .

إذ يختلف التلاميذ من حيث تطلعاتهم، مصالحهم، و اهتماماتهم، رصيدهم المعرفي و شخصياتهم

و بالتالي فعلى الأستاذة أن لا يغفلوا هذه الجوانب التي تحتم عليهم اختيار المعطيات اللغوية التي يحتاجها التلاميذ لتعلمها و تطبيقها ، و ليس كل التلاميذ بإمكانهم الجواب على السؤال ما و عليه فالأستاذة مطالبون باستعمال وسائل إيضاح و طرق تعليمية مختلفة ناجعة و صحيحة.

- لقد صنفت موسوعة وابتسار هذه المشكلة و الصعوبات إلى نوعين أساسين و هما: الصعوبات التربوية و الصعوبات اللغوية.

أما الصعوبات اللغوية فسببها راجع إلى بعض الاختلال ذات الصلة بالغة مثل: نظام الكتابة النحو..... وغيرها .

لقد أجريت العديد من الدراسات حول الصعوبات التربوية و منها تلك التي قام بها روبرت 1979 لقد ركز في دراسته على مشاكل و السلوك عند التلاميذ و التي حددها في نمطين:

الأول : و الذي يعتبرها من ضمن فعل التهجم على الآخرين و التعارك معهم ، و هذا ما قد ينجم عنه مخاطر جسيمة فيما بينهم أو مع الآخرين .

لذا فيجب أخذ هؤلاء التلاميذ بعين الاعتبار و على جناح السرعة لمعالجتهم على الشكل الصحيح أما الثاني: و الذي يعتبر كذلك خطيرا و هو الذي يخص التلاميذ الذين لا يشاركون في القسم برفع أصابعهم و لا يتبعون التوجيهات التي تعطى لهم من أي مكان.

- أما قيري 1995 فقد أقر بأن تدريس اللغة الأجنبية عمل شاق و مهمة صعبة لكن إذا ما أتقنت فستكفل دائما بالنجاح خاصة إذا كرس الأستاذ نفسه لتلامذته و حثهم على الممارسة المستمرة لأن الشطر الأكبر من هذه العملية إنما يبقى على عاتق الأستاذ ، انه يتوجب عليه تدريس هذه اللغة الأجنبية التي تكون في البداية على شكل رموز صامتة إلى مكتوبة و يجعلها منطوقة حية عبر كلام شفاهي و بالتالي تكوين كلمات و جمل ذات معينة في وضعيات حقيقية .

- أما ساندرس 1979 فقد ركز في دراسته على مدى كفاءة الأساتذة في إيجاد أفضل طريقة لضمان جو لائق للتدريس ، و في هذا يتحجج بتلك الأحداث التي قد تصدر داخل القسم و التي من شأنها أن تعكر صفة الجو العام و بالتالي تجعل التلاميذ يميلون إلى التكاسل و الخمول يدفعهم ذلك إلى سوء السلوك .

قد يعاني الأستاذ في بداية مشواره العملي من مشاكل تربوية ولاسيما تلك المتعلقة بالانضباط والسلوك ، و هذا يرجع أساسا إلى كيفية تحفيز الأستاذ تلاميذه و جعلهم ينغمسون في أطوار الدرس دون ملل و لا تهاون مع استغلال عامل الوقت استغلالا ذكيا .

بين أن هذا العمل كفيف بأن يكون صعبا على الأستاذ الذي تنقصه التجربة اللازمة لكن مع مرور الوقت قد يلجأ إلى تجميع العديد من التقنيات و تدوينها في دفتره الخاص للعمل بها مستقبلا في مناسبات ووضعيات معينة .

يقوم التلاميذ بتحديات على ممر الوقت في اكتشاف درجة الأخطاء و كيف يواجهونها ، فمثلا قد يصيح تلميذ ما بطريقة غير لائقة " هاي " عوض " سيدي " أو " أستاذ " و هو ما يتوجب إلى أستاذه و بصفة صديقة بطريقة لبقة بعد أن عرف موطن الخطأ .

لقد أشار1996 إلى الأهمية البالغة التي يجب على الأساتذة المبتدئين أن يولوها و هذا يتعلق باهتمامات كل واحد منهم حسب أولوياته .

إن التدريس هو عبارة عن مجموعة من مركبة من التحديات المهنية التي تتطلب تحضيراً جيداً ومراجعة مستمرة للنفس ، فكما هو الشأن بالنسبة لكل الناس فإن الأستاذ يتساءل عن مدى نجاح عمله و كيف يوصل معارفه ببساطة إلى تلاميذه .

- انه يتباحث محتوى البرنامج المسطر للتدريس و كيفية تطبيقه على الوجه الصحيح .

- كما انه يبحث عن الأدوات التي قد يوظفها في تكييف طريقته التعليمية بحسب مستوى تلاميذه و المادة المقدمة لهم .
- انه يسعى إلى تحديد معالم القسم المادية و المعنوية التي تتوقف عليها نجاحه من عدمه .
- كم لا يفوته أن يعتني بالعلاقات الإنسانية و المهنية التي يربطها مع أولياء تلاميذه ، مع العمال الإداريين و كل من له صلة بميدان عمله ، انه يعمل على تحديد قواه البدنية و النفسية باستمرار حتى يتسنى له مواصلة العمل بدون عناء و لا ملل و بالتالي تحفيز التلاميذ على القيام بذلك ، يعمل الأستاذ على سن أسلوب الحوار مع تلاميذه و مناقشتهم في كل الأمور المتعلقة بعمله و السلوكية منها و البيداغوجية و بذلك يمكنه الوقوف على كل الصعوبات التي يسعى جاهدا لتجاوزها مستقلا .
- لقد كتب أوسار 1973 مقالا ركز فيه على أهم المشاكل التي ترتبط أساسا بالجانب المادي و الشكلي للقسم و لاسيما طريقة الجلوس لدى التلاميذ .
- لهذا لاحظ ان المكاتب المستعملة حاليا إنما هي ثقيلة و مظلمة داكنة ، فإذا ما أراد الأستاذ القيام بتطبيق ما و عليه تغيير مكان هذه المكاتب لوجودها ثقيلة جدا يصعب لأداء التمارين الخاصة بالأفواج ، فعموما هناك مشاكل خاصة بالأثاث الموجود داخل القسم و ما يحتويه من أثاث و أدوات و أجهزة بحيث لاحظ نقصا فادحا في وسائل..... المتاحة مع اكتظاظ التلاميذ داخل القسم الواحد و هذا ما أثر سلبا في عملية التحصيل التربوي و المعرفي لديهم .
- لقد صنف عباس (1991) صعوبات تدريس اللغة الانجليزية إلى صنفين :

2_ المشاكل الكبرى :

- اتفق الأساتذة بنسبة 100% على أن البرنامج السنوي لا يمكن تغطيته خلال سنة واحدة نظرا لكثافته من جهة و لنقص التجربة عند بعض الأساتذة و انعدام البرامج التكوينية من جهة أخرى.

3_ المشاكل الصغرى :

- اتفق الأساتذة و بنسبة 50 % أن الأقسام مكتظة عن آخرها و تفتقر إلى وسائل الإيضاح كما أن التلاميذ لا يستفيدون من أي تحفيز في أن يقيمون مثلا أعمال مشتركة مع زملائهم في مؤسسات أخرى في شكل توأمة .

4_ أهداف الدراسة :

ترمي هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية :

البحث في أهم الاختلافات عند أساتذة اللغة الانجليزية في طور المتوسط ، فيما يتعلق بالصعوبات التربوية التي تواجههم في أداء مهمتهم التعليمية و ذلك بالاستناد إلى العوامل الآتية

- النوع .
- التجربة .
- القائمة الأكاديمية .
- التقييم السنوي من قبل المفتش .
- طرق تدريس اللغة الانجليزية .

5_ أسئلة الدراسة :

- تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية :

- ما هي الصعوبات التربوية الموجودة في تدريس اللغة الانجليزية في الطور المتوسط .
- ما هي الصعوبات الخاصة و الشائعة عند جل أساتذة هذه المادة في الطور المتوسط
- ما هي الاختلافات الموجودة لدى أساتذة المادة بالنسبة للصعوبات التربوية التي يواجهونها في هذا الطور .
- هل هناك اختلافات متعلقة أساسا بتجربة كل أستاذ .
- هل هناك جانب متعلق بكفاءةهم المعرفية و البيداغوجية .
- هل هناك جانب متعلق ب التفتيش التقييمي السنوي لكل واحد منهم ؟
- هل هناك جانب متعلق بطريقة كل واحد منهم في تدريس هذه المادة ؟

6_فرضيات الدراسة :

تقيم هذه الدراسة اختبارا للفرضيات الموالية :

- لا توجد فوارق بين الأساتذة ذكورا و إناثا فيما يخص مشاعرهم اتجاه الصعوبات التي تواجههم.
- لا توجد فوارق بينهم فيما يخص هذه الصعوبات حتى باختلاف تجربتهم في التدريس إن كانت طويلة، متوسطة أو قصيرة المدى.
- لا توجد فوارق بينهم خاصة بهذه الصعوبات حتى باختلاف الشهادات العلمية التي؟ إن كانت ليسانس أو ماجستير أو ماستير أو غيرها .
- لا توجد فوارق بينهم حتى باختلاف درجات التفتيش التي حازوا عليها من قبل مفتش المادة خلال المراقبة السنوية.

- لا توجد فوارق فيما يتعلق بهذه الصعوبات دائما وذلك سواء باعتماد الطريقة الكلاسيكية في التدريس أو طريقة التواصل أي الحوارية.
- ماهية الدراسة (مغزاها)
- تسعى هذه الدراسة إلى كشف النقاب على هذه التساؤلات المتعلقة بأبرز الصعوبات التي يواجهها أستاذ اللغة الانجليزية في الطور المتوسط و بالتالي تكون بمثابة مساعدة له و لملفتشه و كذا الناس المعنيين بالبرامج التكوينية من أجل مهنة أستاذ متربص وأستاذ مرسم .
- و قد تساعد هذه الدراسة في إعداد البرامج و المناهج التعليمية الخاصة بهذا الطور من خلال الكتاب المدرسي .
- كما أنه تكون نقطة بداية لدراسات أخرى لمواضيع ذات الصلة لتعليم اللغة الأجنبية عبر العالم.
- إن تدريس اللغة الانجليزية في طور المتوسط تستوجب استعمال الوسائل الإيضاح المختلفة و التي تتماشى مع مجمل الطرق و الاستراتيجيات المعتمدة لذات العملية بغية تجاوز كل الصعوبات المحتملة و ضمان نجاح باهر لتعملها و استعمالها في شتى الوضيعات

تعريف المصطلحات:

1- الصعوبة التربوية : تعد سببا في تعثر الأستاذ لمادة اللغة الانجليزية و تجعله قليل الحيوية والفعالية، قد لا يستطيع إنهاء البرنامج السنوي المسطر حسب المنهاج المقرر (موسوعة وابستار (1996)

2- أستاذ اللغة الانجليزية : أي أستاذ يدرس هذه اللغة في الطور المتوسط .

المراقبة التفثيشية السنوية التقييمية :

هي عبارة عن مراقبة فعلية يقوم بها مفتش المادة من أجل تقييم أستاذ المادة داخل القسم (موسوعة واب ستار 1996) .

3- أستاذ الانجليزية حديث التوظيف :

انه الأستاذ الذي عين حديثا من قبل وزارة التربية و التعليم.

مستوى السنة الثالثة و الرابعة متوسط :

تدرس اللغة الانجليزية في هذين المستويين

4-الجو العام للقسم :

يشمل الظروف الطبيعية و الاجتماعية التي يدرس فيها التلاميذ و هي مستوحاة من الشروط الاقتصادية و الثقافية و كذا الخصائص التي تميز الوضعية الاجتماعية داخل البلد الواحد (موسوعة وابستار 1996) .

5- الصعوبات اللغوية :

و سببها يمكن في وجود مشاكل متعلقة باللغة أساسا و منها النحو ،و نظام الكتابة

(موسوعة وابستار 1996) .

6- اكتظاظ الأقسام :

لا تحتوي الأقسام على أعداد غير عادية للتلاميذ داخل القسم الواحد (موسوعة وابستار 1996)

وجود حوار سلمي بين الأستاذ و المفتش المراقب أو المدير :

إذا كانت العلاقة بين الأستاذ و المدير سيئة فإن هذا سيؤدي إلى نتيجة سلبية لا محالة .

(موسوعة وابستار 1996) .

7- الوسائل السمعية البصرية (وسائل الإيضاح) .

إنها وسائل تتوقف على حاسة البصر و منها : الأفلام ، الشرائح ، العدسات ، و الصور
... الخ .

تستعمل كأدوات مساعدة للتدريس الإيجابي (موسوعة وابستار 1996)

8- الطريقة التقليدية أو الكلاسيكية :

تعتبر طريقة قديمة تستعمل في التفكير ، أو التعليم أو التنشيط و تعتمد على التذكر .

(موسوعة وابستار 1996)

9- الطريقة التواصلية الحوارية :

و هي طريقة جديدة في التدريس ، و تعتمد على تبادل الأفكار و الآراء و المعلومات عبر
الكلام أو الحوار أو حتى الرموز المكتوبة (موسوعة وابستار 1996) .

حدود الدراسة

تحددت حدود هذه الدراسة عند الجوانب الآتية :

إنها تتركز على تصورات أساتذة اللغة و إجاباتهم لجملة الأسئلة المطروحة في محتوى الاستجواب
الذي يعرض المشاكل التربوية التي يواجهونها في الطور المتوسط .

لقد كان عددهم في حدود العشرين ذكورا و إناثا و على ضوء هذا الاستجواب ثم عرض أهم
المشاكل التربوية و التعليمية المتعلقة بموضوع التدريس .

ملخص :

تمحورت الدراسة في هذا الفصل حول التأكيد على أهمية الوقوف عند جملة المشاكل التربوية التي يواجهها أستاذ مادة اللغة الإنجليزية .

كما تم التطرق إلى كيفية معالجة هذه المشاكل من قبل الأساتذة هذه الدراسة اشتملت على محاور أبرزها :

- عرض المشكلة .
- هدف الدراسة .
- بحث الأسئلة (الاستجواب)
- فرضيات الدراسة
- ماهية و مغزى الدراسة
- تعريف المصطلحات
- حدود الدراسة

و في الأخير تعرض الفصل إلى تحديد كيفية مساعدة الأساتذة لهذه المادة كي يتوصلوا إلى تحقيق أهدافهم التعليمية و التربوية داخل القسم أولاً و قبل كل شيء ، فإن هذا يشجع الأساتذة ليندمجوا في النشاط البيداغوجي ، كما توعيتهم بمفهوم التقييم و أهدافه .

و في ما يلي نعرض أهم الصعوبات التي تواجه أساتذة تعليم اللغة الإنجليزية في الطور المتوسط و التي يمكن إجمالها في المجالات الآتية:

المجال الاول :

صعوبات متعلقة بصياغة الاهداف التربوية:

| الرقم | المادة | تقريباً أوافق | (2) موافق | جيد | ممتاز | لا أوافق | اطلاقاً لا |
|-------|---|------------------|--------------|-----|-------|-------------|---------------|
| 01 | أجد صعوبة في استخراج (استنباط) الأهداف التربوية من خلال محتوى الدرس. | | | | | | |
| 02 | أجد صعوبة في التمييز بين الأهداف العامة و الخاصة. | | | | | | |
| 03 | أجد صعوبة في ترجمة الأهداف العامة الى خاصة. | | | | | | |
| 04 | أجد صعوبة في تحديد الأهداف التربوية المتعلقة بالمجال النفسي. | | | | | | |
| 05 | لدي صعوبات في تشكيل الأهداف التربوية في المجال المعرفي. | | | | | | |
| 06 | أجد صعوبة في تحضير مذكرة الدرس اليومي في الانجليزية. | | | | | | |
| 07 | أجد صعوبة في تحضير البرنامج السنوي و الفصلي . | | | | | | |
| 08 | أجد صعوبة في (تحليل) استغلال محتوى الدرس. | | | | | | |

| | | | | | | |
|--|--|--|--|--|--|----|
| | | | | | أجد صعوبة في تحديد الأهداف التربوية و استغلالها في المجال الانفعالي و التفاعلي . | 09 |
|--|--|--|--|--|--|----|

المجال الثاني

صعوبات متعلقة بالأهداف العامة و محتوى منهاج تدريس اللغة الأجنبية

| | | | | | | | |
|------------------|-----|--------------|-----------|-----------|------------------|---|----|
| لا أوافق إطلاقاً | (5) | لا أوافق (4) | حيادي (3) | موافق (2) | أوافق تماماً (1) | أجد صعوبة في معرفة الأهداف العامة لتدريس اللغة الانجليزية في الطور المتوسط. | 10 |
| | | | | | | أجد صعوبة في معرفة الأهداف الخاصة لكل درس. | 11 |
| | | | | | | الأهداف الخاصة لمحتوى الدرس لا تعكس الفروق الفردية للتلاميذ. | 12 |
| | | | | | | هناك عجز في فهم المجال النفس حركي في الأهداف العامة | 13 |
| | | | | | | الأهداف العامة تفتقر إلى المجال العاطفي | 14 |
| | | | | | | محتوى برنامج اللغة الانجليزية لا يركز على العلاقة بين المجال | 15 |

| | | | | | | |
|--|--|--|--|--|---|-----|
| | | | | | الأدبي و الاجتماعي. | |
| | | | | | أجد صعوبات في ربط ما هو أدبي بما هو اجتماعي | 16 |
| | | | | | محتوى البرنامج المخصص للمستوى الثاني و الثالث متوسط لا يأخذ بعين الاعتبار مهارات التلاميذ الفكرية و الإبداعية | 117 |
| | | | | | محتوى برنامج اللغة الانجليزية لا يتلاءم و الفروق الفردية للتلاميذ | 18 |
| | | | | | (وسائل الإيضاح) الرسومات و الصور و المنحنيات البيانية التي تتوفر عليها الكتاب المدرسي ليست واضحة بالشكل اللازم | 19 |
| | | | | | محتوى الكتاب المدرسي لا يتناسب و ثقافة و أدب الطفل. | 20 |
| | | | | | محتوى الكتاب المدرسي لا تتوفر على فروع أخرى من المعرفة. | 21 |
| | | | | | محتوى الكتاب لا يتماشى و البيئة التربوية للوطن . | 22 |

المجال الثالث:

صعوبات متعلقة بطرق

ومناهج تدريس اللغة الاجنبية

| | | | | | | |
|--|--|--|--|--|---|----|
| | | | | | أجد صعوبة في الربط بين المعرفة اللغوية و احتياجات التلاميذ | 32 |
| | | | | | أجد صعوبة في الربط بين المعرفة اللغوية للتلاميذ و تجاربهم السابقة . | 24 |
| | | | | | أجد صعوبة في تحديد الأهداف التربوية التي تناسب قدراتهم المعرفية. | 25 |
| | | | | | تكيف طريقة الدرس حسب احتياجات التلاميذ | 26 |
| | | | | | نواجه صعوبات في اختيار الطريقة المناسبة في فحوى الدرس | 27 |
| | | | | | أجد صعوبة في تطوير الفكر الابداعي لدى التلاميذ | 28 |
| | | | | | أجد صعوبة في تنمية المهارات الفكرية و الابداعية لدى | 29 |

| | | | | | |
|--|--|--|--|--|---|
| | | | | | التلاميذ . |
| | | | | | 30 هناك صعوبات في ربط الأهداف لتدريس اللغة الانجليزية للعوائق البيئية . |
| | | | | | 31 أجد صعوبة في وضع مذكرة لمعالجة النقص الذي يعاني منه التلاميذ. |
| | | | | | 32 هناك صعوبات في تصحيح الأعمال المنزلية للتلاميذ |
| | | | | | 33 أجد صعوبة في مراقبة ومتابعة الحوار الشفاهي التفاعلي داخل القسم. |

المجال الرابع:

صعوبات تتعلق بتقويم

التلاميذ

| | | | | | | | | | | | |
|----|--------------|-----|----|------|-------|-----|-------|-----|-------|-------|--|
| لا | أوافق إطلاقا | (5) | لا | أفني | حيادي | (3) | موافق | (2) | أوافق | تماما | 34 أجد صعوبة في ربط عملية التقويم بالأهداف التربوية. |
| | | | | | | | | | | | 35 أجد صعوبة في إعداد دراسة تقويمية لعملية التعلم و التعليم. |

| | | | | | |
|--|--|--|--|--|----|
| | | | | أجد صعوبة في الأخذ بعين الاعتبار التقويم المستمر. | 36 |
| | | | | أجد صعوبة في صياغة سؤال جيد. | 37 |
| | | | | أواجه صعوبات في تحليل نتائج الامتحانات من اجل تحسين طرق التعليم. | 38 |
| | | | | أجد صعوبات في ربط التقويم بالطرق التعليمية، و وسائل الإيضاح و كذلك النشاطات التعليمية من اجل بلوغ الأهداف. | 39 |
| | | | | | |
| | | | | هناك نقص في كفايات الأساتذة لتعليم اللغة الانجليزية. | 40 |
| | | | | نقص في برامج الخدمة التدريبية . | 41 |
| | | | | نقص في البرامج التدريبية المنعقدة خلال السنة الدراسية. | 42 |
| | | | | وجود مساوئ في التنسيق بين البرامج و التدريس. | 43 |
| | | | | مساوئ برامج التدريب. | 44 |

| | | | | | | |
|--|--|--|--|--|---|----|
| | | | | | مساوى النمو السلوكي و الأكاديمي للأساتذة. | 45 |
| | | | | | المجال السادس نقص الوسائل و الأجهزة الأساسية لإعداد الدروس نقص المكتبات المدرسية أجد صعوبة في التحكم و تدريس الأقسام المكتظة أجد صعوبة في عملية التدريس بسبب الواجبات المتزايدة أجد صعوبة في تطبيق بعض النشاطات. | |

First domain:

Difficulties in forming educational objectives: daily and annual planning.

| o | Item | Strongly Agree (1) | Agree (2) | Neutral (3) | Disagree (4) | Strongly Disagree (5) |
|---|--|-----------------------|--------------|----------------|-----------------|--------------------------|
| 1 | I find difficulties to derive the educational objectives from lesson content. | | | | | |
| 2 | I find a difficulty in distinguishing between general and specific objectives. | | | | | |
| 3 | I have a difficulty in formulating the general objective into specific objectives. | | | | | |
| 4 | I find a difficulty to form the educational objectives in the knowledge field. | | | | | |
| 5 | I find difficulties in preparing a daily plan for an English lesson. | | | | | |
| 6 | I find difficulties in preparing an annual or a seasonal English plan. | | | | | |

| | | | | | | |
|---|--|--|--|--|--|--|
| 7 | I find it difficult to translate the content of an English lesson concepts and 'into facts procedures. | | | | | |
|---|--|--|--|--|--|--|

Second Domain :

Difficulties of general objectives and content in teaching English third and fourth grades. ' second syllabus for the first

| | Item | Strongly Agree (1) | Agree (2) | Neutral (3) | Disagree (4) | Strongly Disagree (5) |
|---|---|--------------------|-----------|-------------|--------------|-----------------------|
| 0 | I find it difficult to know the general objectives of teaching English in middle school. | | | | | |
| 1 | I find it difficult to know the specific objectives for each lesson. | | | | | |
| 2 | The specific objectives of English lesson can't measure the individual's differences capacities | | | | | |

| | | | | | | |
|---|---|--|--|--|--|--|
| | among pupils. | | | | | |
| 3 | The general objectives lack of comprehension in the cognitive domain. | | | | | |
| 4 | There is a lack of comprehension in the psychomotor domain within the general objectives. | | | | | |
| 5 | The general objectives lack of comprehension in the affective domain. | | | | | |
| 6 | The contents of English syllabuses don't concentrate | | | | | |

| | | | | | | |
|---|---|--|--|--|--|--|
| | On the correlation between literature and society. | | | | | |
| 7 | The content of English syllabuses third and fourth , second,for the first classes don t take into consideration the pupils' creative thinking skills. | | | | | |
| 8 | The contents of English syllabus are not suitable for individual differences. | | | | | |
| 9 | and shapes , pictures,The charts of first and fourth textbooks are not clear and suitable for these grades. | | | | | |
| 0 | The textbooks of English syllabus for the four grades are not suitable for relevant literature. | | | | | |

| | | | | | | |
|---|--|--|--|--|--|--|
| 1 | The contents of English syllabuses third and fourth ‘ second‘for first grades are not related to other knowledge branches. | | | | | |
| 2 | The contents of English syllabuses for these grades are not suitable for Algerian educational environment and traditions. | | | | | |

Third Domain :

Difficulties related to the methods of teaching English.

| o | Item | Stro ngly Agree (1) | Agr ee (2) | Neutra l (3) | Di sagre e (4) | Stro ngly Disa gree (5) |
|---|--|------------------------------|------------------|--------------------|-------------------------|-------------------------------------|
| 3 | I find difficulties in linking the linguistic knowledge with pupils’ needs. | | | | | |
| 4 | I find difficulties in linking the linguistic knowledge with pupils ‘needs. | | | | | |
| 5 | I find difficulties in preparing educational activities suitable for pupils’ abilities. | | | | | |
| 6 | I find difficulties in changing the methods of teaching in one lesson according to pupils’ needs and | | | | | |

| | | | | | | |
|---|---|--|--|--|--|--|
| | capacities. | | | | | |
| 7 | I find difficulties in selecting the method of teaching suitable for a lesson content. | | | | | |
| 8 | I find difficulties in developing the pupils' creative thinking. | | | | | |
| 9 | I find difficulties in developing pupils' creative thinking skills. | | | | | |
| | | | | | | |
| 0 | I find difficulties in mathing the objectives of teching English with environmental problems. | | | | | |
| 1 | I find difficulties in putting a remedial plan for slow leaners. | | | | | |
| 2 | I find difficulties in correcting homework. | | | | | |
| 3 | I find difficulties in controlling the verbal interaction inside the classroom. | | | | | |

Fourth Domain:

Here are some difficulties related to pupils' evaluation.

| No. | Item | Strongly agree(1) | Agree (2) | Neutral (3) | Disagree (4) | Strongly disagree(5) |
|-----|--|-------------------|-----------|-------------|--------------|----------------------|
| 34 | I find it difficult to link evaluation with the educational objectives. | | | | | |
| 35 | I find difficulties in designing an evaluative teaching which deals with the teaching learning process. | | | | | |
| 36 | I find difficulties in taking into consideration the continuity in evaluating. | | | | | |
| 37 | I find difficulties to formulate a good question. | | | | | |
| 38 | I face some difficulties in analyzing the exam results to apply them in improving the methods of teaching. | | | | | |
| 39 | I find difficulties in linking the evaluation with visual aids and methods activities to achieve the objectives. | | | | | |

Fifth Domain :

service training. Difficulties related to teachers in

| | | Stro ngly Agree (1) | Agr ee (2) | Ne utral (3) | Disa gree (4) | Stro ngly Disagree (5) |
|--------|--|------------------------------|------------------|--------------------|---------------------|---------------------------------|
| 4 0 | There is a lack of the teacher's competency to teach the English language. | | | | | |
| 4 1 | The lack of in-service training programmes. | | | | | |
| 4 2 | The shortage of training programmes held during the academic year. | | | | | |
| 4 3 | The weakness in correlating between programmes and teaching. | | | | | |
| 4 4 | The weakness of training programmes. | | | | | |
| 4 5 | The weakness of teacher's academic and behaviour growth. | | | | | |

Sixth Domain :

Difficulties related to achieving the syllabus activities.

| No. | Item | Strongly Agree (1) | Agree (2) | Neutral (3) | Disagree (4) | Strongly Disagree (5) |
|-----|---|-----------------------|--------------|----------------|-----------------|--------------------------|
| 46 | The lack of instruments devices and necessary materials to prepare lessons. | | | | | |
| 47 | The lack of school libraries. | | | | | |
| 48 | The insufficient time for preparing visual aids. | | | | | |
| 49 | I find difficulties in manipulating and teaching large classes. | | | | | |
| 51 | I find difficulties in teaching because of increasing duties. | | | | | |
| 52 | I find it difficult to apply some activities. | | | | | |

Notes and suggestions:

.....

.....

.....

.....

تعلم اللغة الانجليزية في المتوسط دراسة ميدانية:

الإشكالية

تعد إشكالية تعليم اللغات الأجنبية عامة و اللغة الانجليزية خاصة أزمة حادة من أزمات التعليم بالجزائر حيث باتت هذه المشكلة كل تؤرق بال كل من الأولياء والمعلمين وكل من يهّمه أمر التربية والتعليم في الجزائر وفي العالم بأسره، حيث يمثل مستوى الاهتمام باللغات الأجنبية إحدى مؤشرات التنمية.

إن المدرسة في الجزائر تتخبط في أزمات بنيوية عويصة على جميع الأصعدة والمستويات، فضعف التلاميذ في اللغة الأجنبية راجع للسياسة التي تتبعها وزارة التربية الوطنية في تعليم اللغات الأجنبية، حيث يظهر انفصام اللغات المستعملة في التعليم الابتدائي و المتوسط و الثانوي من جهة، والتكوين المهني و التعليم العالي العلمي و التكنولوجي من جهة ثانية، ناهيك عن التدني العام الملحوظ لكفاية امتلاك قدرات التعبير والتواصل اللغوي.

إذ لاحظنا في نتائج الامتحانات أن هناك بعض التلاميذ الذين يظهرون ميلا و إقبالا كبيرين لتعلم اللغات الأجنبية، إذ يتحصلون على علامات جيدة في حين هناك فئة أخرى من التلاميذ يظهرون نفس الاهتمام باللغات إلا أنهم يتحصلون على علامات متوسطة أو بعض الأحيان ضعيفة، هذا رغم كونهم يمتلكون نفس فرص و إمكانيات التعلم التي يمتلكها المتفوقون. "حيث ما زالت الاختبارات حتى الآن الوسيلة الرئيسة لمعرفة مدى تمكن الدارسين من محتوى ما يجرى تعليمه، على

افتراض أن ما يجري تعليمه هو تحقيق لأهداف وغايات المنهج ومن هنا فإن أي تغير في الأهداف- كان يتحول الاهتمام من إتقان القوالب والصيغ النحوية إلى تكوين ملكة التواصل- لا بد من أن ينعكس على أساليب الاختبار.¹

وللتحقق من الظاهرة المدروسة قمنا بدراسة استطلاعية طبقنا فيها استمارة على عينة من التلاميذ

تشمل 60 تلميذا يدرسون اللغة الأجنبية أي اللغة الإنجليزية من مستوى التعليم المتوسط، وأظهرت النتائج أن هناك اختلاف بين التلاميذ من حيث تحصيل النتائج في هذه اللغة .

لا شك أن مهمة تعليم اللغات الأجنبية تتركز على عوامل، فمنها ما يرتبط بالمحيط الأسري ومنها ما يرتبط بدافعية التلميذ وإدراكه لأهمية اللغات الأجنبية في حياته الدراسية واليومية، ومنها ما يرتبط بالكفاءة البيداغوجية للمعلم ومستوى أدائه لعملية تعليم اللغات الأجنبية.

وبشأن تأثير الأسرة على تعلم اللغة واللغات الأجنبية، فقد أثبتت دراسات عديدة بارتباط تعلم اللغات الأجنبية بالمحيط الأسري، ومنها دراسة كل من " سرجيوسيني" الذي يقول بأن الأسرة تلعب دورا بارزا في اكتساب الطفل للغة واللغات الأجنبية خاصة عندما يتم رعايتهم بتأن وهدوء تام من طرف الوالدين أو من يقوم مقامهم، إذ لاحظ الباحث أن الأطفال الذين حرّموا من آبائهم وتمت تربيتهم في الملاجئ ودور الحضانة يعاني أغلبهم من تأخر لغوي، وتظهر بوادره في السنوات الأولى من

¹ Porter, Don (1986). Testing in the Foreign Language Programme: Areas of Change, in Tradition and

الطفولة .لأن العلاقات الأولى بينهم وبين المربين لم تلق تشجيعا، فكثيرا ما يقضي الطفل يوما كاملا دون أن ينطق بكلمة واحدة، ولا يثير هذا قلق وتساؤل إحداهنّ سبيني،(1991).

وكما تبينّ أودي رولي على تأثير العلاقات الإيجابية داخل المحيط الأسري على لغة الطفل، إذ في بعض الأحيان يسعى الأولياء باستمرار لتصحيح أبنائهم في الأخطاء اللغوية ويضعوا أمامهم فرص تزودهم بكم هائل من المعارف وتكون له القدرة الكبيرة على تعلمها، لأن هذه السنوات تمثل فترة جوهرية من عمر الطفل تجدد الأفكار المتعلمة ذاكرة خصبة لاستقبالها، ويكون ذلك، بحفاوة لا نجد لها مثيلا فيما بعد .(Eddy 1980).

وكما نجد "بيير بورديو" في دراسته حول تأثير الرأسمال الثقافي للأسرة على المستوى اللغوي لدى الطفل والتي سماها بنظرية إعادة الإنتاج.

وفيها يؤكد بورديو أن الآباء الذين يتميزون بارتفاع مستواهم الثقافي واللغوي يحيطون أولادهم بعبارات لغوية متكاملة والتي يكتسبها الطفل بشكل عرضي بطريقة لا شعورية أو شعورية وهكذا يشكلون مناخا لغويا مناسباً لنمو السلوك اللغوي لدى الطفل .(Bourdieu، 1975).

إلا أن هناك علماء وباحثين يبينون أن المحيط الأسري يعتبر أحد الشروط التي تساعد على تعلم اللغات الأجنبية، إذ وحده لا يستطيع أن يؤدي ذلك، وعلى هذا نضيف شرطا آخر الذي يتمثل في إدراك التلميذ لفائدة اللغات الأجنبية ينمي فيه رغبة تعلمها، وذلك بتنشيط حوافزهم، إذ يقول "بن تونس محمد محمود" أن الحوافز تنشأ عن عدم التوازن في العمليات المعرفية، مما يؤدي إلى ظهور السلوك المهادف لإشباع الحاجات وإعادة التوازن الداخلي لدى الأفراد أي هناك عدم التوازن في العمليات اللغوية لدى التلاميذ، هذا ما أدى بهم إلى تنشيط حوافزهم لإعادة التوازن لرصيدهم اللغوي. بن تونس، 2007 .

لقد أكد عبد الرحمن محمد السيد على دور الحافز الداخلي والخارجي في تحريك السلوك، إذ يبين بأن هناك حوافز أولية من الداخل وحوافز ثانوية من الخارج والتي تعتبر من العوامل التي تساعد على الضبط الذاتي للسلوك وبالتالي زيادة الدافعية للتعلم، إذ أن عملية تعلم اللغات تشترط وجود حوافز داخلية وخارجية. عبد الرحمن، 1988، وكما نجد كذلك دراسة "ليوري ألان" التي تبين أن دوافع التلاميذ لتعلم اللغات الأجنبية يتم اكتسابها من خلال استخدام نماذج المحاكاة، التقليد، الملاحظة والنمذجة والخطط، إذ أن هذه الأخيرة أي الخطة تشتمل وجود أهداف محددة لدى التلاميذ وكما يُعد هذا بمثابة محرك للدافعية (Lieury، 2006).

أما عن أهمية الكفاءة البيداغوجية للمعلم في تعليم اللغات الأجنبية للتلميذ، فيقول "عدس عبد الرحمن" أن هناك عوامل كثيرة تساعد المعلم في العملية التعليمية، إلا أن المعلم يبقى أهم العوامل جميعاً، فهو قادر على تحقيق أهدافه داخل الفصل.

وقد أكد في دارسته أن خصائص شخصية المعلم تؤثر في سلوك التلاميذ التعليمي وأن التلاميذ الذين يواجهون بعض الصعوبات المدرسية والمنزلية قادرون على التحسن السريع عندما يقوم بتعليمهم معلمون ذو كفاءة بيداغوجية عالية. (عدس، 1996)

وكما نجد دراسة "عبد المجيد النشواتي" التي أظهرت أثر سلوك المعلمين في عملية التعلم لدى التلاميذ، حيث أن التلاميذ الذين يقوم بتعليمهم المعلم العقابي والمستعمل للأساليب التقليدية يعوق من اكتساب التلاميذ الثقة بأنفسهم أثناء الكلام. (النشواتي، 1987)، وكما يعيق هذا الأسلوب أي الأسلوب العقابي على استعمال تقنيات وطرائق تعليم اللغات الأجنبية التي جاء بها "رتشاردز وتيودور روجرز"، عام 1990، وهي عبارة عن تقنيات يستعمل فيها معلمي اللغات الأجنبية كل الأساليب الديمقراطية في علاقاتهم مع التلاميذ ويتكون لهم الحرية للتعبير عن ذواتهم ونشاطهم وكما يشجعون التلاميذ على استعمال أنماط لغوية راقية. فالمسؤول الأول والمباشر على التعليم وتوصيل

المعارف إلى التلاميذ هو المعلم، الذي يعتبر أحد العناصر الفاعلة والفعالة في عملية تعليمية اللغات الأجنبية.

لقد أثبتت دراسات عديدة أن نجاح عملية تعليمية اللغات الأجنبية يقع 65 % منه على عاتق، المعلم بينما 35% المتبقية ترجع إلى الظروف الأسرية للتلميذ ودافعيته، هذا بالإضافة إلى المناهج والكتب المستعملة. فأساليب المعلم التدريسية وسلوكاته، تعتبر جزءا مهما داخل القسم، سواء في تعلمه للغات الأجنبية أو في تغييره لنظرة وتصور التلميذ للغات خاصة إذا كانت مرتبطة بإدراكات خاطئة وسلبية قد تشكل عائقا يصعب تجاوزه إذ لم يعتمد على أساليب تبليغية مشروعة تقرب مضمون برامج اللغات الأجنبية من أذهان التلاميذ وتجعله في متناولهم، فالكثير من المعلمين العاجزون على إحراز النجاح في التدريس هم المعلمين الغير القادرين عن تنشيط الدوافع لدى المتعلمين للقيام بالأنشطة الضرورية للتعلم. وأكثر المدرسين نجاحا هم أولئك الذين يعرفون كيف يستثيرون اهتمام التلاميذ للتعلم.

إن الواقع السوسيوولوجي يبين أن البيئة والظروف التي يتم فيها التعليم في بلادنا يختلف إلى حد كبير عن الظروف التي تمت فيه الدراسات المذكورة وعلى ذلك نحاول أن نتحقق من:

-تأثير تداول استعمال اللغات الأجنبية في المحيط الأسري على تعلم اللغات الأجنبية لدى التلميذ.

-تأثير إدراك التلميذ لفائدة اللغات الأجنبية على تعلمها.

-تأثير الكفاءة البيداغوجية للمعلم على تعلم اللغات الأجنبية لدى التلميذ.

لقد تم اختيار التعليم المتوسط لكونه يعتبر حلقة و صل بين الطور الابتدائي و الطور الثانوي ، كذلك كون التلاميذ يجتازون فيه امتحانا هاما، هو شهادة التعليم المتوسط، وفي المقابل هم مطالبون بالإقبال الجيد على التعلم حتى يتمكنوا من النجاح.

وللتحقق من صحة ذلك طرحنا الفرضيات التالية:

- **1** إن تداول استعمال اللغات الأجنبية من طرف الوالدين أو الأسرة يؤدي إلى اهتمام الطفل بها.

- **2** إن إدراك التلميذ لفائدة اللغات الأجنبية (اللغة الانجليزية) ينمي فيه رغبة تحصيلها. أي أن للعامل النفسي دور فعال و ايجابي في تعلم اللغات الأجنبية.

- **3** إن الكفاءة البيداغوجية للمعلم لها دور فعالا في تعليم اللغات الأجنبية للتلميذ.

عينة الدراسة.

تم اختيار عينة الدراسة بطريقة قصدية، أي قصدنا تلاميذ اللغة الانجليزية و قدر العدد الكلي للعينة المختارة 60 تلميذ وتلميذة.

مناهج وأدوات الدراسة

-مناهج الدراسة

إن طبيعة الدراسة بمراحلها المختلفة فرضت علينا استخدام منهجين: الكمي والكيفي، من أجل الوصول إلى نتائج تثبت أو تنفي فرضيتنا فالمنهج الكمي هو الذي تظهر فيه جميع المعطيات

والبيانات وذلك باستعمال الاستمارة وتفرغها في جداول إحصائية تساعد على التحليل والتفسير أكثر، والمنهج الكمي يهدف أساسا إلى قياس الظاهرة أو موضوع الدراسة .

ويظهر استخدامنا للمنهج الكمي أثناء الدراسة عندما قمنا بتحويل المعطيات الميدانية إلى معطيات إحصائية، وذلك باستخدام الأرقام والنسب المئوية.

كما استخدمنا المنهج الكيفي الذي يهدف في الأساس إلى فهم موضوع الدراسة، ويعرف موريس أنجرس المنهج الكيفي بأنه المنهج الذي يستخدم قصد فهم الظواهر المدروسة أو السلوكيات (الملاحظة. Angers1977). والهدف من استعمال المنهج الكيفي في هذه الدراسات هو إنتاج تحليل أو خطاب سوسيولوجي و انثروبولوجي للمعطيات المتحصل عليها أو السلوكيات الملاحظة .

وحول الملاحظة، يقول غريب أحمد على أنها المشاهدة الدقيقة لظاهرة ما والاستعانة بالأساليب الدراسية التي تتلاءم مع طبيعة الظاهرة، أم أنها عملية توجيه الحواس والعقل على طائفة من الظواهر لمعرفة صفاتها وخواصها.

وبالإضافة إلى الملاحظة، استعملنا كذلك المقابلة التي هي أحد الوسائل الأكثر استخداما في البحوث الاجتماعية و الانثروبولوجية للحصول على معلومات، إذ يقول أحد الباحثين على أنها تفاعل لفظي يتم عن طريق المواجهة يحاول فيها الباحث أن يستثير معلومات، وآراء أو معتقدات أشخاص آخرين، هذا بالإضافة إلى الحصول على بعض البيانات الموضوعية، وتتميز تقنية المقابلة بتطبيق أسس الاتصال والتفاعل الإنساني، هذه الأسس تسمح للباحث الحصول على معلومات ومواد علمية جد دقيقة ويرتكز الباحث من خلال المقابلة التحدث بما يرتبط بالدراسة.

هذا بالإضافة إلى الاستبيان الذي اعتبرناه كتقنية من تقنيات الدراسة، ويعرف طلعت إبراهيم الاستبيان على أنه نموذج يضم مجموعة من الأسئلة التي توجه للأفراد بهدف الحصول على بيانات

معينة أو هي مجموعة من الأسئلة التي يوجهها الباحث للمبحوثين على ورقة، ويطلب منهم الإجابة عليها بأنفسهم دون حضوره معهم أو الاستعانة به.

والجدير بالذكر بأن هذا الاستبيان يحتوي على مجموعة من الأسئلة المرتبطة بالعينة وفرضيات البحث والتي وزعت على عينة من تلاميذ اللغة الإنجليزية من السنة الثانية والثالثة و الرابعة من التعليم المتوسط.

نتائج الدراسة:

هناك علاقة بين تداول اللغات الأجنبية في المحيط الأسري والمستوى اللغوي لدى التلاميذ، إذ لاحظنا من خلال النتائج بأن المستوى اللغوي للتلاميذ في اللغات الأجنبية يتناسب طرديا، وفعالية استعمال اللغات الأجنبية في المحيط الأسري خاصة عندما تتوفر الشروط التي تساعد على ذلك . كالمستوى التعليمي للأولياء ونوعية الشهادات التي تحصلوا عليها وكذلك وفرة الوسائل المادية كالمكتبة المزودة بمختلف مراجع اللغات الأجنبية و خاصة اللغة الإنجليزية، وفرة وسائل الاتصال بكل أنواعها، بما في ذلك الوسائل السمعية البصرية، الراديو، التلفزة، الانترنت.

أما الوسائل المعنوية فتتمثل في وفرة الجو المناسب الذي يساعد على متابعة الدراسة، بينما التلميذ الذي ينشأ في محيط أسري ذو مستوى منخفض وينطق فيه فقط باللهجات و العامية وعند دخوله للمدرسة لا يكون سهلا عليه تعلم اللغة الثانية التي هي لغة المدرسة، فالتجربة اللغوية عند الطفل تتحكم فيه العوامل التي تحيط به داخل المحيط الأسري، وفيما بعد يدخل إلى المدرسة ليتعلم كيف يفهم ويستخدم اللغة.

و في هذا المجال يؤكد سرجيو سبيني 1991 على أن الحوار داخل المحيط الأسري يلعب دورا هاما في تنمية المهارات اللغوية لدى المراهق لأن الحوار هو الهدف والأداة، أي يستعمل الأطفال الحوار من أجل تعلم اللغات الأجنبية ويتعلمون اللغات الأجنبية من أجل الحوار مع الآخرين. إذ أثناء

الحوار يعبرون عن أفكارهم، وعن الأحداث المجسدة في الواقع ويربطونها بأحداث عاشوها، وكما أن تعلم اللغات الأجنبية ليس بمعناه تعلم استدلالات فقط، وإنما عبارة عن وصف، سرد، تفسير وتبادل للحجج و بالتكرار والإعادة تثبت هذه الصيغ والعبارات، وفيما بعد يستعملونها في الوضعيات المشابهة لتلك الوضعيات، وعلى هذا أشار سرجيو سبيني على أن الحوار العائلي يعتبر من بين العوامل المساعدة على تزويد الطفل بعدد هائل من المعارف وليس عامل هدم لقدراته اللغوية.

وفي نفس الصدد نستنتج كذلك بأن نتائج هذه الدراسة تكاد تتطابق مع نتائج دراسة "أودي رولي" التي أكدت بأن الرعاية والعواطف الأبوية تلعب دورا بارزا في اكتساب الطفل للغة، لأن كل الحركات وردود الأفعال التي تلقى التصحيح والتشجيع من الأبوين، فإنه مع مرور الوقت ينمو ويتطور ويصبح قابلا لاكتساب اللغة، خاصة عندما يتم رعايتهم بهدوء تام من طرف الوالدين.

وفي نفس السياق، هناك "بيير بورديو" الذي يبين بأن المستوى التعليمي للوالدين يؤثر تأثيرا فعالا على التحصيل الدراسي لدى الأبناء وبالتالي تعلم اللغات واللغات الأجنبية وهي نفس النتائج التي توصلنا إليها في هذه الدراسة، وهو يكفي أن يكون المستوى التعليمي مرتفع لأحد الأولياء، فهذا يؤثر إيجابا على المستوى اللغوي لدى التلميذ، إذ أن التلميذ الذي ينتمي إلى أسرة ذات مستوى تعليمي منخفض ليس كالتلميذ الذي ينتمي إلى أسرة ذات مستوى تعليمي مرتفع.

فالتلاميذ الذين يتميز أوليائهم بمستوى تعليمي مرتفع جامعي فما فوق يتميز أولادهم براسمال لغوي ثري، وهم الذين يمثلون فئة التلاميذ النجباء، أما الأولياء الذين يتميزون بمستوى تعليمي متوسط فإن أولادهم يتميزون بمستوى لغوي مقبول، أما الأولياء الذين يتميزون بمستوى تعليمي ضعيف، فإن المستوى اللغوي عند أولادهم ضعيف.

في جميع الحالات التي تطرقنا لها نلاحظ أن الفرضية التي تقول بأن إدراك ك التلميذ لفائدة اللغات الأجنبية ينمي فيه رغبة تحصيلها قد تحققت، فهذا يعني أن هناك علاقة بين الإدراك الإيجابي للتلميذ حول تخصصه تخصص اللغات الأجنبية والعوامل المساعدة على نجاحه، فأثناء تحليلنا لاستبيانات التلاميذ، أكد لنا العديد من التلاميذ بأن اللغات مهمة للذي يريد أن يتابع الدراسة، ومهمة حتى لمن لا يريد أن يتابع الدراسة لأنه سوف يستخدمها في ميدان العمل.

وكما أكد العديد من التلاميذ بأن فشل الأداء المدرسي لبعض التلاميذ راجع إلى أنهم لا يجيدون اللغات الأجنبية، هذه الأخيرة اللغات الأجنبية تمكنهم من التفاهم والاتصال مع الغير لأن تعلم اللغة الأجنبية، خاصة تلك التي لها رصيد ثقافي، أصبح من متطلبات العصر للانفتاح على العالم.

وتعلمها معناه، الانفتاح على ثقافات العالم، وتمكن صاحبها من اكتساب خبرات جديدة وفي ميادين شتى، وكذلك تذوق الآداب وما تنطوي عليه من أفكار إنسانية سامية، قيم خلقية راقية وتجارب علمية جديدة.

أما فيما يخص الحوافز، فلقد لاحظنا كذلك في نتائج الدراسة بأن هناك حوافز أولية و أخرى ثانوية تساعد الطفل على الإقبال لتعلم اللغات الأجنبية.

فالحوافز الأولية تنشأ من التلميذ وهذه الدوافع يمكن أن تكون سيكولوجية، إذ أن التلميذ يقبل على السلوك مدفوعا برغبة لإرضاء ذاته وإشباع حاجاته وسعيا وراء الشعور بمتعة السلوك، واكتساب المعلومات وإتقان المهارات التي يميل إليها، لأنها ذات أهمية في حياته اليومية، وتعد هذه شرطا أساسيا للتعلم الذاتي والتعلم على مدى الحياة. "لقد ربط علماء التربية والنفس بين النمو العقلي للإنسان ونموه اللغوي، فقد أشار بعضهم إلى أنه كلما تطورت واتسعت لغة الإنسان ارتقت قدراته العقلية،

ومنها ذكاءه، وتطور مستوى التفكير لديه. لقد ذهب بياجيه إلى أن الأفكار والمفاهيم تُكتسب من المجتمع، ولكن الوسيلة الأساسية لاكتساب هذه المفاهيم والأفكار ونموها هي اللغة¹.

أما الحوافز الخارجية فيكون مصدرها خارجي كأطراف عملية التنشئة الاجتماعية أو مؤسسات التربية، حيث يقبل فيها التلميذ على السلوك لإرضاء أطراف عملية التنشئة الاجتماعية وكسب حبهم وتقديرهم أو الحصول على تشجيع مادي أو معنوي، ويمكن تأييد نتائج هذه الدراسة بنتائج دراسة عبد الرحمن السيد، 1988 الذي يبين بأن هناك حوافز أولية من الداخل وحوافز ثانوية من الخارج التي تساعد التلميذ في تعلم اللغات الأجنبية.

وكما لاحظنا كذلك من خلال نتائج هذه الدراسة أن التلاميذ نشطوا حوافزهم بعدة طرق، بما فيها التقليد، النمذجة، الخطط وذلك بالاستماع إلى الراديو، مشاهدة التلفزة، مطالعة الكتب وغيرها. فكثيرا ما يقضي التلميذ وقته وهو يقلد طريقة الكلام لبعض الصحفيين أو الممثلين السينمائيين وعليه، فنتائج هذه الدراسة تنطبق على دراسة (Lieuury2006)،

- النتائج

وكما نلاحظ أن هناك أكثر من 67% من المعلمين، تزيد خبرتهم عن 15 سنة في التعليم، فهذه الأخيرة يولي لها كل الاهتمام لكسب المعارف، وكما أنهم مؤهلين لتعليم اللغات الأجنبية بطرق فعالة ومثمرة. فلقد عرف التاثير في المتوسط ارتفاعا ملحوظا قدر بحوالي أكثر من 32000 أستاذ. وقد أدى ارتفاع عدد التلاميذ في التعليم المتوسط إلى ظهور الحاجة إلى استحداث مناصب مالية للتاثير البيداغوجي .

¹ Piaget, Jean The language and Thought of the child World. N.Y Har Court , Brace,1920,p142.

كما لاحظنا كذلك أثناء البحث الميداني أن هناك عدد من الأساتذة الذين قاموا بدورات تكوينية عبر المدارس الوطنية و بالمقابل هناك أساتذة يزاولون دراساتهم في الجامعة في مستوى ما بعد التدرج.

وكما وجدنا أن هناك حوالي 65 % من نسبة المعلمين تخرجوا من مدرسة تكوين الأساتذة أي حاملين لشهادة البكالوريا و قاموا بمدة تكوين لسنتين في الاختصاص بمعهد تكوين الاساتذة والمعلمين.

لشهادات ليسانس في التعليم مقابل 34 %، 47، تخرجوا من الجامعة أي حاملين لشهادة ليسانس في اللغة الانجليزية.

لقد تحققت الفرضية التي تقول بأن الكفاءة البيداغوجية للمعلم لها دور فعال في تعلم اللغات الأجنبية لدى التلاميذ.

من خلال نتائج الدراسة نستطيع أن نقول بأن المعلم هو العنصر الفعال في نقل محتوى المنهج وتطبيقه على أرض الواقع ويحاول جعل عملية التعليمية مثيرة للاهتمام حتى تكون مفيدة وثمررة، كما توصلنا كذلك في هذه الدراسة أن نميز عدة اصناف من المعلمين من حيث تدريس اللغة الأجنبية.

الصف الأول: يتمثل في أولئك الذين يمارسون أسلوب الإلقاء فقط و و يلجؤون إلى استعمال الإلقاء كوسيلة لتقديم الدرس. أما الصف الثاني من المعلمين، فيتمثل في أولئك الذين يستعملون أسلوب المناقشة والحوار.

أما الصف الثالث من المعلمين، فيتمثل في أولئك الذين يستعملون طريقة الإلقاء والمناقشة في نفس الوقت وهم معلمين السنة الرابعة لأن التلاميذ في هذا المستوى يحضرون شهادة التعليم المتوسط. كما أن على عاتق الأساتذة برامج محددة يجب إنهاؤها قبل شهر جوان.

وعلى هذا، يستعملون الإلقاء كحل لإنهاء البرنامج. أما في بعض الأحيان فيلجأ الأساتذة إلى استعمال طريقة الحوار والمناقشة، وهذا لتحليل أجوبة التلاميذ. وكذلك للتحقق من أن التلاميذ قد استوعبوا الدروس أم لا.

وعندما نحاول أن نحلل هذه الأساليب حسب آراء التلاميذ وباختلاف المستويات، نلاحظ بأن لديهم ميل وتفضيل لأسلوب المناقشة الذي يجعل الأستاذ يتميز بصفات كثيرة كطرح الأسئلة أثناء الدرس، مناقشة أفكار التلاميذ، استعمال أساليب التشويق و التشجيع. هذه المميزات كلها تعطي صورة إيجابية للمعلم لدى التلاميذ وتؤثر فيهم إيجابيا، وذلك بالرضا عن النفس، تحرير القدرات العقلية، الاجتهاد والمثابرة.

ويمكن تأييد نتائج هذه الدراسة بنتائج دراسة عدس عبد الرحمن، 1996 حول المعلم داخل الفصل او القسم. إذ يقول بأن هناك عوامل عديدة تساعد المعلم على تقديم الدرس إلا أن المعلم يبقى أهم هذه العوامل.

وفي نفس السياق كذلك وجد عبد المجيد النشواقي عام 1987 أن المعلمين الذين يستعملون الأسلوب العقابي يعيق عملية التعلم لدى التلاميذ وهي نفس النتائج التي توصلنا إليها في هذه الدراسة، وهو أن المعلمين الذين يستعملون الأساليب التقليدية أو العقابية يعيق من عملية فهم التلاميذ للغات الأجنبية، كما أن هذه الطرق لا تنطبق على تقنيات تعليم اللغات الأجنبية التي وضعها ريتشاردز وتيودور روجر 1990 إذ أن أثناء تقديم هذه التقنيات، عرض فيها وضعية التلميذ والمعلم، كما يؤكد أن من واجب المعلم على أن يحترم إجابات التلاميذ مهما كانت وكيفما كانت لأن إذا كان الأمر على عكس ذلك يشل لسانه لسان التلميذ، فهذا يؤثر سلبا على نفسيته، لهذا يجب على المعلم أن يتلقى الأجوبة بآداب ويعيدها مبينا فيها حسناته وسيئاته بصورة غير مباشرة، وإذا كان الجواب صحيحا شجعه على زيادة تكوين إجابات صحيحة والكلام بطريقة سليمة. وان

كان قريبا من الصحة وفيه فائدة، فعلى المعلم أن يصححه ويقدم له الأجوبة بطريقة بيداغوجية وهذا لكي يبقى التلميذ محتفظا بثقة النفس أثناء الكلام.

الاستنتاج:

في هذه الدراسة توصلنا إلى الإثبات أن نجاح أو فشل عملية تعلم وتعليم اللغات الأجنبية (اللغة الإنجليزية) يرتبط بالعوامل النفسية والمادية المحيطة بالمدرسين والتلاميذ، وكما تبين لنا كذلك من هذه الدراسة أن المشكلة لا تكمن في المعلم أو المتعلم، كما يدعي البعض بأن أساتذة اللغات الأجنبية لا يملكون أية كفاءة لأداء عملهم، بل أن المشكل يكمن في البرامج والوسائل و المناهج المعتمد عليها لتدريس اللغة الإنجليزية بصفة خاصة و اللغات الأجنبية بصفة عامة .

كما تبين لنا كذلك بأن اللغة لا فائدة منها إذ لم تحمل مضمونا معرفيا يتمكن المتعلم من خلاله فهم البيئة التي تحيط به وتساعد على الاتصال الطبيعي بين أفراد مجتمعة مشافهة وكتابة.

وهنا تقترح مجموعة من الحلول التي تتمثل في:

الابتعاد الكلي عن الطرق الكلاسيكية في تقديم دروس اللغات الأجنبية وتعويضه بالمناهج والطرق الحديثة المعتمدة في تعليمية اللغات وعلم النفس المعرفي الذي يجعل من المتعلم طرفا أساسيا learner centred في عملية تعلم اللغات الأجنبية وليس عضوا ثانويا ينفعل ولا يتفاعل.

وكما أن نظرية علم النفس المعرفي تنظر إلى اللغة على أنها أداة تحمل مضامين معرفية يكتسبها المتعلم ويطبقها على أرض الواقع، أما فيما يتعلق بالجوانب التركيبية النحوية والصرفية المسطرة كبرا مج في المدارس الجزائرية، فإنها تدرّس على أنها نشاطات مساعدة ومدعمة لاكتساب اللغة، لذلك يجب أن يكون تعليم اللغات الأجنبية معتمدا على خبرات التلميذ أي يتعلم اللغات الأجنبية مثلما يتعلم أشياء أخرى وبهذه الطريقة يكتسب التلميذ اللغات بمعناها الحقيقي.

ولا يكفي فقط بالجوانب الشكلية والبنوية التي تسيطر على طريقة تعليم اللغات الأجنبية في المدرسة الجزائرية.

الخاتمة

موضوع تعليم اللغات الأجنبية هو إشكالية مطروحة بحدّة في مؤسستنا التربوية، فقد تعددت الأطروحات التي عالجت هذا الموضوع وتنوعت وجهات النظر، فأرجعها علماء النفس إلى عوامل نفسية بحتة وعلماء التربية إلى طريقة التدريس وتعليمية اللغات المعمول بها في المدرسة وأسلوب تربية الأبناء داخل الأسرة، في حين يرى علماء الاجتماع و الانثروبولوجيا أنه لا يمكن إرجاعها إلى عامل أو عاملين بل إلى تضافر مجموعة من العوامل المرتبطة والمتشابكة مع بعضها البعض، وكما أن علماء الاجتماع يرون أن العوامل الاجتماعية خاصة الأسرة (التنشئة الاجتماعية) التي ينشأ فيها الطفل هي القاعدة الأساسية لمواجهة المجتمع.

الوسائل التعليمية

1_ معايير اختيار الوسيلة التعليمية في عملية التدريس :

عند إعداد مذكرة لدرس ما ، يجب أن تكون هذه المذكرة متكاملة التركيب تحوي الأهداف العامة والسلوكية المراد تحقيقها.وتحدد المادة التعليمية التي تقدم للطلاب ، والنشاطات المرافقة ، لها وتقرير أساليب عرضها وتقديمها وقياس مردودها على الطلبة.

كما يجب الوسائل التعليمية اللازمة للمذكرة ، على أن تعمل هذه الوسائل على أنها جزء لا يتجزأ من موضوع الدرس والمادة المرجعية له و أسلوب التعليم لا وسائل إيضاح أو معينة يستطيع المدرس إهمالها و الاستغناء عنها إذا أراد.

ولنجاح هذه الوسائل في تأدية دورها المرسوم في عملية التدريس لا بد لها من أن تختار حسب

معايير محددة ترتبط بما يلي :

- ارتباط الوسائل بالأهداف العامة والسلوكية .
- يجب أن تشكل جزءا أساسيا من المادة المرجعية للدرس.
- أن تعزز أسلوب التدريس وتدعم الموقف التعليمي بالفعالية والنشاط.
- في حال توفر الوسيلة المطلوبة ، يجب أن تحتوي هذه الوسيلة مقومات الوسيلة التعليمية الجيدة وأن تتوفر أجهزة عرضها إذا كانت بحاجة لذلك.
- اعتماد نتائج تجريب الوسيلة وتأثيرها على الطلاب أثناء الاستخدام و"التغذية الراجعة".

- إذا كانت الوسيلة اللازمة غير متوفرة في المدرسة لابد للمعلم من إنتاجها و لا نجاح عملية الإنتاج لابد من توفر المواد الخام اللازمة، قدرة المدرس الفنية على الإنتاج. وجود التسهيلات اللازمة من حيث الوقت، أدوات العمل، و يستحسن إشراك الطلبة في عملية الإنتاج.

- على المدرس أن يتوخى البساطة و عدم الإسراف المادي عند الاختيار أو الإعداد للوسيلة.

كيف تختار وسيلة تعليمية معينة لموقف تعليمي محدد:

عند التخطيط لاستخدام وسيلة تعليمية معينة لموقف تعليمي محدد على المدرس الإجابة على الأسئلة التالية:

- ما هي الوسيلة التعليمية المناسبة لهذا الموقف التعليمي؟
- كيف احصل على هذه الوسيلة؟
- لمن ستعرض هذه الوسيلة "مستوى المتعلمين"؟
- متى يمكن استخدامها أثناء الحصة؟

- أين أضعها داخل القسم ؟

- إلى متى أبقئها معروضة في القسم ؟

و فيما يلي جدول يحتوي أنواع التقنيات و الوسائل التعليمية، و قد قسم محتوى هذا الجدول إلى

ثلاثة أقسام هي:

| | | | |
|--|----------------|-------------------------|----------------------|
| الراديو- المسجلات الصوتية- قراملفون- مختبرات اللغات | سمعية | أجهزة ميكاف نيكية | الأجهزة التعليمية |
| - جهاز عرض الأفلام الثابتة - جهاز عرض الشرائح - جهاز عرض الشفافيات - جهاز عرض الصور المعتمة | بصرية | | |
| - أجهزة عرض الأفلام المتحركة قياس 16 و 8 مم - أجهزة الاستقبال التلفزيوني - أجهزة الفيديو. | سمعية بصرية | | |

| | | |
|---|---------------------|----------------------------|
| - الحاسبات الإلكترونية - الكمبيوتر | أجهزة إلكترونية | |
| - الكتب ، الصور ، الرسومات ، الخرائط، الشفافيات، البطاقات. - اللوحات التعليمية ، لوح الطباشير ، الحبوب ، الفنيلا ، الكهرياء. | مطبوعات ومصورات | المواد التعليمية |
| - الأشرطة الصوتية ، الأسطوانات ، لوحات الأبتاكارث. - الشرائح، الأفلام الثابتة المرفقة بأشرطة صوتية. | مسموعة ومرئية ثابتة | التعليمية |
| - الأفلام المتحركة قياس 16مم ، 8مم ، -أشرطة الفيديو - أسطوانات الكمبيوتر. | مسموعة مرئية متحركة | |
| الرحلات والزيارات - المعارض - المتاحف - المسارح. المختبرات و التجارب العلمية - الأشياء - النماذج. | | النشاطات التعليمية والبيئة |

يعتبر الكتاب المدرسي الوثيقة التعليمية المطبوعة التي تجسد البرنامج الرسمي لوزارة التربية الوطنية من أجل نقل المعارف للمتعلمين وإكسابهم بعض المهارات ومساعدة كل من المعلم والمتعلم على تفعيل سيرورة التعلم.

و تبدو أهمية الكتاب المدرسي في أنه يساعد المتعلم على تثبيت الحقائق وفي حل الواجبات والتمارين المنزلية وتحضيره الدرس مما يساعد في النهاية على تحقيق التواصل بين المعلم والمتعلم ومن ثم ضمان التفاعل الصفّي. غير أن الكتاب المدرسي بوصفه الحالي لا تتوفر فيه هذه المواصفات فهو غير قابل للاستعمال من طرف التلميذ إلا بمساعدة الأستاذ ذلك أنه لا يوجد فيه من الأمثلة والتدريبات ما يشجع المتعلم ويجفزه على استعماله ومراجعته خارج الحصة الدراسية المقررة، يضاف إلى ذلك نوعية النصوص التي يتضمنها.

3_ تقويم محتوى كتاب اللغة الانجليزية للطور المتوسط.

إن نوعية النصوص التي يتضمنها كتاب اللغة الانجليزية للطور المتوسط تكون في كثير من الأحيان صعبة ومعقدة ولا تتناسب مع المستوى اللغوي للمتعلم في هذه المرحلة وللبرهنة على ذلك يمكننا أن ندرج مثالا من كتاب السنة الثانية متوسط الملف 1 الوحدة 2 Light On Spot

File 1 Sequence 2

Discover The Language من هذا الكتاب وفي موضوع اكتشاف اللغة.

نجد الفقرة التالية:

Deficiencies in nutrition cause diseases. Certain foods contain important substances. These substances improve the development of the body. Scientists called them (vitamins). Meaning essential to life. Vitamins regulate the transformation of food into energy.p 62.

هذه فقرة بسيطة تتحدث عن أهمية الفيتامين في الغذاء والدور الذي تلعبه هذه الفيتامينات في جسم الإنسان وكيف أنها تحول الغذاء إلى طاقة معينة. فمواضيع من هذا النوع تبدو أنها مواضيع علمية، تحتوي على مصطلحات معقدة نوعا ما لا تتناسب مع مستوى متعلم في سنته الثانية من دراسته للغة الإنجليزية ومن ثم فإنها لا تساعد على تحقيق التواصل اللغوي المطلوب في العملية التعليمية.

و هناك الكثير من الأمثلة التي يمكن إدراجها في مختلف المستويات . كل هذا يؤكد ما طرحناه في هذه الإشكالية وهو أن تدريس الإنجليزية بالشكل القائم حاليا لايساعد على تطبيق الطريقة التواصلية كما تنص عليها الوثائق الرسمية الصادرة عن وزارة التربية الوطنية.

كم خلصت أيضا نتائج دراسة تقييميه قام بها بعض الأساتذة لكتاب اللغة الإنجليزية المدرسي الموجه المستخدم من قبل تلاميذ السنة الأولى من الطور المتوسط، إلى تعارضه مع القاعدة البيداغوجية التي تنص على أن كل ما هو قريب لبيئة التلميذ أسهل وأقرب إلى الفهم، حيث أكدت الدراسة على جوانب النقص التي يحتويها الكتاب باعتباره لا يتطابق تماما مع وصف الحياة اليومية التي يعيشها التلميذ.

أكد الأساتذة أن تحليلهم لمضمون الكتاب المدرسي الخاص بقسم السنة الأولى متوسط في اللغة الإنجليزية أسفر عن تسجيل ما لا يقل عن 70% من النشاطات التي يتضمنها الكتاب تساعد التلميذ على التفكير بدرجة متوسطة، مما يعني -حسبهم- أن درجة الفشل التي يحيل إليها استخدام الكتاب تفوق 30%، وهو ما يشكل خطرا على مستقبل تلقين التلميذ لهذه اللغة بناء على المناهج الجديدة التي تعممها على مراحل التعليم في المنظومة التربوية والتي أصبحت تستقطب اهتمام الباحثين وعلماء النفس. وكشفت الدراسة أن 45% من مقدمة الكتاب لا تشرح الأهداف المرجوة من هذا

الكتاب، مؤكدين أن النظرية التربوية تنص على ضرورة ربط محتوى الكتاب بواقع التلميذ إذا كان الهدف من تلقين اللغة هو استعمالها بغرض خلق التواصل والتحكم في تقنيات المخاطبة، واستدلوا في حديثهم عن ذلك بالغياب التام لنصوص المخاطبة والحوار، فضلا عن احتوائه على الكثير من الرسوم والخرائط التي جعلت منه كتابا لتحديد مواقع بلدان أجنبية أكثر منه لتعليم لغة إنجليزية. واعتبر الأساتذة أن الكتاب الكلاسيكي أحسن من بديله الحالي، وكشفت وحدات تحليل الكتاب أن نسبة فئات التوجه الجزائري تقدر بـ 42.5%، التوجه العربي 14.2%، أما التوجه الأوربي 85.7%، وهي النقطة التي كانت محل انتقاد بحكم أن هذا التوجه لا بد أن يبلغ نسبة 100 بالمائة بحكم أن الكتاب خاص بتعليم لغة أجنبية، وهو ما جعل أغلبية الأساتذة اعتمدوا على الكتاب لمدة شهر واحد فقط، ليتم بعدها الاستغناء الكلي عنه.

إن الكتاب لا يعد إلا دعامة تربوية لتقديم المناهج التربوية المسطرة من قبل وزارة التربية الوطنية، وأن الأستاذ والمعلم مطالب بتطبيقها.

الخاتمة

الخاتمة

إن المتغيرات العالمية المعاصرة التي تحدث في حياتنا اليوم تؤثر بشكل مباشر على سلوكياتنا ومهاراتنا اليومية ، بل إنها تشير إلى انبثاق عصر جديد فكري ومفهوما وتطبيقا .

فالعلم يتطور في كل لحظة، وكل يوم تظهر علوم وتخصصات جديدة وغير معروفة من قبل، والتوجه المستقبلي لها يتمركز في التخصصات "البينية" وفي إيجاد مداخل بحثية تحتوي هذه الفروع ، أما المعلوماتية فتتميز بالسيطرة والتفاعل والتواصل الزمني والمكاني، مما زاد من توظيفها في العملية التعليمية والتعلمية، وأدى إلى ظهور أنماط ومؤسسات تعليمية جديدة وغير معروفة من قبل، والتوجه المستقبلي لها يتمركز في النظم الذكية التي تتميز بالذوق والشمّ والإحساس، وفي تنمية ما يعرف بالذكاء الجمعي ". ومن بين العلوم الحديثة التي تناولت دراسة اللغات، البحوث الانثروبولوجية اللغوية. و من خلال دراستنا العلمية لتعلم اللغة الانجليزية في الوسط التعليمي الخاص بالتعليم المتوسط توصلنا إلى النتائج التالية:

- إن متغيرات العولمة الاقتصادية والسياسية والثقافية ربطت العالمي بالمحلي، وجعلت العالم قرية كونية صغيرة تتبادل التأثيرات والأحداث والتطورات في كافة المجالات ، والتي على الإنسان العالمي أن يتعلم العيش في هذه القرية العالمية بما تستلزم من قيم واتجاهات وسلوكيات تؤهله لمعرفة الآخرين والتعامل معهم واحترام خصوصياتهم و التواصل الحضاري مع الشعوب.

-تمثل المتغيرات العالمية التي تشكل العالم المعاصر في أربعة متغيرات رئيسة: معرفية ومعلوماتية واقتصادية وثقافية، ويتضمن كل تغير منها جدلا علميا وأيديولوجيا، بل ويؤثر كل منها في الآخر، لتشكل في النهاية البيئة المحيطة بالنظام التعليمي، وتفرض هذه المتغيرات آثارا ومضامين عميقة وعديدة ذات صلة بالنظام التعليمي ومكوناته وعناصره، ومن أبرز هذه الآثار: البحث والتطوير، والمعلوماتية، والتنافسية الاقتصادية، و المعيارية والتعددية الثقافية، وهي آثار وتحديات تمس عناصر العملية التعليمية، والتي من أهمها "المعلم" ، حيث تؤثر في تكوين المعلم وإعدادة معرفيا ومعلوماتيا ومهنيا وثقافيا. والقاسم المشترك لهذه التغيرات هو اللغة التي تعد من أهم الظواهر الاجتماعية التي أنتجها التطور البشري، وهي مركب معقد، وترتبط

خاتمة

ارتباطا عضويا بجميع المعارف الإنسانية. بات تعلم اللغة و خاصة اللغة الأجنبية اليوم أمرا هاما جد من أجل الدخول إلى عالم المعرفة ومواقع الانترنت الأجنبية المتخصصة في عالم الاتصالات واستخدام تكنولوجيا التعليم بكافة أنواعها، فالتعامل مع أي مجال أصبح يتطلب إجادة اللغة الإنكليزية بمهارة كافية.

هناك علاقة بين تداول اللغات الأجنبية في المحيط الأسري والمستوى اللغوي لدى التلاميذ، إذ لاحظنا من خلال النتائج بأن المستوى اللغوي للتلاميذ في اللغات الأجنبية يتناسب طرديا، وفعالية استعمال اللغات الأجنبية في المحيط الأسري خاصة عندما تتوفر الشروط التي تساعد على ذلك . كالمستوى التعليمي للأولياء ونوعية الشهادات التي تحصلوا عليها وكذلك وفرة الوسائل المادية كالمكتبة المزودة بمختلف مراجع اللغات الأجنبية و خاصة اللغة الانجليزية، وفرة وسائل الاتصال بكل أنواعها، بما في ذلك الوسائل السمعية البصرية، الراديو، التلفزة، الانترنت.

أما الوسائل المعنوية فتتمثل في وفرة الجو المناسب الذي يساعد على متابعة الدراسة فالحوار داخل المحيط الأسري يلعب دورا هاما في تنمية المهارات اللغوية لدى المراهق لأن الحوار هو الهدف والأداة، أي يستعمل الأطفال الحوار من أجل تعلم اللغات الأجنبية ويتعلمون اللغات الأجنبية من أجل الحوار مع الآخرين. إذ أثناء الحوار يعبرون عن أفكارهم، وعن الأحداث المجسدة في الواقع ويربطونها بأحداث عاشوها، وكما أن تعلم اللغات الأجنبية ليس بمعناه تعلم استدلالا و فقط، وإنما عبارة عن وصف، سرد، تفسير وتبادل للحجج و بالتكرار والإعادة تثبت هذه الصيغ والعبارات، وفيما بعد يستعملونها في الوضعيات المشابهة لتلك الوضعيات، وعلى هذا أشار "سرجيو سبيني" على أن الحوار العائلي يعتبر من بين العوامل المساعدة على تزويد الطفل بعدد هائل من المعارف وليس عامل هدم لقدراته اللغوية.

إن المستوى التعليمي للوالدين يؤثر تأثيرا فعالا على التحصيل الدراسي لدى الأبناء وبالتالي تعلم اللغات واللغات الأجنبية ، وهو يكفي أن يكون المستوى التعليمي مرتفع لأحد الأولياء، فهذا يؤثر إيجابا على المستوى اللغوي لدى التلميذ، إذ أن التلميذ الذي ينتمي إلى أسرة ذات مستوى تعليمي منخفض ليس كالتلميذ الذي ينتمي إلى أسرة ذات مستوى تعليمي مرتفع. فالتلاميذ الذين يتميز أوليائهم بمستوى تعليمي مرتفع جامعي فما فوق يتميز أولادهم برأسمال لغوي ثري، وهم الذين يمثلون فئة التلاميذ النجباء، أما الأولياء الذين يتميزون بمستوى تعليمي متوسط فإن أولادهم يتميزون بمستوى لغوي مقبول، أما الأولياء الذين يتميزون بمستوى تعليمي ضعيف، فإن المستوى اللغوي عند أولادهم ضعيف.

إن إدراك ك التلميذ لفائدة اللغات الأجنبية ينمي فيه رغبة تحصيلها ، فهذا يعني أن هناك علاقة بين الإدراك الإيجابي للتلميذ حول تخصصه، تخصص اللغات الأجنبية والعوامل المساعدة على نجاحه، فأناء تحليلنا لاستبيانات التلاميذ، أكد لنا العديد من التلاميذ بأن اللغات مهمة للذي يريد أن يتابع الدراسة، ومهمة حتى لمن لا يريد أن يتابع الدراسة لأنه سوف يستخدمها في ميدان العمل.

وكما أكد العديد من التلاميذ بأن فشل الأداء المدرسي لبعض التلاميذ راجع إلى أنهم لا يجيدون اللغات الأجنبية، هذه (الأخيرة اللغات الأجنبية) تمكنهم من التفاهم والاتصال مع الغير لأن تعلم اللغة الأجنبية، خاصة تلك التي لها رصيد ثقافي، أصبح من متطلبات العصر للانفتاح على العالم، وتعلمها معناه، الانفتاح على ثقافات العالم، وتمكن صاحبها من اكتساب خبرات جديدة وفي ميادين شتى، وكذلك تذوق الآداب وما تنطوي عليه من أفكار إنسانية سامية، قيم خلقية راقية وتجارب علمية جديدة.

أما فيما يخص الحوافز، فلقد لاحظنا كذلك في نتائج الدراسة بأن هناك حوافز أولية و أخرى

ثانوية تساعد الطفل على الإقبال لتعلم اللغات الأجنبية.

فالحوافز الأولية تنشأ من التلميذ وهذه الدوافع يمكن أن تكون سيكولوجية، إذ أن التلميذ يقبل على السلوك مدفوعاً برغبة لإرضاء ذاته وإشباع حاجاته وسعيًا وراء الشعور بمتعة السلوك، واكتساب المعلومات وإتقان المهارات التي يميل إليها، لأنها ذات أهمية في حياته اليومية، وتعد هذه شرطاً أساسياً للتعلم الذاتي والتعلم على مدى الحياة. "لقد ربط علماء التربية والنفس بين النمو العقلي للإنسان ونموه اللغوي، فقد أشار بعضهم إلى أنه كلما تطورت واتسعت لغة الإنسان ارتقت قدراته العقلية، ومنها ذكاؤه، وتطور مستوى التفكير لديه. لقد ذهب "بياجيه" إلى أن الأفكار والمفاهيم تُكتسب من المجتمع، ولكن الوسيلة الأساسية لاكتساب هذه المفاهيم والأفكار ونموها هي اللغة.

أما الحوافز الخارجية فيكون مصدرها خارجي كأطراف عملية التنشئة الاجتماعية أو مؤسسات التربية، حيث يقبل فيها التلميذ على السلوك لإرضاء أطراف عملية التنشئة الاجتماعية وكسب حبهم وتقديرهم أو الحصول على تشجيع مادي أو معنوي، ويمكن تأييد نتائج هذه الدراسة بنتائج دراسة عبد الرحمن السيد، 1988 الذي يبين بأن هناك حوافز أولية من الداخل وحوافز ثانوية من الخارج التي تساعد التلميذ في تعلم اللغات الأجنبية.

فلقد نشط التلاميذ حوافزهم بعدة طرق، بما فيها التقليد، النمذجة، الخطط وذلك بالاستماع إلى الراديو، مشاهدة التلفزة، مطالعة الكتب و الإقبال على مواقع الانترنت و غيرها. فكثيراً ما يقضي التلميذ وقته وهو يقلد طريقة الكلام لبعض الصحفيين أو الممثلين.

__ هناك أكثر من 67% من المعلمين، تزيد خبرتهم عن 15 سنة في التعليم، فهذه الأخيرة يولي لها كل الاهتمام لكسب المعارف، وكما أنهم مؤهلين لتعليم اللغات الأجنبية بطرق فعالة ومثمرة. فلقد عرف التأطير في المتوسط ارتفاعاً ملحوظاً اقدر بحوالي أكثر من 32000 أستاذ. وقد أدى ارتفاع عدد التلاميذ في التعليم المتوسط إلى ظهور الحاجة إلى استحداث مناصب مالية للتأطير البيداغوجي .

خاتمة

إن المتغيرات تستلزم سرعة التحرك في التعامل معها، وإدخال تعديلات تربوية جوهرية في تكوين المعلم على مستوى الأهداف والخطط والبرامج والممارسات والوسائل، وتوجيهها لإعداد معلم المعرفة والمعلم الباحث، والمعلم الرقمي، والمعلم التخصصي والمعلم التنافسي، والمعلم العصري والمتعدد الثقافات، ومتابعة التدريب وإعادة التدريب لمن هم على رأس العملية التعليمية و خاصة تعليمية اللغات، وتطوير كليات التربية ومؤسسات إعداد المعلم والاستفادة في ذلك من التطبيقات والتجارب العالمية الناجحة على مستوى مؤسسات التعليم العالي .

هذه الدراسة دعوة علمية خالصة لاقتحام هذا النوع من الدراسات وهذا انطلاقا مما تم انجازه و تحقيقه من قبل المفكرين ، و التربويين و اللغويين و الانثروبولوجيين آخذين منها ما يتلاءم وحقائق لغتنا و اللغات الأجنبية دون نقص و انحياز، لست أدعي أن هذا العمل قد استوفى شروط الكمال، و لكن يبقى عملا بسيطا يحتاج إلى النقد والتقويم و التصويب، و أن باب البحث والتمعن فيه يبقى مفتوحا لمن أراد أن يلج باب الدراسات اللغوية الانثروبولوجية.

أرجو أن نكون قد وفقنا و لو بقدر ضئيل في معالجة هذا الموضوع الذي تأتي صعوبته بقدر تشويقه، و أن نكون قد تمكنا من الإمام ببعض جوانبه الهامة قصد التعلم والاستفادة من زلاتنا وأخطائنا التي يبقى على اساتدتنا تقويمها وتصويبها.

فالله نسأل السداد والرشاد، انه عليم حكيم، "و فوق كل ذي علم عليم"، و الله من وراء القصد وعليه نتوكل وبه نستعين.

قائمة المصادر و المراجع

- _ القرآن الكريم، برواية الإمام ورش، دار المصحف، بيروت و القاهرة.
- _ ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب بالقاهرة 1952، الجزء الأول .
- _ إبراهيم عبدالعزيز ابوحميد "المناسب لتعليم اللغات الأجنبية" مجلة الدراسات اللغوية، السعودية ،مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المجلد الثاني العدد الثالث 2000.
- _ أبو البقاء الكفوي، تحقيق د. عدنان درويش، و محمد المصري، مؤسسة الرسالة بيروت سنة 1995 .
- _ الحبيب الخنحاني، ظاهرة العولمة الواقع و الأفاق، مجلة الفكر، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والأدب، الكويت، أكتوبر- ديسمبر 1999.
- _ أحمد بوكوس "الأمازيغية والمنظومة التربوية" مجلة نوافذ.المغرب مطبعة النجاح الجديدة: ،عدد 17-18، الدار البيضاء 2002.
- _ أحمد، عبد الباقي محمد .، المعلم والوسائل التعليمية. الإسكندرية، مصر، 2005.
- _ إدريس الشغرونشي، الآثار الناجمة عن ازدواجية في تكوين الملكة اللغوية العربية في المراحل الأولى من التعليم ،مجلة استعمال اللغة العربية في المغرب ،الرباط، 1993.
- _ الجاحظ، كتاب الحيوان، دار الكتاب العربي ، بيروت.
- _ الشمري، عيد بن عبد الله.. تدريس اللغة الإنجليزية في المملكة العربية السعودية: لمن و متى وكيف تدرس الإنجليزية؟ مجلة جامعة الملك سعود (العلوم التربوية) ، مج 1، ع 1-2 ، 1989.
- _ أنور الجندي، معلمة الإسلام، المجلد الأول، بيروت، 1980.
- _ السيد، محمود أحمد في طرائق تدريس اللغة العربية، دمشق .

- _أنور الجندي: حتى لا تضيع الهوية الإسلامية و الانتماء القرآني، دار الاعتصام، سلسلة الرسائل الجامعة، د.ط، د.ت.
- _إبراهيم مبروك محمد و آخرون: الإسلام و العولمة، الدار الثقومية العربية، مصر 1999.
- _ابن جني، أبي الفتح عثمان الخصاص، القاهرة، 1913 .
- _ابن فارس أبو الحسن أحمد، كتاب لصاحبي في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها، لبنان، بيروت
- _ابن منظور المصري، لسان العرب، الطبعة الاولى، الجزء 20.
- _ابوالقاسم سعد الله، خارج السرب مقالات و تأملات ، دار البصائر، الطبعة الثانية الجزائر، 2008.
- _ أبو حلاوة : كريم ، الآثار الثقافية للعولمة و حطوظ الخصوصيات الثقافية في بناء عولمة بديلة ، مجلة عالم الفكر ، العدد 3 ، المجلد 29 ، يناير 2001م
- ابوخلدون صاطع الحصري، آراء و احاديث في الوطنية و القومية، دار العلم للملايين، 1957. _
- _أحمد أبو زيد تحت عنوان "البناء الاجتماعي و الثقافي" في كتابه: البناء الاجتماعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975.
- _احمد ابو زيد، لفي سترويس عميد البنائين في فرنسا، مجلة العربي ، عدد 293، الكويت، ابريل، 1983.
- _أحمد بن نعمان: هذه هي الثقافة، دار الأمة للطباعة و الترجمة و النشر و التوزيع، الجزائر 1996.
- _أحمد بن نعمان: هدي هي الثقافة، مجلة عالم الفكر، المجلد الثامن و العشرون، العدد الثاني، أكتوبر - ديسمبر 1999.
- _أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية.
- _أحمد زايد، عولمة الحداثة، تفكيك الثقافة الوطنية، مجلة عالم الفكر، المجلد 32، العدد: 1، يوليو سبتمبر 2003.
- _أحمد عبد الرحمن أحمد: العولمة، مجلة العلوم الاجتماعية، ع2، الجزائر 1999.

- _ ادريس الكتاني، كيف فشلت تجربة الازدواجية في لغة التعليم بالمغرب العربي، "مجلة اللسان العربي" العدد 3، الرباط، 1965.
- _ إدريس عبد الله القصيري، موفق (تكنولوجيا التربية والقابلية الابتكارية) ،الجامعة الوطنية الماليزية، كلية الدراسات الإسلامية، كوالامبور 2004 .
- _ إدوين غينتسلر، في نظرية الترجمة، اتجاهات معاصرة تر- سعد مصلوح، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2007.
- _ أسامة أمين الخولي: العرب والعملة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت .
- _ اسعد السحمراني ،ويلات العملة على الدين و اللغة و الثقافة، دار النفائس، الطبعة الأولى، 2002.
- _ إسماعيل علي محمد: العملة الثقافية و موقف الإسلام منها، دار الكلمة للنشر و التوزيع، ط1، 2001 م.
- _ الإستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي، نشر المنظمة للتربية و العلوم و الثقافة - ايسيسكو - الرباط 1997.
- _ البخيت، معروف، من مقالة بعنوان "رئيس الوزراء في حوار مفتوح مع المثقفين"، جريدة الرأي، 2006.
- _ البغدادي محمد رضا، تكنولوجيا التعليم و التعلم، دار الفكر العربي ،القاهرة ،1419 هـ.
- _ الجميعي، عوض، نحو ايجاد معادلة عادلة لتواصل ثقافي بناء، العملة والهوية، اوراق المؤتمر العلمي الرابع لكلية الاداب والفنون ، منشورات جامعة فيلادلفيا، 1999.
- _ الخطة الشاملة للثقافة العربية، نشر المنظم العربية للتربية للعلوم الإسلامية و الثقافية، ط2، تونس 1996.
- _ الحوات ، علي الهادي، التربية العربية رؤية لمجتمع القرن الحادي والعشرين، منشورات اللجنة الوطنية الليبية، دار الكتب الوطنية، بنغازي ، ليبيا ، 2004 .
- _ الخوري، نسيم، الإعلام العربي وانهايار السلطات اللغوية، ط1، بيروت، 2005.

_الدبسي رضوان، تحديث طرائق تعليم اللغة العربية- تكنولوجيا التربية وأنشطته، مجمع اللغة العربية دمشق 2003.

_السيد محمد بدوي مبادئ علم الاجتماع، دار المعارف بمصر، سنة 1968.

_السيد محمود، في طرائق تدريس اللغة العربية، 1988.

_ النقيب : خلدون حسن، الآفاق المستقبلية للفكر الاجتماعي العربي، مجلة عالم الفكر، العدد 3، المجلد 30، 2002.

_السيد يسن ، العرب والعملة .

_السيد، محمود، اللغة مركز الدراسات الإنسانية ، مؤتمر مجمع اللغة العربي بدمشق 2006.

_السيد، محمود، سوء أساليب تعليم اللغة العربية.

_السيوطي عبد الرحمن جلال، المزهري في علوم اللغة وأنواعها.

_الصالح السيد محمود، في طرائق تدريس اللغة العربية ،دراسات في فقه اللغة، بيروت، 1970.

_الصالح صبحي، دراسات في فقه اللغة بيروت، 1970.

_العملة الغربية والصحة الإسلامية .

_الفتوخ عبد القادر،السلطان عبد العزيز،الانترنت في التعليم،مشروع المدرسة الالكترونية ،رسالة الخليج العربي ،العدد71.

_الكلوب، بشير عبد الرحيم، التكنولوجيا في عملية التعلم والتعليم ،عمان/الأردن - ط2- 1993.

_المحاسني، مروان اللغة العربية ومواكبة العلوم الحديثة، مؤتمر اللغة العربية وعصر المعلوماتية بدمشق 2006.

_اليونسكو، التعليم في عالم متعدد اللغات، 2003.

_ الزهراني: سعد عبد الله بردي ، مواءمة التعليم العالي السعودي لاحتياجات التنمية الوطنية من القوى العاملة وانعكاساتها الاقتصادية والاجتماعية والأمنية_ مركز أبحاث مكافحة الجريمة ، وزارة الداخلية ، الرياض ، 1423هـ

_ أمين، زينب محمد، إشكاليات حول تكنولوجيا التعليم، المنيا، مصر، الفصل الرابع.

_ إيفانز بريشارد، الانثروبولوجيا الاجتماعية، ترجمة الدكتور أحمد أبو زيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

_ ايل عبد المولي طشطوش: حقوق الإنسان في ظل أخلاق العولمة، العربية، مجلة إلكترونية، يوليو 2007.

_ بكداش كمال و رزق الله رالف، مدخل إلي ميادين علم النفس و مناهجه، دار الطليعة ، بيروت ، ط2، 1985.

بشير عبد الحليم الكلوب، التكنولوجيا في عملية التعليم و التعلم، دار الشروق ، عمان، ط2، 1999.

_ بكار، عبد الكريم، العولمة، طبيعتها، تحدياتها، التعامل معها مكتبة دار الحياة الحديثة، الطبعة الثانية، 1422هـ، 2001م.

_ بول فاليري، نظرات في عالم اليوم، الفكر الإسلامي و الفلسفة، مكتبة العارف، المملكة المغربية.

_ تفسير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، المطبعة الآرية، القاهرة 1323، ج29 .

_ بيتي وسويت: باسكال ولوك، العولمة تبحث عن مستقبل، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، العدد 160، 1999م.

_ برونر، خوسية جواكين، العولمة والتعليم والثورة التكنولوجية، مجلة مستقبلات، العدد 118، يونية 2001.

_ حسين حمدي الطوبجي وسائل الاتصال والتكنولوجيا في التعليم، الكويت، دار القلم ، 1982.

- _ حلام الجيلالي: أثر العولمة في اللسان الرسمي (العربية نموذجاً) مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، ع5، الجزائر 2001.
- _ حلام الجيلالي: أثر العولمة في اللسان الرسمي العربية نموذجاً، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، ع5، الجزائر 2001.
- _ حمدان محمد زياد، وسائل وتكنولوجيا التعليم مبادئها وتطبيقاتها في التعليم والتدريس، سلسلة التربية الحديثة(2) ، القسم الأول ، قضايا وخطة إجرائية عامة لوسائل وتكنولوجيا التعليم ،
- _ حنفي بن عيسى: الطفل و معضلة القصور اللغوي في العالم العربي، مجلة الثقافة العدد 98، مارس - أبريل 1987.
- _ حيدر إبراهيم : العولمة و جدل الهوية الثقافية مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب، ع2، أكتوبر-ديسمبر الكويت 1999.
- _ جان بيير قارنيبي، عولمة الثقافة، ترجمة عبد الجليل الأزدي، دار القصبه، سنة 2002.
- _ جرجي زيدان اللغة العربية كائن حين دار الهلال، بدون تاريخ.
- _ جيمس روزانو: ديناميكية العولمة نحو صياغة عملية قرارات إستراتيجية، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، القاهرة 1997.
- _ جاك رتشاردز و ثيودور روجرز . مذاهب وطرائق في تعليم اللغات ترجمة : محمود إسماعيل صيني وآخرين . د ط . الرياض، 1990.
- _ جالوبين وآخرون: جيلبرتو وسيلفو فونتوويكز ومارتن أوكونور وجيري رافيتس، العلم من أجل القرن الحادي والعشرين من العقد الاجتماعي إلى الطفرة العلمية، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، العدد 168، جويلية 2001.
- _ جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية،مراجعة الدكتور شوقي ضيف، ج 1، دار الهلال ،بيروت.

_ خالد بن عبد الله القاسم: العولمة و أثرها على الهوية، بحث مقدم إلى مجلة الإسلام اليوم بتاريخ 2006/05/29.

_ خالد نزيه، الجودة في الإدارة التربوية والمدرسية والإشراف التربوي)- الفصل الرابع (طرق قياس إنتاجية وفعالية مراكز الوسائط التعليمية) دار أسامة، عمان، الأردن ط 1 2005 .

_ خلف الجراد، العلاقة الإشكالية بين الثقافة والغزو الثقافي في الخطاب العربي المعاصر، المستقبل العربي، ع 175 أيلول 1993.

_ دوجلاس براون: أسس تعلم اللغة و تعليمها، ترجمة د.عبد الراجحي و د. علي أحمد شعباش، دار النهضة العربية، بيروت، 1994

دانييل دريزيز: يا عولمي العالم اتحدوا، ترجمة عبد السلام رضوان، مجلة الثقافية العالمية، ع 85، ديسمبر 1997.

_رشدي أحمد طعيمة، الأسس العامة لمناهج تعليم اللغة العربية إعدادها، تطويرها و تقويمها، دار الفكر العربي، ط 2، 2000.

_رشدي أحمد طعيمة، تعليم العربية لغير الناطقين بها، مناهجه وأساليبه، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، 1989.

_رمضان عبد التواب . المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ط 2. القاهرة : مكتبة الخانجي . 1405هـ / 1985م.

_ريتشارد هيجون: العولمة و اللممة، اتجاهات جديدة في السياسة العالمية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 1998.

_ زهير أحمد السباعي . تجربتي في تعليم الطب باللغة العربية. الدمام : نادي المنطقة الشرقية الأدبي . ط 2 ، 1414 هـ / 1994 ...

- زيدان علي جاسم و جاسم علس جاسم . دراسة تحليلية لمحتوى مادة القراءة الطبية في كلية الطب ندوة بناء المناهج (الأسس والمنطلقات) 19 - 20 / 3 / 1424 هـ . د- ط . ج 2 الرياض جامعة الملك سعود - كلية التربية . 1425 هـ
- _ زيدان محمود فهمي ، في فلسفة اللغة ، دار النهضة العربية، بيروت، 1985.
- زكريا بشير إمام: في مواجهة العولمة، عمان الأردن 2000.
- سالم العبسي، الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية ، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 1999. _
- _ ساطع الحصري: ما هي القومية، دار العلم للملايين، بيروت، دت.
- _ ساطع الحصري، ماهي القومية، دار العلم للملايين ،بيروت، الطبعة الأولى، 1959 ص 251.
- _ سبتي إبراهيم، مقال موت المؤلف وخلود الأثر، الحوار المتمدن، العدد 1563.
- _ سعيد السريحي ،شجاعة العربية ،6-8 نوفمبر ، الجزائر، 2000.
- _ سعيد عبدو إسماعيل: العولمة و العالم الإسلامي، 2001.
- _ سعيد عبدو إسماعيل: العولمة و العالم الإسلامي، 2001.
- _ سميدون حمادي و آخرون: اللغة العربية و الوعي القومي، مركز دراسات الوحدة العربية، أبريل 1984.
- _ سيد عويس، حديث عن الثقافة، مكتبة الأنجلو المصرية 1970.
- _ شحاذة الخوري، دراسات في الترجمة و المصطلح و التعريب ،دار طلاس ،دمشق ،1993.
- شطناوي، عبد الكريم، أسس التربية، 1990.
- _ شوقي جلال محمد، تقرير الجمع الميداني، وضع الترجمة الراهن في الوطن العربي، ندوة فكرية حول الترجمة في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان 2000.

- _ صادق جلال العظم: ماهية العولمة، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، تونس 1996.
- _ صالح أحمد محمد، أهمية اللغات في العالم 1996.
- _ صالح بلعيد دروس في اللسانيات التطبيقية ص42.
- _ صالح بلعيد: محاضرات في قضايا اللغة العربية، مطبوعات جامعة قسنطينة.
- _ صامويل هنتنجتون ، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب.
- _ صامويل هنتنجتون صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، ط2، 1999.
- _ صمويل هنتنجتون صدام الحضارات، باللغة الانجليزية، نيويورك، 1997.
- _ صبر ابراهيم السيد، علم اللغة الاجتماعي مفهومه و قضاياها، 1995.
- طلال عبد المعطي مصطفى: العولمة و حقوق الإنسان، جريدة النور بتاريخ 2004/12/13.
- _ طلال عتيريس: العرب و العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، يونيو 1929، بيروت.
- _ عاطف وصفي، الثقافة والشخصية، دار المعارف بمصر، سنة 1975.
- _ عامر رشيد السمراي، آراء في العربية، مكتبة النهضة، بغداد، بدون تاريخ.
- _ عامر رشيد السمراي، آراء في العربية، مكتبة النهضة، بغداد، بدون تاريخ.
- _ عباس بشار، ثورة المعرفة و التكنولوجيا، دار الفكر، دمشق سنة 2001.
- _ عبد الرحمن الحاج صالح مقالة في ندوة بناء المناهج التعليمية ، المجلة العربية للتربية ، مجلد 5، عدد02، 1985.
- _ عبد السلام ياسين محمد ، السجل العلمي، للندوة العالمية الأولى لتعليم العربية لغير الناطقين بها ، معهد اللغة العربية، 1980.
- _ عبد العزيز بن عثمان تويجري، الحوار من أجالل التعايش، دار الشروق، القاهرة، 1998.

- _ عبد الله بن عبد العزيز، الموسيقى، التعليم الالكتروني مفهومه و خصائصه، فوائده و عوائقه، 1422هـ.
- _ عبد المولي طشطوش: حقوق الإنسان في ظل أخلاق العولمة، العربية، مجلة إلكترونية، يوليو 2007.
- _ عبد الهادي التازي ، هل في استطاعة العولمة أن تهدر الهوية ؟ مجلة الأكاديمية الملكية ، الرباط ، عدد العولمة والثقافة 1997.
- _ عبد الوهاب المسيري: العالم من منظور غربي، منشورات دار الهلال، 2001.
- _ عبده الراجحي، اللغة و علوم المجتمع، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الثانية، 2004.
- _ عبيدات ذوقان ، شابنا .. أين نحن من العولمة؟، 2000.
- _ عطار احمد عبد الغفور، مقدمة الصحاح، دار العلم للملايين ، بيروت، الطبعة الاولى، 1956.
- _ علي بن محمد الشريف المرحاني، التعريفات ، دار عالم الكتب، الطبعة الأولى ، 1407هـ-1987م.
- _ علي عبد الواحد وافي، اللغة و المجتمع، دار النهضة بمصر، 1971.
- _ علي حرب ، حديث النهايات ، فتوحات العولمة ومازق الهوية ، بيروت ، 2000.
- _ عمار طالبي: العولمة و أثرها على السلوكيات و الأخلاق، عن مجلة الرائد تصدر عن الدار الإسلامية للإعلام بألمانيا، العدد 236، ماي 2002.
- _ عاطف وصفي، الثقافة والشخصية، دار المعارف بمصر، سنة 1975.
- _ عبد السلام المسدي، العولمة والعولمة المضادة، ط1، مصر، 2000.
- _ عبد السلام خلفي، اللغة الأم و سلطة المؤسسة، مبحث في الوطنية اللغوية و الثقافية في المغرب، المغرب، 2000.
- _ عبد القادر الفاسي الفهري ، اللغة والبيئة، المغرب: منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء، رقم 18، 2003.

- عبد القادر الفاسي الفهري، "ملكة اللغة العربية في وضع الازدواج والتعدد"، مجلة قضايا استعمال اللغة العربية في المغرب، الرباط، 1993.
- عبد الكريم غلاب ، من اللغة الى الفكر، ط1، المغرب، 1993.
- عبد الكريم غلاب، التعريب و دوره في تدعيم حركات التحرر في المغرب العربي ، في التعريب و دوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية، بيروت ، 1982.
- عبدالصبور شاهين. في علم اللغة العام. بيروت: مؤسسة الرسالة . ط 41404/هـ/1984م.
- عبدالقادر الفاسي الفهري "اكتساب اللغة العربية والتعليم اللغوي المتعدد" مجلة اللسانيات. الرباط ، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، المجلد4، العدد1999.
- عبده الراجحي : النحو في تعليم العربية لغير الناطقين بها، ندوة تعليم اللغة العربية في ماليزيا الجامعة الإسلامية، كوالالمبور، أغسطس، 1986.
- عبد العزيز شرف، المدخل إلى وسائل الإعلام، بيروت : دار الكتاب اللبناني، ط2، 1989.
- علي القاسمي ،الجامعة و التنمية، سلسلة المعرفة للجميع العدد27، الرباط، 2002.
- علي عبد الواحد وافي ،اللغة و المجتمع، دار النهضة بمصر، 1971.
- علي عبد الواحد وافي . علم اللغة . دار نهضة مصر، ط9.
- عبد الكريم غلاب، أزمة المفاهيم و انحراف الأفكار ، سلسلة الثقافة القومية، رقم33 ، الطبعة الأولى ، بيروت ، 1998.
- فارس خليل، التطور الثقافي في مجتمعنا الاشتراكي، مكتبة القاهرة الحديثة، 1960.
- فاصل سوداني: العنف ووحشية التهميش الثقافي في زمن العولمة، مجلة المهاجر، ، العدد 3، مارس 2005.

- _ فتدريس: اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1951.
- _ فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت 1967.
- _ فلوريان كولماس، اللغة والاقتصاد، ترجمة أحمد عوض، عالم المعرفة، عدد 263، سنة 2000.
- _ قمق بريهان، اللغة العربية عبر الأنترنت التجديد العربي.
- _ كريم زكي حسام الدين، اللغة و الثقافة، دراسة انثروبولوجية لألفاظ و علاقات القراءة في الثقافة العربية.
- _ كريم زكي حسام الدين، اللغة و الثقافة، دراسة انثروبولوجية للألفاظ و علاقات القراءة في الثقافة العربية، دط، دت .
- _ كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، 1997.
- _ كمال بشر، اللغة العربية بين الوهم و سوء الفهم.
- كمال يوسف الحاج، فلسفة اللغة، دار النهار للنشر، بيروت، 1978.
- منظمة اليونسكو، التربية ذلك الكنز المكنون، مجلة التربية، الدوحة، قطر، عدد 120، سنة 1997.
- _ كامل أبو صقر: العولمة التجارية و الإدارية و القانونية (رواية إسلامية)، منشورات دار الوسام و دار مكتبة الهلال: بيروت، ط1، 2000.
- _ كلاس جورج، الألسنية و الطفل العربي، دط ت.
- _ لويس معلوف، المنجد، بيروت، ط1، 1966.
- _ ليفي بيير، التكنولوجيات الجديدة والذكاء الجمعي، مجلة مستقبلات، العدد 102، المجلد 27، يونيو 1997.
- _ مارتن هايدغار هيلدر لن، ماهية الشعر، ترجمة فؤاد كامل و محمود رجب، مراجعة ع. بدوي، القاهرة 1974.

_مارشال ملكوهان، كيف تفهم رسالة الاتصال، ترجمة د.خليل صابات، طبعة النهضة العربية ،
1975.

_مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، وعمر كامل مسقاوي، دمشق،
دار الفكر، 1406 هـ - 1986.

_محمد السعران، علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربي، سنة 1963.

_ محمد الأوراغي ، اكتساب اللغة في الفكر العربي القديم، الرباط، دار الكلام للنشر والتوزيع،
1990.

_محمد الطيبي: العرب الأصول و الهوية، دار الغرب 2002.

_محمد بن سعد التميمي، العولمة و قضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة.

_محمد بن سعد التميمي: العولمة و قضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة، ط1،
2001

_محمد بن سعد التميمي: العولمة و قضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة، ط1،
2001.

_محمد سبيلا و عبد السلام بن عبد العالي، اللغة، دار توبقال للنشر،الدار البيضاء، الطبعة
الرابعة 2005.

_محمد عابد الجابري ، الموسوعة الفلسفية العربية، بيروت، معهد الإنماء العربي، 1986، مج 2.

_محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية -عشر أطروحات، المستقبل العربي، ع 228 شباط
1998.

_محمد عابد الجابري: عن الشرق الأوسط، ليوم 1979/02/04، نقلا عن كتاب محاضرات في
قضايا اللغة العربية لصالح بلعيد.

_محمد علي حوات، العرب و العولمة شجون الحاضر و غموض المستقبل.

- _ محمد عمارة ، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية ، دار النهضة للطباعة و النشر بمصر ، الطبعة الثانية ، فبراير 1999 .
- _ محمد مبارك، فقه اللغة و خصائص العربية، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1975.
- _ محمود احمد السيد ، المرجع في تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى ، مكة المكرمة، معهد اللغة العربية، جامعة أم القرى، 1986.
- _ محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية، الكويت، وكالة المطبوعات، 1973.
- _ مذكور علي أحمد ، التربية وثقافة التكنولوجيا، سلسلة الفكر العربي للتربية وعلم النفس - الكتاب رقم 27 ، الفصل 4.
- _ مصطفى الخشاب ، دراسة المجتمع، مكتبة الأنجلو المصرية، سنة 1974.
- _ معروف نايف محمود، خصائص العربية وطرائق تدريسها، 1998.
- _ محمد الأوزاعي "التعدد اللغوي له انعكاساته على النسيج الاجتماعي" مجلة جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب و العلوم الانسانية، ط1، الرباط، 2000.
- محمد سبيلا وعبد السلام بنغيد العالي، اللغة ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الرابعة 2005.
- _ محمد عبد الرؤوف الشيخ ، الجانب الثقافي في كتب تعليم اللغة العربية للأجانب في المستوى الأول، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة طنطا، 1985.
- _ محي الدين عبد الحليم، إشكاليات العمل الإعلامي بين الثوابت والمعطيات العصرية، قطر : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط 1، 1998.
- _ محمود السعران، اللغة و المجتمع، رأى و منهج 1968.
- _ مذكور، علي أحمد ، مناهج التربية وخيارات المستقبل، الفصل الثامن، دط، دت.

- ممدوح محمود منصور: العولمة (دراسة في المفهوم و الظاهرة و الأبعاد)، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، 2003.
- _ ميشال زكريا الألسنية و علم اللغة الحديث، المبادئ والأعلام، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1983.
- _ ميشال كلوغ: أربع أطروحات حول عولمة أمريكا، ترجمة محمد يوسف، مجلة الثقافة العالمية، ع 85، ديسمبر الكويت، 1997.
- _ ميشيل زكرياء، مباحث في النظرية الانسونية و تعليم اللغة، بيروت 1983.
- _ نايف خرما و علي حجاج، اللغات الأجنبية تعليمها و تعلمها، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، 1988.
- _ نعمان عبد الغني، الشباب والتكنولوجيا، التجديد العربي.
- _ ندير محمد مكتبي، الفصحى في مواجهة التحديات، دار البشائر الاسلامية للطباعة و النشر والتوزيع، بيروت، 1991.
- _ نزار الزين، تعريب التعليم و تعلم اللغات الأجنبية، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر، بيروت، سنة 1998.
- _ نزار الزين، تعريب التعليم و تعلم اللغات الاجنبية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط 1997.
- _ نزار الزين، تعريب التعليم و تعلم اللغات الأجنبية، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر، بيروت، الطبعة الاولى، 1997.
- _ نوال محمد عطية، علم النفس اللغوي، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1975.
- _ نوال محمد عطية، علم النفس اللغوي، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1975.

- __ يوسف القرضاوي المسلمون والعملة " دار التوزيع والنشر الإسلامية 1421 هـ ص 49.
- __ يوهان فك ، العربية ، دراسات في اللغة واللهجات و الأساليب ، ترجمة عبد الحلیم النجار مطبعة دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1951.
- __ يوهان فك ، العربية ، دراسات في اللغة واللهجات و الأساليب ، ترجمة عبد الحلیم النجار ، مطبعة دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1951.
- __ يوهان فك، العربية ، ترجمة د. عبد الحلیم النجار، القاهرة 1951.

المجلات و الدوريات

- __ مجلة حصاد الفكر، العدد 135، جماد الأول 1424 هـ - 2003م.
- __ سلسلة كتاب المعرفة ، العدد 7، نحن والعملة من يربي الآخر، بحث للأستاذ سعد البازعي بعنوان المثقفون والعملة والضرورة والضرر، الطبعة الأولى 1420 هـ 1999.
- __ مجلة تربوية ثقافية تصدرها وزارة التربية و التعليم الأساسي، العدد 3، السنة الأولى 1982.
- __ مجلة البيان، العدد 136، مقالة العملة حلقة في تطور آليات السيطرة ل خالد أبو الفتوح.
- __ مجلة العربي، اللغة العربية القيمة و الهوية، بسام بركة، العدد 528، نوفمبر 2002.
- __ مجلة الرائد، الدار الإسلامية للإعلام بألمانيا، العدد 236 ربيع الأول 1424 هـ/ مايو 2002م.
- __ كتيب المجلة العربية، ضياع الهوية في الفضائيات العربية، د. عائض الراددي العدد 37، محرم 1421 هـ.

- _ المستقبل العربي، محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية -عشر أطروحات ع 228 شباط 1998.
- _ مجلة العربي، نبيل علي، الانترنت مقبرة اللغات ام بستانها، العدد 2001، 516.
- _ عبد الحميد: المحاصرة و سنة التدافع، جريدة البلاد اليومية 14 جانفي 2001
- _ علي نبيل، العرب وعصر المعلومات، سلسلة عالم المعرفة، عدد 184، الكويت.
- _ جورج غازدا وريموند جي كورسيني: نظريات التعلم ج، 2 ترجمة علي حجاج. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة.
- _ نايف خرما و علي حجاج، اللغات الأجنبية، تعليمها و تعلمها، عالم المعرفة، الكويت، 1988
- جامعة الدول العربية/المؤتمر العربي للتحضير للقمّة العالمية لمجتمع المعلومات/القاهرة16-18 يونيو 2003.
- _ هيئة الموسوعة السورية، الموسوعة العربية، مؤسسة الصالحاني للطباعة، المجلد 6 ط 1 سورية، 2002.
- _ نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، عالم المعرفة، عدد 2001 .
- _ نبيل علي، الانترنت مقبرة اللغات ام بستانها، مجلة العربي، العدد 516، 2001
- _ مجلة تربوية ثقافية تصدرها وزارة التربية و التعليم الأساسي، العدد 3، السنة الأولى 1982.
- _ بسام بركة: اللغة العربية القيمة و الهوية، مجلة العربي، العدد 528، نوفمبر 2002.
- _ هيثم جواد الحداد " العولمة اللغوية، مجلة البيان، العدد 170 يناير 2000 .
- _ طلال عبد المعطي مصطفى: العولمة و حقوق الإنسان، جريدة النور بتاريخ 2004/12/13

- _ غالي شكري، مجلة الأهرام، شهر يناير، العدد 3303، سنة 1989.
- _ احمد ابو زيد، لفي سترويس عميد البنائين في فرنسا، مجلة العربي، ابريل، عدد 293، الكويت، 1983.

المواقع الإلكترونية

- _ بشر خلف، سؤال الهوية و صدمة العولمة ،موقع مجلة ديوان العرب أكتوبر، 2006com
[www.diwanalarab](http://www.diwanalarab.com)
- _ حبيب عبد الرب سروري، في مهب العولمة www.almultaka.net
- _ هيثم بن جواد الحداد: العولمة اللغوية، من موقع www.haitham.com
- _ بشر خلف، سؤال الهوية و صدمة العولمة ،موقع مجلة ديوان العرب أكتوبر،
www.diwanalarab.com2006
- _ شبكة و منتديات الشامل: من الإنترنت يوم 01 أبريل 2008 على
الموقع: <file:///c:/documents:mhtml:and settings>
- _ www.isoc.org
- _ www.Najah.edu/Arabi الدجاني، دعاء جبر، الصعوبات التي تعيق استخدام الانترنت

_ سليمان إبراهيم العسكري، عندما تتهشم الحروف، العوامة وتأثيرها على لغة الطفل العربي، القاهرة :
مجلة العربي، بتاريخ 18/9/1426 . نقلا عن الموقع www.adabatfal.com.

_ مجموعة من الباحثين، قضايا الطفل من منظور إسلامي، الرباط : منشورات المنظمة الإسلامية للتربية
والعلوم والثقافة إيسيسكو، 2006، www.isesco.org.ma.

قائمة المراجع باللغة الأجنبية

- Cambridge ، a training course for teachers ، Teach English ، Adrian Doff _
1995.، University Press
1971، tavistock publications، Social Anthropolgy and Language، Ardener Edwin
1966.، Gallimard، problem de linguistique générale، _ Benveniste
Printice-Hall، New Delhi، H.S: Building a Philosophy of Education، _Broudy
a synthesis of existing ، Language programme Evaluation ، Gd _ Brown
1989. ، cup ، in Johnson :rk The second Language curriculum ، possibilities
H. Douglas Principles of Language Learning and Teaching. ، _ Brown
N.Y. : Prentice-1980.، Englewood Cliffs
Cambridge ، D. : The، Crystal، Encyclopedia of Language _ Cambridge
. 1989، Cambridge University Press، language
، Cambridge، P. Interactive Approaches to Second Language Reading، _ Carroll
1989.، Cambridge university press
Linguistique appliquée ، _ Denis Girard. Le processus naturel de l'apprentissage
et didactique de langue Paris. Armand Colin.1972.
Ethnographic Analysis of Language with Reference to ، _ Firth (J.R)
Malinowski's Views. In: Selected Paper.
1957.، London، Oxford University press، papers in Linguistics، _ Firth

- in Papers in linguistics . ' the Technique of semantics' _ Firth
in Papers 'The Semantics of Linguistics' _ Firth
_ Giordani J. l'enseignement precoce des langues vivantes C.R.D.P.1982
- New ' English as a Second Language from Theory to Practice' M'Finocchiaro
. 1974' Company' SNC' York
in selected Papers . ' Personality and Language in society' _ Firth
Longman 1968. 'edited by Palmer' 'Selected papers' R'J' _ Firth
- _Henson (Hilary): Early British Anthropologists and Language.
Social Anthropology and Language. in : Ardener
cultural anthropology and linguistics. ' _ Hymes
- _ Jean-Louis calvet. La guerre des langues et des politiques linguistiques Paris :
Payo1987.
le developpement de L'Enfant savoir faire savoir dire ' _ Jerome S. Bruner
P.V.F1983.
1981 . ' Paris' P.U.F ' la sociolinguistique' _ Juliette Gardmi
- New ' Inc' Mc Graw Hill' Introduction to linguistics' Ronald' Wardhaugh _
York 1972
. 1976' refrain sous le sahel pacere' tinting' _ Jozef Ki-zerbo
techniques New york: American Book J. audio visual material and ' _ Kinder
co.1959.
- Cambridge: Cambridge ' Second Language Acquisition' Wolfgang' _ Klein
University Press.1986.
- Lieuwe Peterson -' language factor in census' _ Lehman Khubchandani
national ideology. ' language ideology
paris 1968. ' dunod' le fondement culturel et la personnalité' _ Linton Ralph
Processes and Product in ESL program evaluation: in TESOL ' _ Long
1984. ' Quarterly; Vol 18:3

The problem of Meaning in Primitive Language. supplement in ،_ Malinowski
Routledge and Kegan Paul ، The meaning of meaning،Ogden and Richards
1949،tenth edition،London،Ltd

Evaluating the ،M ed ،in Skibeck ، curriculum Evaluation in context ،Nisbet. J
198،curriculum in the 80 s 6 Hodder and S tonighton

، N.Y Har Court ،Thought of the child World Jean The language and،_ Piaget
1920،Brace

Don (1986). Testing in the Foreign Language Prog ramme: Areas of ،_ Porter
in Tradition and innovation in English Language Teaching. London: ،Change
Longman.

university of American students in ، statistical study of errors،_ Rammuny
1978، Michigan،written Arabic

PUF،، langage et ideologie،Reboul. O

social ،and The Context of situation in Ardner،Firth،_Robins :Malinowski
Anthropology and Language

social ،and The Context of situation in Ardner،Firth،_Robins :Malinowski
Anthropology and Language

1989،، Longman، London،Learning P. : Discourse and،_ Riley

، Cambridge،Naturally in a Second Language Communicating، W،_ Rivers
1983،Cambridge University Press

_ Sapir. E: Selected Writings (Vol.2) Barkley -Los Angeles.

a ، D. I. Developmental psycholinguistics. In W. O. Dingwall (Ed.)،_ Slobin
1971،University of Maryland Linguistics Program،survey of linguistic

structures linguistique de groupes sociaux. ،A،_ Sommerfelt

London 1973 .، John myray، primitive culture،_ Taylor Edward

، 1986، Micropedia Vol. 35th ed،_ The Encyclopedia Britannica

langage en usage et logiques autres- l'age ،pensee' sociale،Windisch Uli _
d'homme 1982.

In université de tous les ، Identité et mondialisation ،_Zygmunt Baumann
2002،، ODIL Jacob،savoirs. Vol.8 :L'individu dans la société d'aujourd'hui

قائمة المحتويات

استبيان خاص بالأستاذ

استبيان حول تدني مستوى تلاميذ السنة الثانية متوسط في مادة اللغة الإنجليزية .

في رأيك ماهي أسباب هذا التدني

.....

.....

.....

.....

| لا أعتقد | ربما | كثيرا | من خلال الاستبيان الذي وجهته للتلاميذ أرى أن: |
|-------------|------|-------|--|
| | | | أغلبية التلاميذ يقولون بأن المادة تحتوي على كمية دسمة بحيث يصعب عليهم ترتيب الوقت لها على علم بأن لديهم مواد أخرى. |
| | | | أدرك التلاميذ انه ليست هناك حوافز دراسية . |
| | | | أشار بعض التلاميذ بضعف الأساليب التدريسية . |

| | | | |
|--|--|--|---|
| | | | اتفق التلاميذ بأن الامتحانات صعبة . |
| | | | يجد الكثير من التلاميذ صعوبة في تركيب جملة مفيدة (لغويا- المفردات - القواعد). |
| | | | بعض التلاميذ يجدون صعوبة في حفظ الكلمات |
| | | | أشار جميع التلاميذ بأن presentation ليس له أهمية و لا ينمي قدراتهم في هذه اللغة. |
| | | | لقد وجهه الكثير من الطلب اللوم على الأب فهو لا ينطق باللغة فهل يؤثر هذا على الجانب التعليمي . |
| | | | أشار التلاميذ بأن عدم وجود مساعدة في المنزل فهل تشير بأن هنالك دور للمساعدة في المنزل في تنمية اللغة. |
| | | | وجهالتلاميذ بعض الانتقادات بعدم وجود مساعدة من مصادر التعلم. |
| | | | لقد اجمع التلاميذ بأن جماعة English club لا تتيح لهم الفرصة لعرض قدراتهم . |

من خلال خبرتك كيف تنصح التلاميذ لتحسين أدائهم في اللغة.

.....

.....

.....

اتعتقد ان للوراثة دور في تنمية اللغة الانجليزية عند

التلاميذ.....

.....

.....

استبيان حول تدني مستوى التلاميذ في اللغة الانجليزية

| لا أعلم | لا | نعم | الأسباب في رأيك |
|---------|----|-----|---|
| | | | ضعف الكوادر البشرية المؤطرين (المدرسين) |
| | | | المادة تحتوي على كمية دسمة بحيث يصعب عليك ترتيب الوقت لها. |
| | | | عدم وجود الحوافز الدراسية . |
| | | | ضعف الأساليب التدريسية. |
| | | | لا اشعر بحاجة المجتمع لهذه اللغة. |
| | | | صعوبة الامتحانات. |
| | | | أجد صعوبة في تركيب جملة مفيدة (لغويا- المفردات - القواعد) |
| | | | أجد صعوبة في حفظ الكلمات . |
| | | | أجد صعوبة في فهم بعض الكلمات. |
| | | | أبي غير ملم في المادة . |
| | | | إخواني لا ينطقون باللغة الانجليزية. |
| | | | عدم وجود مساعدة في المنزل. |
| | | | عدم وجود مساعدة من مصادر التعلم. |
| | | | جماعة English club لا تتيح لي الفرصة لعرض قدراتي |

- كيف تحفظ كلمة انجليزية جديدة عليك ؟

.....
.....
.....

- كيف تنمي قدراتك في مهارة المحادثة speaking؟

.....
.....
..

- ما هي مقترحاتك كي تحسن من أدائك في هذه المادة ؟ (سواء كانت تخص الكتاب المدرسي -

المعلمين - الحصص الدراسية - نفسك)

.....
.....
.....
...

الفهرس

| | |
|----------|---|
| أ..... | مقدمة |
| 15..... | الفصل الأول: تعلم و تعليم اللغات الأجنبية |
| 16..... | المبحث الأول: أسس و نظريات تعلم اللغات الأجنبية |
| 18..... | الأسس أو المتطلبات الحضارية |
| 19..... | الوفاق العلمي |
| 22..... | التقدم التكنولوجي |
| 24..... | علم تعليم اللغات و نظريات تعلم اللغة |
| 25 | الأسس النفسية |
| 34..... | الاتجاهات الحديثة في تعلم اللغة |
| 41..... | استخدام الوسائل والتكنولوجيا الحديثة في التدريس |
| 48..... | المبحث الثاني: الصراع اللغوي |
| 49..... | عوامل الصراع اللغوي |
| 51..... | العوامل الخارجية |
| 54..... | العوامل الداخلية |
| 68..... | الواقع اللغوي في الجزائر |
| 80..... | التعدد اللغوي في الجزائر |
| 83..... | السياسة اللغوية المقترحة |

| | |
|----------|--|
| 86..... | الفصل الثاني: اللغة و الهوية الثقافية |
| 87..... | المبحث الأول: اللغة و الهوية |
| 88..... | تمهيد |
| 89..... | مفهوم اللغة |
| 110..... | تعريف الهوية |
| 113..... | عناصر الهوية |
| 118..... | العلاقة بين اللغة و الهوية |
| 133..... | المبحث الثاني: اللغة و الثقافة |
| 134..... | تعريف الثقافة |
| 136..... | علاقة اللغة بالثقافة |
| 145..... | علاقة الهوية بالثقافة |
| 153..... | الفصل الثالث: اللغة و العولمة الثقافية |
| 154..... | المبحث الأول: اللغة و العولمة |
| 155..... | تعريف العولمة |
| 157..... | العولمة من وجهة نظر عربية |
| 160..... | العولمة من وجهة نظر غربية |
| 163..... | محاولة عولمة اللغة الانجليزية |
| 167..... | الترويج لتشجيع الانجليزية |

| | |
|----------|---|
| 194..... | المبحث الثاني: الانترنت و تأثيرها على اللغة |
| 198..... | اللامكان |
| 200..... | اللازمان |
| 200..... | التفاعلية |
| 201..... | المجانية |
| 202..... | الربط الدائم و تنوع التطبيقات |
| 217..... | الفصل الرابع: الدراسة التطبيقية |
| 218..... | المبحث الأول: اللغة كأداة اتصال ووظيفتها في المجتمع |
| 219..... | مفهوم اللغة اتصاليا |
| 225..... | وظائف اللغة |
| 228..... | مفهوم الاتصال |
| 233..... | المدخل للاتصال |
| 249..... | المبحث الثاني: دراسة تطبيقية |
| 250..... | تقويم تعليم اللغة الأجنبية |
| 267..... | دراسة ميدانية |
| 310..... | الخاتمة |
| 316..... | الملاحق |
| 321..... | المصادر و المراجع |

342..... الفهرس

ملخص الرسالة:

من خلال هذه الدراسة العلمية، نحاول إبراز أهم الأسس الثقافية و الأنثروبولوجية التي تؤدي بالفرد إلى تعلم اللغات الأجنبية (الإنجليزية) في ظل العولمة و ما أفرزته من تحديات تمس الهوية الوطنية و اللغة و المقومات الثقافية.

الكلمات المفتاحية:

اللغة – الهوية الثقافية – التعليم – العولمة الثقافية – الصراع اللغوي.

Résumé :

Cette étude est un essai qui élabore les principaux bases culturels est anthropologiques de l'apprentissage des langues étrangères (Anglais) au cours de la mondialisation et ses différents défis qui touchent l'identité, la culture, et la langue.

Les mots clés : Langue – Apprentissage–Identité Culturelle– Conflit Linguistique–Globalisation Culturelle.

Summary :

This study sheds light on the fundamental cultural and anthropological bases that lead to learn the foreign languages (English) in the era of globalization and its challenges affecting the identity, Language and culture.

Key words : Language–Cultural identity– Learning Cultural Globalization–Linguistic Conflict.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية

قسم التاريخ والآثار

تخصص أنثروبولوجيا

ملخص أطروحة دكتوراه في الأنثروبولوجيا موسومة

الأسس الأنثروبولوجية و الثقافية للغة

-دراسة سوسيو أنثروبولوجية و تقييمية لتعليم اللغة الانجليزية في الطور المتوسط

إشراف

أ . د عبد العالي بشير

إعداد الطالب

كرمة شريف

السنة الجامعية: 2012-2013

. اللغة أداة التفاهم واكتساب المعرفة و إنماء الفكر، و هي الحبل المتين الذي بواسطته أمتن رابط يشد الأفراد و يكون من مجموعهم أمة مميزة قادرة على البقاء و النمو و الإبداع. فاللغة خاصية إنسانية أصلية يتميز بها الإنسان دون سائر المخلوقات و إذ يوصف الإنسان بالحيوان الناطق فذلك بداللتين: دلالة العقل و دلالة الكلام أو هما متكاملتان لا تكاد تنشأ واحدة منهما بصورتها السليمة الوافية من دون الأخرى. و في الآية الكريمة " وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا "، تعبير عن هذه الحقيقة فتعلم اللغة فاتحة العلم و أساسها لا يتم بدونها، بل إن وجود بقايا مخلفات من الأدوات البدائية إلى جانب رسم الإنسان القديم، لا يمكن تطوره من دون نمط من اللغة سهل التعاون على صبغها و استخدامها.

إن اللغة هي إحدى ركائز الثقافة، و أهم خاصية تميز الإنسان عن باقي الكائنات الأخرى فعن طريقها تجمع و تسجل الثقافة. فلا يمكن الحديث عن اللغة دون الحديث عن الهوية، فكلاهما يقع في أساس فهم التحولات التي نشهدها في الزمن الحاضر، فلا يتم الاحتكاك و الاتصال بين الأفراد إلا بواسطة اللغة. و إذا كانت اللغة من المقومات الأساسية للهوية فأي مصير ينتظرها وسط هذا التنوع الثقافي الذي يفرضه النظام العالمي الجديد، و هل تملك المقومات الأساسية للإثبات وجودها أمام النمط الثقافي الموحد.

ثم إذا كانت اللغة تمثل الركيزة الأساسية في الشعور بالهوية فهل يعني ذلك أن الواقع والمشهد اللغوي الجزائري المزري اليوم يعد عاملا أساسيا في زعزعة هذا الشعور بالانتماء. و نحن نعيش تحت ظل التصادم اللغوي و الحضاري وتقنيات العصر المزودة بالثقافة الرقمية والحاسوب و الانترنت. ذلك لان اللغة نتاج العقل الجمعي لا يمكن للفرد أن يخرج عنها أو عن نظامها و إلا واجه عقاب المجتمع و ازدياد. لذلك بات تعلم اللغات الأجنبية حاجة ملحة و مطلبا أساسيا في الحياة المعاصرة التي تشهد ثورة معلوماتية كبرى نتيجة التقدم في تقنية الاتصالات الكبيرة، وإنجازاتها السريعة، بعد أن أصبح العالم قرية صغيرة تتربع التكنولوجيا على عرشها، خاصة الحاسوب و الانترنت اللذان يعتبران أداة أساسية لا غنى عنها في كافة المجتمعات على اختلاف تقدمها الاقتصادي والاجتماعي و الثقافي مع قدوم القرن الحادي والعشرين. وبذلك أصبح الاتصال المباشر وغير المباشر بين دول العالم وثقافته

ضرورة لا بد منها لتبادل الخبرات العلمية والتكنولوجية التي ساهمت في إذابة الحواجز بين الشعوب و الثقافات و جعلت من العالم قرية كونية صغيرة يجاور بعضها الآخر، و يستفيد كل منهما من الآخر. فتعلم اللغة الأجنبية أيا كانت يساعد على الفهم و الاستيعاب أو الود الثقافي بين الأمم كما يساهم مساهمة فعالة في نقل العلوم و المعارف و التجارب و الثقافات و ترجمتها.

ولما كانت اللغة الإنجليزية من أكثر اللغات شيوعا واستعمالا ، غدا من الضروري تعلمها وتعليمها لتيسير التواصل بين الأفراد، والمجتمعات من الثقافات المختلفة لكونها وسيطا عالميا للتعبير والتفاهم. كما أن توفر الكتب والمؤلفات، والمراجع على اختلاف مجالاتها وتخصصاتها باللغة الإنجليزية أدى إلى زيادة الوعي بها، وزيادة التشجيع على تعلمها وتعليمها، من أجل نقل تلك إلا إلا أن ذلك لا يعني تفضيل تعلم و تعليم اللغات الأجنبية على اللغة الأم اللغة العربية في هذه الحالة، بل لا بد أن تعطى الأفضلية للغة الأم لأنها دلالة على الانتماء الثقافي و الهوية الوطنية.

في ظل العولمة فإن أي دولة لن تستطيع العيش في عزلة من هذه التطورات، الأمر الذي يؤكد الحاجة لتعلم لغة أجنبية، خاصة اللغة كثيرة الانتقال والمرتبطة بهذا التقدم، مثل الإنجليزية، تيسر للفرد والمجتمع سبل التفاهم مع العالم وتساعد على الاندماج فيه والاستفادة من إنجازاته وكذلك المساهمة في زيادة مبتكراته، وذلك إلى جانب تعلم أداة الاتصال الأساسية المتمثلة في اللغة الأم.

بيد أن كثيرا من دول العالم بدأ يتجاوزها اتجاهان بينهما تعارض إلى حد كبير. يتمثل الاتجاه الأول في ضرورة الأخذ بمظاهر التقدم الحضاري وما يشتمل عليه من تعليم أفراد المجتمع لغة أجنبية أو أكثر لاقتناعها بأن الانغلاق عن العالم غير مجد في ظل العولمة وأن تعلم الفرد لغة أخرى بجانب لغته الأم هو السبيل الأمثل لتوسيع مداركه وإثراء تجاربه. أما الاتجاه الثاني فإنه يرى أن تدريس لغة أجنبية في التعليم العام، خاصة في المرحلة الأساسية، سيؤدي إلى تفتيت الثقافة والهوية القومية والمتمثلة باللغة الأم، ويؤكد هذا الاتجاه أن اللغة الأجنبية لا تدرس من فراغ، فهي ليست مفردات وتراكيب نحوية فحسب وإنما هي وعاء لثقافات وعادات وقيم للناطقين بها، وما يترتب على ذلك من تأثير على وجدان المتعلم.

و يقال قديما من ازداد لسانا، ازداد إنسانا، أي أن اللغة تجسد شخص آخر بكل تناقضاته

وطموحاته. لكن اللغة أيضا هي وعاء الثقافة و خزان التاريخ والحضارة وهي مصدر الفهم والتفاهم في أغلب الأحيان على الرغم من أنها أيضا قد تكون عائقا ثقافيا يعمق الشرخ الحضاري وسوء التفاهم الثقافي بين الشعوب والثقافات. وتعلم اللغات الأجنبية يساعد على التفاعل و الاندماج و التعرف على الآخر، لذا تعنى الأمم بتعليم أبنائها لغات أجنبية إلى جانب اللغة الأم.

يقصد بتعلم لغة أجنبية أن يكون الفرد قادرا على استخدام لغة غير لغته الأولى التي تعلمها في صغره أو كما يطلق عليها اللغة الأم ، فهو قادر على فهم رموزها عندما يستمع إليها ، ومتمكن من ممارستها كلاما وقراءة وكتابة ، ويكون تعلم اللغة الأم على مستويين أولهما : "استقبال هذه اللغة وثانيهما: توظيفها . أما بالنسبة إلى الفرق بين اكتساب اللغة الأولى والثانية فيقصد بها مجموع العمليات النفسية والتربوية التي تسهم في تنمية قدرة الطالب على ممارسة المهارات اللغوية المختلفة طبقا لمستوى معين من الأداء ، وتنقسم هذه العمليات إلى قسمين رئيسين: أولهما يتعلق بالجوانب النفسية الخاصة بالدارس المتعلم، وثانيهما يتعلق بالجوانب التربوية الخاصة بالمعلم.

كثيرا ما تقبل الشعوب على تعلم بعض اللغات الأجنبية لأغراض حضارية وثقافية تتصل بما تزخر به تلك اللغات من كنوز أدبية لا بد من نقلها إلى اللغة القومية." وان الدول النامية إذ تتمسك بلغتها القومية فإنها في نفس الوقت تقبل على تعلم اللغات الحديثة مثل الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية ، لان تعلم وإجادة هذه اللغات قراءة وكتابة وحديثا تعينها على فهم المؤلفات والمراجع العلمية اللازمة لتطوير البلاد حضاريا والاتصال المباشر بما يمكن أن تستعين بهم من خبراء الأمم الأخرى في هذه الميادين والواقع نحن حيث نتعلم اللغات الأجنبية فان دوافعنا تكون متعددة الزوايا فقد تنشأ هذه الدوافع بتأثير ظروف خاصة أو مطالب اجتماعية معينة".

و في دول المغرب العربي عامة و الجزائر على وجه الخصوص، تعتبر اللغات الأجنبية من أكثر التخصصات استقطابا للطلبة في الجامعات و المؤسسات التعليمية ،لأن اللغات الأجنبية تفتح آفاق أكثر من غيرها وتزيد من الرزانة و الانفتاح على الثقافات الأخرى التي يتسبب جهلها في التعصب ضدها ثقافيا وسياسيا و اقتصاديا وتاريخيا.

إن تعليم اللغات الأجنبية في دول المغرب العربي يدخل في صميم التقارب والتفاهم الثقافي بين

الشعوب والحضارات ويسعى إلى تذليل الصعاب الثقافية، أي أن تعليم اللغات الأجنبية يسمح للطلبة بتجاوز التقابلات التاريخية والثنائيات الثقافية بين الذات والآخر. إن اكتساب اللغة الأجنبية يؤثر لبناء فضاء فكري حيث "الاختلاف الثقافي" الذي يعني النفي و الاحتقار يتحول إلى "التعدد الثقافي" الذي يشجع التفاعل الإيجابي و التفاهم بين الثقافات في إطار السلم والاحترام المتبادل وطبعا اللغة هي أداة التفاعل والتواصل. فالضرورة المعاصرة تتطلب امتلاك لغات معاصرة، فهي مطلب حضاري لكل مثقف، خاصة اللغة الانجليزية، و لا بد من الانفتاح على الثقافات و الحضارات الإنسانية و السير قدما مع مجتمع المعرفة.

وفي عالمنا العربي، بدأ الحوار حول تدريس اللغة الأجنبية في العديد من الندوات التربوية وفي الأوساط العلمية ولدى المهتمين بتعليم اللغات الأجنبية في الجامعات والمؤسسات التعليمية المماثلة، ويستطيع المتابع لهذا الحوار أن يتبين الاتجاهين المشار إليهما آنفاً، إذ يدعو القائلون بالاتجاه الأول إلى التوسع في تعليم اللغة الأجنبية وإدخالها في المرحلة الأساسية بل وفي مرحلة رياض الأطفال، في حين يدعو الاتجاه الآخر إلى إلغاء تدريسها في هذه المرحلة أو تأجيل إدخالها إلى السنوات الأخيرة من المرحلة الأساسية.

و لعل من جملة الدوافع التي دفعتني للخوض في مثل هذا الموضوع، هو خدمة اللغة العربية باحتكاكها مع اللغة الانجليزية كون هذه الأخيرة تحتل مكانة مرموقة في الساحة العالمية، إضافة إلى وجود تقارب كبير بين اللغتين من حيث النظام اللغوي على جميع المستويات الأمر الذي يرشحها أن تكون أسهل اللغات تعلمًا و اكتسابًا مقارنة باللغات الأجنبية الأخرى، هذا إلى جانب اهتمامي باللغات بدءًا باللغة العربية الأم ثم اللغات الأجنبية، و بخاصة الانجليزية كونها أضحت لغة العولمة و الاتصال.

و مادامت الدراسات الانثروبولوجية الحديثة قد تطرقت إلى عدة جوانب ذات الصلة ألا أنها أغفلت جانبًا مهمًا يتعلق أساسًا باللغة كدراسات التقليد الانثروبولوجي، ذلك أنها تمثل المادة الخام و الوعاء الذي ينهل منه كل باحث بحسب تخصصه و انتمائه.

إن تعليم اللغة الأجنبية في المرحلة الأساسية من التعليم أضحى أكثر انتشارا في المدارس مثل ما هو الحال عليه في جل الأقطار العربية المتعددة ثقافيا ولغويا و بخاصة بلدان المغرب العربي و على رأسها الجزائر, وذلك من أجل توحيد اللغة والثقافة وتحقيق مبادئ الديمقراطية وتكافؤ الفرص التعليمية. فاعتمدت برامج تربوية خاصة ومناهج تدريسية تحقق التعايش اللغوي و الثقافي في خضم تفاعل حضاري مستمر. و إذا ما سلمنا وجود معطيات تتلخص في ما يلي.

التعليم ثنائي اللغة (Bilingual Education) حيث يتعلم التلميذ لغتين بالتتابع ذلك انه يتعلم لغته الأم, ثم اللغة الأجنبية الثانية. هذه الأخيرة تشجعه على فهم مجمل البرامج التعليمية الخاصة بالمادة و منه توجيهه إلى اخذ مكان ضمن ما أصبح يعرف بالوضعية الإدماجية التي تهدف أساسا إلى تكوينه لان يصبح فردا صالحا لمجتمعه ووطنه مستعدا لمواجهة مختلف تحديات الحياة.

وكون أن اللغة الانجليزية رائدة في عالمنا المتطور بات لزاما أن نوليها اهتماما بالغا و ذلك بتوسيع رقعة آليات تعليمها حتى تضاهي الفرنسية المهيمنة في بلد كالجزائر بحكم الصراع اللغوي القائم الذي تفرضه مختلف التعاملات الاقتصادية و الثقافية و الاجتماعية و السياسية و غيرها لا سيما أن العالم أصبح بمثابة قرية صغيرة و الجزائر طرف فيه.

إن تعليم اللغات الأجنبية في السياقات الثقافية لدول المغرب العربي لابد أن يركز على تدريس اللغة كإشكالية ثقافية وليست فقط كأداة للتواصل، لأن الفهم العميق والسليم للقيمة الثقافية والتاريخية والحضارية للغة ستساعد بشكل أكبر على التقارب بين الشعوب وبالتالي العمل على ردم الهوة الثقافية بين اللغات والحضارات و تجاوز سوء التفاهم و بناء جسور الاحترام المتبادل. و من خلال ما ذكر آنفا يمكننا طرح التساؤلات الآتية

ماهي اللغة ؟ هل هي عملية تحاور بين الأفراد؟ هل هي انغماس ثقافي موحد؟ أم هل هي و سيلة

لإثبات الوجود و الذات؟

اللغة ظاهرة اجتماعية يتكلمها البشر، فقد تناولها بالدراسة العديد من الباحثين و المنظرين على اختلاف تخصصاتهم. فجاءت تعريفاتهم لها متصلة بوجهات نظر متعددة بيد أنهم اتفقوا على أنها أداة

للتواصل بين جميع أفراد المجتمع و لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نشيد بما جاء به اللساني "رو مان جاكسون" من خلال وظائفها الستة و التي تشرح عملية التواصل اللغوي بين مرسل و مرسل إليه .

إن تقدير ذلك لا يمكن أن تتحكم فيه إلا عملية التّحاور التي اعتاد عليها الإنسان منذ الطفولة، إذن اللغة هي الحوار أولاً، ثم تأتي القراءة والكتابة إذا توفرت لهما الشروط القوية والملائمة و من جملة ذلك نذكر البيئة الثقافية والاجتماعية التي توحى بأصول المتعلم في تعامله مع الواقع الخارجي. كما أن تعلم اللغات الأجنبية يسعى إلى اكتساب العلوم و المعارف و المهارات و ثقافات العالم المتقدم و الاستفادة منها. بما أن العالم في تطور مستمر و على جميع الأصعدة لا سيما المجال التكنولوجي و المعلوماتي ،بات لزاما على كل فرد أن يثبت ذاته بمواكبة هذا التطور و اخذ القسط الأوفر لتحديد معالم و جوده حتى لا يقبع على الهامش.

هنالك كثير من الدراسات التي تناولت تعلم اللغة الانجليزية بوصفها لغة أجنبية ، وكثير منها يشير بما لا يقبل الجدل إلى عدم جدوى تعليم المواد الدراسية للمتعلم أيا كان سنه بلغة غير لغته الأم .

زيادة على ذلك، أجريت دراسة في عام 1998 لمعرفة إيجابيات وسلبيات تعليم اللغة الأجنبية بالمرحلة الابتدائية خلصت إلى أن أنسب صف لتعليم اللغة الأجنبية هو الصف الرابع الابتدائي بعد أن يكون الطفل قد تمكن من مهارات تعلم لغته الأم. وفي عام 2003 نشرت دراسة في مجلة التربية (جامعة أسيوط) حول أثر الازدواجية اللغوية على اكتساب تلاميذ المدرسة الابتدائية لمهارات اللغة العربية و تحصيلهم اللغوي، وقد توصلت إلى أن الثنائية اللغوية تؤثر بالسلب على المهارات اللغوية لدى الطفل. وأجريت دراسات علمية بجامعة أكسفورد عن أثر العمر في تعليم لغة أجنبية خلصت إلى أن السن التي يشرع في تعلم اللغة الأجنبية فيها ليست عاملا حاسما في تعلمها، وأن الفروق التي وجدت بين متعلمي اللغة في أعمار مختلفة ليست نتيجة لعامل العمر، كما أن السن التي يبدأ فيها بتعليم اللغة الأجنبية يؤثر سلبا على التحصيل، و أكثر من ذلك كله أن تعلم الطفل لغة أجنبية في هذه السن المبكرة يكون له أثره السلبي على اللغة الأم.

ويعلل المؤيدون دعوتهم إلى البدء بتعليم اللغة الأجنبية في سنّ مبكرة بكون الطفل في هذه المرحلة من العمر أقدر على اكتساب أكثر من لغة دون أن يؤثر ذلك على لغته الأصلية. والسر في ذلك أن تكوين الطفل ونضجه العقلي في هذه المرحلة لا يرقى إلى عمليات التحليل والبحث، إذ لم تتجمع بعد لديه أدوات التحليل والمناقشة والفهم والنقد. إنه يكتفي في هذه المرحلة بتلقي المفردات والمبادئ البسيطة ويقوم بحفظها دون تحليلها، ولذلك يعتقدون تعلم لغة أجنبية لا يشكل تهديدا لتعلم الطفل لغته الأصلية.

في هذا الشأن، يؤكد محمد زياد حمدان " أن تعليم اللغات الأجنبية للطفل في وقت مبكر جنبا إلى جنب مع اللغة الأمّ يفيد في تنمية الإدراك والإبداع الفكري لدى الطفل، ولا يشكل أي خطورة على نمو مهارات اللغة الأمّ لديه، بل يؤدي على عكس ذلك إلى ازدياد الطلاقة اللغوية لديه والقدرات الابتكارية الخاصة باستعمالات اللغة الأمّ تفكيراً ولفظاً وكتابةً ".
أما عالم اللسانيات الأمريكي ليونارد بلومفيلد فيقول : "إن أحسن سنّ للبدء في تعلم لغة أجنبية هي بين سن العاشرة والثانية عشر؛ فإذا تم البدء في تعلم اللغة قبل ذلك فإن العملية التعليمية غالبا ما تكون بطيئة وغير مجدية. أمّا إذا تم البدء في تعلم لغة أجنبية عند المرحلة المذكورة ، فإنه يكون بإمكان الطفل تعلم لغات أجنبية أخرى في مراحل لاحقة. فالتلميذ يكتسب خبرة من خلال تعلمه اللغة الأجنبية الأولى ويقوم باستعمال هذه الخبرات لتعلم لغات أجنبية أخرى فيما بعد".
ويؤكد الباحث اللغوي يورجن مايزل " أن الفترة المثلى لتعلم اللغات الأجنبية هي ما بين السن الثالثة والخامسة حيث يستطيع الطفل التقاط الأصوات اللغوية وقواعد النحو بسرعة. وبالتالي يتمكن من النطق بدقة تماما كمنطقه اللغة الأصلية. ويضيف قائلاً أن الوقت يصبح متأخرا مع تجاوزه السن العاشرة

و قد أكدت دراسات علم الأصوات اللغوية و الفونولوجيا أنّ المجال الصوتي يتكون في سنين العمر الأولى, لذلك يكون من الصعب على من ضاعت منه فرصة تعلم اللغة في الصغر أن يتمكن من النطق بها بشكل سليم.

و تشير الدراسات التي أجريت على المخ أنه يبلغ ذروة نموه في السنوات الثلاث الأولى من عمر الطفل، أي المرحلة التي يسميها دوجلاس براون "الفترة الحرجة" من عمر الإنسان، و هي فترة فيزيولوجية محددة في نمو الفرد، يكون فيها اكتساب اللغة سهلا لأن مرونة المخ قبل فترة البلوغ تمكّن الطفل من اكتساب نطق يشبه نطق المتحدثين بها على السليقة، وبتخطي هذه المرحلة يصبح الأمر

أكثر

صعوبة.

لكن جل الدراسات التي قام بها الاثنوبولوجيون و علماء التربية اقتصرت على بعض الأقطار الأجنبية و العربية،و تكاد تنعدم هذه الدراسات في الجزائر رغم التعدد اللغوي الموجود،و الصراع القائم بين أنصار اللغة العربية و الفرانكفونية كذلك تشجيع بعض الأطراف لجعل اللغة الأمازيغية لغة رسمية تدرس في المدارس في كل ربوع البلاد. كما أن العولمة و ما أفرزته من أنماط في شتى الميادين خاصة الثقافية منها السلطات الجزائرية من المهتمين بتعليم اللغات الأجنبية و بخاصة اللغة الإنجليزية يوقعون على مذكرة تفاهم بين وزارة التعليم العالي والبحث العلمي والمؤسسة الأمريكية وورلد ليرنينغ "learning world" تهدف إلى تطوير تعليم اللغة الإنجليزية بالجزائر.

وقع المذكرة عن الجانب الجزائري محمد غراس الأمين العام للوزارة وعن الجانب الأمريكي سفير الولايات المتحدة الأمريكية بالجزائر هنري إنشر.

وتساهم هذه الاتفاقية التي تم التوقيع عليها بمقر وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، في تطوير اللغة الإنجليزية في الجزائر خاصة وأنها أصبحت من المجالات ذات الأولوية، وذلك قصد تلبية الاحتياجات الملحة التي أعرب عنها الطلبة والقطاع الاجتماعي - الاقتصادي حسب ما ذكره محمد غراس.

وأشاد محمد غراس بما قال أنه سينجم عن هذه المذكرة في تطوير مجالات متعددة منها تحسين دروس اللغة الإنجليزية وتحسين مناهج تسيير الأعمال لتتلاءم مع احتياجات سوق العمل الجزائري بصيغة تسمح بمضاعفة قدرات الاساتذة لتدريس قيادات الأعمال والمؤسسات الجزائرية الحالية والمستقبلية. و كذلك تكوين الاساتذة الجامعيين وفق أفضل الممارسات في تدريس اللغة الإنجليزية في التعليم العالي.

"من تعلم لغة قوم أمن مكرهم"، فهذه العبارة تؤكد احتياج كل إنسان لإتقان اللغة الإنكليزية بشكل جيد لأن تعلم اللغات يوسع آفاق الفرد المعرفية والفكرية، ويمنحه القدرة على التواصل الثقافي والاجتماعي والعلمي والعملية مع المجتمع المتقدم . فالتلميذ او الطالب بحاجة للغة الأجنبية في كل الأحوال، خاصة إذا أراد أن يتابع دراسته في الخارج ويحصل على مستويات علمية عالية، لأنه من الضروري الاطلاع الواسع على ما توصل إليه الغرب من بحوث علمية وتجارب كي تتم المقارنة بينها

وبين ما يكتبه العلماء العرب، وبذلك يستطيع الطالب أن يكون فكرة متكاملة شاملة عن أي مجال بعيدا عن النظرة الضيقة الجزئية وذلك كي يتماشى مع عصر الحداثة، إضافة إلى ذلك نحن بحاجة للغة كي نستطيع فك رموز وسائل الاتصال الحديثة التي باتت اليوم عماد التواصل ما بين المجتمعات والقارات، فلا بد أن نبرز هويتنا لهذه المجتمعات وأن نتبادل معها الخبرات والتجارب.

إن أهم خاصية من خصائص البحث الانثروبولوجي هي دراسة الثقافة في الميدان، فالدراسة الميدانية هي عماد الدراسات الانثروبولوجية، و الباحث الانثروبولوجي حينما يبدأ في دراسة لغة ما فانه يبدأ في إتباع الأسلوب الميداني في دراسة تلك اللغة، حيث أن اللغة ما هي إلا جزء من ثقافة أي مجتمع إنساني. "فيجب عليه أن يستعين ببعض المعلومات عن الجماعة التي يدرس لغتها و على الأخص إذا أن أراد أن تكون تفسيراته لمعنى الكلمات أكثر و وضوحا، و لا يحصر نفسه في وضع قائمة للألفاظ التي تنقل ترجمة قريبة لمعنى الكلمة.

إن اللغة خاصية إنسانية و مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية، مرتبطة اشد الارتباط بالإنسان لذا كان لزاما علينا اعتماد المنهج الوصفي التحليلي في هذه الدراسة العلمية وذلك للنفاذ إلى قلب الظاهرة و الاستعانة ببعض أدوات البحث الميداني كالمقابلة و الملاحظة. لأنه لا غنى عن دراسة اللغة في حقلها الأساسي، فمن خلال هذه الدراسة يمكن للباحث أن يقف على طبيعة اللغة التي يدرسها، و على أوجه اختلافها و تشابها مع اللغات الأخرى، كما انه يمكنه معرفة ما تربطها من صلات مع اللغات المختلفة، و يمكنه أن يتفهم الدور الذي تلعبه اللغة في حياة من يتكلم بها، و ماهي وظيفتها الأساسية في المجتمع. لقد قسمنا هذا العمل إلى ثلاثة أقسام و مدخل خصصنا القسم الأول و الثاني للدراسة النظرية و القسم الثاني للدراسة الميدانية. تناولنا في المدخل موضوع التعليم والتعلم و المناهج و النظريات الخاصة بهذه العملية، و كذلك قضية الصراع اللغوي و أسبابه و مقوماته.

اعتمدنا في هذه الدراسة العلمية على مجموعة من المراجع المتنوعة لمعالجة هذه الظاهرة من كتب لغوية و اجتماعية و انثروبولوجية و تربوية من اجل معالجة ظاهرة اللغة و أهم الأسس التي تساعد على تعلم اللغات الأجنبية و أهم المتغيرات العلمية و التكنولوجية و الثقافية و الاجتماعية و الحضارية و الاقتصادية التي تؤثر في عملية التواصل و التحاور مع الآخر.

إن المتأمل في المتغيرات العالمية المعاصرة التي تحدث في حياتنا اليوم يتبين له أنها أكثر من مجرد أزمات طارئة تنتهي بدخول العالم القرن الحادي والعشرين أو بإحداث تعديلات طفيفة على سلوكياتنا ومهاراتنا اليومية ، بل إنها تشير إلى انبثاق عصر جديد فكري ومفهوما وتطبيقا .

فالعلم يتطور خلال لحظات، والقيمة المضافة الناتجة عن تطبيقاته زادت من عمليات ابتكاره واحتكاره وتقادمه، وكل يوم تظهر علوم وتخصصات جديدة وغير معروفة من قبل، والتوجه المستقبلي لها يتمركز في التخصصات "البينية" وفي إيجاد مداخل بحثية تحتوي هذه الفروع ، أما المعلوماتية فتتميز بالسيطرة والتفاعل والتواصل الزمني والمكاني، مما زاد من توظيفها في العملية التعليمية والتعلمية، وأدى إلى ظهور أنماط ومؤسسات تعليمية جديدة وغير معروفة من قبل، والتوجه المستقبلي لها يتمركز في النظم الذكية التي تتميز بالذوق والشم والإحساس، وفي تنمية ما يعرف بـ"الذكاء الجمعي" . و من بين العلوم الحديثة التي تناولت دراسة اللغات البحوث الانثروبولوجية اللغوية و من خلال دراستنا العلمية لتعلم اللغة الانجليزية في الوسط التعليمي الخاص بالتعليم المتوسط توصلنا إلى النتائج التالية:

إن متغيرات العولمة الاقتصادية والسياسية والثقافية ربطت العالمي بالمحلي، وجعلت العالم قرية كونية صغيرة تتبادل التأثيرات والأحداث والتطورات في كافة المجالات ، والتي على الإنسان العالمي أن يتعلم العيش في هذه القرية العالمية بما تستلزم من قيم واتجاهات وسلوكيات تؤهله لمعرفة الآخرين والتعامل معهم واحترام خصوصياتهم و التواصل معهم.

تتمثل المتغيرات العالمية التي تشكل العالم المعاصر في أربعة متغيرات رئيسة: معرفية ومعلوماتية واقتصادية وثقافية، ويتضمن كل تغير منها جدلا علميا وأيديولوجياً، بل ويؤثر كل منها في الآخر، لتشكل في النهاية البيئة المحيطة بالنظام التعليمي، وتفرض هذه المتغيرات آثاراً ومضامين عميقة وعديدة ذات صلة بالنظام التعليمي ومكوناته وعناصره، ومن أبرز هذه الآثار: البحث والتطوير، والمعلوماتية، والتنافسية الاقتصادية، والديمقراطية والمواطنة ، والمعيارية والتعددية الثقافية، وهي آثار وتحديات تمس عناصر العملية التعليمية، والتي من أهمها "المعلم" ، حيث تؤثر في تكوين المعلم وإعداده معرفيا ومعلوماتيا ومهنيا وثقافيا .

وهذه المتغيرات تستلزم سرعة التحرك في التعامل معها، وإدخال تعديلات تربوية جوهرية في تكوين المعلم على مستوى الأهداف والخطط والبرامج والممارسات والوسائل، وتوجيهها لإعداد معلم المعرفة والمعلم

الباحث، والمعلم الرقمي، والمعلم الخصوصي والمعلم التنافسي، والمعلم الديمقراطي، ومعلم المواطنة والمعلم العصري والمتعدد الثقافات، ومتابعة التدريب وإعادة التدريب لمن هم على رأس العمل، وتطوير كليات التربية ومؤسسات إعداد المعلم والاستفادة في ذلك من التطبيقات والتجارب العالمية الناجحة على مستوى مؤسسات التعليم العالي .

إن تعليم اللغة الإنجليزية في الجزائر يمتد لسنوات عديدة ، كما انه مر بعدة مراحل تطويرية أساسية ، و جندت له كل الإمكانيات و ادمع المالي الكافي و وفر للمتعلم في المرحلتين المتوسطة و الثانوية و كذا السنة الرابعة من التعليم الابتدائي حجم ساعي كفيل بتغطية العملية التعليمية. و لكن بالرغم من كل تلك الجهودات ، فان الحصيلة النهائية لنتائج الاختبارات و الامتحانات تؤكد أن قدرة الطالب في اللغة الإنجليزية في اذني مستوياتها، كما انه غير فادر على إجراء حوار قصير باللغة الإنجليزية ، و غير فادر أيضا على تحرير فقرة قصيرة أو فهم نص. و قد بلغ متوسط نسبة التحصيل العام حسب بعض الدراسات التي أجريت على تعلم اللغة الإنجليزية بنسبة 36 % في المتوسط و نسبة 32% في المرحلة الثانوية.

وأمام هذه الحالة غير المرضية نجد أنفسنا بحاجة إلى الإجابة عن سؤالين هامين هما: أين مصدر الخلل؟ وما هي الأسباب التي أدت إلى تلك الحالة اللغوية المتردية؟ والجواب على ذلك أن هناك العديد من المعوقات المتنوعة أدت إلى خلق نتاج تعليمي لغوي ضعيف والتي يمكن تقسيمها إلى معوقات رئيسية أربعة هي: معوقات نفسية، وفنية، وإدارية، ومعوقات نظامية تربوية، وسنحاول من خلال هذه الإطالة المقتضبة مناقشة كل معوق، ورصد ظواهره، و البحث عن أسبابه ، ونتائجه . يلعب عامل الاستعداد النفسي دورا رئيسا في نجاح، أو فشل تجربة تعلم اللغة الإنجليزية. فالطالب الجزائري يُقدم على تعلم اللغة الإنجليزية وفي ذهنه العديد من الأمثلة الفاشلة التي صورت له مدى صعوبة واستحالة تعلمها، وهي بعملها هذا قد كتبت، أو توقعت مسبقاً له تجربة تعلم لغة إنجليزية مصيرها الفشل كما هو الحال الذي انتهت إليه تجربتهم الشخصية الفاشلة. وهذا التصور السلبي يؤدي بمن هم مقدمون على تعلم اللغة الإنجليزية إلى فقدان الثقة بقدرتهم على تعلمها وإتقانها.

ويأتي ضمن دائرة العامل النفسي دور النظرة المسبقة نحو تعليم اللغة الإنجليزية، وكذلك المفاهيم الخاطئة حول تعلمها. فالطالب في مرحلة التعليم العام يُقدم على تعلم اللغة الإنجليزية من غير إبداء أي قدر من الحماسة، والرغبة الجادة في تعلمها والسبب في ذلك يعود في المقام الأول إلى شعوره بأنها ليست ذات أولوية مهمة في حياته، مقارنة بالمواد التعليمية الأخرى، ومن هنا ينصب تركيزهم على تحصيل أقل قدر من اللغة الذي يؤدي بهم إلى الانتقال إلى المستوى الدراسي الموالي، ولذا فهم يقومون فقط بحفظ قواعد اللغة الإنجليزية، وبعض النصوص، والكلمات من أجل تجاوز الاختبار النهائي. وإن كان هذا الشعور السائد قد أصابه نوع من التحول النوعي في الآونة الأخيرة إذ أصبح كثير من طلبة التعليم في الجزائر يدرك مدى أهمية معرفة وتعلم اللغة الإنجليزية لإفادتهم على دور معرفتها في تمكينهم من مواصلة تعليمهم الجامعي في التخصصات العملية، ولكونها عاملاً مهماً لتأمين مستقبل وظيفي أفضل، ولإدراكهم أن معرفتها بمثابة نافذة تمكنهم من الاطلاع ومعرفة ما يجري من حولهم في العالم، ولكن هذا الشعور الإيجابي المتنامي لا يمنع من القول إن هناك نسبة كبيرة لا تزال غير مدركة لأهمية تعلم اللغة الإنجليزية، وإنهم لا يبذلون الجهد الكافي لتحسين مستواهم في اللغة الإنجليزية .

ويضاف إلى ذلك أيضاً أن رغبة الطلاب، وتفاعلهم مع تجربة تعلم اللغة الإنجليزية، وإدراكهم لأهمية تعلمها تأثرت سلباً جراء ضعف تشجيع ودعم الأولياء لأبنائهم. ويؤكد ذلك ما أشارت إليه بعض الدراسات الميدانية من أن المستوى التحصيلي للطلاب في اللغة الإنجليزية يرتفع بارتفاع المستوى التعليمي للأبوين، وإنه في حالة قناعتهم بأهميتها ينعكس ذلك إيجابياً على مستوى تحصيل أبنائهم اللغوي. ومما أعاق إقبال الطلاب على تعلم اللغة الإنجليزية، وقبولهم للاستمرار في الإقدام على تعلمها بحماسة ورغبة أن هناك تذبذباً ملحوظاً في مفهوم تعليم اللغة الإنجليزية، وأهميتها في البيئة المحيطة بالطلاب بما في ذلك إدارة المدرسة، والمعلمين، وأقران وأقرباء الطالب .

ويأتي بعد ذلك بعض المعوقات الفنية المتمثلة في الخلل الظاهر في المناهج، وعدم الكفاية الزمانية

والمكانية المخصصة لتدريس اللغة الإنجليزية، وكذلك النقص في التجهيزات المدرسية والمصادر المساندة ذات العلاقة بتعليم اللغة الإنجليزية .

كما أن المناهج التعليمية الحالية تعدُّ من أبرز معوّقات تعليم اللغة الإنجليزية وذلك يعود إلى أن المناهج المطبقة حالياً تفتقر إلى الأهداف الواضحة، والمحتوى الذي يتناسب مع تلك الأهداف، وربط طرق التدريس بالمحتوى وأساليب التقويم، وتفتقر إلى الترابط والتسلسل المنطقي للموضوعات والوحدات التي يدرسها الطالب، وليس هنا تدرج في مراتب درجة الصعوبة. كما أن المناهج المقررة فيها تفتقر إلى جودة الإخراج الفني، والصور الملونة التي تجذب الطالب وتجعل الكتاب محبباً إليه علاوة على أن أساليب الامتحانات والتقويم تعود الطالب على الحفظ، وتحصيل الدرجات وليس التعليم الحقيقي. والمناهج تركز أيضاً بدرجة كبيرة على المعلومة أو الجانب المعرفي قبل المهارة أو إعطاء مساحة أكبر للجانب المهاري التطبيقي. ولذا فليس هناك وقت مخصص في المنهج يتيح للطالب التدريب على ما درسه، كما أن المنهج أيضاً لا يولي اهتماماً كبيراً برغبات وحاجات الطلاب، ولا يحتوي على موضوعات لها علاقة بواقعه ومستقبله .

وإن أردنا أن نرسم الملامح العامة لمناهج اللغة الإنجليزية في التعليم المتوسط فيمكننا القول إنها تنحى كثيراً نحو الأكاديمية على حساب الجانب التطبيقي، وتنقصها الواقعية لابتعادها عن إمكانيات وقدرات ومتطلبات الطلاب، وعدم توافقتها مع احتياجات الطالب اللغوية والمهارية في الحياة العملية والعلمية، وليس فيها توازن كاف بين الكم والكيف، ولا تجمع بقدر متوازٍ بين المعرفة والتطبيق الكافي، ولا تبني في الطالب المقدرة على التواصل اللغوي، وتحتوي المناهج على أنشطة وتدرجات تقليدية لا تعين على الاستخدام الوظيفي للغة في مواقف حياتية هادفة تماثل الواقع المعيشي الذي ربما يصادفه الطالب خارج أسوار فصول اللغة الإنجليزية، وتقدم عوضاً عن ذلك أنشطة وتدرجات آلية شفوية يُنظر فيها للغة الإنجليزية على أنها منظومة من القواعد وليست وسيلة اتصال وتعبير عن

و من بين الأسباب الأخرى التي تعيق عملية تعليم اللغة الأجنبية تلك التي تتعلق بالجانب الفني وتظهر في أن الحجم الساعي المخصص لتدريس اللغة الإنجليزية في مدارسنا ليس كافياً. هذا الزمن المتمثل بـ 4 حصص في الأسبوع بمعدل ساعة لكل حصّة، زمن غير كاف، وبخاصة أن التدريس يتم في بيئات لغوية منعزلة لساعات ممدودة في الأسبوع يزول أثره سريعاً بسبب عدم توافر عناصر مماثلة كتلك التي يمكن أن تتوفر في البيئة الأصلية لتعلم اللغة مما يولد لدى المتعلم الشعور بأن علاقته باللغة تنقطع بمجرد مغادرته المدرسة. ومما عمّق من إشكالية الوقت الكثافة الطلابية في الفصول الدراسية التي ساهمت مع الزمن القليل المخصص لتعليم اللغة الإنجليزية في ضعف ناتج تعلمها .

وهناك أيضاً معوّق آخر يتعلق بالنقص الحاد بالتجهيزات التعليمية والفنية التي تفتقر إليها مدارسنا ، إذ لا توجد فيها التجهيزات والمختبرات اللغوية التي يمكن أن تُتيح للطلاب الاستماع إلى اللغة الإنجليزية من خلال أشرطة تسجيل، أو مشاهدة مواد تعليمية لغوية يمكن أن تعرض عن طريق أشرطة فيديو، ولا تحتوي مكاتب مدارسنا على القصص القصيرة المشوقة التي تشجع الطالب على القراءة باللغة الإنجليزية، وأيضاً تفتقر إلى البرامج التعليمية اللغوية الحاسوبية التي يمكن أن تستخدم داخل الصف أو خارجه وتعطي الطالب فرصة أكبر لإجراء تدريبات لغوية معززة. ومن هنا يمكن القول إن مدارسنا تفتقر إلى الوسائل التعليمية المساعدة، والمصادر الإثرائية الحديثة، التي قد تسهم بقدر كبير في تعليم اللغة الإنجليزية بطرائق ووسائل أكثر كفاءة.

وهنا معوّق فني آخر يتمثل في عدم استخدام معايير الجودة التعليمية - بما في ذلك معيارا التدريس الجيد (standard teaching) والتعلم الجيد (standard learning) التي تبنى عليها السياسات، والنظم والبرامج والتطبيقات التربوية والتعليمية، وما يترتب عليها من نظم المحاسبة التربوية النافذة، وكذلك عدم استخدام وسائل مقننة عالمياً لقياس كفاية معلمي اللغة الإنجليزية، ووضعها كشرط أساس للتوظيف في مدارس التعليم العام. والمعيار الذي نحتكم إليه الآن هو الحصول على

المؤهل العلمي الذي تمنحه برامج إعداد معلمي اللغة الإنجليزية في الكليات و المعاهد في الوطن من غير التأكد بقدر كافٍ من كفاءة و قدرة الخريج لتولي مهمة تدريس اللغة الإنجليزية. و مما أعاق نجاح مشروع تعليم اللغة الإنجليزية في بلادنا عدم توافر التقويم المستمر لبرامج إعداد معلمي اللغة الإنجليزية في المعاهد والجامعات والذي يمكن أن تقوم به كل أربع سنوات على أقل تقدير مؤسسات أكاديمية مستقلة لضمان قدر أكبر من المصداقية، ودقة وحيادية عملية التقويم .

وإلى جانب المعوّقات النفسية والفنية هناك مجموعة أخرى من المعوّقات الإدارية، والنظامية التربوية والتي تشمل الخلل في برامج إعداد معلمي اللغة الإنجليزية، والطرق المتبعة في تدريس اللغة الإنجليزية، وعدم فتح باب التعاون والشراكة مع الخبرات والمراكز العلمية المتخصصة محليا، وإقليميا، وعالميا .

إن البرامج أو الأقسام التي تُعد مدرسي اللغة الإنجليزية في أقسام اللغة الإنجليزية بالجامعات، تهمل إلى حد كبير مواد طرق التدريس، وتدريس نظريات تعلم اللغة الأجنبية، وغيرها من القضايا ذات العلاقة بتعلم اللغة الإنجليزية، وكذلك تهمل هذه البرامج إلى حد كبير تنمية مهارات المعلم اللغوية وبخاصة المهارات الأساسية الأربع: الاستماع، والمحادثة، والقراءة، والكتابة .

ونتيجة عن ضعف برامج الإعداد هذه انخفاض ملحوظ في مستوى الكفايات اللغوية والمهنية لمعلمي اللغة الإنجليزية، وعزز ذلك أيضاً الخلل في نظم تقويم أدائهم، وندوة الفرص التدريبية المتاحة أثناء ممارستهم عملية تدريس اللغة الإنجليزية، ويضاف إلى ذلك كله ضعف أو غياب في المحاولة الجادة لتلمس أسباب التطوير الذاتي للمعلمين على الصعيدين اللغوي والتربوي.

والمخرج من ذلك يتطلب من برامج إعداد وتدريب معلمي اللغة الإنجليزية أن تُعيد النظر في أولوياتها وخططها الدراسية. فهي بحاجة إلى التقليل من التركيز و صرف جهودها العلمية تجاه الإعداد في مجالي علم اللغة النظري والأدب والنقد الإنجليزي وفي إعطاء مساحة أكثر لمحاولة الرفع من مستوى الطالب

اللغوي وإعطائه جرعات أكبر في مجال علم اللغة التطبيقي المنطوي على تعريف المعلم بطرائق تدريس اللغة الإنجليزية، وإطلاعه على النظريات المتعلقة بتعلم اللغة الثانية بشكل عام والإنجليزية بصفة خاصة.

ويأتي على رأس المعوقات الإدارية غياب النظرة الإستراتيجية الشاملة التي تضع نصب عينها كل مفردات عملية تعليم وتدريس اللغة الإنجليزية وليس فقط تركيز الجهود والتوقف عند توفير الأطر التدريسية، والكتاب المدرسي، وبخاصة إذا ما علمنا أن تدريس اللغة الإنجليزية مجال ديناميكي متجدد يحتوي على العديد من المحاور المتداخلة والمتشابكة مع بعضها البعض يجعل من الصعب الأخذ بواحد منها بمعزل عن الآخر. وهذه النظرة الإستراتيجية تتطلب أيضا الابتعاد عن الحلول المؤقتة، وإنما وضع خطة وطنية شاملة وطويلة الأجل لتعليم وتدريس اللغة الإنجليزية .

إن عملية تعلم اللغات الأجنبية هي فعل حضاري في غاية الأهمية في عصر العولمة، والتقنية، والانفجار المعرفي العالمي، والتحولات السياسية المتسارعة، والعلاقات الاقتصادية الدولية المتنامية، وبخاصة أن تلك الأهمية تنطوي على فوائد إستراتيجية علمية وأخرى تربوية تعليمية. بل هي حاجة ملحة، ومطلب أساسي في عصر العولمة، والثورة المعلوماتية، والتقنية، وذلك يعود إلى أنها وسيلة مهمة لنقل المعارف والعلوم من أمة إلى أخرى، وأداة لخلق تلاقح ثقافي بين مختلف الثقافات، وبمثابة حلقة وصل لزيادة أواصر التواصل بين شعوب العالم، وذلك كله حين تحققه على أرض الواقع يؤدي إلى عمارة صالحة للكون.

ملخص الرسالة:

من خلال هذه الدراسة العلمية، نحاول إبراز أهم الأسس الثقافية و الأنثروبولوجية التي تؤدي بالفرد إلى تعلم اللغات الأجنبية (الإنجليزية) في ظل العولمة و ما أفرزته من تحديات تمس الهوية الوطنية و اللغة و المقومات الثقافية.

الكلمات المفتاحية:

اللغة – الهوية الثقافية – التعليم – العولمة الثقافية – الصراع اللغوي.

Résumé :

Cette étude est un essai qui élabore les principaux bases culturels est anthropologiques de l'apprentissage des langues étrangères (Anglais) au cours de la mondialisation et ses différents défis qui touchent l'identité, la culture, et la langue.

Les mots clés : Langue – Apprentissage–Identité Culturelle– Conflit Linguistique–Globalisation Culturelle.

Summary :

This study sheds light on the fundamental cultural and anthropological bases that lead to learn the foreign languages (English) in the era of globalization and its challenges affecting the identity, Language and culture.

Key words : Language–Cultural identity– Learning Cultural Globalization–Linguistic Conflict.

حوليات التراث

مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية الآداب والفنون مستغانم



أعمال الملتقى الدولي
حول اللغة و الغيرية
مستغانم 03 و 04 مايو 2005

(الجزء الثاني)

العدد : 06 - جوان 2006

منشورات جامعة مستغانم - الجزائر

حوليات التراث

06-2006

ANNALES DU PATRIMOINE

ANNALES DU PATRIMOINE

Revue académique publiée par la Faculté des Lettres et des Arts
Université de Mostaganem



Actes du colloque international
sur la langue et l'altérité
Mostaganem, 03 - 04 mai 2005

(Tome 2)

N° : 06 - Juin 2006

Publications de l'Université de Mostaganem - Algérie

اللغة العربية وعلاقتها بالهوية

الشريف كريمة

جامعة طرابلس

اللغة أداة التفاهم واكتساب المعرفة وبناء الفكر، وهي الجبل المئين الذي برأسه أمتن رابطة يشد الأفراد ويكوّن من مجموعهم أمة مميزة قادرة على البقاء والنمو والإبداع. فاللغة خاصية إنسانية أصيلة يميز بها الإنسان دون سائر المخلوقات وبأنه يوصف الإنسان بالحيوان الناطق فتلك بداليتين : دلالة العقل ودلالة الكلام أو هما متكاملتان لا تكاد تنشأ واحدة منهما بغيرها السليمة الوافية من دون الأخرى. وفي الآية الكريمة "و علم أم الأسماء كلها" تعبير عن هذه الحقيقة فقطع اللغة فاتحة العلم وأساسها لا يتم بدونها، وقد أشار بعض علماء الآثار أن وجود بقايا مخفيات من الأدوات البدائية إلى جانب رسم الإنسان القديم، لا يمكن تطوره من دون نمط من اللغة سهل التعاون على صنعها واستخدامها. إن اللغة فكر ووجدان وإرادة، تحظى في المهارات وتؤدي وظائف التفكير والتعبير والتواصل. واللغة العربية من بين اللغات العريقة التي كانت ولا تزال موضع عناية واهتمام العلماء على مر الدراسات لأنها لغة القرآن الكريم. قال ماسي : "بنا أفرانه قرانا عربيا لمعلم تعقلون"² وقال عز وجل "وكذلك أنزلناه قرانا عربيا"³.

لقد نزل القرآن بلغة قريش التي كانت لغة الأب والكتابة عند جميع القبائل العربية، قبل نزول القرآن الكريم، ومع نزول الوحي اتسمت أغراضها وارتقت ساليبها، فقلت فصيحة حتى يومنا هذا فافتخر العرب منذ القديم بلسانها وبيانتها، أصبح الاعتزاز بها منوطا بملك الكرامة الإلهية كونها لغة القرآن الفصيح المبين.

ولا يمكن الحديث عن اللغة دون الحديث عن الهوية لأن اللغة تحمل موم مكمليها وتنظم سلوكهم وتعالجهم وتوحد انتمائهم. قيمة اللغة إن ليست في طبيعتها ولا تقع في أساس مكوناتها الداخلية إنما هي فكرة أو مفهوم أو صفة ميزها الناس بها وتفاعموا على الاعتراف بها واعتبارها فيها دون سواها. وهي بالتالي تحليل رؤية هؤلاء الناس للواقع الذي يعيشونه وتعكس انطباعاتهم وتلقيهم للأحداث التي يمررون بها⁶.

إن اللغة ملتصمة أشد الالتحام بالمعقودة. فكثيرا ممن يثرون مشكل اللغة في وقت من الأوقات إنما يخفون عقائدية لم يكادوا يصرحون بها علانية وعلماة اللسان يعرفون اليوم بتدخل موضوع اللغة والإيديولوجية إلى حد أن بعضهم ذهب إلى أن تعلم أية لغة من اللغات حتى اللغات العلمية، ما هو في نهاية الأمر إلا تعلم لمعادنية الناظرين بتلك اللغة، "لأن اللغة كما جاء في تعريف بعضهم، هي أداة للتخاطب يمكن بفضلها تحليل التجارب البشرية التي تختلف من مجموعة إلى أخرى"⁷.

فغزة كل واحد منا هي عبارة عن خلاصة تجربته في الحياة، ونظريته المعنوية والعاطفية فيها. وقد لاحظ علما النفس تلاحم مفهوم اللغة بمفهوم الشخصية فمن جوا بين الكلام والمنطق وخلصوا إلى العلاقة الجدلية التي تجمع بين القول والعمل وصياغة ذلك في العبارات الشهيرة: "لم يضع امرؤ صواب القول حتى يضع صواب العمل". وقد لاحظوا أيضا أن أصغر شيء يعبر به الإنسان عن ذاته هو الحرف، لأن مجرد النطق بهذا الحرف الصغير من الكلمة يكشف عن سريرة الإنسان وبيزن ذاته. فالنطق بحرف واحد يمكن السامع من المسكك، فيعرف شخصه ويميز حاله ويدرك أنه صغير أو كبير، ذكر أو أنثى... وكما استرسل المسكك في الكلام ازداد انكشافا للسامع فيعرف لونه أو دينه أو موطنه وحتى قسما وجهه، وقد إن كان من أهل القرية.

واللغة العربية من اللغات الراقية، فقد بلغت من التراء في المفردات وصنغ التعبير، ما أثار إعجاب علماء اللغات، من المستشرقين الذين عوا بدراستها، فقد أعرب "تولكنة" عن إجابته من وفرة مفرداتها فقال: "إنه لا بد من أن يزداد تعجب المرء من وفرة مفردات العربية، عندما يعرف أن علاقات المعيشة لدى العرب بسيطة جدا. وبلهم ذو شكل واحد، ولكنهم داخل هذه الدائرة يرمزون للفرق الدقيق في المعنى بكلمة خاصة"⁴.

وهوية المرء تقوم على قاعدتين أساسيتين فكل واحدة تكمل الأخرى وتعمل على بنائها وهما الذات (الفرد) والجماعة. فالهوية الفردية صفة يتصف بها الشخص، إنها بناء يقوم به الإنسان في مراحل متعددة من حياته من خلال علاقته بذاته وبالآخرين وهذا ما يعرف بالآنا الاجتماعي الذي هو حاصل احتكاك الفرد بالجماعة ولا يتم هذا الاحتكاك والاتصال إلا بفضل اللغة حيثة تحل الصدارة الأولى في عملية التواصل والانسجام والتفاعل داخل المجتمع.

علاقة اللغة بالهوية :

إن اللغة مؤسسة اجتماعية تختلف باختلاف الشعوب وتحمل وظيفة أساسية هي وظيفة الاتصال، هدفها الأساسي التعبير عن الرغبات والأفكار والعواطف ضمن المجموعة البشرية التي تتكلمها.

واللغة رمز التعايش المشترك، وبها يتم توثيق روابط الوحدة الجماعية وتكوين سجل الأمة وحمالية تاريخها، وحفظ ذاكرتها ما يضمن التفاعل الحضاري بين الحاضر والسلف وتبقى اللغة أهم وسيلة تواصل نظرا لكونها "تحقيقا صوغا لميل الإنسان إلى رؤية الواقع بطريقة رمزية واللغة كما يقول علماء اللغة نطق المنظمة الرمزية في الحياة البشرية وذلك باستعمال الحركات كالانقباضة والعنصر والنظرة وحركة اليدين للتعبير عن العلاقة مع الشخص الأخر"⁵.

الجماعية التي تتطور من خلال أشكال التعبير إلى هوية ثقافية مميزة، وهذه شريفا فكرة مورغان في تعريفه للقبيلة من وجهة نظره هي وإن تربطها أو أصغر الم فإنها نظام سياسي لأهلها، له حدود ترابية ومطوقات وقيادات¹⁰.

وقد كان لرسالة الإسلام وتعاليمها الواقع الواضح على تبلور هوية العرب كامة مدمجة في قالب تنظيم جعل منهم أمة واحدة متماسكة.

من ناحية أخرى، فإن اللغة التي تشكلت حاجة اجتماعية وضمن إطار المجتمع الواحد تؤثر - وبشكل مباشر - على إدراك هذا المجتمع لمحيطه وواقعه، وهي تتمتع بدور رئيسي وفعال في عملية المعرفة، أي أنها تقود الإنسان الفرد والجماعة في المعرفة، أي أنها تقود الإنسان الفرد والجماعة في عملية "استكشاف" العالم الخارجي. فهي تؤثر تأثيرا مباشرا في التجربة الفردية والاجتماعية على حد سواء.

يقول "سابير" إن اللغة تتحكم كثيرا بانفكارنا المتعلقة بالمسائل الاجتماعية، ومن الخطأ تصور أن الإنسان يتكيف مع واقعه دون استخدام اللغة، أو أن اللغة مجرد وسيلة لحل مشاكل الاتصال والتفكير. إن العالم الواقع مني بطريقة لا واعية على أساس عادات الناس اللغوية وعلى أساس استعمالاتهم للغة الأم¹¹.

وليس العالم سوى فيض من الصور المختلفة في أشكالها وألوانها، يلتقطها دماغ الإنسان ويضمها بفضل بنية النظام اللغوي الذي يتكلمه. يقول لي ووروف: "أما لجزء الطبيعة تبعا للخطوط التي ترسمها لنا لغتنا الأم. ونحن نقوم بتقسيم الطبيعة تقسيما منهجيا، وننظمها ضمن مفاهيم متميز، ونعطيه دلالات بجمعية الشائبة تحدد رؤيتنا للعالم، وهذه الاتفاقية معترف بها من قبل الجماعة اللسانية التي تنتمي إليها، وهي منظمة تبعا لنماذج لغتنا".

ولا تعني كلمة "الطبيعة" في هذا المجال الطبيعة الخارجية فقط، بل تضم كل ظواهر الحياة الفكرية والرعي البشري، من إدراك العالم الخارجي إلى عملية التفكير المجرى. ذلك لأن الفكر ذاته يعني في هذه النظرية التفكير بلغة معينة.

إن اللغة سبيل المرء إلى معرفته لذاته ومحيطه، فإنها في الوقت نفسه تفرض على المرء قيودا تمنعه من تحطيمها. فإذا أراد شخص ما أن يعبر عن مكنوناته، أو أن يتواصل مع إخوانه، أو أن يعي ما يجيش في نفسه، فإنه يستعمل في ذلك ما تقدم اللغة إليه من مفردات وتراكيب، وهو يبقى في ذلك أسير هذه المفردات والتراكيب. وليس الأدب عموما، والشعر خصوصا، في هذا المجال سوى ثورة على سلطان اللغة وجبروتها، إنها ثورة تهدف إلى التفرد فوق ما تقدمه اللغة من استعمالات مطروقة أو مفردات عادية أو تراكيب قفقت من قوة التعبير فيها لكثرة استعمالها.

ولا بد من أن يقولنا الاعتراف بأهمية اللغة في تكوين المفاهيم العقائدية والتصورات الذهنية عند الإنسان إلى التأكيد على أن معرفة اللغة كبنية فكرية هي السبيل الوحيد لمعرفة القلوب الفكرية الأخرى عند البشر، مثل الفكر الأسطوري والفكر الديني والفكر العلمي والفكر الفني.

"قانون سابير" أول فيلسوف استطاع أن يبرج اللسانيات وفسمة اللغة والحياة الاجتماعية في دراسة شاملة للبنية الاجتماعية عند الفرد كما عند الجماعة، وهو وضع بذلك الأسس التي تربط علم الأنتروبولوجيا بدراسة اللغة. إنه يحدد اللغة وعلاقتها بالمجتمع بما يلي: إن اللغة التي تنتمي إلى مجتمع بشري معين والتي يتكلمها أبنائه ويفكرون بواسطتها هي التي تنظم تجربة هذا المجتمع، وهي التي تصوغ بالتالي "عالمه" و"واقعه الحقيقي". فكل لغة تنطوي على رؤية خاصة للعالم⁸.

أما لغة العرب وما أعطته من حمولة دلالية للفظ "عرب" وهندست فيه من دلالات ومعاني، فهو الذي قد يبلنا على ذلك النسق الدلالي الذي يفسر تصور العرب لذاتهم وهويتهم أو يكهنف لنا من خلال توليد المعاني التي يحملها لفظ "عرب" في لغة العرب قبل تشكل أمة العرب نفسها، ويشير محمد الطيبي أيضا أن اللغة ومن منظور أنتروبولوجية اللغة، تمثل وعاء الجماعة، بها تترك ذاتها

من غير أن يحيط بلغة قوية، ناهيك عن اللغات الحية الأخرى التي أصبحت لازماً عليه أن يتعلمها، إذا كان حريصاً على مواكب العصر، والإطلاع على ما يحدث من أفكار والانفتاح على العالم الخارجي، وحماية نفسه من كل خطر قد يهدد هويته، لأن من تعلم لغة قوم، فقد أمن شراً¹⁶ كما جاد فيه الأثر.

إن القضايا اللغوية أشبه ما تكون بالقضايا المصرفية وذلك أصبح اللسانيون يتحدثون اليوم عن رصيد الإنسان في البنك. وكما أن الرصيد المصرفي يتعرض للرصيد شبيه برصيد الإنسان في البنك. وكما أن الرصيد المصرفي يتعرض للتضخم المالي، حيث يفقد جزءاً من قدرته فكذلك الأفراد المنداولون بين الناس تتحول الثقيمة التعامل بها بين الناس قيمها فكذلك الأفراد المنداولون بين الناس تتحول في تخصص الانحطاط إلى مجرد أرقام هشة ترددها الألسنة عندما نتفقد خصوصياتها الفكرية، أي دعواتها من الأفكار التي هي للتقافة بمثابة الاحتياط من الذهب للاقتصاد، وكما أن التضخم المالي يفقد العملة قيمتها ويجعلها زهدية رخيصة، فكذلك السلوك اللغوي ينتهي به المطاف إلى نوع من التثرثرة في الكلام، واللغوية الجوفاء في الكتابة أو النشر. والواقع أن اللغة العربية منطلق الفكر ونظام للفهم الجماعية.

فالحديث عن اللغة لا يفصل عن الحديث عن دالة الفكر العربي، لأن اللغة سبل السبيل لاستكشاف حوافر الأمة، فمن خلال ألفاظها تعبر عن كوامن الإحساس بالموطن والشعور بالصلة، والتوافق بالمشاعر وهي من أقوى عوامل الوحدة والتضامن بين أبناء الأمة الواحدة.

فهي التي تحول الإنسان إلى كائن اجتماعي يتحسس الواقع، ويستشرف المصانص المميزة التي تترسب في كل إشارات ودلالاتها. وقد وجد فيها العرب منذ أقدم العصور، كثيرهم من الأمم، صبغة الملازمة للفرد في حياته وتربتها إلى أصمقها حساً ووجداناً، وتوطعها في نفسه للتعبير عن كيانه وخطراته وحياته، وهي بالتالي تحمل من الأمة الناطقة بها كلا متكامل متماسكاً، تحكم

فكل لغة عبارة عن نظام شامل من "القولب" الثابتة.

وإذا كان الماء والهواء، هما قوام الأحياء، كلها سواء كانت إنسانية أو حيوانية أو نباتية فاليد واللغة كالماء والهواء. فاليد الإنسانية أداة، لا تباريها أداة أخرى، في تمكن الإنسان مما تمكن ويتمكن منه¹²، ولهذا سخر الله هذه الأداة العجيبة في خدمة الإنسان فقال تعالى "فأرسلنا على أن شؤي".

وفسرت هذه التسمية، بتغير خلفها إلى ما يشبه حق الجعير استواء، فلا يتفجع الإنسان بها، أكثر من التفجع الجعير بحقه¹³ فلا حضارة ولا مننية ولا رقي، ولا تمكن له من الحياة، ولا سيطرة له عليها.

وإذا كانت اليد الأداة العملية فاللغة أداته الفكرية والقولية¹⁴. ولهذا امتن الخالق على الإنسان بها، امتناناً عليه باليد.

فالإنسان حيوان غير أنه حيوان ناطق مبدع، فاليد واللغة كما ذهب "هنري" لتحصر فيهما البشرية. فهي اللتان تفصلان بين نهاية التاريخ الحيواني وبداية التاريخ البشري أو إذا عجب المرء مما ابتكره الإنسان فاللغة ما أعجب المبتكرات التي أظهرها التطور الإنساني¹⁵.

فاللغة ليست عجيبة بذاتها، ولا بالجهاز الذي يصدرها والذي يتمثل في تنوع الأصوات فصعب، بل هي عجيبة كذلك في الوظيفة التي تؤديها، فهي لكونها أداة للتفكير تمكن الإنسان من الشعور بالذات، ومن الاتصال والاحتكاك بغيره، فبفصلها تكونت الجماعات الإنسانية، فالتاريخ البشرية منذ بدايته يفترض وجود اللغة.

ومن أهم أسس وحدة الأمة ومظهر هويتها عبر التاريخ الثقافة، وأن اللغة العربية وأساليب الكتابة المنسجمة مع مفرداتها وطبيعة تركيبها تكون العنصر الأساسي الجامع لهذه الثقافة.

وما من شك أن الحديث الشريف الذي يحثنا أن نتعلم من المهدي إلى الحد الأقصى أول ما يصدر على تعلم اللغات، وذلك أن الإنسان قد يقضي العمر كله

إن اللغة هي التعبير الحقيقي عن نكاه الشعب، حيث أن الطابع الفكري لكل شعب، إنما يتحدد عبر الألفاظ والعبارات التي تتكون منها اللغة.

- اللغة وحدها هي التي تسمح بالاحتفاظ بالتقاليد ونقلها من جيل إلى جيل. وفي هذه التقاليد تجد الأساطير تعبيراتها الرمزية والأعالي المتداولة مصطلحاتها الحقيقية. يقول هرنز في هذا المعنى: "اللغة هي تعبير عن تلقائية روح الشعب، إنها عصير الحياة للأمة. الضمير القومي للأمة لا يمكن أن يتطور إلا من خلال الأدب الذي تخلفه قريحة لكل الأمة"¹⁶.

إن اللغة العربية لا تعرف الحدود السياسية والجغرافية بل تتعدى ذلك لأنها تراكم وانصهار للمفومات الموحدة كونها تصدر عن منابع متعددة المرجعيات، فهي العراق آشورية وفي مصر مرجعية قبطية، فرعونية، إسلامية ومعاصرة، وفي لبنان وسوريا وفلسطين فينيقية، وفي المغرب مرجعية بربرية أمازيغية، وفي الصومال والسودان تراث إفريقي السودان ومن ثم فإنها تسهم في بناء مذهب إنساني جديد وتاريخي في الوقت نفسه.

واللغة في الحقيقة تكشف عن ذات الإنسان وعن أساره كيوثته حتى ولو أراد أن يخفي ذلك عن الناس.

إننا ندرك أهمية اللغة من خلال ارتباطها الوثيق بالأمة، فغالبا ما تقترن اللغة باسم الأمة وهويتها القومية، فتصبح أساسا مميزا لها عن بقية الأمم في سائر التعرف عليها وعلى الأفراد المنتمين لها، فنقول على سبيل المثال، إن العرب لغتهم وهي اللغة العربية وللفرنسيين لغتهم وهي اللغة الفرنسية وللألماني لغتهم وهي اللغة الألمانية وهكذا...

يقول ساطع المصري: "إن اللغة سواء قلنا أنها خل دفعة واحدة من قبل الله، أم ذهنا إلى أنها تكونت تدريجيا بعمل العقل، فلا يمكن أن تتك في أنها - في الحالة الراهنة - هي التي تخلق العقل أو على الأقل تؤثر في التفكير تأثيرا سيقا، وتدده، وتوجهه توجيها خاصا... من شمة فاللغة القومية تعتبر بمثابة

قواعدها وأصولها. ومن هنا أصبحت اللغة تمثل الجبل المتين الذي وحد بين رغباتهم ومطامحهم وجعل قوميتهم وهويتهم متماسكة.

فما هي القوى التي تحرك التطور السياسي والقومي؟ والهوية الوطنية وما هو العنصر الديناميكي الذي يدفع بالحركة، فيفرض الانتقال من وضع للآخر، إنه ليس الدولة كما زعم هيجل، وهو ليس الأمة كما رد عليه هرنز، إنها حقيقة مغنوية أعظم وأبقى وأكثر خلودا من كل ذلك، إنه روح الشعب: أو كما يقول موس (Mousse) "إن روح الشعب هي القوة الخفية المعنوية التي تسبيل على الجماعة فتفرض الترابط وتتحدى الأحداث وتتخطى اللحظة المناسبة لتتجر حقيقة واقعة، فإذا بها أمة ودولة، بل وطيفة حضارية وقيادة إنسانية. إن روح الشعب هي وحدها محور التطور إذا الزعم هو الذي يملك الحساسية والعلاقة المباشرة الخفية مع روح الشعب. وما روح الشعب وما الذي يسمح باستمراريتها رغم الأحداث؟ إنها اللغة أقمس الأقداس"¹⁷.

- اللغة هي التي تمكن روح الشعب في طوقسها وأسطيرها ورموزها وتقاليدها بل ومعانيها. اللغة المتداولة المنتقلة من جيل إلى جيل ومن عصر إلى عصر أو عبر مسالك خفية غير واضحة، ولكنها ثابتة، هي وحدها التي تحمي كنوز المعرفة وصلابة الإيمان وقوة الانتماء.

- فلا يوجد شعب أو أمة لا تملك لغة. إن اللغة هي الشرط الأساسي الذي يعني انتقاؤه وانتقاء الأمة أو كما يقول فلاسفة الرومان (Sinequanon)، إنه بهذا المعنى أحد المقومات الأساسية التي بدونها لا مجال للحديث عن مفهوم المجتمع القومي والهوية الوطنية.

إن الهوية كوحدة كلية حين يتعرض جزء منها إلى التهديد فإنها تسعى للدفاع عن نفسها ومكوناتها وذلك عن طريق الأسلوب والاستراتيجية المناسب لطبيعة الخطر. فهي بذلك تنتمس وتتقاسم أو تهانن أو تدافع وتهاجم كأي كائن حي له ميكانيزمات البقاء.

فإيماننا بالفصحى مستمد من إيماننا بتلك الأبراطورية التي تتجمع فيها أمجادنا الثابتة، وإنما بذلك الإيمان نستمسك بقوامات شخصيتنا العزيزة علينا وعلى تاريخ الإنسانية جميعا، وفي هذا الاستمسك نلتق مشاعرنا الطبيعية، لحماية أنفسنا في معتزك تتارح البقاء²².

التحديات التي تواجه الهوية واللغة :

تتعدد مصادر التحديات التي تواجه الهوية، يقدر ما تضعف المناعة لدى الفرد والمجتمع، ولكن المصدر الأساسي الذي يأتي منه التحدي الأكبر لهوية الأمم والشعوب كافة، يكمن في السياسة الاستعمارية الجديدة التي تسود العالم اليوم، والتي ترمى إلى تهميط البشر والقيم والمفاهيم وفق معاييرها الجديدة، والتي تسعى إلى صياغة هوية شمولية تفرضها في الواقع الإنساني، في إطار مريب من التوافق القسري والإجماع المفروض بالقوة. والخطورة في هذا الأمر، أن قوة الأتباء التي تُطرح بها هذه الهوية الشمولية ذات المرجع الغربي، والأمريكي تحديداً، تعمي الأضرار عن رؤية الحقائق على الأرض كما هي، مما يؤدي إلى توهم أن هذه الهوية المعتمَنة، هي الهوية المصرية، الهوية الكونية، هوية التحديت والمدنية، الهوية التي ينبغي أن تسود وتوقد، ولا هوية الجمود والهمود.

أما كونها هوية عصرية، فهذا صحيح من بعض الوجوه، لأنها مفروضة على هذا العصر بقوة الهيمنة والسيطرة والعالية، وأما كونها هوية كويتية، فهذا أحد ما يكون عن حقائق الأتباء لأن في العالم هويات متعددة، يقدر ما فيه من تباينات وحضرات، أما أنها هوية التحديت والمدنية، فينبغي أن نفهم جيدا أن المدنية دلالات ومفاهيم ومستويات، فنهنا حدثت مادية، وصنعية، مقطوعة الصلة بالدين، ومنها حدثت أخلاقية، إنسانية بانية للإنسان بعناصره المتكاملة وللحضارة بالأساس، وأبعدها المادية والروحية واللغة جزء من الإرث الحضاري والتي تواجه شتى أنواع التحديات باعتبارها أداة التعبير والتواصل بين أفراد المجتمع، وترجمانا

الوعاء الذي تتشكل به وتحفظ فيه، وتتفل بواسطه أفكار الشعب. إن لغة الأباء والأجداد مخزن لكل ما للشعب من ذخائر الفكر والتقاليد والتاريخ والفلسفة والدين، فقلب الشعب ينبض في لغته وروحه وتكمن في بقاء هذه اللغة¹⁹. ولما كانت اللغة بمنزلة القلب والروح للأمة، فإن يتعين حل كل أمة أن تتمسك بلغتها الخاصة/بتمسكها بحياته وتعتبر هذا التمسك بمثابة الواجب المقدس والحق المشروع الذي تهبون في سبيله أرواح الأوفاد.

إن الشعوب التي تتكلم لغة (أم) واحدة، تكون ذات قلب واحد، وروح مشتركة، ولذلك تكون أمة مشتركة يتوق أفرادها إلى العيش تحت لواء دولة واحدة، يبقى دائما متواجدا في أعماق الأوفاد، كالتار تحت الرماد، لا تلبث أن تشتعل بمجرد أن تذرو الرياح القومية ذلك الرماد²⁰.

إلا عندما يقف لغته ويصبح من الناطقين بلغة حكامه... فعدنذ فقط يموت الشعب ويذوب في بوتقة الغير ليصبح جزءا من أمة أخرى.

ففي هذا المعنى يقول جرجي زيدان: "اللغة المختلفة في مملكة واحدة إنما هي حواجز منبعية ضد الاحتكار الفعلي، وتفتح الأفكار، والعادات من عنصر إلى عنصر، فهي مانعة من الالتئام في وحدة قومية واحدة، يمكنك أن تجمع جماعات تحت راية حكم واحد، ولكنك لا تقدر أن تجمعها في قومية واحدة، إذا كانت متعددة اللغات ما لم تعتم فيها لغة واحدة"²¹.

وعن اللغة العربية والشخصية القومية لا نجد ما نستشهد به خيرا مما قاله أحد أئمة اللغة القومية العربية وهو الأستاذ محمود تيمور: "قأنا كانت الإمبراطورية العربية قد أسدل ستارها على مسرح السياسة فهي قائمة في مظهر لغوي يربط بين من ضمت من الشعوب، ونحن نعمل بواعيتنا الظاهرة والخفية على استبقاء رباطنا الإمبراطوري في صورة اللغة العربية، كأننا نبها الرباط نعمل على أحياء إمبراطوريتنا الزائلة، على نحو يلائم ملباساتنا الحضرة،

واسطة من وسائل الثقافة المعاصرة ومن بديل إلا بأن تكون مرنة، تحديده، نسبية ودينامية.

الوهامش :

- 1- دوجلاس براون : أسس تعلم اللغة العربية وتعليمها، ترجمة د. عياد الراحمي ود. علي أحمد شهبان، دار النهضة العربية، بيروت، 1994، ص 23.
- 2- سورة يوسف، الآية 2
- 3- سورة طه، الآية 113.
- 4- سمون حصادي وآخرون : اللغة العربية والوعي القومي، مركز دراسات الوحدة العربية، أبريل 1984، ص 291.
- 5- بسام بركة : اللغة العربية القيمة والهوية، مجلة العربي، العدد 528، نوفمبر 2002، ص 82.
- 6- المرجع نفسه، ص 86.
- 7- المصدر السابق، ص 76.
- 8- د. بسام بركة : المصدر السابق، ص 84.
- 9- د. محمد الطيبي : العرب الأصول والهوية، دار الغرب 2002، ص 139.
- 10- المرجع نفسه، ص 81.
- 11- د. بسام بركة : المصدر السابق، ص 84.
- 12- ج. فنريس : اللغة، ترجمة عبد الصمد الدواخني ومحمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي، مكتبة الأخطو المصرية، القاهرة 1951، ص 1.
- 13- سورة القيامة، الآية 4، تفسير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، المطبعة الأميرية، القاهرة 1323، ص 110.
- 14- التدريس : اللغة، ص 5.
- 15- المصدر نفسه، ص 1.

ينقل الأفكار للآخرين ليتم التفاهم والإقناع أو التأثير.

لقد ترسخ عند معظم أبنائنا بعجز اللغة العربية عن مواكبة حركة العلم والتكنولوجيا، وتاكدت أمامهم عظمة اللغات الأجنبية الأخرى التي تحتضن الفكر العربي المعاصر وتقله مما نتج ذلك الشعور بالوثنية والتقص أمم اللغات الأخرى. ولقد صار النطق باللغات الأجنبية دليل تفوق فكري وحضاري. والسؤال المطروح، هل تغيرت اللغة العربية من حيث الفاعلية التواصلية؟ ولماذا استطاعت هذه اللغة أن تحتضن ثقافات عديدة طوال فترة من الزمن؟ إن المشكلة الحقيقية لا تكمن في اللغة ذاتها بل في الإنسان العربي الذي يعيش مرحلة انهيارا وشعور بالتقص والضعف من انتمائه، فمارس هذا النقص هروبا من أصالته وهويته، لأن الهوية القومية ترتبط باللغة القومية لذلك كان الاعتزاز باللغة اعتزازا بالانتماء القومي ومن يتخلى عن انتمائه القومي وعرقه وأصله فكأنه الجسد بلا روح.

إن نقص الثقافة اللغوية لدى الإنسان العربي أثر سلبا على المردود الفكري والثقافي ويقتل ذلك النقص في القراءة والمطالعة لأن جيل الأمس كان يقرأ في شيا به كثيرا من أجل أن يبني ويكون نفسه، فوجد في القراءة متعة وثقافة وتعلما، وهنا تظهر الفجوة الراهنة التي تفصل بين اهتمامات كل من الجيلين وثقافتها ومعلمياتها، وأسلوبها في التفكير. إن جيل اليوم لا يقرأ كثيرا بل يتصفح قليلا وهو مشغول بالبال، مشتت الأفكار، لا يتتبع بالجرأة العلمية فهو لا يدري من الثقافة إلا مصطلحاتها، وتسيطر عليه العامية، لذا نلاحظ الكثير من المتقنين اليوم وقد أصابهم العجز الكبير في ثقافتهم اللغوية.

وما من حاجة للتقول بأننا نملك لغة فصحي هي مكون موحد قوي للهوية العربية والثقافة العربية معا. ذلك أنه من وجهة نظر معينة فإن اللغة العربية بحد التعريف لغة مقدسة، مطلقا بل تجري التقاليد لأنها لغة الهوية، ومع ذلك فإنها

- 16 - د. حنفي بن عيسى : الحافل ومعضلة القصور اللغوي في العالم العربي، مجلة الثقافة، العدد 98، مارس - أبريل 1987، ص 120 - 121.
- 17 - سمعون حمادي وأخرون : اللغة العربية والوعي القومي، بيروت 1984، ص 259.
- 18 - المرجع نفسه، ص 265.
- 19 - ساطع الحصري : ما هي القومية، دار العلم للملايين، بيروت، (د.ت)، ص 56.
- 20 - مجلة تربية ثقافية تصدرها وزارة التربية والتعليم الأساسي، العدد 3، السنة الأولى 1982، ص 8.
- 21 - المرجع نفسه، ص 11.
- 22 - نفسه، ص 12.
- 23 - د. سيار الحميل : مجلة الدرجة، فبراير 1986، ص 11.

جامعة بوعكر بلمقاييد - تلمسان

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
والعلوم الاجتماعية

مختبر انثروبولوجية الأديان
ومقارنتها

دراسة سوسيو- إنثولوجية

أعمال المختبر

الحنف والديني

الجزء الثاني

جوان 2005

ISSN: 1112-3494

UNIVERSITÉ ABOU-BEKR BELKAÏD TLEMCEN

Faculté des Lettres et des Sciences
Humaines et des Sciences Sociales

Laboratoire d'Anthropologie
des Religions Comparées
Etudes Socio-Ethnologiques

Travaux de Laboratoire

Violence et Religions

Tome 2

JUIN 2005

ISSN: 1112-3494

الشعبي التقليدي الذي تعتمد طرقه و أساليبه العلاجية على ممارسات السحر و الشعوذة و الغيبات مما أدى إلى ظهور تسميات عملية مثل قارئ الكف و العيب و السامر و المعالجين الروحانيين و أصحاب المعرفة الطبية الشعبية، فأستحوذ هذا المجال على اهتمام الأنتروبولوجيين من أجل فهم و تحليل الإطار الاجتماعي و الثقافي للمجتمعات و ما يمثله من انعكاسات متميزة لطرق معيشة الناس و ما يرتبط بأنماط حياتهم اليومية السلوكية من معتقدات و قيم خاصة، فضلا عن فهم العادات الاجتماعية التي ترسخ مفاهيم الناس و معتقداتهم اتجاه الصحة و المرض .

فما هي الأسباب يا ترى التي دفعت و تدفع الكثير من الجهاد و أنصاف المتعلمين إلى أن يؤمنوا بهذه القوى الخفية (الجن) (و يلقأون إلى أشخاص يكون في استطاعتهم أن

يرشدوهم إلى ما ينبغي القيام به من أعمال لإرضاء هذه الأرواح التي تسبب تلك المتاعب

التي يعتقد الناس في الزار و الشعوذة و خاصة الفئة المثقفة من قاطني المدن الحضرية

ذات التسميات الهئية المختلفة و الثقافات النباتية ؟

سما هي الفكرية الرئيسية في الزار؟ أي الاعتقاد بوجود الأرواح القادرة على جلب الخير و الشر للإنسان ؟ أم طلب التقاء و تحقيق الرغبات ؟ أي العودة إلى الكورت في وقت عرف فيه العالم تطورا فكريا و ثقافيا ؟

1- مفهوم الزار لغة و اصطلاحا :

لفظ الزار مما يعنيه من طقوس أمهري معناه عند الأحياس شر يزل بإنسان ما و لا معنى لهذه الكلمة اللغة العربية، اللهم إلا إذا أخذنا بالرأي الذي جاء به "زورع" (211)

تجليات ممارسات الزار
الأستاذ: كريمة الشريف
قسم الثقافة الشعبية

1- مقدمة:

إن إيمان الإنسان و توسله إلى القوى العليا كالألآة و الشياطين أو الفنتش، عن طريق الصلاة جملة يؤمن بها و يسترضها بواسطة الأضاحي و القرابين و يتوسل إليها بالضح و النذور و الرياقة، و يستعين بها للحصول على الحركة و لتحقيق أغراض من العمليات السحرية التي يمارسها. و يعرف التراث السحري آلاف الصيغ و الدعوات لعن القوى الشريرة أو استرضاء القوى الخيرة و استعانتها على الشر مما جعله يمن و يعتقد في فعالية الطرق الطبية الشعبية للتخلص من العلل و طرد الأرواح الشريرة .

إن طرق ممارسات العلاج الطبي، قديمة قدم المجتمعات الإنسانية، و يرى "بيتر هاموند" أن الممارسات و الشعائر الخاصة بسبق المعتقدات هي نوع من Peter Hammond الاستجابة للحجحات و المطالب التي ينشأ بها أفراد المجتمعات من أجل تخليده معنى و جودهم في الحياة .¹

إن شعور الممارسات و الطقوس النابعة ف علاج الصرع أو اتصال الأرواح الشريرة بالإنسان و سميات أخرى في مجتمعا المعاصر (كالثريبة و الومين و الثابئة) (إثبات أنشكالا عدة في التخلص من الأمراض المستعصية و لعل أكثرها شيوعا طقوس احتفالات الزار و من هنا جاء اختيارنا لموضوع هذا البحث .

تفند نجد العديد من الناس الذين يبحثون إضافة إلى طلب الكرامات يلجأون إلى الطلب

الجسم نفسها بعد أن دخلت في التصراخية مغربيا حقودا و انتقلت على هذا النحو
الشعائر لانقلقت هذه الشعائر الى المسيحية عند الأبحاش ثم إلى الإسلام مقرونة بالاسم
الخاص بالله السماه الذي أنخط إلى مرتبة أقل ما كانت له⁴¹ .

و يسمى الزار بالحضرة حسب لأنه من الزيارة أو الحضور أي أن الجني تزور الأديمين . و
الحضرة تعني الحضور، جاء في لسان العرب لابن منظور أن الحضرة من حضر :الحضور :
تقبض الغيب و الغيبة، حضر، يحضر حضورا أو حضارة، حضرة الرجل قريبة و قاربه و
في حديث عمر بن سلمة الجرمي كما يحضرة ماء أي عنده، و رجل حاضر، قوم حضر و
حور و إنه حلسن الحضرة و الحضرة إذا حضر بخبر،...الحضرة قرب الشيء، فقول :

كنت بحضرة الدار، و أشهد الليث :

فقلت يياه يوم يحمل راية إلى فمشل، و القوم حضرة فمشل

و يقال :حزبت فلانا بحضرة فلان :محضرة فلان و محضره،...² و قد ذكر ابن
منظور أيضا أن الحضرة تعني الشدة.

المعنى الشعبي للزار:

بعدها كانت الحضرة تقام من أجل الذكر و الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم
و تلاوة القرآن، و لعدة أسباب (ثقافية، سياسية (...تعرض لها بالتفصيل في دراسة
الحضرة أو الزار بالجزائر :أحدثت الحضرة شكلا آخر و مسارا حادا عما عن الطريق القويم
فأصبحت تستعمل لأغراض ذنوية و تكسبية، فبالجأ المرء عند الإحساس بالشدة و
الضيق و تعرضه لوسوسة الشيطان بإقامة حفل الحضرة و استعمال التلذذ و الترتيب
للحس بالذائغ من أجل تخليص المريض من المس و الأرواح الشريرة التي تسكن بده

من أن الزار سمي كذلك لأنه من الزيارة أي أن الجني تزور الأديمين ويمكن القول بأن
زار فعل ماض قد سكن آخره لكثرة الاستعمال و الخروج عن أصل وضعه ثم أطلق على
تلك الحال التي تعتبر الإنسان و عى يفهم الناس لها سببا واضحا و لكنهم يعتقدون أنها
ناجئة عن اتصال بعض الأرواح بملك الإنسان . و لما كانت هذه الحال تأتي لئدة وجزوة
في فترات متباعدة كانت أشبه شيء بالزيارة، لأن الإنسان حين يزور غيره لا يفعل ذلك
إلا من حين إلى الآخر بان يكون بين الزارين فترة قد تطول و قد تقتصر و من هنا سمي
هذا الحال زار³

ب - أصل كلمة الزار :

يرى البعض أنها ليست من أصل سامي و لكنها دخلت إلى اللغة الأتينية الأهمرية من
لغة الجلا و هي قبائل وثنية تخضع للحكم الأتيني.

و يرى آخرون أن هذه الكلمة أتت من قبائل الغودو التي تسكن وسط أفريقيا . و يوجد
في الصومال عادة وثنية قديمة قد تكون ذات صلة بالزار يسميها أهل هذه البلاد "السلار
"، كذلك توجد في نيجيريا ظاهرة مشابهة للزار الموجهة في البلاد العربية تسمى بوري
كما تسمى في بلاد المالايو (أموك و) كذلك في الهند توجد عقيدة قوية في الرواح و
بعض تعاليمهم في هذه العقيدة تمثل على حد ما تعاليم الزار و لو أنه لا توجد علاقة
واضحة بين الزار المعروف في البلاد العربية و بين ما يسمى في الهند (بوت أو أي روح
شريف حنالك.

و المرجح أن الزار في البلاد العربية يرجع إلى زار الطبيعة نفسها و لا يرجع إلى أصل
سامي، و لعل الكلمة مشتقة من اسم الإله الأعظم عند الكوشيين الوثنيين قبايه السماه
يعرف في لغة آكو باسم جاز و في لغات سدمة (أيرو .) و لقد عدا الإله الوثني القديم في

إن شدة اعتقاد الأفراد بالراز أو الحضرة جعلهم يقولون على تلك الممارسات من أجل إرضاء الرواح الشريرة وتخليص المريض منها أملاً منهم أن تعي المريض "فيشتر إلى أهله بأنه الآن يمر بفترة نقاهة لعمدة أباه، مما يجب الاهتمام به و رعايته حتى لا تعود له الإصابة مرة أخرى، أي أنه الآن يمر بنفس النفوس التي يمر بها العروسان في الأيام الأولى للزفاف أو الأطفال في حالة الطهارة أو حالة الولادة أو النفاس. و حسي تلك أو الخمرات ف عرف Taboo المراحل التي تنتشر إلى الرور بقرات "التابو"⁷ الدراسات الأثرولوجية و الطب الشعبي

إن إقبال الأفراد و ولعهم لممارسات تلك الطقوس الصاخبة بالفلكلور و إيقاد الشموع، و حرق البخور و كرتة المرج و الرح و تقديم اللبائح لم يكن ميلا ظاهريا مجرد الإشتراك في الرقص و الرهد و إنما الاعتقادهم في أن تلك الممارسة كهيئة بأن يتختم من كثير من الأمراض و ملاحسات "الجن" التي يمكن أن يتعرضوا لها في حياتهم المستقبلية.

ممارسات الزار و طقوسه:

قال الشيخ ياسين أحمد عيد " : لقد أحدث الناس حفلات لم تكن من دأب سلفنا الأرايين و لكنها من مبدعات هذا الزمن التي راحت فيه المكبرات، و طلعت فيه الماديات و الاستماع بكثير من الشهوات، و من تلكم حفلات الزار الآتية التي تقام بحجة شفاه المريض و إزالة ما ألم به من صرع، فيفكر فيها الفساد و يحسى فيها الاحتشام و يتفق في سبيلها أموال طائلة ظلك سببت أزمات اقتصادية و مساوى خلقية و مضار اجتماعية. و كم من ثروات أيدت و كم من أسر أفقر بناؤها و تلاشى عروها، و كم من أمراض هتكت من جراء هذه الحفلات الماحقة يلم الرض بالراز فإيتها إليها شياطين النساء

و عارسة السحر و إشعال البخور و الرقص على دقات الطبول و أنغام الزايمر و خمر الجسم بالابنر و المبالغة في الرقص حتى يغمى على الفرد ظنا أن الروح الشريرة تعزبه وما على الشيخ إلا أن يتفاوض معها، لتترك بدن الضمروع.

و قد تختلف أسماء الزار من منطقة لأخرى لكن الفكرة و الغرض واحد و هي الاعتقاد بوجود أرواح حول الأرض، هذه الأرواح ذات مقدرة على جلب الخير أو الشر للإنسان . و يشير اصطلاح آو مفهوم الزار من خلال الشعائر و الطقوس التي ترتبط بممارسته أن هناك بعض الأرواح الشريرة تلتصق أو تتوحد مع بعض الأفراد و تأخذ تلك الكائنات الغيبية مسمايات متعددة مثل "بابيس" و "الجن الشيطان" و "الغريت" و هي فوارق غيبية تسبب الأمراض و اعتلال صحة هؤلاء الأفراد تحت ظروف صحية و نفسية معينة يرون كما في حياتهم. مما تتطلب حالتهم المرضية ضرورة علاجهم عن طريق إقامة حفلات الزار.⁵

إن الفكرة الأساسية في الزار هي وجود الأرواح و تدخلها في مصائر البشر و محاولة إرضاء هذه الأرواح. هذه الأقسام الثلاثة من المشكلة قد وجدت بوجود الإنسان أي أقما فكرة قديمة قدم التاريخ البشري ذات، فمست و جود الإنسان قبل بداية التاريخ حاول تفسير الظواهر الطبيعية و ما يتناها من تغيير، و لم يسمعه العلم فجعل لكل موجود طبيعي روحا -للشجرة روح و للصخرة روح، لكل الكائنات الطبيعية أرواح حتى صار العالم كله يعج بالأرواح⁶

و لم تقتصر فكرة الأرواح على الشرق مهبط الديانات فحسب بل وجدت في العالم كله أفكار عميقة و معقدة.

إن تأخر تعليم المرأة جعل دهننا يدور في دائرة ضيقة لا تكاد تعدى النواحي السطحية و الشهيرة الخالصة و لذلك خلال وقت فراغها من المناظر المذهبية أو الفنية أو الاجتماعية الراقية و أصبح نجا الأرواح كما أن الجهل جعلها تومن بالخرافات، كما أن حياها الريفية المملة و بقائها في المنزل تقوم بنفس الأعمال كل ذلك ساعد على ارتدادها حفلات الحضرة و الشعوذة آمنت بما أم لم تومن .

ظل النمط الثقافي التميز للحضارات يرجع الفضل فيه إلى النساء للعمل على المحافظة على التقاليد الممارسات و الطقوس التي ترتبط بالممارسات التي بها المجتمع .

و من هنا ظهر عامل التطابق أو التوافق بين الأشخاص على نطاق الثقافة المحلية التي منحت الدعم و المسند الثقافي لتلك الممارسات التقليدية و التي ينظر إليها المجتمع على أنها طرق علاجية وفاقية لكثير من الاضطرابات النفسية و الأمراض المستعصية .

و هنا أحد النمط الثقافي الخلل على المحافظة و دعم توجهات منشط الأفراد نحو الالتزام و بتلك الأنماط السلوكية الممارسات الفعلية نظرا لما تولده من تأثير و إيجابية نحو العلاج.

ب- التحولات الاجتماعية و الاعتقادية:

إن الزار (الحضرة) كظاهرة ثقافية توجد في كثير من المجتمعات التي تنتمي إلى مستويات مختلفة من التطور الاجتماعي و الثقافي تكمن الخصائص التالية:

قوة الاعتقاد في الأرواح و وجودها بين الناس . و هذا يعني وجود بناء أو نسق من الاعتقاد بين جميع السكان في المسبات الأولية للأمراض العضوية أو النفسية، ثم الإيمان والاعتقاد في فعالية و جدوى الطرق العلاجية و الرقابة التي أقرتها أنظمة الثقافة المحلية، دفع المرأة بشعورها بأنها أقل قيمة من الرجل إلى البحث عن تعويض و ستفس في حلقات الحضرة.

فيتحزن بعقلها و يزين لها أن ما دهلهما صرع من الجن و في استطاعتهم أن يذهبوا هذا المرض، فطلبن طالبات يمز وجودها و يقتل كامل زوجها، من حلتي تعددت أنواعه، ومن اللجاج و الحراف أصنافا⁸ .

إذا أقيم الخلل يسمى المرض عروسا، و تلج عليها من الثياب غالية الثمن قصيرة الخلل و يصحن بالغان التي تستهوي الأفتدة، و هناك يعزى المرضة هذا الانتهاج من آثار الدغوف و الغناء و تدب في جسمها نشوة الفرح كذا المهرجان العظيم.

و لكنها بعد برهة من الزمن يعود إليها المرض، فتندرج عفرتها في الطلبات حتى إذا ما خوي البيت و نفذ ما في الجيب قضى المريض نحبه و ترك العيون دامية و الدمار بلاقع صدق القائل :

ثلاثة تنشق بين السدار⁹
العرس و المآثم ثم السرار⁹

و لبت الأمر يقف عند هذا الحد، بل من النساء من يتخذن هذه الخفلة لإغراض غير شريفة يجتمع الرجال و النساء سرا و جهرا للاستماع بالشهوات و كثيرا من اللات وفي ذلك يكون الشباب أعظم فيها الله من الأفاك و التخليل.

- إيجابيات ممارسات الزار

إن ممارسات الشعائر و الطقوس المتعلقة بالزار (الحضرة) (كصداوة للعلاج النفسي أتت إلى ظهور أنماط و سلوكيات ثقافية جديدة مما أدى إلى تغيير شامل في شكل البناء الاجتماعي و الثقافي و أهم المظاهر أو المتميزات الخاصة بممارسة الزار كوسيلة للعلاج الشعبي بين أفراد مجتمع البحث تتلخص فيما يلي :

أ- التحولات أو التضمنات الثقافية:

و تطهر النفس من حالة اللذائسة التي لحقت بها، و جلب البهجة لتلك الأرواح الفاضلية حتى يتخلص المريض من إيلائها له. و قد أصبحت المذركات الرمزية التي كانت تصاحب عملية الخضرة و الاعتقاد الغيبي في بعض الكائنات قد تغيرت بفضل تجارب المجتمع (مجتمع البحث) مع الأنماط الثقافية البديلة سواء على مستوى المجتمع الريفي أو المدن، و تفعل القدرة السحرية فتلعبها في الجانب الرمزي، يقول نور الدين طوالي " مرافق تجسد النفس البدعي، فحتل التفاعلات البشرية، مع تركيبة طقسية شديدة التقيد، فهو يفرض كم من حكم، و في مقابل الخضوع النهائي للأوهجات الملتزمة، خضوعاً للحضامة التي تجعله موقلاً وصالماً و تفرعها. ضمن هذا الإطار، يعتبر الاحتفال الطقسي بألعدة مثال التقوى و يلاحظ انقياد الناس للروحانيات الملتزمة من عدة نواح. الإطار الرمزي للتعبد حيث أنه لا يكون ذا فعالية إلا إذا اندرج في زمنية¹¹.

د-التجليات النفسية:

إن علم النفس الذي خالطه الأنتياح و الشياطين يسيطر على عقول رجل لشارع والطبيب و الفيلسوف، كما يسيطر على الكنيسة و العدالة و لم يتم تأثير على العالم الكاثوليكي و حده بل انتشر في أنحاء العالم . فظاهرة الزار و ما تحتويه من موسيقى و إنشاد و حركات راقصة مختلفة كلها عوامل و شروط أساسية من شأنها أن تؤثر في نفوس الممارسين لما يجذونه فيها من طرب و متعة و ترويح للنفس .

فازار يعتبر رد فعل هستيري إذا كان تعريف المستيريا هو أكله ادعاء المرض للحصول على كسب مرمز فكل النساء يعانين من بعض الأمراض أو أكلن سيمن بالمرض إذا لم يقمن بعمل معين يسمين من الإصابة، و قدرة التكوين الجسماني على الإيمان بخرافات

و قد حاولت كل من المداخل الأثروبولوجية الوظيفية و مداخل البحث الميكولوجية إلى تحليل و تفسير تلك المعتقدات الشعبية و التغيرات التي تطرأ عليها و وضع قواعد نظرية أو منهجية محددة تسهم بصورة إيجابية في حل المشكلات التي تتصل بالظواهر أو العادات و المعتقدات الغيبية.

مايو فورس أن فهم تلك Meyer Fortes، من خلال دراسته حول قبائل الناسي يرى الشعوب عن طريق تحليل اصطلاح أو مفهوم التابو يعد من المداخل الضرورية و العامة لفهم طبيعة السلوك و الشعائر و لطقوس المعتقدة التي تحيط بهذا المفهوم لدى تلك المجتمعات. كما يرى أن قبلا من الفكر و المعرفة حول تلك النواحي سرعان ما يكسف لنا عن حقائق في غاية الأهمية لتفسير السلوك الإنساني في عمومته¹⁰

ج-التجليات المادية، و الرمزية:

إن الشعائر و الطقوس التي تتصل بممارسة تلك المعتقدات الغيبية تعبر في كثير من جوانبها عن البناء الرمزي الذي سود تلك الأنماط الثقافية الخلية و التي تحذف في الدرجة الأولى إلى جانب الترويح عن النفس و البهجة و المرح على جو الاحتفال نظراً لما تحويه سعادة المناسبة من فائدة كبيرة تعود على كل من الرواح الغيبية و المريض معاً، و حتى يمكن تطهير النفس و تخليصها من تلك الكائنات الشريرة و العمل على وقايتها من أية نواحي شريرة أخرى و تعبر على الأنماط السلوكية الخاصة بالنواحي الرمزية في هذا الشأن إلى ما يقوم به الأفراد من: ارتداء اللباس و التطيب بالعطور و التخصيب بالحنة و التزيين بالكحل و ارتداء المصوغات و الخجوهات و حرق البخور و استعمال الأعشاب الطبية.

وهذه النواحي تقي في مضمونها الرمزي جوا من السرور و الأطمئنان على نفسية المريض

- (1)- Meyer Peter B - Hammond, Culture and Social Anthropology, Company Press New-York, 1964 – p 232-233.
- *- 2-(سموئيل) زومر Zwiemer-استشرق أمريكي يحرر مجلة علم الإسلام الإنكليزية، له مؤلفات قيمة عن الإسلام في العالم وعن العلاقات بين المسيحية و الإسلام منها "يسوع في إحياء الوثائقي" 160
- 3- فاطمة الصوري:الزار في مصر دراسة أنثروبولوجية و نفسية، نقلا عن مجلة التراث الشعبي،العدد-1ص160 (1952-1876).
- 4- نفس المرجع صص.162
- 5- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت ط (1990) المجلد الرابع، ص 196-200
- (6)- Paul- Ghaloungui, Magic and Medical Science in Ancient Egypt, Hoder &Stoughton London, 1963- p 173. -
- 7- فاطمة الصوري:الزار دراسة أنثروبولوجية و نفسية، مرجع سبق ذكره صص.162
- (8)- John Kennedy, Nubian Zar Ceremonies as Psychotherapy in, Human Organisation-Vol 26, N4, Winter 1967, pp185-194.
- 9- وحيد عبد السلام باهي، بوقفة الإنسان من الجن و الشيطان، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان .
- 10- نفس المرجع صص.162
- (11)- Meyer Fortes, « Ritual and Office in Tribal Society » in Max Gluckman, (ed). Essays on the ritual of social relations, Manchester University Press, 1961 . pp: 65-69.
- 103 12- عبور الدفن طرطوي، بني: إشكالية النفس، حيوان الطيرعات الجامعة، الجزائر -1988ص
- (13)- Le Quotidien d'Oran Juillet 2000. (Paris de l'Hebdo – El-Ahram (Le Zar, une pratique proche de l'Exorcisme pour les Egyptiens), par Khouloud Al-Gamal.

تريح المريضة نفسها، علاوة على رغبة الإنسان الراقية في أن يكيف نفسه مع الجو المحيط

44 .

و فيما يخص الإجهاد فإن نساء الزار تلجأ إليه كميكانيزم الهروب من الواقع فدخولهن في حالة الإغماء أشبه بالمشخص الذي يستمع إلى الموسيقى بكلية حتى يفقد إدراك ما حوله .

"إن الزار يرتكز Hadjar El-Hadidi يقول الأثروبولوجي المصري "حجار الحديدي "

أساسا على الحلقة الراقصة،مرحلتها الثالثة، فالمرحلة الأولى تشمل ففي التهيئة أو ، و المرحلة الثانية التي يحس فيها الشخص بحضور الأرواح Concentrationالتركيز ، و المرحلة الأخيرة هي مرحلة التحول مع العالم الآخر (اليتافريقي) 12 .